

رأس الكلب

هذه الترجمة الكاملة لرواية

**Dog Head**

**رأس الكلب**

**Morten Ramsland**

**مورتين رامسلاند**

ترجمة / ريهام عبد الجواد

يارا محمد

شادى مجدى ذكى

مراجعة/ محمد السيد جوده

الإشراف/ خالد طوبار

الغلاف/ هانيبال - هيبو

الإخراج الداخلي/ فاطمة عنان

سلسلة من كل بلد كتاب - رواية من الدنمارك  
الطبعة الأولى/ القاهرة ٢٠١٤

ISBN: 978 - 977 - 6299 -23-22



وكالة سفنكس

٧ شارع معروف النور السابع

وسط البلد - القاهرة

ت/ف: 002 02 25792865

[www.sphinxagency.com](http://www.sphinxagency.com)

[info@sphinxagency.com](mailto:info@sphinxagency.com)

جميع الحقوق محفوظة للنشر، ويحظر نشر أو اقتباس هذا العمل أو أي جزء منه بأي وسيلة  
تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة  
أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات دون إذن كتابي من الناشر،  
ومن يخالف ذلك يتعرض للمساءلة القانونية

This book is translated with a financial support of Danish Arts  
Council

Sphinx Agency © ٢٠١٤

مورتين رامسلاند

# رأس الكلب

ترجمة / ريهام عبد الجواد  
يارا محمد  
شادي مجدي ذكي



وكالة سفنكس

obeikandi.com

## في سهول ألمانيا الشرقية

الخامس من مارس لعام ١٩٤٤

في مكان ما بألمانيا الشرقية، يركض جدي (أسكيلد) عبر سهل منبسّط، هرباً من الجنود الألمان وقد فَقَدَ إحدى فُردتي حذائه؛ التي تجمدت. انبعث ضوء الهلال الخافت على المناظر الطبيعية الخلابة فحوّلها إلى أرض قاحلة تناثر بها جنود راقدين في الطين وقد تجمدوا كما يبدومنذ أقل من ثلاث ساعات، ودّع جدي صديقه (هيرمان هيممنج) لقد كانوا يركضون في الاتجاه المعاكس محاولين بذلك خداع مطارديهم بالتركيز على طريق واحد فقط من الطريقين.

لم يكن أبي قد ولد بعد.. كذلك جدتي (بيورك) \_ التي وصلت في وقت متأخر إلى السجن في أوسلوفلم تستطع أن تودع أحداً- لم تكن قد تزوجت من جدي أسكيلد بعد، بل لم يكونا مخطوبين آنذاك. ولذلك كان وجودي في خطر. أخذ أسكيلد بعض العظام وغطاها بسم الفئران، ثم نثره على الأرض، وبعد دقيقة أو دقيقتين وقف جدي ليلتقط أنفاسه قبل مواصلة الركض مرة أخرى. الآن.. من الضروري مواصلة الجري يا أسكيلد إركسون، فربما تلك التي تعوي على بعد هي كلاب (الدموم) أو أنه صوت السفينة (كاتارينا) تهب ببوقها في ضباب الصباح خارج (بيرجن) .

إن صوتاً داخلياً هددته بفصل ساقه عن جسده. أو أنها أذنه الصماء التي منحته الحاسة السادسة.

إن ذرية إركسون في خطر الآن.

اهرب- عليك اللعنة- اجري.. ولكن أسكيلد لم يحرك ساكناً..!

برغم كل ما كان حوله من سم للفئران، وعظام مفتتة، وصوت السفينة كاتارينا.. إلا أنه كان مندهشاً من هذا الصوت الداخلي.

لم تكن الأمور على مايرام.. فجدي أسكيلد يقف عاجزاً في سهول ألمانيا،



وجدتي بيورك في النرويج تعاني من سوء التغذية ونزيف في اللثة، مع شعور غامر بالأسى والحسرة.

لقد دُمرت ترسانة السفن التي امتلكتها عائلتها منذ أن جاء جدها شاباً إلى النرويج فقد أغرق الألمان سفنه السبعة، وبيع منزل العائلة الأرستقراطية، وكان والد جدي راقداً في سريره بعدما أصيب بشلل إثر سكتته دماغية، وكان على ابنته بيورك أن تعمل في محل ملابس يدعى هولست علي الرغم من نزيف لثتها الذي كان يتساقط على القماش.

قالت جدي بيورك: «إن الطرييدات الألمانية أغرقت كل مالدينا». الآن فقط.. فطن أسكيلد أن ما كان يعوي هو كلاب الدموم. كانت الأفكار تھوج في عقله.

سيهرب هيرمان.. لقد حددت الكلاب مصير الرجلين بتركيزها على آثار أقدام أسكيلد.

نظر أسكيلد لأسفل فلمح ثقباً في جوربه وقد برز إبهام قدمه الذي كان أزرق اللون ومتسخاً يبدو كسمكة صغيرة وقعت في الشرخ. لقد اعتقل أسكيلد في معسكرات ساكنهاوزن لمدة عام تقريباً، ورفض العودة إلى هناك مهما كانت الظروف.

وفي يوم الأحد الموافق الخامس من مارس من عام (١٩٤٤) تمام الساعة الثانية وثمانى دقائق صباحاً.. كان جدي يصرخ بكلمة «لا» من أعماق قلبه وأخذ يجري نحو منحدر فراح يتعثّر وينهض مرة تلو الأخرى .

إن كلاب الدموم تعوي، وصوت الطلقات النارية يُسمع عن بعد. كانت أصداء كلمة «لا» تتردد مدوية داخل جدي. لا.. للألمان، لا.. لـ كلاب الدموم، لا.. لكوابيس الشتاء في ساكنهاوزن.

وهكذا كان يركض أسكيلد مندهشاً، محبطاً مردداً كلمة لا من أعماقه. وفي (أودنسي) استيقظ جدي لأمي في ليلة باردة ولبس حذاءه ثم خرج إلى الكوخ ليتبول، كان جدي يتأمل في هذا التسريب الموجود بالسقف والذي



يحتاج إلى صيانة.

في نفس اللحظة اصطدم إبهام قدم جدي أسكيلد في كتلة ثلجية متجمدة  
فعض على شفته السفلى من الألم.. فأحدث بها ثقباً.

جدي لأمي كانت نائمة مطبقة يديها بعد تناولها لدوائها اليومي.  
عمي هاري كان نائماً ويداه تحت الغطاء بالرغم من أن ذلك غير مسموح به.  
كان يحلم بأشياء مخيفة ربما مر بها من قبل!.

واعتادت جدي بيورك في مدينة (بيرجن) أن تري في أحلامها بأن بحاراً يقفز  
من نافذتها ويحرق فيها بعينين مخيفتين.

في البداية، لم تستطع شيئاً سوى أن صرخت ليساعدها أحد ما، ولكن لم يأت  
أحد لمساعدتها، فصرخت بصوتٍ أكثر علواً، حتى أدركت أن الذي يصرخ طلباً  
للمساعدة هو البَحَّار، وبعد ذلك.....!؟

استيقظت جدي بيورك، ثم جلست على السرير وكان ذلك عندما اصطدم  
إبهام جدي أسكيلد بالكتلة الثلجية.

وقبل أن تشرق الشمس لحق الألمان بجدي أسكيلد وتم القبض عليه. فقد  
كان يجلس علي شجرة في غابةٍ قريبةٍ، وكان جسده أزرق اللون بفعل البرد  
القارس.

وقفت كلاب الدموم أسفل تلك الشجرة وعندما كانت تتسابق في الصباح  
الباكر، وجده الألمان وعندها صوبوا بنادقهم إليه وأمروه بالانحناء لأسفل،  
ولم يطلقوا عليه النار وبعد شهرين أرسل أسكيلد إلى معتقل بوخنفالد.



## الغداء

إننا نتشوق لنعرف بالتفصيل كيف استطاع جدنا أسكيلد البقاء على قيد الحياة؟، كما نود أن نعرف كيف مهد الطريق فأثبتت أنا وأختي الكبيرة (ستينا) إلى هذا العالم؟.

ظل جدي صامتاً بعد تناول غداء الميلاد وشرب كوباً آخر من خمر (الأكوافيت) ورفض أن يقص علينا ما فعله الألمان به، لكنه همس بشيء آخر: «الطاعون.. الكوليرا»

لقد جذب انتباه جدي وجود لافتة في الشارع -تبدو وكجندي ألماني يحمل بندقية- فأومأت إليه جدي بيورك برأسها وتحدثت في موضوع آخر. كان جدي يتكئ على عصا أثناء سيره فقد أصبح بديناً على عكس حاله عندما جاءت به سيارات الصليب الأحمر البيضاء من بوخنفالد إلى المنزل. إن جدي لا يحب أن يتذكر ذلك اليوم عندما جاءت به سيارات الصليب الأحمر البيضاء من بوخنفالد عبر نيويנגام، وكان يومها كريشة في الفضاء. لقد تخيلت جدي أسكيلد شخصاً نحيفاً تعلوه رأس كبيرة مستديرة، يجلس في كرسي الأتوبيس الأخير.

سألته ستينا «ماذا حدث بعد ذلك يا جدي» ولكن أسكيلد كان يفضل الحديث عن الأوقات التي وقف فيها في الميناء ينتظر مقدم أبيه في السفينة كاتارينا بعد غيابه لشهور في البحر.

اجتماع عائلة أسكيلد يملؤه بمشاعر متساوية من الخوف والسعادة، فبعد تناول العشاء سوف تقرأ والدته-بصوت عالٍ- كل أخطائه التي دونتها بصورة منظمة في كتاب أسود أثناء غياب والده، وبعد ذلك سيضربه والده بالحزام الموجود في خزانة الملابس جزاء أخطائه في الشهور التي لم يتواجد فيها والده بالمنزل.

«لقد كان الناس صادقين» هكذا قال أسكيلد

لم نستطع الحصول على أية معلومات أخرى من جدنا أسكيلد، ولذلك ركضنا



للخارج مع ابنة عمنا مايا، لقد كان مهماً جداً ألا ترانا تلك العاهرة الصغيرة (آن كاترين) إنها أخت أبنينا البدينة.

ومن حسن حظنا أنها نزلت إلى الطابق الأرضي. فقد اعتقدت أننا سننزل أيضاً إلى هناك، ولكن خرجنا نحن الثلاثة من الباب الخلفي وقد وجدنا ثلجاً على الأرض مما أسعدنا في بداية الأمر، وأخذنا نتقاذف كرات الثلج، ثم بعد ذلك لعبنا لعبة «الراعي الألماني» مثلت أختي سيتا دور جدي أسكيلد، وأدت ابنة عمي مايا دور الصليب الأحمر، وكان على أن أقوم بدور كلب الراعي الألماني.

لم أرغب في تأدية هذا الدور، فتمشي لي لدور كلب الراعي الألماني يتطلب أن أزحف على أربع للإمساك بساقي جدي أسكيلد، ولم يكن هذا شيئاً ممتعاً بوجود ذلك الثلج الذائب.

صاحت مايا عندما كنت أندفع نحو قدم أختي ستينا قائلة «لا تنسى أن تنبح». إن مايا تعرف الكثير عن طبيعة الكلاب، فهي وعمي هاري وعمتي يفتنون واحداً من نوع (لبرادور) أسود اللون.

صاحت مايا «يجب عليك أن تنبح» فنبحت ورميت نفسي في الثلج عند حذاء ستينا، فصرخت صرخة عالية عندما أمسكت بحذائها وأوقعتها على الثلج. لهتت أختي «هنا بعضاً من سم الفئران، وكانت تحاول أن تحشوفمي بالثلج، بينما كنت أحاول لي ذراعها إلى الوراء وهي تتأوه، كانت مايا تنادي على أسكيلد وتصنع كرات من الثلج لتعطيها له .

فجأة.. قالت ستينا: «حسناً.. الآن مات كلب الراعي الألماني». فاعتزمت كلامها قائلاً: «لا.. ليس بعد»، وكان الثلج يتطاير من فمي أثناء ذلك.

خالفت مايا كلامي بقولها إذا مات كلب الراعي الألماني فقد مات إذاً، والآن دورها لتتقذ أسكيلد.. فمن المفترض الآن أن نتظاهر بتعدينا له أولاً، ولكن لا يبدو أن الفتيات يرغبن في ذلك الآن، وأخذت مايا ستينا معها إلى الجراج،



ثم أغلقت الباب ورائها مع ابتسامة صغيرة.  
نادتني ستينا من وراء الباب المغلق «أذهب للداخل» وأضافت مايا «يمكنك الذهاب واللعب مع العاهرة الصغيرة»، وفي غرفة المعيشة كان أبي يتشاجر مع جدي أسكيلد. سرق أسكيلد مجموعة من عملات أبي المعدنية وكذلك العملات الفضية القيمة.

جمع أبي كمية كبيرة من النقود المعدنية التي وضعها البحارة الأمريكيين في ميناء بيرجن.

لقد مرت أمام عيني ناقلة بتزلز ضخمة، يوجد على سطحها ملعباً لكرة قدم. كانت الشمس تتلألأ على الأذوار الذهبية المطرزة على (بدلات) البحارة الأمريكيين الأغنياء، وكانوا جميعاً يرمون بالأعلام والعملات المعدنية للصبي من على سطح السفينة.

وبهذه الطريقة جمع أبي ثروة ضخمة، وذات يوم كان أبي خارج البيت يلعب، فتسلل أسكيلد إلى حجرته، وأخذ النقود المعدنية وذهب إلى الحانة. استشاط أبي غضباً وصاح «لص»، بينما حاولت جدي بيورك تغيير الموضوع. وللحظات، ادعى جدي أسكيلد أن أبي قد نسي النقود في مكان ما، وبعد دقيقة قال: «بأن أبي أذن له ببيع النقود المعدنية» كان أسكيلد قد اشترى زجاجة البيرة الموجودة في أحد الأركان، وأعطى باقي النقود المعدنية لأبي، فصاح فيه أبي وقد انحنى على الطاولة «أنت رجل كذاب» وكادت عيناه السوداوتان تنفجرا من الغضب.

لم نكن آنذاك قد انتقلنا إلى الدهمارك .

كان العرق يتصبب من جبين أسكيلد حين نظر إلي جدي بيورك ثم وقف وقال «سنذهب الآن من هنا يا بيورك فوجدنا هنا غير مرحب به، ثم اتكأ على عكازه الذي يبقيه دائماً على مقربة من يديه تحت الطاولة، ولكنها لم تكن ترغب في الذهاب للمنزل».

فقلت بيورك: «إنها الخامسة يا أسكيلد، كف عن هذا الضجيج يا عزيزي».



جاءت ستينا وقالت أن أسكيلد يمكنه الذهاب للبيت وحده، لقد كانت أختي  
فضة بعض الشيء في الأيام الأخيرة، فقد بدأت التخلف عن دروسها الرياضية،  
ولم تعرف أُمي بعد كيف ستتصرف معها.

واسترسل جدي قائلاً: «هل ستأتين معي يا بيورك؟» غادر حجرة المعيشة  
ووقف في البهو مرتعداً ممسكاً بزجاجات بيرة الزراف التي وضعها في حقيبتها  
ليخفيها من أبي.

ركضت العاهرة الصغيرة إلى الدور الأرضي بينما كان أسكيلد يبحث عنها  
في غيظ، وبالرغم أن عمرها يناهز عمر أبي إلا أنها لم تخرج من البيت أبداً  
قبل ذلك.

صاح أسكيلد: «آن كاترين.. نحن عائدون للبيت الآن» ولكن جدي مازالت  
لا ترغب في العودة.

صرخت جدي فجأة محدثة ضجة كبيرة «لقد أرسل كنتات الصغير رسالة  
بريدية».

لم يخبرنا الكبار عن عمي كنتات الذي يصغر أبي بتسع سنوات، فقد كان يتنقل  
كثيراً، فهو لا يطبق البقاء في مكان واحد.

يرحل لشهور بل لسنين عديدة دون أن يعرف أحد عنه أي شيء، وعندما  
يكتب لنا فعادة ما يكون ذلك لأنه يحتاج إلى المال لأن إحدى فتياتته قد  
وقعت في مشكلة فأى نوع من الشكر هذا؟.

ذلك النذل فهو لا يكلف نفسه أبداً بإرسال بطاقات عيد الميلاد لنا، وأمه دائماً  
قلقة بشأن الفتيات اللاتي يتأذين بسببه.

فعندما بلغ الرابعة عشر فر إلى البحر ولم يكتب لنا منذ ذلك الحين.  
وأبي هو الشخص الوحيد في العائلة الذي ينفق المال ويقع على عاتقه إعطاء  
الأموال لجدي عندما يقع عمي كنتات في مشكلة ما، وذلك لأن جدي لا  
يطيق أن يسمع اسم عمي كنتات، وعند سماعه لاسمه يغطي وجهه العبوس  
ويقول «من كنتات هذا؟» .



لم يستطع أسكيلد أن ينسى أن ولده هرب قبل عيد ميلاده بأيام قليلة ولم يلق بالاً للدراجة ذات الثلاث سرعات التي اشتراها له أبوه، لا زالت الدراجة موجودة بالسقيفة، وقد نال منها الصدأ وغطاها التراب. وكان أسكيلد يصرخ فينا عندما نقترّب منها قائلاً: «لا تلمسوها».

إن أُمّي تعتقد أن أبي ساذجاً وغيبياً لأنه يدفع هذه الأموال وخاصة أنها علي غير رغبة منه، وأحياناً يكون سبب شجارهما في المساء بعد ذهابنا للنوم هو عمي كنان، وتقول أُمّي أيضاً أن عمي كنان لن يستطيع التعامل أبداً مع ظروف الحياة مادام أبي ينقذه في كل موقف.

قال أبي بغضب أنه أصبح متعباً لأنه هو الشخص الوحيد الذي عليه أن يرضي الجميع. وبالرغم من أن أُمّي تتناقش كثيراً مع أبي في هذه الأمور، إلا أن الأمر ينتهي غالباً ببكائها، كنت أسمع تشنجاتها تخترق جدار حجرتي فأنهض وأوقظ أختي ستينا التي تنام أعمق مني، وعندما تستيقظ نذهب سوياً للتصنّت عليهما معاً، ولسوء الحظ فنحن دائماً نرى ذلك المشهد بعينه.. أُمّي تجلس على الأريكة ودموعها تنهمر على خديها، وأبي مواجهها للشباك وظهره لأُمّي مشعلاً سيجارة يتساقط رمادها على الأرض.

بعد ذلك يُسمح لي بالنوم في سرير ستينا، ولكن أُمّي ترى أنني صرت كبيراً لكي أنام مع أختي.

ولكن سرير ستينا أكبر من سريرِي، وهى لا تمانع في ذلك طالما أنني لا أتقلب أثناء نومي.

أخرجت جدتي بيورك رسالة عمي كنان من حقيبتها، وكان جدي أسكيلد يراقبها من المدخل مندهشاً! أرادت ستينا أن تعرف ما كتبه عمي كنان في الرسالة، فأسرعت إلي جانب جدتنا قائلة: «ماذا قال؟».

عادةً لا نخبرنا جدتي بمضمون الخطابات التي يرسلها عمي كنان ومن المؤكد أن هذه الرسالة كانت لها خصوصيتها، ارتدت جدتي نظارة القراءة وقرأت الرسالة كلها دون أن تخبر أحداً بما فيها، وبعد ذلك خلعت النظارة ونظرت



إلينا جميعاً ثم قالت بصوتٍ يرتجف «سيأتي في الثاني من شهر يونيه الموافق يوم الخميس» أعقب هذا الصمت دويّ صوتي وأنا أقول: «إنه سيأتي» كان صوتي كالرعد!! حدق الجميع فيّ، وقالت ستينا يمكننا اصطحابه معنا إلى الشاطيء، وقالت مايا إن هذه فكرة رائعة، ولكن أبي نوه لنا أننا لا نعرف إذا كان عمي كنان مشغولاً أم لا، فقالت أمي: «بالطبع سيأتي معنا إلى الشاطيء».

كان وجه جدتي بيورك يشع فرحاً حتى أن الدموع ملأت عينيها وكانت يداها ترتعدتان وهما تمسكان الرسالة البريدية وعيناها تدور باتجاه المدخل، ولم ينطق جدتي أسكيلد بكلمة واحدة. سأل أبي «أين يعيش كنان الآن؟» فقالت جدتي إنه يعيش في جامايكا منذ سنوات قليلة.

فصحت «جامايكا!.. جامايكا!.. جامايكا!». قالت جدتي: «لديه عمله الخاص هناك»، ولكن أبي لم يصدقها، خاصة أن جدتي تهمل لتزيين الكلام عندما تتحدث عن عمي كنان وطرق كسبه. فقال أبي: «حسناً، لننتظر ونرى».

لقد كان أبي يخفي سخريته من كلام جدتي عن عمي . نظرت جدتي مرة أخرى للمدخل حيث ترى أسكيلد واقفاً هناك، فقالت ستينا «انظروا إنه يسرق الخمر مرة أخرى. وأشارت مباشرة لحقيبة جدنا». أخرج أسكيلد زجاجتين من الخمر من حقيبته بابتسامة حمقاء. يبدو أنه قد نسي أمر النقود المعدنية وفي النهاية جلس. إنه يريد كوب من خمر الرم ولكننا الآن بانتظار زائر من جامايكا فعلياً الاقصاد في شربها.

أخرج أبي زجاجة من خمر الرم من الخزينة وكأساً شفافاً ثم سكب لجدي الخمر فيه، احتسي جدتي الكأس في جرعة واحدة وملأ آخرها ثم تجشأ بصوت عالٍ ونظر إليّ وكأنه يلومني ثم قال: «لا تجشؤ على الطاولة».



## بيورك والبطانية المطرزة بالورود

تقابل كلاً من أسكيلد وبيورك سنة ١٩٣٦ في بستان أشجار (البتولا) بالقرب من ضاحية (كالفاريت) في بيرجن، وبعد أقل من سبع سنوات أرسل أكسيلد إلى معتقل ساكسهاوزن.

لقد تعاون أسكيلد مع أحد المهربين في خداع الألمان ببيعهم حمولة خشب هي ملك لهم في الأصل .

كان أكسيلد صديقاً لإيجليف أخو بيورك وكان يزورهم باستمرار في منزلهم بكالفارين، وأحياناً يزورهم في غياب إيجليف. وذات مرة قبل أسكيلد بيورك في الحديقة تحت أشجار البتولا الباهتة. وقبلها بعد ذلك كثيراً في (أسسيستنكريجارد) وهي منطقة المقابر في بيرجن. وبالرغم أن الجميع بدأوا يشكون في أمرهما، إلا أنهما نجحا في الاستمتاع بأوقاتهما معاً لأن إيجليف كان يتستر عليهما.

كان أكسيلد يدرس ليصبح مهندسا في ميكانيكا السفن؛ ولأنه كان أحد أبناء الضباط الذين كانوا على متن السفينة لذلك لم يكن كفؤاً ليتزوج ابنة مالك السفن.

زعم جدي أسكيلد أن عائلته هربت من الثورة الفرنسية في الأيام السالفة، وبسبب ذلك تمثلياً أوردته بالدماء الزرقاء فقد كان داكن اللون كالفرنسيين، وله عينان ترقان كالجمر، ولحية كثيفة سوداء لدرجة أنه كان عليه أن يحلقها عدة مرات يومياً ليتخلص من ذاك الظل القاتم.

أسكيلد في ذلك الوقت كان رجلاً وسيماً بالرغم من وجود الهالات الزرقاء تحت عينيه والتي تزداد بروزاً مع مرور الزمن .

لقد كان رفض عائلة سفينسون لزواج أسكيلد من بيورك بمثابة كارثة وقعت على أسكيلد، وظلوا رافضين لأسكيلد إلى أن أفلسوا.

أخذ أسكيلد احتقار كل شيء تمجده عائلة بيورك، وفي النهاية رفض ميراث



بيورك والآثاث الأنيق، والأواني الفضية التي خبأها والدته جدتي إيلين عندما أُعلن إفلاسهم.

لقد تركوا كل هذه الأشياء في بيرجن بعد موت إيلين، وفي النهاية ضاعت كل هذه الأشياء في خَرَانات الشركة الناقلة لأن أسكيلد لم يستطع أن يدفع تكلفتها نقل هذه الأشياء للدمار.

في ذلك الحين قبل الحرب وقبل إعلان الإفلاس وقبل تلك السنوات المضنية التي قضاها في معتقلات ساكسهاوزن وبوخنفالد ذهب أسكيلد لزيارة جماعة من فلاحي نورلاند من عائلة سفينسون الذين امتلأت بطونهم وسمنت أبدانهم بإنفاق الآخرين عليهم بدلاً من الاعتماد على أنفسهم والابتداء من نقطة الصفر، وهؤلاء يجلسون هناك في بيرجن في بيوتهم الأرستقراطية البيضاء محاطين بجماعات من الخدم، ويتصرفون كالدماريين وكان هذا الأمر كافياً لإصابته بالمرض.

قال أسكيلد: «إنهم لم يكتشفوا بعد أن الترويج بلد حر وشعب حر».

بثت طريقة أسكيلد هذه شعاعاً خافتاً في قلب بيورك.

لقد كان أسكيلد شاباً ثورياً له أسلوبه الخاص، يتكلم بوضوح ويختلف تماماً عن القرويين والمتكلمين الذين يأتون باستمرار للمنزل.

أراد بابا(ثورستين) أن يزوج بيورك لأحد الرجلين، وكان يفضل زواجها من طبيب شاب يدعى (ثور جونارسون) والذي كان يتحدث الدماركية بطلاقة فهو يدرس في جامعة(كوبنهاجن) وينتمي لعائلة عريقة لها تقاليد راسخة وتجارات كبيرة في حيازة الأراضي.

لقد كان لثورستين تجارب سابقة سيئة مع ضباط السفن وذرياتهم القراصنة، وكان يتحدث عن أسكيلد باستهجان في حين أن بيورك بدأت تهتم به. كانت بيورك أصغر طفلة في عائلة مكونة من ثلاثة أطفال، وهي الوحيدة التي لم تتزوج بعد.

قابل إيجليف أسكيلد في المدرسة التجارية وكانوا يقضون العطلة الأسبوعية



في حانات غير مصرح بها قانونياً ببيرجين، حيث رافق أسكيلد إيجليف إلى أماكن لم يسبق له الذهاب إليها من قبل، وهي أماكن ترغب الفتيات في الذهاب إليها عند انبعاث أول ضوء للقمر من خلال النوافذ المفتوحة لتلك الأكواخ الخشبية قرب الميناء، وليس لهن أي طلبات. كان أسكيلد بالكاد قد وصل لسن الرابعة عشرة عندما دفع له زملاؤه في الملاحة أجر أول عاهرة يلتقي بها، وكان ذلك في أمستردام.

دفعه أصدقاؤه للسير خلف امرأة تبلغ من العمر ثلاثين عاماً، متوردة اللونتين، تدثر كتفيها بوشاح، وتصعد السلم إلى غرفة صغيرة سمع صوت صراخ طفل على الجانب الآخر من الجدار. استلقت علي ظهرها فوق السرير، ورطبت فرجها بلعابها، ثم نظرت لأسكيلد تبدو متعجلة، ولكن أسكيلد وقف بكل بساطة لا يدري ماذا عليه أن يفعل.

قالت له: «أن معظم الرجال يخلعون ملابسهم» حينها مزق أسكيلد بنطاله وخوفه وجد عضوه مرتخياً بين فخذه.

كان عقل أسكيلد فارغاً تماماً، ولكنها جذبتة بجانبها وابتسمت للمرة الأولى والوحيدة، وبدأت تدلك خصيتيه بحركات هادئة، وبعد ذلك استلقت على ظهرها مرة أخرى وقالت له: «استقلي هنا» كان أسكيلد مطيعاً كرجل أعمى ينقاد في استسلام. وبحركة مفاجئة اعترضته، واستطاع بذلك أن يلقي سنوات أعوامه الأربعة عشر في رحمها .

ثلاثون ثانية..بعدها قفز أسكيلد من السرير وبسرعة شديدة ارتدي ملابس وارتباك جعله يتخطى ملابسه الداخلية ناسياً إياها، فخرج مسرعاً وأغلق الباب خلفه دون أن ينظر للوراء.

وعند نزوله إلى الحانة ربت الطاقم على ظهره، ثم ابتاع له أحد أصدقائه زجاجة ويسكي.

وفي السنة التالية وللمرة الأولى وقد بلغ أسكيلد الخامسة عشرة استأجر عاهرة خاصة به خلال إجازة على الشاطئ في (هامبورج) ومع توالي السنوات



ازدادت ثقته بنفسه فازدادت بذلك أعداد العاهرات التي يواعدهن.  
ومع مرور الوقت بلغ أسكيلد واحداً وعشرين عاما ودرس ليحصل على  
شهادة الهندسة من بيرجين.

كان أسكيلد شاباً واسع الخبرة ذا ثقة بنفسه ولذلك لم يستعصي عليه  
التأثير على إيجليف قليل الخبرة.

لم يكن لأسكيلد أدنى دراية بسحر الحب، وعند لقائه ببيورك وقف مرة  
أخرى وقد سقط بنطاله حول ركبتيه لا يدري ماعليه فعله، في البداية.. كانت  
بيورك ترى أسكيلد في المنزل دون أن تلقي له بالاً، وعلى العكس من ذلك  
أولاه بابا ثورستن مزيداً من الاهتمام، ولكنه لم يهتم بنظرة أسكيلد لابنته  
التي كانت تجلس على أريكة في الحديقة تحت أشجار البتولا الكبيرة، وكانت  
هذه أول مرة يرى فيها أسكيلد بيورك.

لقد كان ذلك في فصل الخريف حيث تجلس بيورك متدثرة ببطانية وردية  
اللون، تقرأ كتاباً (لسيجريد أندسيت).

كان ذلك قبل أن تصبح مولعة بالروايات التي تتحدث عن الأطباء بسنوات.  
وكانت تستغرق في تفكير خيالي في قليل من الجمل.

في ذلك الحين، دخل إيجليف إلى الحديقة وبرفقته أسكيلد وصاح قائلاً: «لا  
تقولي لي إنك تجلسين هنا مرة أخرى.. إنك ساذجة»، فالتفتت إليه بنظرة  
تعزيها ابتسامة حائرة، ثم حولت نظرها عنه إلى الشخص الواقف خلفه.  
نظرت بيورك لأسكيلد وقد امتلأ وجهها بتعبيرات حاملة إلا أنها برغم تلك  
النظرة الحاملة، الباسمة والمرتبكة لم يكن لديها ماتقوله لأسكيلد.

لكن نظرتها هذه بدت كمطرقة سقطت عليه.  
تمتم أسكيلد «مرحباً».. ولكنها في هذه اللحظة عادت لقراءة كتابها.  
ووقف أسكيلد هناك عاجزاً في بستان أشجار البتولا بجوار منزل عائلة  
سفينسون ثورستين الأرستقراطي.

وبعد مرور ثمان سنوات حدث أن سقط أسكيلد في حفرة خزان المراحيض



خلف الثكنات التي يسكنها مرضى الدوسنتاريا في معتقل بوخنفالد، وكانت صورة بيورك وهى متدثرة بغطائها الوردي تحت أشجار البتولا في كالفارفين هى التي مكنته من إخراج نفسه من الماء اللزج وتسلق الحافة الوعرة. إذا كان هناك شيء أخير سيقوم به على هذه الأرض فهو عودته إلى بستان أشجار البتولا المشرق حيث جلست بيورك متدثرة بغطائها الوردي وقد علّت وجهها ابتسامة حاملة.

وعلى بعد عشرين متراً من حفرة المرحاض سقط أسكيلد مرة أخرى ولكنه استجمع قواه ثانية بمساعدة بورك فيس، ذلك الألماني الشاذ الذي كان قد أنقذه أسكيلد منذ أقل من سبع سنوات من عصابة النازيين الشباب، الذين طلبوا تقريراً عن الميول الجنسية لجميع الزبائن الموجودين بالحانة.

شعر بورك فيس بالسعادة لأنه فر من الضرب، ودعا هذا البحار النرويجي المدعي أسكيلد إلى رحلة لبرلين، وقاما معاً بجولات في كل الحانات التي يرى بورك فيس أنها تستحق الزيارة، وإنه لمن عجيب الأقدار أن يلتقي أسكيلد مرة أخرى ببورك فيس في بوخنفالد بالصدفة، قام بورك فيس بتنظيف أسكيلد بدلومن الماء، ثم أعاده إلى مستعمرات مرضى الدوسنتاريا، ونصحه بأن يتغوط في المرة القادمة في بنطاله راجياً إياه ألا يغامر بالنزول إلى حفرة خزان المرحاض كريهة الرائحة التي تبدو وكأنها بوابة جهنم.

بورك فيس هو أيضاً نفس الشخص الذى أنقذ تجارة أسكيلد في السوق السوداء، وأنقذ أيضاً عمليات البضائع المسروقة أثناء إقامة أسكيلد بسكن المرضى حيث عانى من تدفق الغائط بين ساقية لمدة شهر، تحول أسكيلد إلى هيكل عظمي يغلفه جلد هزيل أخضر اللون.

في ذاك الوقت، بدأت جماعات الصليب الأحمر في معرفة الطريق المؤدي للمعسكر، وكان من بينهم جماعات سويدية ودنماركية، وكذلك وصلت جماعات بريطانية وأمريكية لأجل مسجوني الحرب الموجودين بالمعسكر بالرغم من قلة عددهم، حملت هذه الجماعات معها مؤن من التبغ



والسجائر التي تساوي وزنها ذهباً.

جمع أسكيلد أعقاب السجائر التي يرميها الحراس بعد الانتهاء من تدخينها، وقام بمزجها مع بقايا السجائر التي دخنت لآخرها بأوراق الأشجار الذابلة ثم غلفهم بأجزاء صغيرة من أوراق الجرائد القديمة وأخذ في المتاجرة بها من أجل توفير الطعام وضروريات أخرى كالحصول علي الأغذية والدواء.

وقبل أن تلتهم الدوستاريا أمعاه بدأ أسكيلد بإعادة تنظيم المجموعات وهذا يعنى سرقة من البثكنات الأخرى وتفريق محتوياتها وبذلك يكونون متساوين مع المخيمات الأخرى في دفع المال وهذا يشمل الأسنان الذهبية -برغم ضعف قيمتها بالمقارنة بقيمة الملابس والسجائر التي تستخدم لرشوة أي من الحراس- ويشمل أيضا الكوبونات الخاصة بالنساء البولنديات من بيوت الدعارة اللاتي يقفن خارج المخيمات، وكذلك شبكة الرسوم والدفع المنداول.

كان بورك فيس يعطي القائد علبة سجائر يومياً، وذلك في سرية تامة ليضمن بقاء أسكيلد بسلام في كوخ المرضى علي مدار شهر كامل، بالرغم من أنه مخدر لدرجة تقترب من الموت بمخدر (الإيفيان) بواسطة قيادة معسكر اعتقال أوشفيتز.

يذهب بورك فيس يومياً لكوخ المرضى لكي يطعم أسكيلد في فمه المفتوح جزئياً، وذلك إما من قبيل الامتنان أو علي سبيل الحب الخالص، أو كان هذا ببساطة ترابطاً في استراتيجيته الخاصة للبقاء على قيد الحياة منذ أن جعله أسكيلد مسئولاً عن إدارة صفقاته في الصليب الأحمر.

قضى بورك فيس سنتين في المعتقل وله محاولة هرب واحدة، كانت أسوء من محاولة الهرب عدة مرات. ظل خوف بورك فيس من القيام بمحاولة الهرب وحده-إذا مات أسكيلد- دافعاً قوياً للتسلل إلى كوخ المرضى، وإطعام أسكيلد بفتات الطعام، وقد تكرر هذا الأمر كثيراً لدرجة بدت وكأنه استثمار للموت بدلاً من الاستثمار للمستقبل.



وفي اليوم الأول من فبراير عام (١٩٤٥) وصل الروس لنهر أودر، نهض أسكيلد من فراش المرض، وراح يتمايل عائداً إلى ثكناته التي جهزت خصيصاً للألمان والروس والبولنديين المحكومين. وقد عزم على استعادة مكانته التي حاول بورك فيس المحافظة له عليها ولكنه لم ينجح أبداً.

وبعد ثلاثة أسابيع، اختفى بورك فيس أثناء القصف بالقنابل فقد كانا يعملان سوياً خارج بوخنفالدي وحدات قيادة الإفراج عن الناس، معسكرات العمل المؤقت. وقد جُندوا للتنقيب عن الذهب في ليبزج، وهذا يعني سرقة الجثامين من المنازل المدمرة من جراء القصف والموضوعة تحت الرقابة المشددة لقوات الأمن الخاصة.

استدار أسكيلد جانباً ليتبول وبينما هو واقف هناك وعضوه في يده، حلق البريطانيون فوق المنطقة بقاذفات القنابل ولينجتون، وقد حولوا المدينة المدمرة بالفعل إلى شظايا نارية وقنابل فسفورية.

وقبل مجيء اليوم التالي، استعاد السجناء شيئاً من مظاهر النظام وراحوا يتابعون التنقيب عن الذهب.

لقد أمر أسكيلد بالتنقيب عن الذهب على بعد أربعة أمتار من النفق حيث كان يعمل بورك فيس، وبعد ساعتين وعندما فتحت الحفرة أخيراً، وقف أسكيلد فجأة في غرفة غير ملموسة القبو، فرأى بورك فيس يجلس وظهره مقابلاً للجدار، شاخصاً بصره للأمام دون أي تعبير، في البداية اعتقد أسكيلد أنه حيّاً، ولكن عندما لمس يده، تفتت إلى كومة من العظم وبقايا ملابس قليلة سقطت على الأرض كبودرة سوداء.

قال أسكيلد إن الحرارة الشديدة أذابت كل أنسجته الدهنية، وتنهد قائلاً: «وهذه كانت نهاية هذا الأحمق المثلي».

لقد قالت أمي إن التحدث أمام الأطفال أمر غير جيد. إنها الآن ثملة ولذلك فقد بدأت تدخن على غير عاداتها، وقد أخبرنا جدي بأن القنابل الفسفورية هي صورة بدائية من قنابل النابالم والاختراعات الشيطانية.. عندما يتحد



الفوسفور بالأكسجين ويبدأ في الاشتعال!.

ذات مرة التصق قليل من الفوسفور بجسم رجل، لم ينقذه غمره في الماء لأنه عندما يخرج من الماء يحترق جسده مرة ثانية، ياله من اختراع سخيف!!  
بوم.. بوم.. أشار إليّ جدي بسبابته «انتبه.. انتبه.. ازحف بعيداً بسرعة»  
أرادت جدتي بيورك العودة للمنزل ولكن أسكيلد لم يكن يرغب في العودة .  
استيقظت بيورك ووقفت هناك تتنقل يميناً ويساراً ممسكة بحقيبتها ورسالة عمي كنات، وبعد ذلك دخل أسكيلد إلى غرفة أختي ستينا، ممسكاً بكرة من اللحم المفروم في يده.

ستنضي ابنة عمي مايا الليلة معنا وقد استأذنت لتحضر برنارد(كلبهم الأسود) الذي سينام هنا أيضاً.

يعيش عمي هاري وعمتي آن على بعد كيلومتر ونصف فقط ولذلك يسهل المجيء إلينا بصحبة الكلب، وعندما رأى أسكيلد برنارد، جرى وأمسك بكرة اللحم المفروم وقال: «تعالى، أيها الكلب الغبي» أخبرت مايا ابنة عمي جدي أسكيلد أن اسم كلبها هو برنارد.

كان أسكيلد عابساً وهو يدفع بكرة اللحم المفروم باتجاه أنف الكلب وقد حاول برنارد الخائف الرجوع للخلف.

قالت مايا: «اعتقد أنه لا يريد اللحم» ولكن أسكيلد أسكتها وجذب فك برنارد محاولاً وضع اللحم في فمه بالقوة.. زمجر برنارد.. وتمتم أسكيلد «أيها الكلب الملعون»، وبدأت قطرات العرق الصغيرة تتجمع على جبهة أسكيلد اللامعة. وأخبرته أختي أن يتوقف عن إخافة برنارد.. فلم يكن منه إلا أن أخذ في الضحك وسألها عما إذا كان نهديها الناميين قد كبرا بعض الشيء أم لا؟ سحب أسكيلد إحدى يديه من على برنارد ووضعها على نهديها الصغيرين ضاحكاً بشدة بحيث استطعنا رؤية أسنانه الصفراء بوضوح.

لم يرضى أختي ذات الأثني عشر عاماً تسميتهما بـ «النهدين بادئ النمو» وصار وجهها محمراً لشدة الغضب، ولم تستطع أن تنطق ببنت شفة ولكنها



فقط تهمت ببعض الكلمات التي لم نفهمها.

وفي أثناء تلك الأحداث، بال برنارد على الأرض من شدة خوفه.. فصاح أسكيلد «ما هذا بحق الجحيم» وأوقع كرة اللحم المفروم فتدحرجت تحت سرير ستينا، وصرخ في برنارد قائلاً: «إن هذا الكلب لم يتدرب جيداً ثم أمسك به من مؤخرة عنقه ووضع رأسه على البول لكي يلقنه درساً». فما كان من نتيجة لذلك إلا أن بال برنارد أكثر وأكثر فتوالت عليه الضربات بجذاء أسكيلد.

تمت ستينا: «يا لك من رجل حقير، كيف تكون قاسياً على الحيوانات بهذا الشكل؟».

صاح أسكيلد «ماذا؟» ربما قال ذلك لأن أذنه الصماء تخدعه كثيراً.

ثم قال «بأي لغة تتحدثين؟»

لم أحتمل الاستماع لما يقولونه ووجدتني فجأة أضرب جدي أسكيلد بشدة في فخذيه وأدعوه بالأبله الغبي..! لا أعرف كيف حدث هذا..!

ارتفع صوت أسكيلد قائلاً: «ما هذا الذي تقول؟!».

قلت: «اخرج من هنا، أيها الأحمق الغبي».

ساد الصمت في الغرفة.. وللحظات بدا الأمر وكأنني أوقفت جدي عما كان يفعل.

حبست أنفاسي وأنا أشعر بكثير من الفخر لأنني نجحت فيما فعلت، ولكنه ركلني من الخلف فأسقطني على منضدة مكواة ستينا فأصيب كتفي.

كانت إصابتي بالغة لكنني لم أتفوه بكلمة.

نظر أسكيلد إليّ بغضب قائلاً إياك أن يخاطب لسانك لساني مرة أخرى. أسرع مايا لإحضار والدي وعلى الفور وصل أبي وأخبر أسكيلد ألا يركلني من الخلف مرة ثانية.

رد أسكيلد بأن أبي لم يحسن تربيتي، وكان يناديني بطفل مفتاح المزلاج وذلك لأن أمي كانت تدرس لتصبح ممرضة، ولذلك لم تستطع التواجد معي



أثناء النهار بالبيت لترعاني.

وهذا من وجهة نظره أن هذه حال لا ينتج عنها سوى الصعاليك، لكن لم يكن باستطاعته أن يدعوني بآبن الزانية فأبي يقف بجواره، لقد قالت ستينا «يجب أن يعود أسكيلد لمنزله الآن».. واسترسلت.. «لقد كنت تتحدث عن العودة للمنزل طوال الليل يا جدي فلماذا لا تذهب؟».

وبعد عودتهم لغرفة المعيشة سمعنا صوت ضجيجا يصدر من الردهة والذي سببته تلك العاهرة الصغيرة، أسرع ستينا لتغلق باب حجرتها قبل مجيئها. تسلمت قشعريرة بسيطة إلي جسدي كله.. لمست أختي ذراعي بحذر وسألتني إذا كان ذراعي لا يزال يؤلمني؟.. فأومأت لها بالإيجاب، فقالت - بامتعاض - : «لا بد أن يذوق بوله»، وفجأة شرعت في تدبير خطة مفادها أنه سيدوقه قبل انقضاء الليل.. فإن لم يكن بوله.. فسيكون بول أي شخص آخر. وفي عام ١٩٣٨ أصبح أسكيلد ملاصقا لبيورك كظلها تعلق وجهه تعبيرات أصابت جدي ثورستين بعصبية شديدة، وبعد قليل توقف أسكيلد عن دعوة إيجليف إلى الحانات لأنه كان يفضل قضاء المساء في الفيلا الأرستقراطية بكالفارفين يشرب الشاي ويلعب الكوتشينة.

في هذه الأثناء بدأت بيورك - بالطبع - تنتبه لوجوده، وقد مر عامان منذ أن رآها أسكيلد وهي تجلس تحت أشجار البتولا.

كانت بيورك وأختها لينا تسخران دائماً من سلوك أسكيلد غريب الأطوار، وهمهمات المتلعثمة ومحاولاته الصعبة في التخلص من لهجته الساحلية الترويجية الغربية، والتحدث بأسلوب أكثر أناقة على طراز بيرجن الدنماركية كما كانت العادة في هذه الفترة في عائلة سفينسون.

ومع مرور الوقت بدأ أسكيلد أخرقاً للغاية... يسكب الشاي على المنضدة وسط لعبة الكوتشينة، وكان يسكب كمية كبيرة من حساء الأيائل عندما ينقلها من طبق التقديم لطبقه وذلك عند تناولهم العشاء.

قال بابا ثورستين «هذا ما يحدث عندما تفتح بيتك لهؤلاء الشباب



القراصنة». وقد تضايق من دعوة زوجته إيلين لأسكيلد على العشاء، ولكنها شعرت بالأسى من أجل ذلك الشاب الذي طرده والديه من المنزل بعد الحرب وأجبروه أن يسكن مع أرملة كابتن (كنتسون) في غرفة تبلغ مساحتها عشرة أمتار مربعة فقط.. لذلك رفضت أن تطرده من البيت، وقالت طالما أن بيتها مفتوح لكل الضيوف الذين يحضرهم ثوريستين للتعرف على نيويورك فلا بد أن يكون مفتوحاً لأسكيلد أيضاً.

وافق بابا ثوريستين على مضض بينما كان يستمع منزجاً إلى ضحكات بيورك من بعض الأخطاء الجديدة لأسكيلد، فقد كانت تلك الضحكات نذير شؤم بالرغم من أنها لا زالت تعتبر طالب الهندسة هذا مجرد وسيلة من وسائل التسلية اليومية.

وفي نهاية الأمر لم تكن لمحاولات أسكيلد السخيفة للتصرف بأناقة أى تأثير على بيورك، وكذلك لم تكن لعيناه المتوسلتين عندما تراه يحوم حولها ويحديق فيها، ولم تكن لحماقاته أوهمهمات أي تأثير فيها. وإنما كان تأثيره فيها بالكلام الذي يقوله عنها في غيابها.

فعندما كانت بيورك تمشي بجوار باب نصف مفتوح سمعت آخر حديثه مع إيجليف الذي يدور سياقه حول ضرورة أن يكون لبيورك رأيها الخاص، إنها محاطة بكثير من الراغبين في الزواج منها، ولكنها لا تستطيع الاختيار، ستظل طوال عمرها مكبلة بهذه الفيلا الأرستقراطية بكاليفارفين.

وفي وقت متأخر من إحدى الليالي، مرت بيورك بغرفة إيجليف وسمعت جزءاً من الحديث الذي تناغمت كلماته مع هدير البحر وتصاعد مع دخان التبغ.. حيث توقفت بيورك في الردهة، ووقفت هناك مندهشة من هذا العالم الذي فتح لها ذراعيه، وتساءلت كيف لهذا الشاب الذي تطلق عليه هي وأختها «أسكيلد المجنون والمعتوه الصامت» أن يكون بكل هذا الفكر العميق !!! من أين له بهذه الدراية الواسعة بفنون الحب الجسدية !!؟

لقد كانت أحواله الاجتماعية بائسة فلم يستطع أبداً الثناء على ملابسه



بدون قهقهة أو خجل.

وبعد أن تنام والدتها ويدخل والدها لمكتبه، كانت بيورك تتسلل من سريرها بالليل وتحوم حول غرفة إيجليف، التي تتسلل منها أشعة خافتة من الضوء إلى الردهة معطرة بأريج حكايات الشواطئ الأجنبية.

وفي اليوم التالي، سكب أسكيلد حساء الأيائل على الطاولة فوضعت بيورك يدها على ذراعه وقالت: «لأعليك يا أسكيلد سأهتم بالأمر».

همس أسكيلد «شكراً لك»، لم يقل أسكيلد شيئاً غير ذلك.. بالرغم من أنها تمت لتو تكلم أكثر.. لكنه سكت تماماً.. ذلك كان كافياً لتقع بيورك في غرام تلك الشخصية الغامضة، بينما وقع هوفي غرام كل ماهو مرئياً منها.

في هذه الفترة اشتغل أسكيلد تدريجياً في التجارة بالسوق السوداء وتجارة البضائع المهربة، فقد اعتاد في الإجازات الصيفية عند ذهابه للبحر كبافي الطاقم أن يسرق البضائع المعفاة من الضرائب ويأخذها للبيت.

في بادئ الأمر أخذ أسكيلد هذه البضائع لاستخدامه الشخصي، وذات مرة أخبره أحد البحارة عن حانة تسمى عربّة السيرك السعيد، وهناك علمه كيف يخفي عشرة ألتار من الويسكي في زورق النجاة، وبهذه الطريقة بدأ أسكيلد التفكير في استغلال الفرص المتاحة أمامه، وفي أثناء عودته من البحر في المرة الثانية استطاع أسكيلد أن يبيع بضاعته المسروقة بمبلغ خمسين كرون. كان أسكيلد في حاجة شديدة إلى هذا المال بسبب ظرفه المادية الصعبة بعد انفصاله عن والديه، ولإحداث تغيير حقيقي في حياته فإن كسب خمسين كرون مرة واحدة في السنة لا يكفي، وراح يجول حول المدينة يفكر في خططه المستقبلية.

وفي المساء بحث عن ذلك البحار الروسي ذي الشعر الأحمر الذي علمه حيلة إخفاء عشرة ألتار من الكحوليات في زورق النجاة، وقد أطلق عليه «الروسي» بسبب ملامحه الروسية.

رحب الروسي كثيراً بأسكيلد وقضيا معاً ساعات طويلة في الحانات ثم عرض



عليه أسكيلد فكرة تدور في ذهنه.

رد الروسي «أجنت، لماذا نخاطر بهذا الشكل؟»

ابتسم أسكيلد وأخبره بأن ذلك سيعود عليهما بالربح الوفير، ثم تابع قائلاً:

«ثق بي»، وكانت هذه الكلمة شعاره في العامين التاليين.

سأل الروسي أسكيلد بارتياح «ولكن أين ستبيعها» فقال أسكيلد:

«دع هذا الأمر لي» لم يفكر أسكيلد بعد بمن سيشترى منه هذه البضائع

المهربة، ولم تكن تفاصيل الخطة مدروسة بنفس الشكل الذي أقنع به

الروسي للوثوق به.

بعد مرور شهر، عندما وصلت سفينة الشحن إلى الميناء، وقف أسكيلد على

المرسى مرتقباً شريكه الجديد لبيع له (١٧) زجاجة من الرم (٦) من الويسكي،

و(٢١) من الأكوافيت بالإضافة إلى كمية هائلة من السجائر، وفي الحقيقة لم

يكن شرب الروسي لثلث الخمر وغناؤه بصوت عالٍ مما لفت الأنظار إليه

جزءاً من الخطة، ومع ذلك ربح أسكيلد، لكنه ربح قليل.

وبعد مرور شهر أبحرت السفينة مرة ثانية للميناء، وبالرغم أن الروسي

شرب أكثر من نصف الخمر إلا أن أسكيلد لم يغضب من ذلك، وفي غضون

أسبوعين عقد أسكيلد صفقة مع (إيريك ريدبيرد) الفنلندي السويدي ذي

الأصول الدنماركية، وقد ساعد هذا الشخص أسكيلد في إتمام مشاريع تجارية

موثوقاً بنجاحها.

بعد ستة أسابيع ازداد عملاء أسكيلد حتى وصلوا إلى غرفة المساء التي

دفعتم سعراً أفضل من السعر الذي دفعته حانة عربية السيوك السعيد

بالإضافة إلى مكان اللقاء، كان من ضمن الأشياء الأولى التي اشتراها أسكيلد

بهذا المال بدلة أنيقة.

لم تلفت تلك البدلة الأنيقة انتباه بابا ثورستين، لكن بيورك التي اعتادت

رؤية هذا النوع من الملابس فقد نظرت للبدلة لتتمعن النظر في شخصية

أسكيلد الخفية، وذات مرة رأى أسكيلد سفينة والده التي لم تعد تسمى



كاتارينا بل (أماندا) ، وذلك عند رسوها بالميناء.

وهناك وقف (بابا نيلز) على الجسر بشعره الأبيض الذي انعكست فيه أشعة شمس الصباح .. انحنى ظهره قليلاً .. لم يعد مخيفاً كما كان في صغر أسكيلد بينما وقفت والدته أسكيلد (راندي) -كعادتها- على رصيف الميناء ومعها أخته (إنجريد) وابنها الذي سمته باسم والدها، وينادونه الآن نيلز جونيور أو أبليهيد. لم يعترف أسكيلد أبداً بوجود والديه، فلقد كانت صلتهم الوحيدة به لسنوات هي مبلغ صغير من المال يرسل إليه شهرياً في ظرف بني عن طريق الخادمة. ومن أجل تجنب المشاكل وقعت ماما راندي على الغلاف الخارجي للطرف بدلاً من أسكيلد.. وكان أسكيلد لا يعتبر هذه المساعدة المالية دليلاً قاطعاً على أنه ابنهما بل كان يعتبرها مذلة شهرية أجبره الرب على التوقيع عليها ببعض الكلمات، استلمت في هذا اليوم وهذا الشهر. ثم التوقيع باسمه أسكيلد، ثم تأخذ الخادمة إيصال الاستلام وتعود به لأمه.

يجب ألا يعتقدوا أنه سيعود إليهم زاحفاً طالباً العفو والسماح، وذلك لأنه في إحدى ليالي شهر نوفمبر عام (١٩٣٧) أتى بفتاه إلى حجرته في عليّة المنزل، وفي الصباح التالي فوجئت ماما راندي بوجودها وكانت ترتدي سرولاً خاصاً بها. ظلت ماما راندي باقي حياتها تصرخ بصوت عالٍ مدوي في البيت كله قائلة: «انتظر حتى يعلم أبوك بهذا». بعد مرور شهر، عاد بابا نيلز من البحر، ولم تعد راندي تكتب أخطاء أسكيلد في الكتاب الأسود، ولكنها تذكرتها بالتفصيل.

ووجد أسكيلد نفسه بين خيارين إما أن يعتذر لأمه أو يرحل.

شعر أسكيلد أنه اعتذر بما فيه الكفاية علي الرغم من صغر سنه، وصاح في وجه بابا نيلز «اللعنة عليّ إن فعلت ذلك».. فأخرج والده الحزام من الدولاب لقد كان الأمر مثيراً للشفقة حقاً.

كان أسكيلد أطول من والده وكان مستعداً لمواصلة الشجار معه حتى النهاية لولا وجود أمه الذي كان رادعاً له عن ذلك. ولا يعلم أحد مالذي كانت تفكر



فيه الخادمة عندما أُلصقت أذنها بباب الصالون تستمع إليهم، بينما كانت ماما راندى تصرخ وكان بابا نيلز يجري وراء أسكيلد بين أثاث المنزل.

انتقل أسكيلد في اليوم التالي إلى حجرة في منزل أرملة كابتن كنتسون وبدأت حرب العناد الصامت التي دامت لمدة سبع سنوات وستة شهور وأحد عشر يوماً. وعلى غير المتوقع استدعى المجلس المحلي للمدنيين أسكيلد عام (١٩٣٩)، قام أسكيلد برشوة الطبيب بكرتونة سجائر وزجاجة من خمر الأكوافيت، هكذا صُنّف أسكيلد على أنه غير لائق للخدمة العسكرية.

وبعدها خرج أسكيلد للشارع وراح يصفر ويتجول حول سوق السمك وسوق الميناء حيث أسماك السلمون والسلطعون اللامعة في ضوء الشمس، وكان لديه إحساس قوي بأن حدثاً كبيراً يجري في عرض البحر، فقد تحول حدسه لحقيقة: وبدأت الحرب الألمانية الغادرة على بولندا، وقد غزت القوات السوفيتية فنلندا، وكان أسكيلد قد أوشك أن يكون رجلاً ثرياً.

استدار أسكيلد واتجه نحو ضاحية كالفارفيت ليلبغ إيجليف عن حظه السعيد في عدم قبوله للخدمة العسكرية، وعندما وصل وجد بيورك تقف عند ممشى الحديقة ترتدي قفازها الصوفي الأبيض، قالت: «إيجليف غير موجود بالبيت» وأنا سوف أُنزّه مترجلة، وأرادت أن تضيف بعض التعليقات الساخرة لكنها تراجعت عن ذلك وأكملت سيرها بينما ظل أسكيلد واقفاً في ممشى الحديقة، وعندما وصلت إلى بوابة الحديقة أدارت وجهها للخلف فوجدت أسكيلد مازال واقفاً مكانه فقالت: «هل ستأتي أم ستظل واقفاً مكانك طول اليوم».

كانت هذه أول مرة يلتقيان فيها بمفردهما باستثناء تلك المرات التي التقيا فيها بمفردهما للحظات قليلة صامتة في كالفارفين.

بلغت ثمانية عشر عاماً وكان أسكيلد يكبرها بخمس سنوات. وكان إعجابها به لا يعدو عن كونه مجرد فضول طفولي وليس شعوراً بالحب. وبينما يسيران ينتفض جسدها وقد لاحظ أسكيلد ذلك، وفي كل مرة تنتظر فيها لأسكيلد يوجه بعينه لأسفل بخجل، فبدا وكأنه يخشى أن يتعثّر فينكب على وجهه.



شعرت بيورك بالحيرة من تعبيراته المتناقضة، وبعد أن تنزهوا لمدة نصف ساعة، وصلوا للمقابر ووقفوا أمام النصب التذكاري لجدها لوالدها راسمس الذي توفي منذ أكثر من سبعين عاماً في أواخر عام (١٨٦٠) غادر راسمس نورلاند وسافر إلى بيرجن وهناك أسس مشاريعه البحرية. وبعد أن أخبرت بيورك أسكيلد عن راسمس سفينسون المدعوراسموس فانج أيضاً وطرقه التجارية، وقفت على رؤوس أصابعها وقبلت أسكيلد على خده.

كان هذا كل ما حدث وحاولت بيورك تحفيز أسكيلد مرة تلو الأخرى للحديث عن البحر لكنه كان يهرب من الرد عليها في كل مرة.

بدأ الثلج يتساقط وراحت بيورك تصنع كرات من الثلج وترميها على مؤخرة عنق أسكيلد مما جعله يضحك ويخبرها بأنه أعفي من أداء الخدمة العسكرية ثم عاد للصمت مرة ثانية.. فتابعوا السير في صمتهم . شعرت بيورك بأنها قد ملت من أسكيلد، بينما شعر هو بأن هذا اليوم كان يوماً سعيداً، وعندما وقفوا للمرة الثانية أمام المنزل في كالفارفين، اعتدل أسكيلد وأمسك بيد بيورك فابتسمت له وتابعت سيرها في ممشى الحديقة بينما ذهب إلى حجرته في بيت الأرملة كنتسون.

وفي يوم الخميس اللاحق وقف أسكيلد مرة ثانية أمام الفيلا في كالفارفين مرتدياً معطفاً أسوداً اشتراه بأموال البضائع المهربة، ولم يمض طويلاً حتى جاءت بيورك مرتدية قفازها الصوفي الأبيض ثم سلكوا نفس الطريق الذي سلكوه في الأسبوع الماضي، وتوقفوا أمام قبر راسمس حيث تمايلت الأشجار مع الهواء.. وهناك تبادلوا القبلات.. وأيضاً بضع كلمات قبل عودتهما للمنزل. وفي كل أسبوع على مدار عامين كانا يسيران في نفس الطريق ويكرران نفس الطقوس. التي جعلتهما يشعران تدريجياً أن لهما تاريخاً مشتركاً.

ومنذ عام (١٩٣٩) وفيما بعد لم يتخلف أسكيلد أسبوعاً واحداً عن الذهاب إلى الفيلا الأرستقراطية بكالفارفين، وقد بلغ عدد مرات ذهابه ثلاثة وثلاثين مرة، وفي هذه الفترة احتل الألمان النرويج، وقد هزت معركة تروندهايم



المدينة كلها.

كان نقص البضائع التموينية وأوراق الطوابع الضريبية في ذلك الوقت أمراً واضحاً للغاية، أعاد بابا ثورستين تنظيم شاحناته ولذلك فهم الآن يشغلون خدمة النقل المكوكية بين انجلترا والعالم الحر، وبعد الغزوتحولت سفينة والد أسكيلد الأماندا إلى سفينة ركاب مع قدرتها على تحديد الأماكن المقصودة في المناطق المضطربة في شمال النرويج، وعندما وصلت الحرب للنرويج في عام (١٩٤٠) انفجر السوق بالرغم من توقف حركة الملاحة البحرية، ولذلك لم يكن مسموحاً لغير المراكب النرويجية بدخول الميناء حيث تقف سفن الركاب ومراكب الصيد. وعلى الفور وجد أسكيلد طرقاً جديدة لإمداد الحانات بالخمور. فالرجل الروسي يعرف رجلاً في جزيرة سوطرة، هذا الرجل يمكنه إمدادهم بكميات كبيرة من خمور الأكوافيت المصنعة بالبيت كما أن صهر إيريك ريديرد المتواجد بجزيرة تيسنس يمكنه إمدادهم بالبطاقات المزورة والطوابع الضريبية المطلوبة. بهذه الطريقة أصبح أسكيلد أخيراً رجلاً ثرياً، وكل أسبوعين كان أسكيلد يضع مبلغاً صغيراً من المال في فراشه في غرفته المستأجرة (بهاكونسجيتين) ثم يخطط الفراش مرة أخرى.

كان تطور تجارة أسكيلد في البضائع المهربة عملاً خطيراً يفزعه أثناء النوم فيستيقظ متصبباً بالعرق على جبهته، عازماً على الاختفاء حتى تصل السفينة القادمة إلى الميناء. يدوم هذا الخوف عند أسكيلد إلى أن تتسلل أشعة الشمس في الصباح إلى غرفته عبر الستائر. لقد كانت السنوات الأولى للحرب ذات نفع لأسكيلد وكانت الجراءة التي تصرف بها أثناء نزهاته الأسبوعية مع بيورك وكذلك تجارته في السوق السوداء والبضائع المهربة وخططه المستقبلية قد ازدادت بشكل كبير. إنه مازال منعزلاً في غرفته، يذاكر في حيز مصباح القراءة منشآت السفن، لقد وجد أسكيلد حجرات غير مستخدمة وجدران مهدامة وأجزاء مبنية يمكن هدمها وإعادة بناءها من جديد في وقت قصير بمساعدة ذي العين الحمراء، ولكن بدون أن يغني بالروسية أو بمساعدة



إيريك ريديرد الذي يحب أسكيلد وهو يفضل العمل في صمت.

لم يهتم أسكيلد بتوفير المال قبل ذلك بل كان ينفق ببذخ، أما الآن.. ومع تزايد دخله بشكل مطرد في ظل تصاعد الأزمة في أوروبا فقد أصبح مقتصدًا بشكل كبير، كاد أن يصل به إلى حد البخل، وكان يضع كل أمواله في فراشه في هاكونسجاتون ثم يخطط الفراش. كان أسكيلد يحلم بأنه يوماً ما بعد أن يتزوج بيورك سيبنى بيتاً بهذه الأموال في ضواحي المدينة.

لم تعرف بيورك أي شيء عن هذا البيت بضواحي بيرجن أو عن تجارة أسكيلد بالبضائع المهربة، ولا زالت تسخر من أسكيلد في غيابه لتسلي أختها لينا ودكتور (ثور جنارسون) لقد كانت تقلد عينيه المتوسلتين وحركاته الخرقاء، وكذلك كان من السهل عليها تقليد لهجته المهذبة.

خرجت بيورك يوم الخميس بعد الظهر إلى ممشي الحديقة فرأت أسكيلد واقفاً هناك بمعطفه الأسود فانتابها إحساس بالحزن لأنها تخدعه في ذلك الوقت، بدا أسكيلد شاحباً إنه ينام ساعات قليلة من الليل، وتنفذ طاقته إما في المذاكرة أو تهريب البضائع.

توقفت بيورك نهائياً عن السخريّة من أسكيلد، وجلست في صمت محدقة في الفضاء بينما دار الحديث بين لينا ودكتور ثور حول السخريّة من أسكيلد. نظرت لينا لدكتور ثور وقالت: «يبدو أن بيورك متضايقة».

فرد ثور قائلاً: «إني أتساءل فيما تفكر الأنسة الصغيرة». وبعد قليل بدأوا يلعبون لعبة القافية... لقد كان الهدف من هذه اللعبة هومعرفة ما تفكر فيه بيورك.

ربط ثور منديلاً على عينيه وراح يبحث عن بهجة بيورك تحت الأرائك والسجاد. صاحت بيورك «توقف عن ذلك»، وذلك عندما انحنى لبحث عنها تحت الوسادة المستندة إليها بظهرها وقالت «إنك تدفعني بشدة». ولكن لينا نصحت الدكتور المتحمس بالمغادرة. وكانوا يتحدثون بالألغاز مما أثار فضول بيورك. وعندما أمسك ثور-بأناقة ساحر- بعملة كرونر لامعة من إحدى أذني



بيورك قائلاً: «هاهنا تختفي بهجتك». ولكن بيورك لم تضحك بل نظرت إليه نظرات غاضبة وقالت له عليك أن تبحث عن وظيفة في السيرك فرد عليها -بجدية- أنه إذا كانت هذه رغبتها فسينفذها على الفور.

وبعد أيام قلائل دعا دكتور ثور بيورك للخروج ذات مساء إلى الحديقة تحت أشجار البتولا، وأخبرها أنه يخطط لبناء منزل. لقد كان واضحاً أنه ثمل. رائحة الكونياك وماء التواليت تنبعث من معطفه، وتخيم عليه سحابه من الحزن، إن الأوراق الخضراء تتلألأ اليوم وكذلك ليلة أمس، وراحوا يمشون بين جذوع الأشجار البيضاء، متشابكي الأذرع. شعرت بيورك بسعادة شديدة عندما سألها ثور عن تصورهما لشكل المنزل الذي سيبنيه. ومن أجل التسلية، راحت تعدد له الغرف التي يحتاجها أي طبيب شاب: «غرفة الطبيب.. غرفة الانتظار.. معمل.. ابترسم ثور بود واسترسلت بيورك غرفة معيشة.. ردهة بها مدفأة وغرفة نوم.. طلب منها ثور أن تكمل فقالت مبتسمة، غرفة العمليات.. وكثير من غرف الأطفال».

انتبهت بيورك لما قاله ثور فأدركت أنها تتحدث عن منزل وليس عن المستقبل. ألقت بيورك نظرة خاطفة على النافذة الكبيرة بالطابق الثاني حيث وقفت لينا تراقبهم. وبدون أن تنظر بيورك لثور نجحت في الإيحاء له بأنها تريد الدخول للمنزل، ولكن ثور أمسك بها من ظهرها وقال: «أخبريني أولاً بماذا تفكرين؟»، ثم أمسك بذراعها وقربها منه. فصرخت بيورك «اتركني» ولكن صرخها ساعده في إحكام قبضته عليها، وانحنى بحركة سريعة ليقبلها ومزقت ملابسها لتتخلص منه مما تسبب في صدور صوت للملابس وهي تتمزق وهناك وقف دكتور ثور ومعه قطعة من فستانها بيده. وللحظة بدا وكأنه فاقد الوعي تماماً وبيده قطعة من قماش فستانها، وبعد ذلك بدأ في السير للأمام وصاح منهكاً «اللجنة»، أكدت له بيورك أن منزله سيكون منزلاً جميلاً بالتأكيد ولكنها الآن تتجمد من البرد وتريد دخول المنزل. وفي أثناء عودتها للداخل، قررت بيورك ألا تخبر أحداً بما حدث ثم نظرت لعائلتها



الملتفة حول منضدة القهوة وهم ينظرون إليها متوقعين ما حدث، فأدركت بيورك أنهم علموا بما حدث، وبدون تفكير.. اندلعت الكلمات من فمها لقد قام بأشياء بذيئة في الحديقة فصاحت ماما إيلين «رحمة الله واسعة يا بيورك» ثم نظرت لزوجها ثورستين الذي فتح فمه محاولاً استرضائها بينما داخلياً يحاول سب ابنته ولكن الكلمات التصقت بحلقه، ثم استرسلت «لقد مزق فستاني عندما حاول تقبيلي»، نظرت بيورك بغضبٍ لأبيها وقالت: «إن لم أقاومه، فلربما حركه أنت تفهم عن ماذا أتحدث».

سألتنني أمي عندما عدت ووضعت كوباً كبيراً على الطاولة أمام جدي أسكيلد قائلة: «ما هذا». فتمتمت وأنا أشعر بالألم في ركبتي «إنها خمر» نظرت أمي باستغراب للكأس، وبدأت تسعل لأنها تدخن السجائر، على غير عاداتها. كانت أختي ستينا وابنة عمي مايا في المطبخ تضحكان. وقد قسموا العمل فيما بينهما: بالت مايا في الكأس وأضافت ستينا إليه بعض الخمر لتخفي رائحة البول، وعليّ أن أقوم بأقذر شيء لأنني الأفضل في أدائه وهو الكذب. أمي تقول بأن الكذب هو أسوأ شيء، وقالت مايا أنني أستطيع قول كل أنواع الكذب بدون طرفة عين واحدة.

وكانت جدي بيورك تعتقد أن لدي خيالاً خصباً. على عكس ما يعتقد جدي أسكيلد من أنني شخص قذر كالمراحيض القديمة تماماً.

وعلى الجانب الآخر.. لم تعتقد أمي أبداً بأنني أكذب، وبالرغم من ذلك ظلت أمي تحملني في الكأس قائلة: «ما هذا اللون الغريب» وقد مدت يدها لتمسك به. فقلت لها بإصرار هذا الخمر لأسكيلد كان «قد تركها في غرفة ستينا» ولكن أسكيلد لم يستطع أن يتذكر أنه ترك أي كؤوس في غرفة ستينا. أخذت كأس الخمر سريعاً قبل أن تلتقطه أمي ووضعت أمام جدي بحيث لا تستطيع أمي الوصول إليه. ثم قلت: «تفضل يا جدي وآسف لأنني ناديتك بالأحمق».

استنار وجه جدي وقال: «إنك ولدي» ثم قرص خدي ليعبر لي عن حنانه



وعطفه فأوجعني، ولكني لم أنطق بحرف واحد.  
رفع جدي الكأس إلى فمه.. وقال: «حسنًا.. في صحتك».  
أوشك أسكيلد على شرب جرعة كبيرة ولكن ضحكت ستينا ومايا بصوت عالٍ في المطبخ.  
فتوقف جدي فجأة عن الشرب وتجمدت خوفاً من أن يشم رائحة البول.  
توقفت الفتيات عن الضحك ورمقني جدي بنظرة ثم سألني «كم عمرك الآن؟» فأخبرته أن عمري عشر سنوات، ابتسم بلطف ثم قال: «حسنًا.. هذا يعني أن لديك القدرة الكافية على تذوق خمر جدك».  
ثم وضع كأس الخمر المليء ببول مايا تحت أنفي ساكباً قليلاً منه على أصابعه ثم قال ضاحكاً: «هيا، خذ جرعة كبيرة» فصرخت قائلاً: «لا.. لا أحب الخمر» وبدون أن أنتبه جذبني جدي من مؤخرة عنقي ووضع الكأس على فمي بقوة... أخذت نفساً عميقاً وشربت جرعة كبيرة من الخمر، لقد كانت مألحة مع قليل من الممارسة مما جعلني أسعل.  
صرخت أُمي عندما رأت تعبيرات وجهي قائلة: «أسكيلد هذا يكفي». صاحت جدي بيورك «كف عن تعذيب الولد» ولكن ذلك الأمر جعل أسكيلد يتذمر. فلم يقبل مهما كان الأمر أن تملي زوجته أوامرهما عليه. ثم اعتدل على كرسيه مرة أخرى رافعاً الكأس إلى فمه وابتلعه كله في شربة واحدة، تغيرت تعبيرات وجهه...! توقفت ابتسامته.. وتقطب جبينه حتي بدا كقرء البابون.  
من الواضح أنه أراد أن يقول شيئاً لكنه تراجع، ثم وضع الكأس على المنضدة بلا صوت... بعد ثانيتين.. تعالت الضحكات من اتجاه المطبخ أكثر وأكثر وراحت كل من ستينا ومايا تتمايلان على بعضهما البعض.  
اتجه أسكيلد بنظرة إلى المطبخ في ارتياب دون أدنى فكرة لديه عما يحدث بالداخل، فنادى عليهما وقال إن عليهما الذهاب للنوم فلقد تأخر الوقت.  
ذهبت مايا وستينا إلى الحجرة ضاحكتين مندھشتين للغاية.  
لقد شربت بول ابنة عمي لا أدري ماذا أفعل بنفسي؟ وعندما ذهبت لغرفة



ستينا وضعت مايا يدها على فمها محاولة كتم الضحك، وقالت ستينا: «تفضل»، وانهارتا على الأرض من شدة الضحك ثم قالتا: «لقد شرب من الخمر بالفعل» فهممت بالخروج لكن مايا توقفت عن الضحك وقالت: «لقد أحسنت صنعاً يا (أسجير) لم يلاحظ جدنا شيئاً.. هاها!»

لقد كنتُ البطلَ في ذلك اليوم، بالرغم من عدم سعادتي وذلك لأنني شربت من الخمر، لكنني مازلت البطل لأنني ضحيت بنفسي من أجل الوصول للهدف.

فقالت ستينا: «هذا هو ما يفعل في الحرب أيضاً».

ظلت الفتاتان بقية المساء تنظران إليّ وبعينيهما قدراً متساوياً من الاشمئزاز والرعب، وبعد ساعتين وقع جدي أسكيلد على الأرض في غرفة المعيشة فسينا كل شيء عن بطولتي تلك.

وفي أوائل شهر مايو لعام (١٩٤٣) تسلم أسكيلد شهادة الهندسة وارتدى أفضل بدلة، ثم ذهب لحلق لحيته فجرحه الحلاق مرتين لأنه لا يثبت على الكرسي، ثم ذهب أسكيلد إلى شاطيء الميناء، وبعد قليل طرق أسكيلد باب مكتب سفينسون مالك السفن في سي سنتسجائن ليطلب منه خطبة بيورك. وكان رد فعله المباشر هو الصمت.

شرب ثورستين قهوته انسكب الكثير من القهوة على الأوراق.. ابتسم ثورستين لأسكيلد ثم سأله عن المكان الذي ستسكن فيه بيورك، وهل سيسكنها أسكيلد في غرفته المستأجرة في منزل أرملة كابتن كنتسون؟!.

أعتقد أسكيلد أن شهادته تلك ستزلل له كل العقبات، ولكنه وقف متجمداً عندما سمع تلك الكلمات من ثورستين.

وقف مالك السفن المتغطرس من على كرسيه وطلب من أسكيلد أن يجلس. دعي ثورستين سكرتيرته وطلب منها أن تحضر لهما كأسين كبيرين من الخمر، ثم فتح درج المكتب وأخرج منه علبة السيجار المصنوعة من جلد غزال الرنة، أزاح أعقاب السجارتين، ووضع إحداهما في فم أسكيلد ثم عاد ليجلس



على كرسية بكل هدوء.. هنا ثورستين أسكيلد لتخرجه ثم سأله عن خطته المستقبلية واحتمالات الحصول على وظيفة.

ليس من الصعب على مهندس ميكانيكي ومهندس سفن شاب كأسكيلد الحصول على وظيفة كما أنه طيب القلب.. واسع الفكر.. قال ثورستين لأكسيلد: «عليك بالذهاب لأوسلوفإن فرص العمل بها متوفرة».

ثم راح يتحدث في (منولوج) طويل عن الزهور، وقال إن العالم مليء بالزهور والورود، وزهور الزنبق حتى نورلاند زاخرة بالزهور، كما أن بيورك وعدت دكتور جنارسون بالزواج وهو شخص لا يرفض، بالإضافة إلى ذلك فإن علاقات بابا نورستين في أوسلو كثيرة، وسيكون أصدقاؤه هناك سعداء لتوظيف مهندساً شاباً كأسكيلد.. فلماذا يرتبط بأول زهرة يقابلها في طريقه الطويل؟. وبعد ربع ساعة.. وعندما وقف أسكيلد للمرة الثانية خارج سي. سندسجائن، شعر بأنه ضئيل ضعيف الإرادة.

لقد بلغ من العمر ٢٨ عاماً وقد أنهى دراسته مع مرتبة الشرف، وقد أخفى مبلغاً صغيراً من المال في فراشه في هاكونسجائن، هذا المبلغ الصغير من المال يجعله مستدفعاً بالليل، والآن يُرمى بالخارج كشحاذ.

شعر أسكيلد للحظات أنه يريد إخراج شهادته من محفظته ومزيقها، ولكن بدلاً من ذلك قرر أن يعلم الفلاحين في نورلاند أنهم لن يتخلصوا من أسكيلد بهذه السهولة، وقرر أيضاً الذهاب إلى المنزل الأرستقراطي بكالفاريت.

لم يمض وقت طويل على دخول أسكيلد من الباب حتى جاءت الأخبار بأن الألمان أغرقوا إحدى سفن بابا ثورستين.

علي طول الطريق من مكتب الميناء للمنزل كان هناك شاب في حوالي السادسة عشرة من عمره يجري وهو يردد قائلاً: «رسالة للسيدة سفينسن، زوجة مالك السفن.. لقد غرقت السفينة انجريد ماريا» .

ثم انحنى لاهثاً.. «تم إنقاذ القبطان، ولكن الكابتن غرق».. وتم الإبلاغ عن فقدان سبعة من طاقم السفينة.. وإنقاذ ثمانية آخرين بواسطة السلطات



البريطانية.

معذرة سيدتي سيفنسن، هل لي بكوب من الماء؟».

وبعد قليل جاء ثورستين مرتبكاً ومتصبباً بالعرق يتوعد ويسب، تقبلت ماما إيلين الأمر بهدوء وقالت: «اهداً يا ثورستين فما زال لدينا ستة سفن أخرى» فصاح ثورستين «إننا نفقدهم واحدة تلو الأخرى، كل شيء يضيع شيئاً فشيئاً». ولا يمكننا مزاوله تجارتنا في مثل هذه الظروف.

ثم تأوه قائلاً: «لقد مات الكابتن، وماذا ستفعل عائلات طاقم السفينة الفقراء. ردت إيلين «سأهتم بهذا الأمر» ثم أخذت قائمة أعضاء الطاقم من يد ثورستين المتألم وذهبت إلى الداخل.. وعندما عادت كان الظلام قد حل. جلس بابا ثورستين منفرداً في مكتبه صامتاً شاخصاً بصره للأمام. وجلست باقي العائلة في غرفة المعيشة تستمع للراديو ومعهم دكتور ثورجنارسون. تواجد أسكيلد معهم طول اليوم ولكن لم تسنح له الفرصة بالتحدث مع إيجليف أوبيورك عن زيارته الصباحية لأبيهما في مكتبه.

تناولوا العشاء في صمت، وحضر كلاً من دكتور ثور وأسكيلد على مائدة الطعام. ولكن لم يتكلم أحد حتى قال بابا ثورستين: «أريد التحدث إلى يا أسكيلد»، نظرت بيورك في دهشة إلى الرجلين وهما في طريقهما إلى المكتب ثم ابتسمت بغیظ لدكتور ثور.

لقد كان المكتب مزخرفاً بتصاميم للسفن وصور فوتوغرافية ذات إطار للسفن السبعة. دُعي أسكيلد للجلوس، لم تقدم أي خمر، ولم ينطق بابا ثورستين بأي كلمة طيبة ثم نظر لأسكيلد الذي مازال يحتفظ بشهادته في محفظته نظراً غامضة.. وقال: «أعتقد أنك تعرف لماذا أردت التحدث إليك، إننا لا نريد رؤيتك هنا مرة ثانية». كان هذا كل ما عبر عنه وأرادته ثورستين من أسكيلد.

وأسكيلد يجلس على كرسي من الجلد متوجها لثورستين .

لقد صدم بما سمع ولم يصدق أذنه.. فتساءل «ولم لا؟».



لقد أدرك ثورستين من عيني أسكيلد أنه يعلم يقيناً جواب هذا السؤال. بالإضافة إلى ذلك، فإن مشاكل أسكيلد كثيرة وهو يرى أن أسكيلد لا يقدر على المزيد منها الآن.

نهض ثورستين من كرسيه.. وهتم أسكيلد بأن أحداً لن يستطيع أن يمنعه من رؤية بيورك.. وبطريقة مهذبة طلب ثورستين من أسكيلد أن يغادر المنزل فلم يعد هناك شيء آخر يستحق المناقشة.. فتح الباب وخرج مع أسكيلد خارج المكتب.. أخبر ثورستين الجميع أثناء مرورهم بالردهة «أن أسكيلد سيغادر المنزل الآن».. جاء الجميع.. صاح أسكيلد: «أيها الرعاع النورلانديين.. أيها القرويين الملعونين».

كان دكتور ثور واقفاً فذهب ليطلب من أسكيلد أن يتصرف بأسلوب مهذب. فأخبره أسكيلد أن يصمت وإلا لكم أنفه.. واسترسل «عليكم اللعنة، فلتذهبوا إلى الجحيم».

ثم نزل أسكيلد سلام الفيلا الأرستقراطية بكالفارفين بسرعة وبانفعال شديد. حدث ذلك في مساء واحدة من ليالي مايو عام (١٩٤٣). كانت الطيور تغرد.. لم يصدق أسكيلد ما حدث ونظراً لارتبائه الشديد نسي معطفه.

وصل أسكيلد إلى غرفته في هاكونسجيتن حزيناً بائساً وارتمى على سريره هارباً من يومه هذا.. فقد بدأ بالآمال وانتهى باليأس والأحزان تعجب، وقرر الذهاب لحانة عربة السيرك السعيد ليتخلص من أحزانه، وعندها طرقت مدام كنتسون الباب قائلة: «لقد أخبرتك من قبل بأني لا أريد فتيات في الغرفة ولكن لأنها ابنة صاحب السفن سفينسون فسأسمح لك بخمس دقائق فقط يأسكيلد وعليها بعدها أن تغادر الحجرة». أوشكت السيدة كنتسون على غلق الباب وراءها لكنها توقفت وقد غلبها الفضول ثم قالت: «إنها تقول أنك نسيت معطفك».

بعد تناول القهوة، دخل بابا ثورستين لمكتبه وراح يسرع الخطى ذهاباً وإياباً



كأسد محبوس في القفص. تسللت بيورك من باب المطبخ ومعطف أسكيلد تحت ذراعها. ركضت بيورك طول الطريق حتى وصلت لهاكونسجتن والآن تقف لأول مرة في غرفة أسكيلد وقد صورتها تماماً في عقلها. لقد أصابها الذهول وشيء من الصدمة لما رأت في الغرفة من أشياء تافهة: سرير، مكتب، قليلاً من الأرفف للكُتب وكيسين بمنظر سيء. أثارت الأكياس فضول بيورك فسألت عما بداخلها، فأجاب أسكيلد «أنها مجرد خردة» كومة من الخردوات القديمة، ثم حملها بعيداً عن مرأى بيورك. أرادت بيورك أن ترى الأكياس عن قرب ولكنها تذكرت سبب مجيئها. أعطته المعطف بحفاوة شديدة ثم ألقت نفسها بين ذراعيه. لم تدرك بيورك سبب ضيق والدها، فقالت: «ليست هذه التصرفات من طبع أبي»، ولكن بالتأكيد ستمر هذه الأزمة «انتظر وسترى سيعود لطبيعته». قال أسكيلد: «لست متأكداً من ذلك ثم أخبرها أنه سيغادر بيرجين.. واسترسل.. «يمكنك المجيء معي ويمكننا الهرب سوياً». وبعد لحظات، يبدو أن الأمر بسيط، أجابت بيورك «لكن، كيف يمكن ذلك؟». مهندس حديث التخرج بلا وظيفة، أودخل خاص به. علاوة على أن الظروف غير مناسبة تماماً، لقد أغرق الألمان السفينة انجريد ماريا ولا نعلم ما الذي ينتظرنا أيضاً؟ قال أسكيلد مبتسماً: «لا تقلقي بشأن كل هذه الأمور». سيصبح أسكيلد رجلاً غنياً في غضون شهرين. لم تستطع بيورك تفسير تلميحات أسكيلد الغامضة إلا علي أنها أوهام طفولية. قرر أسكيلد أن يخبرها بكل شيء.. أخذ نفساً عميقاً.. دفعت تعبيرات وجهه السعيدة بيورك أن تعتقد-وهي في الحقيقة مخطئة- أنه يرغب في معاشرتها. همس أسكيلد مشيراً إلى سريريه حيث ثروته الصغيرة التي جمعها قائلًا: «من الممكن أن ينسينا هذا الفراش كل مشاكلنا»، وعندما ألح عليها أن تذهب لتلمس الفراش، لم تستطع الذهاب وصرخت في وجهه «أسكيلد»، نظرت في



ساعتها بعصبية.

إنه لمن الغريب أن تأتي وتزوره.. ولكن عليها الآن أن تغادر.. همست قائلةً:  
«حسناً.. أراك يوم الخميس» عند قدم (كونج أسكارسختين) ولا تقف أمام  
المنزل.

أصر أسكيلد على توصيلها فوافقت على مضض، ثم سارا صامتتين معظم  
الطريق، تراجع أسكيلد عن إخبارها بباقي الموضوع، سيخبرها بالقصة كلها  
في يوم آخر.

عاد أسكيلد إلى هاكونسجاتن، فوجد الأرملة كنتسون لا زالت غاضبة، ثم  
قالت له: «لا بد أن يتوقف هذا الأمر يا أسكيلد، زيارتين في مساء واحد، كما  
أن الرجل سكران، ورائحته كريهة كرائحة الحانات، خمس دقائق فقط ثم  
عليه المغادرة». سأل أسكيلد في حيرة «من هذا الرجل؟»

قالت: «قال إن اسمه كارل»، لقد كان الروسي جالساً في غرفة أسكيلد، انتظره  
ليخبره عن الطريقة التي سيسرقون بها حمولة الخشب من باخرة الألمان ثم  
يبيعونها لهم مرة ثانية بسعر مذهل.

شرح له الروسي الأمر وقال: «إن الأمر بسيط للغاية كإعداد الفطائر، لقد  
قمت بذلك الأمر مرتين قبل ذلك».

إذن.. لماذا يحتاج الروسي لمساعدة أسكيلد الآن طالما أنه قام بذلك الأمر  
مرتين قبل ذلك بنفسه..؟!

لم يشك أسكيلد في الأمر فلقد كان متلهفاً لجمع المال.

أسكيلد-بضجر- «اللعة».. ثلاثة أيام لا نستطيع عمل أي شيء بسبب  
الحرس الألماني.. إنك لم تخبرني بوجودهم، فاعترف الروسي لأسكيلد أن الألمان  
عينوا مزيداً من الحراسة بعد عمليتي السرقة السابقتين ليحرسوا امداداتهم  
بالخشب، ثم قال: «سنفعلها.. ثق بي».

تنهد أسكيلد قائلاً: «يا إلهي!» عندما رأى الروسي يضرب شخصاً ما على  
رأسه بزجاجة.



سقط الجندي الألماني على الأرض فاقد الوعي وقد سال من مؤخرة رأسه سائلا أسود، فسأل أسكيلد مضطربا «هل مات؟.. هل قتلته؟» بسخرية رد عليه الروسي: «بالطبع لا.. اهدأ.. لقد أغمي عليه فقط».

قال الروسي أسرع بالله عليك يمكنهم سماع خطواتنا عن بُعد؛ رفع الروسي الزجاجة لأعلى مرة ثانية ولكنه لم يجد أحد، وساد الصمت على ظهر الباخرة مرة أخرى إلا من صوت الموجات المتلاطمة وصفير الرياح.

ركز أسكيلد والروسي في فعل ما جاؤا من أجله مستخدمين رافعة السفن التي أحضرها الروسي، وأخيراً نقلوا الحمولة إلى حوض صدى قديم يسمى كارين، ثم بدأوا يتحركون في الليل ورسوا على رصيف ميناء بعيد ثم غطوا الحمولة وتركوها، عادوا مسرعين إلى المدينة حيث بدأت الطيور تغرد على أسطح المنازل، وقال أسكيلد بإصرار «سننتظر على الأقل أسبوعين قبل بيعها»، وعندما ذهبوا لعربة السيرك السعيد ليحتفلوا بأول عملية ناجحة وليتناولوا الإفطار مع خمر الأكوافيت المصنوعة بالبيت، تلاشت كل مخاوفهم.

وبعد عملية السرقة، تقابل أسكيلد وبيورك أكثر من مرتين عند قدم كونغ أوسكار سجاتن، سارا في طريقهما كالمعتاد ولكن دون تبادل للقبلات أمام قبر كونج أوسكار سجاتن.

منذ ذلك اليوم الذي أغرق فيه الألمان سفينة انجريد ماريا، لم يسيرا من طريق القبر بشكل سرى. وفي بداية سيرهما كانت معنويات أسكيلد مرتفعة جداً، وأكد لبيورك أن كل شيء سيكون على مايرام وكرر كثيراً أنه سيغادر بيرجن، ثم أكد لها بعبارات غامضة أنه مسيطر بشكل جيد على كل أموره الحياتية، وفي الأسبوع التالي كان أسكيلد رجلاً مختلفاً فقد بدت عليه علامات الحيرة، وعندما سألته بيورك عن مشكلته صاح فيها «أذني الملعونة تضايقني»، لقد تحدث بصعوبة كما أنه لم يسمع ما قالت .

استرسلت بيورك.. حاولت التحدث مع أمي وهى أيضاً تعتقد أن هذا أمر طارئ وسيعود أبي لحالته الطبيعية... لم يرد أسكيلد.. ضغطت على ذراعه



ثم صرخت فيه «هل تسمع أي شيء مما أقول؟» مما اضطره أن يوميء برأسه ويقول: «بالطبع سمعت ماتقولين».

قالت: «لا أعتقد ذلك».

ثم تابعا سيرهما في صمت... وبعد قليل قالت بيورك: «أن عليهما أن يعودا». استدار أسكيلد عائداً إلى كارفارفين وكأنه جندي ينفذ الأوامر.. قبلها أسكيلد سريعا مودعاً إياها قبل أن تصل إلى ممشي الفيلا بنفس الطريقة التي سئمت منها.

لم تكن بيورك تعلم حينها أن عامين وسبع وعشرين يوماً سيمضون دون أن تراه فيها مرة ثانية.

لم تراه في اليوم التالي.. انتظرته لمدة ساعتين عند قدم كونج أسكارسجيتين وفجأة تذكرت الأكياس التي رأتها في غرفته، والهالات السوداء تحت عينيه، والبدلة الجديدة التي يرتديها.

لم تستوضح معنى هذه الأشياء التي تجمعت أمامها موحية لها بشعور غريب سبب لها رعشة أسفل عمودها الفقري.

انتظرت ربع ساعة أخرى وقد وجدت بيورك ترابطاً بين عبارات أسكيلد الغامضة عن المستقبل ووضعها المالي الذي سيصبح مزدهراً وبين ماتفكر فيه.. قالت لنفسها.. لا.. لا داعي للقلق.

لم تعد لكارفارفين ولكنها اتجهت ناحية فيسكتورجين وعندما وصلت تورجالمينجن بدأت تسرع الخطى وفي ميدان أولي بولز بدأت تجري وفي هاكونسجيتن انفلت حذاؤها من قدمها واصطدمت رقبتها بحجر كبير وعندما حاولت تفادي الموقف خدشت إحدى يديها.

وعندما وصلت لمنزل الأرملة كنستون تلهث لم تستطع أن تنطق بأية كلمة. طرقت الباب خمس مرات قبل أن تفتح لها السيدة كنتسون وهي تصرخ «ما الأمر»، ثم فتحت الباب بوجه عابس.

وضعت يدها على جبينها وصاحت «لقد أخذه». قبضوا عليه ليلة أمس



ومعه هير كيرل الفقير حقاً إن رائحته الكريهة تكفي لإيذاء حانة بأكملها، ولكنهم ألقوا القبض عليه كالكلب!!.. «هذا المهرب» إنه يهرب البضائع في ورشة بيتر القديمة. المباركة يا فروكين سفنسون.

حسناً.. أنا لا أصدق أن فتاة مثلك من عائلة محترمة تجري وراء هذا الشخص، فكري في سمعتك»، ثم صاحت في وجه بيورك الشاحب قائلة: «هؤلاء هم أولاد العاهرات لا يحترمون ممتلكات الناس المحترمين» يأتون في منتصف الليل ويفتشون كل شيء، فسألته بيورك «من هؤلاء» فهمست الأرملة واضعة يدها على جبينها مرة ثانية «الألمان». لقد أخذوا كل شيء بداية من منضدة عمل بيتر المباركة وحولوها إلى مواد محترقة.

وبعد ساعتين من تناول جدي أسكيلد لكأس البول كله في شربة واحدة، وقع على الأرض وانقلب كرسيه للخلف، لقد أحمر وجهه وأصدر صوتاً غريباً به حشجة، وكان يتلوى على الأرض ممسكاً ببطنه. صرخت جدي قائلة: «أسكيلد!».

استند جدي على قدمها ووقفت هي متجمدة.. سمعنا صراخها فأسرعنا إلى غرفة المعيشة.. سألتها ستينا «ماذا حدث يا جدي؟».. وهممت مايا «ماذا حدث له؟».. صحتُ مصدوماً ماهذا الذي يفعله؟ فأخبرنا أي «إنه يعاني من ألم في معدته».. استرسل.. «انطق بأي كلمة يا أي».. ثم صفعه على وجهه قائلاً: «بابا.. في أي يوم نحن؟ أتستطيع أن تتذكر؟».

أصدر جدي صوت حشجة مرة أخرى وراح يتلوى كسمكة قد أخرجت من الماء وظلت تلهث في ضوء الشمس.

صاح أي.. «بابا، اليوم هو الأحد.. هل تتذكر ذلك».

ولمّا لم يرد جدي أسكيلد أسرع جدي إلى التليفون واتصلت بالإسعاف. وقال عمي هاري يجب أن نسقيه كوباً من الماء. فالماء مفيد للقرح.. واسترسل.. «أحضروا الماء» وعندما تجمعوا حوله ليقعدوه كي يضعوا الماء في فمه لم



أستطع تحمل ذلك صرخت بصوت عالٍ لأني أعرف سبب ماهوفيه!  
لقد وضعوا بولاً في الخمر.. وخذتني أختي بشدة في جنبي فهي ترى أن  
الوقت ليس مناسباً لهذه الاعترافات.

وحذرتني.. «اصمت ولا تقل أي شيء» وقرصتني في ذراعي، لكنني تابعت  
قائلاً: «كل هذا بسببي».

وبختني أمي لأني أتحدث عن البول، واتهمتني بأني بلا مشاعر، وأخبرتني بألا  
أتحدث بهذا الشكل وإلا فعلي الذهاب لغرفتي. أشارت ستينا إلي لأذهب إلى  
غرفتي وهمست «اذهب إلى الجحيم» ثم وخزتني بكوعها في جنبي.

لم أرغب في الذهاب لغرفتي ورددت لها الضربة، وبعد خمسة عشر دقيقة  
وصلت سيارة الإسعاف وكان صوت سريبتها يدوي في الفضاء، وأضواء  
مصابيحها تقع على وجه جدتي بيورك الشاحب.. لم تتحرك جدتي بعيداً عن  
أسكيلد منذ وقع من على الكرسي إلا عندما جاء المسعفون ورفعوه على  
الناقلة مسرعين به عبر ردهة المنزل.

صرخت جدتي مسرعة وراءه ثم قالت: «عزيزي أسكيلد!، أنا قادمة معك»  
جرت جدتي وراء عمتي البدينة آن كاثرين وسُمح لها بالجلوس بجوار النقالة  
مع أبي، أغلقوا باب سيارة الإسعاف ثم انطلقوا.

وعند عودتهم للمنزل لم ألمح أحداً سوى عمتي البدينة التي أسرعت للدور  
الأرضي لتختفي تحت السلام. فكرت في الركض خلفها لألحق بها لكنني لم  
أجرؤ على فعل ذلك، كما أن عمي هاري قال إن ميعاد نومنا قد فات وأشار  
بيده نحونا قائلاً: «هيا أيها الأطفال اذهبوا للنوم»، لمحننا في عينيه شعوراً  
بالقلق على جدتي أسكيلد وكان وجهه شاحباً كوجه جدتي بيورك وصوته فظاً.  
صبت له أمي كأساً من الكونياك وطلبت منه أن يهدأ وعندما ذهبْتُ لغرفة  
ستينا همستُ قائلاً: «هل قتلنا جدنا أسكيلد».. ولكن لم يرد أحد عليّ.



## الحنين إلى الوطن

كنت في طريق عودتي إلى وطني الدائم.. يقطع القطار أميالاً وأميالاً في سرعة مذهلة وصمت رهيب.. مررنا لتونا على أوسنابراك حينما تراه لي أن جميع الروايات قد بدأت تعود أدراجها من حيث أتت.. تلك القصص التي أبقتني متيقظاً ليلاً الشهرين الماضيين.. تتحدث إليّ بعدة بألسنة.. تجملها الهمسات الساحرة التي تطرب لها أذني.. تداعبني بها جدي بيورك.. والتي أتذكرها حتى الآن.. مستلقياً في فراشي بمنزل طفولتي حيث نشأت وترعرعت.. كانت جدي تروي لي قصصاً جميلة لساعات حتى تأتي أمي لتخبرنا أنه قد حان وقت النوم.. وتدفع بجدي خارج الغرفة.. أخبرتني جدي عن بيرجين.. عن كل المزاحات الطريفة والألعاب الشقية التي كان يلعبها الأطفال هناك.. عن إجازاتها الصيفية في نورلاند.. حيث الشمس تكاد أن تظهر في غير أوانها.. في منتصف الليل كدرة كبيرة باهتة اللون.. خافتة الضوء قبل أن تسطع وتشرق في عنان السماء في صباح اليوم التالي بعدما تتسلل خيوط النهار لتقطع ظلمة السماء فتلقي بأشعتها المتوهجة على قمم الجبال وساحات الأزقة البحرية.. لكن سرعان ما تتسابق أصوات عدة لتختلط بالقصص.. جميعها يطالب بسرّ الحقيقة.

مرت علي الأيام والأعوام بطيئة.. متناقلة.. كنت فيها صامداً.. متماسكاً.. أشد من أزر نفسي لفترات طويلة.. مرت سبعة أعوام منذ أن انتقلت إلى أمستردام في عام ١٩٩٤.. قطعت فيها وعداً على نفسي ألا أترك القصص القديمة تقف حائلاً دون أن تخطّ القصص الجديدة سطورها في حياتي.. حرعت بشدة في الأكاديمية ألا يتطفل عليّ أحد أوبعث بقطع قماش الرسم الزيتي الخاصة بي.. لم أشأ أن أرسم مثلما كان يفعل جدي أسكيلد.. فراحت تلك القصص في سبات عميق.

حتى دوجيهيد كان يتسلل خلصة ليظهر بمخيلتي رغماً عني بجسده غير المرئي



بفعل الخزي والشعور بالذنب.. بجانب موت عمتي السمينة آن كاترين..  
يليه نفبي إلى أرض الوطن حيث نشأتي الأولى.. كل ما حدث بعد ذلك أصبح  
في طي النسيان حتى شهرين ماضيين.. حينما نقضت جدتي اتفاقنا الضمني..  
بعد فترة فاصلة دامت عشرة أعوام، بدأت تقذفني بوابل من قصصها مجدداً.  
أرسلت لي جدتي بطاقة بريدية على مسكني في أمستردام تحمل السطور  
التالية: عزيزي أسجر الصغير «يركض جدك الآن في سهول شرق ألمانيا» بدأ  
الخوف يتسلل إلى قلبي خشيةً ألا يعود أبداً إلى المنزل.

أخبرتني أختي ستينا في محادثة تليفونية منذ عدة أيام ما دفع بالقلق ليتسلل  
إلى قلبي حيال حالة جدتي الصحية، قالت لي: «لقد ساءت الأمور للغاية مع  
جدتنا» تلك السيدة العجوز التي تدهورت حالتها الصحية بشكل ملحوظ،  
فهي تتحدث بالترهات طوال الوقت أخبرت جسر أنه يجب علينا فعل شيء  
حيال ذلك الأمر، لكننا عجزنا عن إقناعها ببيع المنزل.. بحق المسيح! لماذا  
تتمسك بذلك المنزل القديم الآيل للسقوط الذي قتله جدنا رهناً وما زال  
مرهوناً حتى الآن؟

لم تغفر ستينا لجدتي بيورك فعلتها الشنعاء حينما أبقت جثة أسكيلد ممددة  
في غرفة النوم لفترة طويلة قبل أن يجدهه بعدما بدأت تفوح رائحته كان  
ذلك في عام ١٩٩٧ منذ حوالي خمسة أعوام.

كنت أعلم طباع وحساسية ستينا جيداً فقلت لها بلطف: «لابد لها أن تبيع  
منزل الطفولة وإن كان هو متمسكاً بها فهي فقيرة للغاية لا تعرف لأبواب  
الثراء سبيلاً سوى أن تطرق ذلك الباب، وتنصاع لنصائح من حولها ببيع  
المنزل.

ما إن أتممت عبارتي الأخيرة حتى صاحت ستينا في غضب: «وهذا أسوأ ما في  
الأمر فهي امرأة لم تحظ بسنت أحمر واحد في حياتها، كان أسكيلد يستحوذ  
دائماً على كل سنت يدخل المنزل، لكن فجأة نما لمخيلتها ورسخ بعقلها اعتقاد  
غريب أنها فاحشة الثراء.. تنعم بالمال الكثير الذي ينهمر عليها كالسيل».



استطردت ستينا قائلة: هل تدرك مدى فداحة ذلك الأمر؟ جدتنا العجوز تعتقد أنها مليونيرة، تهذى كثيراً وتثرثر باستمرار بشأن إرثنا الذي دفنته في مكان ما هنا أو هناك.. وتدّعي أنها لا تتذكر مكانه تحديداً.

سألتها في الحال: أين هو ذلك الإرث؟

أجابتنني: حسناً.. يا لسخافة الأمر! هل يعقل أن تنسى مكان الإرث؟ أنصت لي جيداً، لا تصدق تلك الترهات أليس كذلك؟ أم إنك تعتقد في ذلك الكلام بالفعل؟ هل تصدق وجود كنز مدفون؟ قدر من الذهب في آخر قوس قزح؟ بالله عليك!.

والآن تريدني تلك العجوز أن أرسل جسر بجاروف ليحفر للبحث عنه، بل والأغرب من ذلك أنها تريدني أن أسدد المبلغ المستحق لفك رهن المنزل متعلقة بأن العم كانت إن عاد من جاميكا أو أنت من أمستردام، ستعيشان معاً في ذلك المنزل.. أليس ذلك سخفاً؟ من يريد أن يعيش في ذلك المنزل القديم.. مقلب النفايات المقزز هذا؟

بعدها أنهيت مكالمتي مع أختي ستينا، شعرت بالإنهاك والارتباك في آن واحد.. فلم أكن أحادث أختي كثيراً على الهاتف.

عدت إلى الاستوديو الخاص بي وألقيت نظرة عابرة على قطع القماش السوداء المعدة للرسم قبل أن تتزاحم برأسي كل القصص القديمة.. الكنز المدفون.. قدر الذهب الأسطوري في نهاية قوس قزح.. تهريب أكسيلد لأمواله! هل تُعقل تلك القصص! هل هي حقيقية؟ أم تسير في طريق الضلال؟

كان أكسيلد يعتقد طيلة حياته أن الألمان قد استولوا على الأموال.. فقد اقتحموا منزل الأرملة كئاتسون في هاكونسجيتين فتشوه تفتيشاً دقيقاً ونهبوا كل ما فيه بعدما قتلوا الروسي الهارب واعتقلوا جدي في وقت متأخر من الليل في عام ١٩٤٣ كما حطّموا مكتب آخر رئيس كابتن كئاتسون وألقوا بمحتويات الأرفف أرضاً وحطّموا أرفف الكتب شر تحطيم كما أفرغوا الحقائق الثلاثة المليئة بالبضائع المهربة بينما كانت أرملة كئاتسون تقف



على باب الغرفة كالشبح تبكي بحرقة يسمع أصوات أنينها ونشجيتها المتواصل، لم يجد تفتيش الألمان الدقيق للمنزل نفعاً فلم يجدوا سوى تلك الحقائق الثلاثة والتي تحتوي علي خمسين لاصقاً أو أكثر.. أختام ضربية وتسعة عشر كورونا نرويجية.

لم يكن لدى أسكيلد الوقت الكافي لإخفائها في الحشية وإعادة حياكتها بعد ذلك.. لحسن الحظ، أنهم لم يعيروا الحشية أي اهتمام ولم ينتبهوا لتفتيشها. عاد رجال الشرطة الألمان أدراجهم إلى سجن بيرجين حيث انهاروا على أسكيلد صفعاً مراراً وتكراراً يريدون منه أن يعترف ما إن كان هو من اعتدى بالضرب على الحارس الألماني في ساحة الخشب أم لا؟.

لكن عما يتحدثون؟ لم يفهم أسكيلد شيئاً مما يسمعه.. قال لهم أنه كان يساعد الروسي في إفراغ حمولة الأخشاب فحسب.. سرقة؟ - لم يكن يعلم عنها شيئاً حقاً- لكنهم لم يصدقوا قوله بل سخرؤا منه وأخبروه أنهم ليسوا بأغبياء، هُز أسكيلد رأسه بشدة نافياً ذلك وقال: لا.. لستم أغبياء لكنني بالفعل لم أفعل ذلك!

لم يلبث أن أتم أسكيلد عبارته حتى أمسك أحد الألمان بخصيتيه وضغطهما بقوة.. فتعالت صرخات أسكيلد مدوية من الألم.. حتى أن أذنه الصماء التي كان يعاني منها الأمرين من قبل، قد شُفيت للحظة إثر اختراق صرخاته العالية لطبلة الأذن قبل أن تعود وتُصم من جديد، بل كاد أسكيلد أن يصاب بالصمم التام من صرخاته المدوية التي استمرت لساعات طويلة متتالية ذاق فيها ألواناً من العذاب قبل أن يصيح قائلاً: إنه الروسي بحق المسيح! اسودت الدنيا بعينيه واختفى شعوره بالألم للحظة من هول العذاب الذي ينهال على جسده الهزيل حتى خارت قواه تماماً ثم حمله أحد الحراس واقتاده وسط الظلام الدامس إلى الزنزانة.

بعد عذاب دام أسبوعاً كاملاً، قرر المحققون المجهولون أخيراً أنهم قد اكتفوا بتعذيب المجرم ولم يعودوا بحاجة إليه بعد الآن.. فأمرؤا بترجيله بخطاب



ترحيل إلى سجن أوصلو.

برغم عدم موافقة بابا ثورستن فلم يكن يتوقع حدوث ذلك بهذه الطريقة! لكن مع مرور الوقت عاد الحال كما هو عليه وتأقلم مع الوضع الحالي، بينما ذهب أسكيلد إلى أوصلو في حين جرت العادات اليومية في منزل النبيل في كالفارفين على وتيرتها المعهودة: تناول العشاء في دفاء عائلي.. ولعب الورق في المساء.. كان بابا ثورستن يعتقد أن إحساس ساحر جميل بالهدوء والسكينة قد ساد المكان وسيطر على أفراد المنزل حتى قطع ذلك خبر سيئ وإنذار بخطر داهم تملكه وسيطر على ملامحه.

حينما هرع إليه صبي في السادسة عشر من عمره.. يركض لاهثاً من المكتب بالميناء وهو يصيح: رسالة لمالك السفينة.. سفنسون!

واستطرد قائلاً: لقد غرقت سفينة جينس جال غرباً نهاية البلدة! صاح ثورستن: مجدداً؟! ثم التقط سترته على الفور وأسرع إلى المكتب معقبا أن العالم قد أصابه درب من الجنون، بينما كان يركض جد جدي لأمي ثورستن إلى سجن بيرجين لمعرفة المزيد والحصول على تقرير أكثر تفصيلاً عن أحدث قبلة مدوية تقتلع إمبراطورية العائلة من جذورها، كان جدي لأبي أسكيلد يقضي أحلك الأوقات في سجن أوصلو محققاً في الحائط.. ثابتاً كحجر صلد. توقفت الاعتداءات عليه من ضرب وتعذيب وبدت السحجات والكدمات بنفسجية اللون على وجهه وقد تحولت إلى الصفرة قبل أن تختفي شيئاً فشيئاً.

كان من الممكن أن يصدر حكماً عليه بالسجن لعدة أعوام في الظروف العادية، لكن ما إن سرت أنباء بوضع خطط وشيكة التنفيذ لنقل عدد كبير من السجناء إلى ألمانيا حتى بات جلياً أن أسكيلد إريكسون سيتم ترحيله مع بقية السجناء.

في عصر يوم ما حينما أخبرت بيورك بابا ثورستن أنها قد حصلت على تصريح بزيارة أسكيلد أردف بابا ثورستن قائلاً: لن أعطيك كورونا واحدة هيهات أن



يحدث، لم تعبأ ببيورك بكلامه أبداً.

في صباح اليوم التالي غادرت إلى أوصلوه هناك حطت رحالها بفندق صغير.. لم يُغمض لها جفن طوال الليل، بالرغم من أنها قد حصلت على تصريح نصف ساعة لزيارة أسكيلد في تمام الساعة الثانية والنصف عصرًا، إلا أنها ظلت تجوب شوارع أوصلو منذ الصباح الباكر في التاسعة صباحاً ثم بدأت تتسوق في الحادية عشر.. ابتاعت سردينياً وخبزاً وتبعاً لفتها جميعاً مع رسالة من والدة أسكيلد.. راندي، وأخرى بعبارات مقتضبة في بطانية دافئة.. حينما دقت الساعة الواحدة ظهراً، قررت ببيورك أن تبتاع ثوباً جديداً فتددت على العديد من المتاجر وفي النهاية خرجت تجوب الشوارع مجدداً مرتدية ثوبها الجديد.

كان الوقت قد تأخر بها أكثر مما كانت تتوقع.. أسرعت الخطى نحو مدخل كارل جوهان، وعند انحرافها لزواية أكبر سجت: ركضت لاهثة بعدما خالجه شعور فظيع بأنها ضلت الطريق.. ذلك الشعور الذي ازداد بداخلها شيئاً فشيئاً أثناء ركضها في الشوارع. كان عليها أن تسأل العديد من الناس عن أي طريق تسلكه للوصول إلى مقصدها حتى وصلت أخيراً إلى بوابة سجن أوصلو وكانت الساعة قد اقتربت من الثالثة إلا عشر دقائق.

قالت ببيورك وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة وتضع حقيبتها أعلى طاولة التفتيش الصغيرة: جئت لزيارة أسكيلد إريكسون، لكن الحارس ظل منشغلاً عنها بقراءة أوراقه طويلاً قبل أن يتنازل ويعير ببيورك أقل اهتمام. قال أخيراً وهو يفتح ملف ويلقي نظرة بداخله: والآن لنر.. ثم رفع رأسه مجدداً وقال: أسكيلد إريكسون.. لا يا عزيزتي.. هذا مستحيل.. إنه في طريقه إلى ألمانيا.

صعقت ببيورك من المفاجأة قائلة: ماذا!..؟!

عاد الحارس يرتب أوراقه بينما وقفت ببيورك ساكنة لا حيلة لها وكأنها أصيبت بالشلل.. معقودة اللسان من الدهشة.. منقبضة القلب من هول



المفاجأة.. تتسارع دقائق قلبها المنتفض مع القاطرات وسيارات السباق التي تعالت أصواتها تجوب الشوارع هنا أو هناك.

بعد برهة ربت الحارس على يدها بلطف وأخبرها أن هناك العديد من الأماكن في ألمانيا حيث يمكن إعادة تأهيل المشردين والضاكين.

في مساء اليوم التالي، بعدما عادت بيورك إلى بيرجين جاء رسول آخر إلى فيلا النبيل في كالفارين.. يصيح الصبي ذو الستة عشر عاماً وهو يتصبب عرقاً قائلاً: رسالة إلى مالك سفينة سفنسون!

في هذا المساء وبعد فترة قصيرة بينما كان بابا ثورستن يجلس منكباً على عمله ساخطاً.. لاعناً ما يجري حوله تسلفت بيورك إلى منزل الأرملة كانتسون.. حيث احتست الشاي معها في الردهة ، ثم استأذنتها إن كان يمكنها الاختلاء بنفسها للحظة في غرفة أسكيلد القديمة.. حيث تلك الحشوة التي تحدث عنها أسكيلد منذ أسبوعين: أنها يمكن أن تمحو جميع مشاكلنا، ارتسمت على شفتي بيورك ابتسامة خفيفة ما إن جالت بذهنها عبارة أسكيلد السابقة، ثم أخرجت مقصاً كبيراً من جيبتها وقصت الحشوة لتعرف ما بداخلها.

حينما اتصلت بي أختي الكبرى في صباح اليوم التالي، صاحت في لتوقظني من غفلتي قائلة: يجب أن تتحمل بعض المسؤولية أيضاً.. ألا يمكنك الاتصال بها هاتفياً على الأقل والتحدث معها؟

كانت ممتعة جداً ولم يكن معتاداً منها أن توقظني مرتين في أسبوع واحد.. أجبته في ملل: ماذا؟

استطردت قائلة: كنت أفكر ألا يمكنك الحضور إلى المنزل لفترة قصيرة؟ سأدفع أنا وجسبر مصاريف انتقالك.. يمكنك أن تجلس في غرفة الضيوف الخاصة بنا.. أنا متأكدة أن جدتك ستعود إلى رشدها مجدداً إن تحدثت أنت معها.

أجبته : «سأفكر في الأمر ملياً، ثم وضعت سماعة الهاتف».

منذ شهرين ماضين قبل أن تشغل ستينا مساحة لا بأس بها باتصالاتها الهاتفية، بدأت بيورك ترسل إلي رسائل غامضة !، كانت أول عبارة كتبتها لي هي: أنا



آسفة، لكنني لا أجيد التعبير باللغة الداهماركية، وذلك علي الرغم من أنها قد عاشت في الداهمارك لمدة أربعين عاماً.

في البداية، لم أعر خطاباتنا وبطاقاتها البريدية أي اهتمام يذكر.. فقد ظلت تلك الخطابات والبطاقات على مائدة المطبخ لأيام عدة قبل أن أقنع نفسي بقراءتها (نفس الشيء حدث مع خطابات أُمي) .. لكن ما إن بدأت في قراءتها حتى اعترتني دهشة شديدة فقد شعرت بارتباك بيورك، مرات كثيرة كانت تناديني بأسكيلد، مرات أخرى تناديني بكلمات أونيلز أو ثور.. كما لاحظت كيف أنها دائماً تعود إلى حديثها عن جدي الذي يركض في سهول ألمانيا الشرقية.

تذكرت كيف كنا على وشك أن نفقد جدنا أسكيلد بسبب براز ابن عمنا ميا قبل أن أرفع سماعة الهاتف لأحدث أختي ستينا وأطلب رقمها بإصرار. قالت لي: أنت مجدداً؟ تتصل بي لتخبرني أنك لن تأتي.. لا تقل لي ذلك يا أسجر. أجبتها: لا، ليس كذلك، أردت فقط أن..

صاحت ستينا: بيورك مريضة! ألا تريد رؤية جدتك قبل أن تموت؟ هناك علة بقلبها.. كم مرة يجب أن أكون فظة ومتبلدة الحس معك كي تدرك الموقف؟ أتريد أن أنهجها لك؟ إنها ستموت يا أسجر.. لذا يجب أن تأتي إلى المنزل وتتحمل قليل من المسؤولية.. لقد ضقت ذرعاً بأن أتحمّل كل شيء على عاتقي كالمرّة السابقة.

أطرقت .. همست مفكراً في نفسي: هناك علة بقلبها؟ لم تذكر جدي بيورك ذلك أبداً في رسائلها.. لم أعرف ماذا أقول.. منذ لحظات كان صوت ستينا يندفع عبر أسلاك الأثير قبل أن تندم على أسلوب حديثها معي قائلة: أنا آسفة، لكن ألا يمكنك العودة إلى المنزل والتحدث معها؟ جميعنا نفتقدك.. أتعلم ذلك يا حبيبي؟

رددت : حبيبي؟

صاحت: أفنقد أخي الأصغر.. هل هناك ما يعيب ذلك؟ ثم غيرت نبرة صوتها



مجدداً وهمست ضاحكة: يمكن لجسر أن ينام على الأريكة ويمكنك أن تنام معي في الفراش مثلما اعتدنا ونحن صغار.. هيا أيها المغفل!  
عزمت على العودة إلى المنزل لكنى اشعر بمرور الوقت بطيئاً.. متثاقلاً وجدي بيورك تقترب من الموت شيئاً فشيئاً، كانت رسائلها الغامضة تناديني قبل فوات الأوان.

وعقب حديثي مع ستينا جلست على أرض المطبخ وبطاقات بيورك وخطاباتها القصيرة مبعثرة من حولي، كانت قماشاتي السوداء تومض وتصدر ضوءاً تحذيرياً.. لابد أن انتبه لذلك.

كانت تثرثر.. تناديني.. تحثني بمزيد من الحماسة.. تدفعني للإحساس أكثر بضغط القصص المستمر على عقلي.. هاهي خواطروقصاصات من الماضي مبعثرة من حولي على أرض المطبخ.. سلاسل أفكار غير مترابطة يجمعها أمر واحد.. أنها أفكار سيدة مسنة مضطربة الذهن ومشتتة الفكر، تروي نفس الحكايات بتغيير أسماء الشخصيات فيها .. قصصاً تنتهي في المكان الخطأ، وبدايات تُسدّل فيها-حتماً- ستائر النهاية قبل أن تبدأ سطورها.

بينما كنت جالساً هناك متفحصاً في تلك القصص الممتلئة من حولى أخذ يساورني شعوري القديم بالذنب، وبدأ ينمو بداخلي شيئاً فشيئاً حتى بات تجاهله أمراً مستحيلاً.

ومنذ ذلك الصيف حينما عاد كنت إلى المنزل من جاميكا شعرت بأن لي دوراً محدداً في سوء الحظ الذي دفع بعائلتي للتفكك والانقسام على نفسها. كانت فكرة لم شمل العائلة مجدداً، إلى جانب فكرة العودة إلى الوطن، والحالة التي يمكن أن أرى عليها جدي.. كل تلك الأفكار تتصارع بداخلي.. تجردني من أدنى إحساس بالشجاعة.

لعدة أيام فكرت مراراً وتكراراً في العودة إلى المنزل حتى أغلقت باب شقتي خلفي بقوة في ذلك اليوم بعد الظهيرة، بعدما حزمت حقائبي وأخذت أجزمها خلفي قاصداً محطة القطار لأعود إلى وطني كما قررت ستينا أنه من الأفضل



لي أن أفعل، تركت خلفي شقة من غرفتين غير كاملة الأثاث، مع خمسين قطعة من القماش للرسم زيتي فارغة، وحلم لم يتحقق في أن أصبح فناناً في أمستردام.

الآن، استقل ذلك القطار الذي يجري مندفعاً في صمت وقد اجتاز لتوه محطة أوسنابراخ.. أجلس فيه.. أنا ذلك الصبي الملعون فتى زر الأمان، الكاذب كما كان يناديني أسكيلد.

خطرت لذهني فكرة أن أعقد صفقة مقايضة أبذل فيها قطع قماش الرسم الزيتي الفارغة الخاصة بي والتي تركتها خلفي في أمستردام.. سرعان ما قفزت بذهني أفكار كثيرة وصور جديدة لم يسبق أن تراءت لي من قبل.



## مسرح ميار

بعد مرور عامين تقريباً بألمانيا، عاد أسكيلد أدراجه إلى وطنه، كان جالساً هناك في حافلة بيضاء تابعة للصليب الأحمر، وكانت مهمة حركة إنقاذ بيرنادوت في أوج نشاطها، تلك الحركة التي أخذت على عاتقها ترحيل مساجين نورديك من الخيام الألمانية إلى خارج البلاد قبل أن تجتاح البلاد تلك الفوضى العارمة الأخيرة بسبب الحرب الشعواء التي اشتعلت ألمانيا.

تلك الأيام كانت في فصل الربيع عام ١٩٤٥ حين ازدهرت الورود بألوانها الجذابة وعطرها الخلاب متناثرة على جانبي الطريق، وتبدو المدين التي دُكَّتْهَا القنابل وسوتها بالأرض وحولتها إلى أطلال كغابة مليئة بألواح السقالات حيث لا تزال تنعكس أشعة الشمس على رافعاتها.

لم يصدق أسكيلد نفسه ولم يكن يتخيل أنه سيعود إلى دياره يوماً ما، ظل يفكر في ذلك كل لحظة مرت عليه وهو في الحافلة.. أخيراً أصبح رجلاً حراً يمكنه الوقوف بحرية وأن يترك الحافلة وقتما شاء، لكن من الجدير بالذكر أن كل تلك الأحداث التي مرت به تعاقبت وتبادرت فيما بينها لتمر سريعاً قبل أن تخبو.. مروءه أولاً بوحدة الإشراف على الإفراج في باتشينو، ثم وصوله إلى المخيم الاسكندافي في نونجام.. وفجأة سرت الشائعات أمس أنه حان دوره وها هو الآن ينظر من خلال النافذة ليجد كل ما مرت به من أحداث تتراجع من مخيلته وتختفي من أمام ناظريه كمشاهد الأفلام التي اعتاد مشاهدتها شاباً في بيرجين.

بدا ذلك العالم غريباً عليه الآن..!

بدأ أسكيلد يستشعر تأثير الصرخات العالية والجلبة الشديدة على أذنه الصماء وذلك حينما توقفت الحافلة لمنح الركاب فرصة للإستراحة وللذهاب إلى الحمام، كان يقف على حافة الطريق وهناك وقف طفلان صغيران يحدقان بفضول في الحافلة البيضاء بينما كانت الممرضات ذوات القلوب



الرحيمة تساعدن كبار السن من الركاب في النزول من الحافلة، في حين يقوم سائق الحافلة بمساعدة مريض النزلة المعوية في عبور الخندق، ثم يساعده في خلع سرواله ليقتضي حاجته بسرعة.

فيما مضى، كان أسكيلد رجلاً طويل القامة، عريض المنكبين، لكنه الآن قد تحول إلى هيكل عظمي.. يسير بتؤدة ويجرّ قدميه من خلفه بصعوبة، فقد صار يزن نصف وزنه تقريباً عن ما كان قبل خطة بيرجين الفاشلة.

حاولت ممرضة ممتلئة الجسم مساعدة أسكيلد بلطف في السير فأمسكت بذراعه وهمست في أذنيه بالسويدية عبارة لم يفهمها، وكانت للمستها وقع السحر في نفس أسكيلد الذي شعر بالدوار من رقتها، لكنه ابتعد عنها فجأة وهو يمزج ويجرّ قدميه خارج الحافلة قائلاً: أنا لست طفلاً.

فما كاد أسكيلد أن يتعثر وتزل قدمه حتى صاحت الممرضة: «انتبه لخطواتك» ثم أضافت في خوف- قبل أن يسقط أرضاً: «خذ حذرك.. احتس!» لم يسمع أحد صوت طقطقة ساق أسكيلد اليسرى فوق كاحله مباشرة لكنه شعر بألم شديد.. تأوه في صمت كي لا يُسمع صوته حتى لا يلتفت إليه المارة فيشعر بالإحراج.

حينما اجتازت الحافلة الحدود لدخول الدانمارك بدا العالم بأسره لأسكيلد مختلفاً تماماً عما شاهده من قبل، لا وجود لرجال أونساء أو شيوخ أو أطفال يعانون من إصابات أو جروح بفعل الحروب، لا وجود لمدن قذفتها القنابل، وكلما توقفت الحافلة في محطة ما احيطت بالجموع الغفيرة التي انتظرت قدوم ذويها تستقبلهم بالصيحات العالية والفرحة العارمة، في حين فتح أسكيلد النافذة - وقد التفت الضمادات والشاش حول ساقه اليسرى- ليأخذ وردة من فتاة صغيرة أصرت على تقبيله بوجنته هامسة ممسكة بيده قائلة: هذه القبلية مني لجميع أبطالنا.

لم تكمل الفتاة عبارتها حتى دفعها ثلاثة شبان جانباً يريدون إشباع فضولهم في معرفة الكثير عما دار هناك وأخذوا يمشون أسكيلد بوابل من الأسئلة:



كيف جرت الأمور هناك؟ أيّ تهمة زجت بك إلى السجن؟ .

نجح جدي لأبي في البقاء على قيد الحياة بفضل مهمة الإنقاذ التي قامت بها حركة كونت فولك بيرنادوت، فقد نجا أسكيلد بأعجوبة من الموت الذي فاحت رائحته خلال الأيام الأخيرة من الحرب، فهو الآن يبحر عبر مياه أورساند الصافية الزرقاء، بدا المنظر الطبيعي الريفي السويسري مألوفاً لديه، لكن لا تزال هناك أسابيع عديدة على انتهاء الحرب، وقد حظي أسكيلد بمأوى في راملوسا حيث تمكن من العناية بساقه المصابة، وأن يتغذى جيداً أكثر مما كان عليه الحال في السجن حيث يعاني جميع المساجين من سوء التغذية.

كان ينبغي لأسكيلد أن يشعر بالراحة، لكنه لم يذق طعمها قط، بل بدأت تراوده أحلام عديدة قُضت مضجعه، وتدمر أي أمل له في الحصول على قسط ولو قليل من الراحة.

بدأت تراوده أحلام أذاقته العذاب طيلة حياته، فقد راوده حلم عن هيرمان هيمنينج الذي هرب معه من ساتشينهاوسن وفرّ في الاتجاه المقابل للطريق الذي سلكه أسكيلد، وكان وجه هيرمان المروع فقط هوما راود أسكيلد في أحلامه ولم يكن إلا كابوساً فظيماً، لم ير فيه أي مشهد من محاولة هروبهم، ولم ير فيه كلاب الصيد التي ركضت مسرعة في الصباح الباكر نحو الشجرة التي تسلكها أسكيلد بعد فراره عبر سهول ألمانيا الشرقية، ولا رجلي الشرطة اللذين سارا ببطء عبر السهول في حين لم يجد السجين الهارب أمامه سبيلاً ولا طاقة كافية للهرب والابتعاد أكثر من ذلك.

أحد الشرطين اللذين جابا السهول بحثاً عن السجين الهارب يدعى (أس أس روتنفاهرار ميار) ، والآخر كان جندياً خاصاً لم يعرفه أسكيلد من قبل، كما لم يجول بحلمه.. أوبالآخرى بكابوسه «ذلك الكلب الذي غرس فكه بكاحله»، ولا تلك الضربات التي تلقاها من أعقاب البندقية والتي عانى منها كثيراً حينما كان الشرطيان يدفعا له للسير وإسراع الخطى على التلال الثلجية الصغيرة بالسهل، حيث واصل السير حتى صعد إلى منحدر صغير ووجد رجلين في



انتظاره أحدهما كان جاثياً بركبتيه على الثلج يرتعش من شدة البرودة مثله تماماً، والآخر جندياً غير مألوف لديه يقف وقد صوب سلاحه نحو رأس الرجل الجاثي على الثلج، وسرعان ما اعتزت أسكيلد دهشة شديدة حينما اكتشف أن الرجل الراكع على ركبتيه هو هيرمان، لم تأت دهشته من فراغ فقد اعتقد بل كان يسيطر عليه يقين شديد بأن هيرمان قد تمكن من الهرب بنجاح بعدما اختارت كلاب الصيد أن تقتفي أثر أسكيلد فحسب.

قال ميار في استهزاء وسخرية: لنر من منهما لديه الرغبة أكثر في الحياة؟ لكنى في حيرة من أمري.. هل نقيم مباراة سريعة فيما بينهما أم نقلهما فحسب؟ تلك كانت قصة مريضة بشعة، لم يخبرنا أسكيلد أبداً بتفاصيلها حتى حينما كان يأتينا سكيراً.

أعتقد أن إصرار أسكيلد على الرفض قد هما بداخله وتساعد شيئاً فشيئاً، لكنه لم يكن يملك الشجاعة الكافية للتفوه بكلمة «لا» في وجه ميار وهو من كان يصوب سلاحه باتجاه السجينين الذي يلمع بفعل انعكاس الضوء الخافت القاتم لذلك الصباح الحزين. حينما كان السجينان يحذقان في بعضهما البعض: هيرمان هيمينينج من فرّ في اتجاه وأسكيلد من هرب في الاتجاه الآخر بعدما ابتعدا لمسافة كبيرة من المخيم الذي هرب كلاهما منه وكانت آخر عبارة قالها أحدهما للآخر قبل أن يتفرقا: حظ سعيد يا صديقي.. لم يتخيلا قط أنهما سرعان ما سيجتمعان مجدداً.. وها هما الآن قد التقيا وقد ظنا ألا تلاقيا.. يقفان وجهاً لوجه.. منكسرين.. مرتجفين من شدة البرودة.. على أتم استعداد للقتال من أجل حياتهما في مسرح السيد ميار.

صاح ميار: لبيد القتال.

فصاح مساعده الذي كان متلهفاً للحصول على أجر ليلة كاملة من العمل المظني: لوس إيهر سكوينهانند.

كان أسكيلد وهيرمان يقفان على سهل ألمانيا الشرقية -لوهلة- تمكن كل منهما من تقييم منافسه غير المتوقع ولم يتخيلا قط أن يأتي يوم يقفان فيه خصمين



مقتاتلين، جال بخاطر أسكيلد أن يصيح معترضاً في وجه أس أس روتنفاهرار ميار، لكنه تراجع عن قراره وفكر في بديل أفضل.. صاح أسكيلد: «لا!» في وجه رفيق محبسه من باراكس (٢٤) هيرمان هيمينينج وهو الذي كان له الفضل الكبير في مضي أعوام سجنه سريعاً، وفي إدخال شعور بالدفع في تلك النفس الرقيقة في الليالي الباردة بنكاته الساخرة الجميلة تارة، وقصصه المشرقة عن نشأته في أوسلو في جوار ينتمي سكانه إلى الطبقة العاملة تارة أخرى.

رفض هيرمان بدوره نزال صديقه في خوف وذعر شديدين، ولقد أثر الموت قبل أن يوسع رفيقه ضرباً، همس هيرمان لأسكيلد: لا.. لا.. لكن طلاقات الرصاص انطلقت مدوية فوق رأسيهما منذرة بموت محقق.

تقدم هيرمان بتردد من أسكيلد الذي أعد نفسه للقتال رغماً عنه، وعاجله هيرمان بلكمة قوية لكنه استطاع أن يتلافها على الفور وسدد ضربة قوية لهيرمان في كبده، ثم انقض عليه كالكلب المسعور.

تلك اللحظة هي التي يعود فيها أسكيلد إلى رشده ويتوقف عن التصرف بجنون.

كان دائماً يهرب من الكلاب البوليسية حتى انكشف أمره الآن لنجد فيه وجه كلب مسعور.

بعدما انتقل أسكيلد إلى راملوسا اقترحت عليه الممرضة أن يكتب خطاباً لأسرته، وافق أسكيلد على ذلك وهو شارد الذهن.. أمسك بورقة وقلم دون أن يدري ما يجب عليه كتابته لبيورك أولامه راندي وأولبيه نيلز.

بعدما انتهى أسكيلد من كتابة خطابه أعطاه للممرضة في الحال، ولم يكن الخطاب يتعلق بأسرته في النرويج بل بوالدة بورك فيس في أولدنبرج، طلب من الممرضة أن ترسله على الفور، لكنها نظرت إليه متشككة في سلوكه

متسائلة: ألسنت من بيرجين عندما كنت في السجن على كل حال؟

همس أسكيلد: بلا تهمة تذكر.. لكن يمكنك القول بسبب صاحبة حزمة العصي.



تساءلت الممرضة في دهشة: حزمة العصي !؟.

تنهد مجيباً: نعم.

وفي الأسبوع التالي كتب أسكيلد خطاباً آخر كان هذه المرة لزوجته هيرمان هيممينج في أوصل، لكنه لم يرسل أبداً..! كشأن الخطاب المرسل لأولدنبرج. ثم حانت لحظة الإفراج، وعاد الملك (حاقون السابع) والحكومة النرويجية من المنفى بانجلترا، لكن ظلت عائلة أسكيلد لا تسمع عنه شيئاً حتى على الرغم من الحاح بابا نيلز على السلطات في السؤال عنه، ومع جهود بيورك المضنية في كتابة الخطابات لكل من يجول بخاطرها، قال دكتور ثور: ربما يكون قد لقي حتفه في مكان ما هناك، لكن بيورك وزوجته زجرتاه ألا يتفوه بذلك الكلام.

سأل أبلهيد، جدته (وهو ابن أخت أسكيلد الصغير) ألن يعود أبداً إلى المنزل؟ فأجابه ماما راندي أن الرب وحده يعلم ذلك، استطرد أبلهيد متسائلاً: لكن هل صحيح أنه يعمل نجاراً؟ لم يكن يعرف أبلهيد من هو والده، فقد عاش مع جده وجدته لأسباب يجهلها حينما كانت تعيش والدته إنجريد في شقة ذات غرفة واحدة بالبلدة، فأردف الصبي قائلاً: يقال أنه يعمل نجاراً لأنه انهال على رأس رجل ألماني بعضا غليظة.

تساءلت ماما راندي في دهشة: نجار؟! ما هذا الهراء الذي تتفوه به؟ صاحت الممرضة في راملوسا وهي تنحني على جدي فاتر الهمة قائلة: أسكيلد.. انهض واكتب خطاباً، عد إلى أسرّتك فلا يمكنك أن تقضي بقية حياتك هنا. فكر أسكيلد في نفسه ملياً وهو يحدّق بها قبل أن يدير لها ظهره وينطوي على نفسه مجدداً: لما لا؟.

لعامين ماضيين، شغلت صورة بيورك تفكير أسكيلد وهي متدثرة ببطانية وردية اللون جالسة تحت أشجار القضبان في كالفارفين.. تلك الصورة الجميلة التي جعلته يتمسك بالحياة من أجله كانت له دافعاً لهزيمة هيرمان هيممينج المرتعد وقتاله بضراوة على سهول ألمانيا الشرقية وإرغامه على الخروج من



البقعة التي كان بها.

لكنه الآن حينما وافته الفرصة للعودة إلى وطنه كرجل حر رفضها ببساطة  
وقرر ألا يترك راملوسا أبداً.

بدت له فجأة صورة بيورك في أليكة أشجار القضبان الرائعة وكأنها حياة  
مختلفة تماماً عما يعيشها الآن وكان فيها أسكيلد شاباً.. ساذجاً.. مفعماً  
بالحيوية والنشاط.. فتى يعيش على أمل تحقيق أحلامه الشبابية الطموحة  
كأحلام تاجر في الثراء السريع، ومن يبحر متلهفاً في أعالي البحار طامحاً في  
تحقيق رغبة دفينه تدفعه نحو المخاطرة والمغامرة لبناء مستقبله المترف، لكن  
الآن عزم أسكيلد حقاً على البقاء في السويد، وقرر أن يبدأ حياته من جديد  
في بلد لا يعرفه فيها أحد.

في يوم ما حين لم يقم هيرمان هيمينينج المرتعد بتقييد أسكيلد في فراشه سوف  
يتساءل عن إمكانية بقاءه في البلاد، فأجابه رئيس الأطباء أن ذلك في الإمكان.  
في الأسبوع التالي أخذ أسكيلد عنواناً في جوثنبرج حيث يعيش صهر الطبيب  
وهو من يمكنه مساعدة أسكيلد.

في صباح اليوم التالي جلس أسكيلد على حافة فراشه لمدة نصف ساعة كامل،  
أخذ يتساءل في حيرة من أمره وارتيابك شديد: هل عليّ العودة؟ أم لا؟ أعود؟  
أم لا؟

ثم عاد إلى وطنه بيرجين.



## النجار

بدت كالفارفين كسابق عهدها لم يتغير بها شيء، لكن حتى في محطة  
القطار كان الجميع يرمقون أسكيلد بنظرات غريبة، وحينما عرّج ليسير بممر  
الحديقة متكئاً على عصاه وقرع باب المنزل الذي طرده بابا ثورستن منه منذ  
أعوام مضت، لم تبد الأمور أفضل مما كانت عليه بل بدت أسوأ بكثير.

ما إن فتحت له السيدة الباب ولمحت أسكيلد هزيل الجسم.. عظامه بارزة  
من جسده حتى علت ملامحها علامات الدهشة والتعجب متسائلة: أهذا  
أنت؟ أنت النجار!

أجابها أسكيلد: «من لا يتذكر أنه رأى تلك السيدة من قبل: أنا مهندس يا  
سيدتي، أود أن أتحدث إلى بيورك سفنسون من فضلك.

استطردت السيدة محدّقة بأسكيلد في إعجاب قائلة: حسناً، لا أسمح أبداً  
بذلك.. من المؤكد أنك عاجلت ذلك الكلب الألماني بضربة قوية.

لم يكن أسكيلد يعلم حينها أنه قد أطلق عليه لقب النجار في غيابه بعدما  
نشرت مقالة في الجريدة عن الحدث المؤسف بالميناء.

همس أسكيلد: هيا لننتهي من هذا الحديث بتلك الترهات ولنتخلص من  
هذا اللغظ في الحال.. هل هي بالمنزل؟

تعجبت السيدة نافية ذلك: لا بحق المسيح!.. لا.. لقد أغرق الألمان سفنهم  
جميعاً وذلك قد أصاب السيد سفنسون بصدمة شديدة، ذلك الرجل  
المسكين.. إنهم يعيشون الآن في (سكيفياكن) كان يجب عليهم بيع..؟

لم يمهلهما لإتمام عبارتها، واستدار لمغادرة المكان قبل أن تردف السيدة قائلة:  
أخبرني فحسب.. كيف كان الأمر هناك؟

أجابها أسكيلد وهو يلقي نظرة حزينة على ممر الحديقة حيث كان يقف  
كل خميس في انتظار بيورك: «جسيم على الأرض» بعدما قطع مسافة قصيرة  
في كالفارفين توقف رغماً عنه.. كان قلبه يختلج بعنف.. تتسابق دقاته



كخيول سباق تتنافس للوصول إلى خط النهاية، فقد جال بخاطره فجأةً حيال والده هل غرق بالسفينة هو الآخر؟ هل مات على خازوق بطوربيد ألماني في مكان ما بالبحر الترويجي؟ بدأ أسكيلد يسمع داخل أذنيه صفيراً مؤلماً بفعل التوتر والقلق الشديدين قبل أن يقرر الذهاب إلى سكانسن أولاً ليرى أسرته، لكنه عدل عن قراره بعد وهلة.. فقد عقد العزم على مواصلة سيره إلى (سكيفياكن) حيث يتخيل أسكيلد حبيبته بيورك وهي تجلس على كرسي هزاز في منزل خشبي قديم.. تحدّق في الفراغ.. تغشى وجهها نظرة حزينة عابسة، لكن في الحقيقة لم يكن ذلك كل ما تفعله فحسب.

صاح دكتور ثور وهو يسحب عملة فئة العشرة يورو من أذن بيورك قائلاً: بريستومرحا! ها هو المكان حيث تخبئ دعابتها المرحّة!

تعالّت ضحكات بيورك.. لم تعد لثتها تنزف بعدما تابعت ملاحظة إصابتها مع ثور الذي وثقت به ثقة عمياء، وكتب لها في الحال على مكملات فيتامينات تدوم على تناولها يومياً قبل أن تمسك بذراعه وتطلب منه أن يريها خدعة القبعة التي لم يكن من السهل عليه القيام بها في الردهة.

كان بابا ثورستن مستغرقاً في نومه على فراش المريض، بينما ماما إيلين قد ذهبت إلى البلدة، وأختها لينا لم تحضر لزيارتهم، وبعد انتهاء الحرب وجد أخوها إيليف وظيفة في مؤسسة لنشر الخشب في بوركيرسيو، لذا فقد سافر إلى نوردلاند.

قال لها ثور: «هذه الخدعة تحتاج إلى قليل من التحضير» ما إن أتم عبارته حتى انسل إلى المدخل للحصول على قبعة بينما كان أسكيلد ساخطاً لاهثاً متأففاً كرجل عجوز في طريقه إلى سكيفياكن.

صاح ثور ضاحكاً: «هابرا كادا برا» ثم سحب من القبعة الطويلة زوج من المناديل بيضاء اللون وقد ظنّتهما بيورك جزءاً من الفراغ أو من حاشية القبعة المقلقلة، فسألها الساحر: «ما رأيك في ذلك؟.. إن خدعة القبعة معروفة في الحانات.



واستمر في عرض سحره قائلاً: «تري أين كانت زوجتك مساء أمس؟ ثم سحب المناديل من القبة متعجباً» وقال: «مع المدير!»

ضحكت بيورك بصوت مرتفع للغاية حتى أنها لم تسمع الطريقة الخفيفة على الباب، صاحت بيورك قائلة: «افعلها مجدداً» فقال دكتور ثور وهو يركع أمام بيورك محرّكاً يده ليصنع دوائر في الهواء «هوكاس بْكاس».

صاح صبي صغير قائلاً لأسكيلد الذي ضاق ذرعاً بطرقه للباب دون فائدة: «الكثير يدخلون ذلك المنزل» ما إن ألقى ذلك الصبي تلك العبارة على مسامعه حتى فتح أسكيلد الباب على الفور ثم تسلل إلى الرواق.. كان يشعر بالبرودة تتسلل لتتمكن من جسده الهزيل، ولم يستطع سماع شيئاً بسبب علة أذنه، ثم خطا خلصة داخل الردهة في حين كان دكتور ثور يسحب المناديل البيضاء من القبة مجدداً ويحركهما أمام أنف بيورك.. لكن.. وسط ذهول ودهشة ثور، بدلاً من أن تنفجر بيورك ضاحكة كعادتها كلما قام ثور بخدعة أمامها، أطلقت صرخة مدوية وعلت وجهها علامات الخوف والفرع لرؤيتها أمامها.. أسكيلد فقد كان نحيلاً للغاية حتى أنه بدا كصور الصحف عن يهود أوروبا التي رأتها في بيرجينز تيديند.

صاح ثور في حيرة وارتباك شديد في اللحظة التي وضع المناديل القطنية البيضاء في جيبه: «ما الأمر بحق الجحيم؟».

توقفت بيورك عن الصرخ، وخيم صمت رهيب على المنزل الجديد في سكييفياكن قبل أن يستدير أسكيلد متجهاً نحو المدخل ليبرح المكان الذي لم يلبث أن وطأه بقدميه فهرع إلى الطريق كالمجنون عائداً إلى منزله في الحال لا يطبق سماع صوتها أماهى أخذت تركض خلفه، وحينما حاولت جذبه من ذراعه أشار إليها أسكيلد وهو يلوح بعصاه ساخراً منها ومما رآه أمام عينيه ولم يصدق.

لقد ضاق أسكيلد ذرعاً بما لاقاه حتى الآن، وعقد العزم على العودة إلى سكانسن بالرغم من أنه لم يذهب إلى هناك منذ سبعة أعوام مضت.



صاحت بيورك: «أسكيلد إلى أين أنت ذاهب؟» تابعته حتى مائتين متراً قبل أن تعود أدراجها إلى منزلها في سكيبياكين، حينما كان الفتى الصغير ينادي على أصحابه قائلاً: ها قد رحل النجار! إنه ذلك الرجل الذي أبرح ذلك الألماني ضرباً!

تمت بيورك متسائلة وهي تعود أدراجها إلى المنزل: ماذا أفعل؟ فأجابها ثور أنه يجب عليها الآن أن تختار.

تساءل ثور: إذًا، لماذا لا تختارني أنا؟ ثم أخذ يسب ويلعن في نفسه، فقد سئم من سحب الأرانب والمناديل من قبعته السوداء فقد أرهقته كثيراً تلك الخدع المختلفة التي عرضها أمام بيورك ليثبت لها أنه مهرج ماهر، لقد مرت اثني عشرة سنة منذ أن رأى بيورك لأول مرة في حفل عشاء بدعوة من مالك السفينة الأول قبل أن تؤول ملكيتها الآن لذلك المخبول ثورستن سفنسون الذي يسيل لعبه ويتساقط الشراب من فمه في الغرفة المجاورة.

لقد سمع بابا ثورستن كل شيء وعلم ما حدث، أراد أن يقول لبيورك: اختاري ثور.. اختاري ثور.. أراد بابا ثورستن أن يعبر عن العلاقة الحميمة تعبيراً جسدياً مثلما كان يعتاد التعبير عنها من قبل وهو بكامل صحته، لكنه اكتفى بهز جسده في الفراش بقوة، فلم يقو على النهوض أو ضرب المائدة بعنف عدة مرات مثلما كان يفعل من قبل.

توقف أسكيلد لوهلة أمام المبنى بسكانسن ونظر لأعلى نحو الشقة حيث تجلس والدته راندي مستغرقة في الحياكة بينما يجلس والده نيلز على الكرسي الهزاز وقد غلبه النعاس في حين تزايد عدد الصبية الذين التفوا حول أسكيلد يسألونه وهم يضربون بعضهم البعض على رؤوسهم بعصي مفصحين له عن سؤالهم: هل ضربته بقوة؟

أجابهم أسكيلد في لحظة جنون: نعم.. «ثم أرجح عصاه يميناً ويساراً ليضيف على حديثه بعض المرح واستطرد قائلاً: لقد عاجلته بضربة شديدة، فما إن أتم عبارته حتى هتف الصبية في بهجة: أحسنت.



لكن حينئذ جال بخاطر أسكيلد ذلك الروسي سيئ الحظ الذي أطلق عليه النار كالكلب كان ذلك الروسي في حقيقة الأمر هو من أبرح العسكري الألماني ضرباً في ساحة الخشب وليس أسكيلد كما يظن الجميع ، ما إن تذكر ذلك الروسي حتى صاح في وجه الصبية يوخزهم بعصاه قائلاً: اغربوا عن وجهي -عليكم اللعنة- وإلا سأوسعكم ضرباً وأشوه وجوهكم لدرجة لن تتمكن أمهاتكم بها من التعرف عليكم حينما تعودون إلى منازلكم.

صاح أحد الصبية: يا خبر! لقد غضب النجار!

فبدأ الجميع يصيحون: هيه.. هيه.. بعدما أغلق أسكيلد باب الحديث معهم وتمكن بصعوبة من اختراقهم والصعود إلى الطابق الثالث، في ذلك الحين ورد إلى مسامع ماما راندي صوت صياح الصبية متهللين من الشارع أسفل المبنى، فهيمت متسائلة: ترى ما سبب كل هذه الضجة بالشارع؟ فما إن اتجهت إلى الشرفة لاستطلاع الأمر حتى انفتح باب المنزل بضربة واحدة وأقبل عليها ابنها أسكيلد.

همست ماما راندي غير مصدقة ما تراه عينها: أسكيلد! فسقطت إبر الحياكة منها أرضاً من هول المفاجأة وفرط فرحتها برؤية ابنها بعد طول غياب دام أعواماً.

في حين استيقظ بابا نيلز من غفوته على كرسيه الهزاز وانتفض من كرسيه مسرعاً نحو ابنه في شوق ولهفة.

حينما حاول بابا نيلز أن يضم أسكيلد إليه ارتطمت رأسهما ببعضهما البعض، فلم يكن من المعتاد أن يضم فرد من أسرة إريكسون الآخر إليه.. واكتفى كل منهما بمداعبة لحيه الآخر بينما أخذ يردد بابا نيلز المتقاعد عبارات وكلمات غير مفهومة مخاطباً ابنه الذي لم يتحدث معه منذ أعوام مضت.

قال أسكيلد بفرحة عارمة وهو يلتقط عصاه من الأرض غير منتبه لسقوطها لسعادته برؤية والديه مجدداً: «لقد عدت الآن وسأظل هنا إلى الأبد».

ثم جلس في هدوء على الكرسي الهزاز واستطرد قائلاً: تبدو عليه علامات



التعب والإنهاك- : « لكن لا يسألني أحد أي سؤال».

قالت ماما راندي في لهفة: لا بالطبع، ثم أسرع نحو النافذة تنادي على الصبية بالشارع تطلب منهم أن يسرعوا إلى منزل السيدة إيسن ليخطرأوينجريد وأبلهيد بخبر عودة أسكيلد، وصاحت بعدما أدركت أنه قد جن جنونها، غير مصدقة لعودة ابنها لها بعد طول غياب: «لا يعود الابن لأمه من الموت كل يوم» فما إن أنهت عبارتها حتى ألقت نظرة أخرى على ابنها لتقر عينها برؤيته، ولتتأكد أن عينها لا تخدعها وأن ما تراه ليس بسر'بها هو ابنها الكبير ذو الثلاثين عاماً يجلس أمامها على الكرسي الهزاز كرجل عجوز يتكى على عصاه التي يسقط عليها ضوء الشمس الخافت يدفئ المكان في ساعات ما بعد الظهر فصاحت للصبية قائلة: نعم صحيح، إنه أمامي بالفعل!

لم يلبث الصبية أن أشاعوا الخبر في منزل إيسن حتى هرعتهوينجريد نحو الباب وعانقت أسكيلد في شوق ولهفة بينما وقف أبلهيد بالمدخل محدقاً في خاله من عاد إلى المنزل بعد سنين غياب تعلو وجهه علامات الإحباط وخيبة الأمل.

همس أبلهيد وهويلوم أمه: أهذا أسكيلد؟ لقد تخيلته أضخم من ذلك بكثير!



## التحول

بعد قليل، وفي ذات اليوم.. يوم عودة أسكيلد إلى وطنه.. وعلى الجانب الآخر دخلت نيويورك الشقة في سكانسن لم تتبادل مع جدي سوى ثلاث عبارات ذات معنى.

قالت بيورك وهي تمسك بذراع أسكيلد «حسناً» لقد رحل الآن بلا رجعة.

سألها أسكيلد متظاهراً بأنه لا يعلم عنن تتحدث: من؟

أجابته بيورك: دكتور ثور، كانت خدعه كلها سخيفة.

بهذه الكلمات، يمكنني القول أن ثور جنارسون، الملقب أيضاً بالداهمري لسحره المميز، قد اختفى تماماً من قصة عائلتي.. لقد قضى أحد عشر عاماً يخرج عملات من أذني بيورك الساحرة.. أحد عشر عاماً يخرج أرانب ومناديل من قبعته السوداء.. حتى وإن كان يحلم بمتعة أكثر من ذلك.. لكنها إرادة القدر ألا يحظى بمساحة في قلب بيورك كحبيبها أسكيلد.. فقد كان ثور يفتقر ما يتمتع به أسكيلد من نوع خاص من السحر الذي يعطي مساحة للآخرين للتعبير عن أحلامهم بحرية.. في حين كان أسكيلد يتمتع بشذا الإحساس المرهف وعبير الرومانسية التي تبدلت رائحته فيما بعد برائحة الكحول والمرارة اللاذعة.

لم تدرك بيورك أبداً تلك السمات التي تميز بها أسكيلد حينما كانت تجلس في الردهة في سكانسن محدقة في جسد أسكيلد الهزيل كانت متلهفة لإخباره أنها قد ذهبت إلى أوسلو لزيارته في السجن.

فقاطعها أسكيلد قائلاً: «دعينا لا نتحدث عن ذلك بعد الآن» بعدما تلفظ أسكيلد بتلك العبارة المقتضبة غلف المكان صمت رهيب.. استغله أبليهيد لصالحه وقد تمكن من التغلب على شعوره بالإحباط وخيبة الأمل برؤيته أسكيلد هزيل الجسم عكس ما كان يتوقع تماماً، فطرح سؤالاً عفويًا.. قال: إذًا، هل رأيته؟ رأيت هتله.. أليس كذلك؟



تعجب بابا نيلز وصاح قائلاً: نيلز! فنظر أبلهيد على الفور-خائفاً- إلى جده ذي الشعر الأبيض واليدين الكبيرتين.

تتابعت لوهلة عبارات التهديد والوعيد في المنزل كالصفعة على وجه الفتى الصغير.. قبل أن يتدخل أسكيلد قائلاً: لا.. لكنني رأيت كلاب صيده يا صغيري نيلز.. أنا متأكد تماماً أنها كلابه.. لا شك في ذلك.

نظر أبلهيد بإعجاب إلى خاله فهو كان يتخيل عنه أموراً كثيرة.. ثم أدركت بقية العائلة أن أبلهيد أصبح الوحيد الذي يمكن لأسكيلد الوثوق فيه واثمأنه على أسراره.. ولسان حاله يأمر الجميع قائلاً: كفوا عن إزعاجي ومضايقتي، حتى توقفت عائلته أخيراً عن سؤاله عن أي شيء، لكنهم بدأوا في الزج بأبلهيد ليلح عليه بالأسئلة التي تجول بخواطرهم.

همست السيدة في المطبخ قائلة: اذهب واسأل أسكيلد إن كان قد قضى كل ذلك الوقت في سائستهاوزن ، واسأله لماذا استغرق الأمر وقتاً طويلاً قبل أن يعود أدراجه إلى منزله.

سار أبلهيد إلى الردهة ليسأل خاله ثم عاد إلى المطبخ ليخبرهم أن أسكيلد قال له أنه قد ذاق الذل والهوان كثيراً، وأنه قد عانى الأمرين، وأنه قدم سم الفئران لكلاب صيد هتلر لكن الكلاب لم يعجبها السم قدر ما أعجبها الخال أسكيلد.

فأردفت ماما راندي قائلة: «بحق السيدة العذراء!» بعدما اعتقل أسكيلد أصبحت والدته تتردد كثيراً على الكنيسة المجاورة وتذهب إليها كل أربعاء لتشارك في ترتيل الإنجيل في حلقة السيدات حيث كن يذهبن بعد ذهاب أزواجهن إلى عملهم في البحر تلك الحلقة التي كان يديرها بحزم(دين إينجمان) والتي كان لها أبلغ الأثر في نفس ماما راندي مما دفعها كل وهلة لمخاطبتها للعذراء مريم قبل أن تصبح عاداتها الجديدة، ولم تكن ماما راندي كاثوليكية، فقد أساءت فهم ذلك التعبير فحسب.

سمعوا صوتاً يصيح في الردهة قائلاً: ماذا يجري هناك؟ ألا يمكن لأحد أن ينال



قسطاً من الراحة في ذلك المنزل؟ أحاول أن أخلد إلى النوم! أسرعَت ماما راندي إلى الردهة لتغطي ابنها ببطانية حتى يتمكن من أن ينال قسطاً من النوم وقت القيلولة ، همست لأسكيلد: «نحن أسفون يا عزيزي أسكيلد، وفجأة وجدت نفسها تغني له الأغاني التي اعتادت غنائها قبل النوم حينما كان طفلاً صغيراً».

لو لم يكن أبلهيد متأكداً تماماً أن الناضجين من الرجال لا يكون لأقسم أنه رأى خاله بيكي أمامهم جميعاً كالطفل الصغير وهو يجلس على الكرسي الهزاز في حين كانت ماما راندي تغني له أغاني الطفولة قبل النوم، بينما تقف بيورك أمامه محدقة فيه.. شاردة الذهن.. فلم تثمر عودة أسكيلد إلى منزله في تحقيق أحلامها حيث تخيلته يعود إليها بشكل مختلف تماماً عما تراه عيناها ولا يصدقه عقلها الآن، حتى علاقتهما الحميمة لم تسلم من التغيير بعد عودته، فلم تكن على طبيعتها كذلك التي اعتادت عليها قبل اعتقاله.. حينما قضيا ليلتين في غرفة نوم والديه بينما رقد بابا نيلز وماما راندي في غرفة الضيوف، لم تشعر بيورك قط أن ذلك الذي يرقد بجوارها هو أسكيلد وهو من كانت تنتظر عودته بفارغ الصبر.

لقد ساءت الأمور كثيراً على أسكيلد خلال الشهور الأولى القليلة التي قضاهـا في بلاده.. غالباً كان أسكيلد ينتظر أن يتعافى ويسترد حيويته قبل أن يتزوجا بالفعل.. كان ينتظر أن يكسو جسمه القليل من اللحم لكي يبدو بشكل أفضل في صورة الزفاف.. في حين كانت تشعر بيورك أن شيئاً حيوياً ينقصها.

حينما رقد أسكيلد وبيورك معاً أول ليلة، طلبت منه بيورك ألا يمارس الحب معها حتى يبارك القس زواجهما، فأوماً أسكيلد موافقاً.. كثيراً.. شارد الذهن.. قبل أن يستلقي في فراشه ويغط في نوم عميق دون أن يبادر حتى في مداعبتها كعادته دوماً قبل التحول الذي طرأ على شخصيته وتصرفاته وأفعاله.. لكن لم يكن ذلك الموقف هو أسوأ ما في الأمر.

الأسوأ أنه رفض أن يخبرها بما مرّ به في الأعوام التي قضاهـا في ألمانيا مما



اضطربها أن تعتمد على تقارير أبلهيد ذلك الصبي ذي الستة أعوام بالرغم من أنها غير مترابطة إلا إنها حاولت جاهدة الربط بينها بقدر ما استطاعت. في حين كان هناك الكثير من الأمور التي تريد بيورك مناقشتها مع أسكيلد ويشمل ذلك على سبيل المثال حقيقة أنها علمت كل شيء عن أنشطته الخاصة بالتهريب. وأخفت المال بالمنزل في صندوق أسفل السرير، وقد حاولت مراراً في كثير من المناسبات أن تبوح لأسكيلد بما تكتتم، وأن تظهر له ما تخفيه عنه، لكن لم تجد مبادرتها نفعاً.

لم يشأ أسكيلد أن يتذكر ذكرياته السابقة كمهرب كبير، لقد قرر أن يبدأ من جديد، يخطو خطوات ثابتة نحو مستقبل أفضل تاركاً خلفه الماضي بما فيه من أتراح ومآسي على الرغم من خوفه أن ينسى ضمن ما ينسى.. أشواقه ومشاعر الحب الجارف لبيورك وهى من يتوق لمبادلتها الحب حينما كانت جالسة هناك ملتفة في بطانية وردية اللون تحت أشجار القضبان في كاليفارفين.

بعدما عاد أسكيلد إلى المنزل بأسابيع جالت بخاطره في كثير من الأحيان فكرة أن يتك الشقة في سكانسن، لكن كلما راودته تلك الفكرة اصطدم بالتحول الغريب الغامض الذي حدث لشخصيته منذ أن عاد إلى بلاده في حين يحتشد الصغار من حوله في فرحة عارمة وكأنه بطل عاد منتصراً إلى أرض الوطن.

يصيح الصبية: ها هو قد عاد النجار أرنا كيف أبرحت ذلك الكلب الألماني ضرباً أرنا بعصاك.

لقد انتشرت الشائعات حول أسكيلد إريكسون، ذلك المهرب المجرم كالنار في الهشيم. لقد حظي جدي بكثير من نظرات الإعجاب والحب وكأنه البطل المغوار، فكلما سار في طريق ما في بيرجين، كان يقابل تلك الوجوه المنبهة شديدة الإعجاب بتبسم له، وتومئ إليه في فخر.. تحييه كمحارب حرر بلاده من الاستعمار.

أصوات المارة تتردد في أذنيه: «طاب صباحك يا سيدي.. مرحباً بعودتك إلى بلادك» لم يلبث غير شهور قليلة قضاها في بيرجين قبل أن يقرع بابه في



سكانسن ثلاثة خفراء ودودين أرادوا مكافأة والدي، والذي لا يدري ما يحدث حوله، فقد تسلم منهم-فاغراً فاه وتعثره علامات الدهشة والتعجب- رباط ذراع ميلورج وهو وسام الفخر والتميز المعروف بين محاربي المقاومة فهم يقدمونها عرفاناً بشخصيته البطولية القيادية وشجاعته المتناهية.

بينما ظل حراس السجن طوال شهور الصيف ينتصتون على أخبار أسكيلد، ويكيلون لبيورك الاتهامات، ينهالون عليها ضرباً، لكن لم يعد في قوس الصبر منزع.

لم يتحمل أسكيلد وبيورك الانتظار أكثر من ذلك: دقت أجراس العرس في بيرجين تتردد صداها في المناطق المحيطة بها.. أذن لأبلهيد أن يكون إشبين أسكيلد، بينما رافق إيليف أخته بيورك وهي تنزل من جناح العرس بالكنيسة. فهو ذلك الرجل الذي قطع مسافات طويلة من بوركيرسيو للعودة إلى وطنه ومشاركة أخته فرحتها بعرسها المنتظر.

ها هو ذا يسير مع أخته على ممشى قاعة الكنيسة يغمز لصديقه القديم ورفيق كأسه أسكيلد الذي بدا متعافياً تماماً.. وقد كُسيته عظامه لحماً أخيراً ليبدو بشكل أفضل في صورة الزفاف.

حينما سمع بابا ثورستن أجراس الكنيسة نهض من فراشه وترنح ببطء حتى خرج من المنزل إلى الطريق، حيث شعر باختناق في التنفس قبل أن يسنده العامة حتى ينضم لاحقاً إلى موكب العرس، لكن العريس نفسه قام بحمل الرجل العجوز إلى فراشه مجدداً.

لم يشأ أسكيلد أن يسترجع الماضي بعدما عزم على محوه تماماً من ذاكرته ولم يرغب في الشعور بأي أحاسيس مريضة بعد وقته هذا.

ابتسمت بيورك وهي تنظر إلى عريسها تشعر بالدفء والطمأنينة وقد سريا في جسدها بفعل حرارة إيماءاته الجذابة، ثم سار موكب الزفاف في طريقه إلى سكانسن. تتعالى أصوات الموسيقى والغناء والرقص في حين كانت ألمانيا بعيدة كل البعد عن الأنظار وعن مخيلة أسكيلد المسكين الذي لم يعد يطبق



تذكر ما حدث له هناك.

يا لها من بداية رائعة لحياة جديدة، لكن لم يشأ القدر لأسكيلد أن ينعم بها تماماً، كانت صورة بورك فيس الملهشم وهيرمان هيمينينج المرتعد تقض مضجعه وتؤرقه في نومه كل ليلة على مدار الأعوام العديدة التالية، فقد كان ينتفض من نومه في الرابعة صباحاً على أصوات عواء كلاب الصيد. أصبح جدي بذلك يتمتع بشخصية حاسمة في قراراتها كشخصية (أس أس روتنفاهرار ميار) الذي كان يصيح محفزاً على استمرار تعذيب السجناء «استمر في عملك» ويصيح الشرطي الخاص مردفاً: انطلق لوس إيهار كسونهانددلوس إيهار كسونهاندد.

فينتفض أسكيلد من نومه مذعوراً على تلك الصيحات الفظيعة. يتناول فطوره في منتصف الليل في حين تن وتتمتم بيورك أثناء نومها قائلة: «عد إلى فراشك يا أسكيلد» ولسان حالها يفصح عنها قائلاً: «عد إلى هنا.. مارس الحب معي.. كن لي زوجاً سوياً...!». بالطبع كان لكل ما يراود أسكيلد في أحلامه أبلغ الأثر على حياته الزوجية فقد كان يفرض قيوده على العلاقة الحميمة بينه وبين بيورك. غامان في المخيم العام بألمانيا قد مرا في حين بقي الحال كما هو عليه، فلا زالت الصور المربعة تطارد أسكيلد في أحلامه وتمنعه من الشعور بلذة القرب من حبيبته بيورك.



## مولود جديد في مرحاض قديم

كانت الظلمة تغلف المكان حينما توقف القطار الذي ركبته إلى بلدي، وسرعان ما قفزت في حافلة المدينة ولم يستغرق الأمر طويلاً حتى فاجأت أختي ستينا وهي تلقى بالقمامة خارج المنزل. قالت لي مبتسمة: «أن تتأخر خيراً من ألا تأتي أبداً».

مرّ عامان منذ أن رأيته آخر مرة، فلم تتغير كثيراً ولا زالت تتمتع بإطلالة عروس البحر كسابق عهدها، فما إن قذفت بكيس القمامة في صندوقها حتى أسرعته نحوي لتقبّلني، وقفنا أمام المنزل لوهلة في الظلام متقاربين من بعضنا البعض بعد طول غياب، ثم جذبتني إلى الداخل إلى غرفة الإستقبال حيث يجلس الببغاء (كاي) على مجتمه يضرب بجناحيه الهواء في عصبية قبل أن يثرثر بصوت غير مفهوم قائلاً: من هناك؟ بعد ثوان معدودة، دخل طفلاً ستينا مسرعين ممسكين بأنف مستعار ما أشاع الفوضى والشجار فيما بينهما. صاحت ستينا: كفى! ضعا تلك الأنف جانباً ورجبا بخالكما.

سأل الطفل الكبير ناظراً إليه في فضول: هل أنت من تخاف رؤوس الكلاب؟ صحت له أمه ستينا العبارة مبتسمة في حرج شديد: كان يخاف لم يعد خائفاً من رؤوس الكلاب إنه رجل ناضج الآن.. أليس كذلك؟ لم أعلم تحديداً ما يجب عليّ قوله معقباً على ذلك الكلام، لكنني أحببت استخدام الطفل لصيغة الجمع «رؤوس الكلاب» فهي تبدو كلمة عفوية جميلة، لكن في حقيقة الأمر كانت هناك رأس كلب واحدة وهي ما ظللت أفكر فيها فيما بعد.

سألت الطفلين: هل يمكنني أن أرى تلك الأنف؟ فوجدت نفسي أمسك بأنف بلاستيكية ناعمة تبدو كأنف حقيقية تماماً: «إنها مخيفة حقاً».

سألت ستينا وأنا أكيل الأنف بيدي: ألا يستخدمها الآن؟



أجابتنني «لا» إنه يفرط في التدخين فتصير صفراء اللون، ثم وضعت الأنف المستعار جانباً على منضدة قريبة.

لا زال جسر في عمله.. حينما جلسنا فيما بعد في غرفة الجلوس لشرب كأس من الخمر لمحت لوحة من لوحات جدي أسكيلد القديمة معلقة خلف باب في مكان بعيد عن الرؤيا، كانت تلك هي اللوحة التي كانت معلقة يوماً ما في منزل طفولتنا، لقد علقها والدي كي يتحاشى وقوع المشاكل مع جدي، وها هي الآن تعد الوحيدة التي بقيت من جميع لوحاته الزيتية.

تصور اللوحة وجه إنسان على طريقة أسكيلد التكعيبية المقتبسة.. وهي الطريقة التي لاحظ جدي أن كبار الرسامين أمثال بيكاسو وبراه ووسيزان كانوا يرسمون بها أعمالهم في أواخر الأربعينيات، كان جدي أسكيلد مغرمًا بلوحات بيكاسو (أمبرواز فولار) التي تذكره بنفسه، ولوحة (الكمان) التي تذكره بالصفير الشديد في أذنه اليسري، ولوحة (باذر والقارب للعبة) وهي توضح صورة كاتارينا وسط ضباب الصباح.

هذا ما أخبرني به جدي قبل سفري إلى أمستردام حينما كنت أعود من سفري، كنت أذهب لتناول قداً من القهوة مع جدي، في حين أستعير بعض كتب الفنون لقراءتها في منزلي، أومئلاً كان جدي يقول عادة: لقد مررت به لأستعير كتبه.

وربما كان محقاً فلم أكن أذهب لرؤية جدي وجدي مراراً لولم يكن ذلك من أجل استعارة كتب الفنون الخاصة بجدي، والتي وجدتها مذهلة حقاً.

كان هناك ثمة شعور مؤلم مرتبطاً بتلك الزيارات، فحينما كنت أزورها لم أكن أحب أبداً النظر إلى صور والدي المعلقة على الحائط، كما أنني لم أكن سعيداً قط بوجود تلك السيدة العمياء الصماء العجوز في الغرفة التي كانت لعمتي آن كاترين السمينية من قبل، لم تكن ماما راندي والدة أسكيلد تفعل شيئاً سوى الجلوس هناك مع كنوزها القليلة من الزمن الماضي.

ذلك الكتاب الأسود اللون والذي يحوى تفاصيل جميع المشاغبات والمغامرات



التي قام بها جدي أسكيلد في صغره وصور العائلة على الحائط.

لم يكن يضايقني وجود ماما راندي غير المعتاد في المنزل فهي قد تجاوزت المئة عام بكثير، لكن ما ضايقني حقاً أكثر من ذلك هو غياب عمتي السمينة وشعوري بالذنب أنها باتت ذكرى تثار في عقلي، بل الأسوأ هوشعوري بالشك الذي ظل ينهش عقلي دون رحمة: «هل علموا أنني قتلت آن كاترين؟».

أخبرت ستينا عن تلك الزيارات لكنها لم تكثرث لذلك أبداً، وقالت لي مبتسمة: «الأجدر بك أن تحدثني عن أمستردام فلم أعرف أي شيء عن أي شيء»..

نظرت إلى نظرات تحثني بها على الحديث.. لكنني لم أرد الحديث عن أمستردام، بدلاً من ذلك ذهبت لأخلع اللوحة من على الحائط، أعتقد أن ستينا تتوقع مني الآن محاضرة مطولة عن الفن التكعبي لكنني لن ألقى ذلك النوع من المحاضرات بعد الآن.

أعتقد أن التفكير في التكعبية لم يكن يشغل مساحة كبيرة من تفكير جدي أسكيلد على الرغم من أنه هو الذي اكتشف روح الفن التكعبي بداخله.. ربما كانت روح التكعبية موجودة دائماً بعقله وربما أثارها بقاؤه في ألمانيا.

أسكيلد قام بالرسم بنفس الدوافع تقريباً في أغلب سني حياته أناساً وأشكالاً بطريقة غير تكاملية حتى عام (١٩٩٥) حينما أصيب بسرطان المعدة وأحرق تقريباً جميع لوحاته.

بعد ذلك، غيّر أسلوب وطريقة رسمه، وبدأ يرسم المناظر الطبيعية في النهاية.

حدث أن طرأت تغيرات جديدة وفقاً لمتغيرات داخلية في نفس جدي، في نفس الوقت الذي بدأ يضع فيه نفس الخطوط واللمسات على لوحاته، حيث بدأت تراوده نفس الفكرة حينما كان يرسم على قماشاته مراراً وتكراراً.

وخلال هذه الفترة لم يحظ زواجه من جدي بيورك بقدر كبير من النجاح، فلم يقتربا حقاً من بعضهما البعض إلا في الأعوام الأولى من حياتهما مع ماما راندي وبابا نيلز وذلك على حسب ما تجزم به بيورك على الأقل بعد زواجهما، حينما دفعت راندي بفراشيها جنباً إلى جنب وقالت: «حسناً الآن



تبدأ حياتكما الزوجية» كانت تلك هي الفترة التي تقارباً فيها جسدياً .  
سألت ستينا تعلووجهها ابتسامة مهذبة: تقارباً...؟!، هل كان جدي وجدتي  
متقاربين أبداً؟.. أجبتها: «أعتقد أنهما كانا كذلك».  
استطردت ستينا قائلة: «أنصت لي يا أسجر طوال هذه المدة حينما كانت  
جدتنا تجلس على حافة فراشك وتروي لك القصص-بالطبع- لا تحاول إقناعي  
أنها كانت تحكي لك شيئاً عن حياتهما الجنسية؟»  
كثيراً ما راودت بيورك لحظات شك تعجبت فيها مما حدث لزوجها الصامت،  
ذلك الرجل الوسيم، الأكثر إغراءً، والذي كان مسيطراً على أحلامها أيام شبابه  
في فيلا النبيل في كاليفارفين فقد بدا لها الآن رجلاً منعماً للخبرات الجنسية.  
بعد مرور أسابيع قليلة قالت بيورك لأختها الكبيرة وهي تتذكر وجهه  
المفزع والخائف حينما أيقظته من نومه ليلة زفافهما: «إنه يتصرف كفتى  
يجرى اختباراً في لجنة الامتحان.  
سألها أسكيلد: «أليس من الأجدر بنا الانتظار؟».  
«لقد قلت لي ذلك على كل حال» هكذا ردت عليه بيورك.  
اعتقدت أنها انتظرت طويلاً حقاً...! تسلمت أناملها لتداعب شفثيه هامسة:  
«إذاً أرني ذلك.. أرني كيف يحدث ذلك».  
فما إن أنهت بيورك تلك الهمسات حتى زحف أسكيلد بتردد إلى فراشها،  
واعتلى جسدها كرجل يتسلق جبل غادرا شاهق الارتفاع، لكنه بدأ يتفاعل  
مع نفسه.. يشبع رغبته ذاتياً.. تعلو وجهه نظرة عناد وتحدي حتى شعرت  
بيورك بجسدها يئن حزناً مما ألم بحبيبها، حتى أن شعورها القديم بالشك  
نحوه سرق كل ما تبقى لديها من شجاعة، بعد معاناة.. استطاع أخيراً أن يبلغ  
تلك النشوة القسرية، لكن الشعور بالإحباط قد تملكها تماماً، فقد تذكرت أنه  
في يوم ما حينما كانت فتاة صغيرة أنها سألت أمها من أين يأتي الأطفال؟..  
فأجابها ماما إيلين أن الأطفال يأتون من طوعية أنفسهم حينما تفرط المرأة  
في شرفها وتقوم بواجبها الزوجية نحو زوجها.



ظَلَّت بيورك بعيدة عن فراش أسكيلد على مر الليالي الثمانية التالية، لكن في الليلة التاسعة زحفت إلى فراشه.. همست في أذنه: «أرني مجدداً كيف يكون ذلك» ثم استطردت: لقد كان أداؤك ممتعاً جداً في المرة السابقة، ورقدت إلى جواره ، وأغمضت جفونها في انتظار حدوث المعجزة.

هذه المرة على -الأقل- لم يبد مذعوراً وخائفاً.. نظر أسكيلد إلى جسدها لفترة طويلة في الضوء الخافت بينما تسلفت يداه تتحسس ثناياه وأماكن خاصة جداً لم تصل إليها يد رجل آخر قبله.

شعر أسكيلد حينها بكل لذات الحياة.. أغمض عينيه.. ولم يفتحهما مجدداً إلا على يديه وهما تداعبان جسد العاري في حين كانا مستلقيان على الفراش كالبدايين اللذين لا يكاد يغطى جسديهما شيئاً، اختفت مشاعر الرغبة واللذة بداخله، فقد كانت تلك اليدان هما اللتين ضربتا رأس هيرمان المذعور في الأرض في سهل ألمانيا الشرقية. فجأة جذب يديه بعيداً.. سيطرت على وجهه علامات الخوف والذعر.. بينما ظنّت بيورك أن زوجها يداعبها.

قهقهت قائلة: يا لك من ولد شقي.

فتح أسكيلد زر سرواله وبدأ يتحسس نفسه ويضغط عضوه محفزا إياه كي يشعر على الأقل أنه يقوم بواجباته الزوجية تجاه زوجته، ولم تفهم بيورك ماذا حلّ بمشاعره الجياشة وطريقته الساحرة في مطارحتها الغرام هذه المرة أيضاً.

بدأ يتفاعل مع نفسه ويشبع رغبته ذاتياً، فعادت بيورك إلى فراشها.. يتملكها الإحباط وخيبة الأمل.

في صباح اليوم التالي استيقظت بيورك تشعر بالخجل والارتباك، فقد راودها حلم عن دكتور ثور وجميع الأشياء المذهلة التي كان يخرجها من قبعته السوداء.

منذ أن دفعت بهما راندي إلى الفراش بالقرب من بعضهما البعض قررت بيورك أن تسيطر على نفسها تماماً وألا تفكر في ثور أبداً، على الرغم من أنها



قاما مرتين بالعلاقة الحميمة إلا أن أصابع بيورك لم تلمس أسكيلد قط، بينما كانت تستكشف خبايا جسد أسكيلد في ظلام الغرفة لاحظت بيورك كيف كان جسد زوجها نحيلًا بارز العظام حينما استجمعت جرأتها لتتحسس عضوه الذكري، لم تتمالك نفسها من القهقهة قليلاً كان مميزاً للغاية.. صلباً وناعماً في آن واحد.. كذلك كانت هاتان الكرتان مميزتان كحجم بيض اليمام وقد أخذت بيورك تداعبهما بأصابعها دون أن تعلم أن آخر شخص لمس مكان أسكيلد الحساس هذا: هو محقق ألماني في سجن بيرجين.

همس أسكيلد: خذي حذر في حين تلاقى عيناها بعينيها، وجال ببالها أنه كالطفل.. عاد إلى منزله بعد رحلة طويلة كئيبة، وضعت بيورك يدها خلف رأسه وضمتهما إلى صدرها، ثم همست في أذنه: «هنا سيكون كل شيء على ما يرام»، في حين استمرت بيورك في اكتشاف جسد أسكيلد بيدها الأخرى، تحفزها وتثيرها أكثر تنهداته وأنفاسه الدافئة على صدرها الدافئ حتى اندفع سائل دافق حول معصمها دفعها لتطلق ضحكة عالية.

كل ملاحظات ماما إيلين عن تفريط الفتاة في عذريتها كانت هباء!! وعندما اقترح أن يتبادلا الفراش حتى ينام هوفي المكان المبتل بدلاً منها -تسيطر عليه مشاعر الانتصار- مثلما يشعر زير النساء فور انقضاضه على فرائسه.

أخبرها أسكيلد أن ذلك هو واجب الزوج في العلاقة الحميمة. فكرت بيورك أن ذلك لن يغير من الأمر شيئاً فهو في الصباح قليل الكلام ورافض الحديث ليلاً، حينما يتمكن من القيام بعلاقتهم الحميمة معاً في الظلام الصامت.

استمرت مطارحتهما الغرام في الظلام طوال الشهور التالية.. بدأ فضول بيورك نحو جسد الرجل يتلاشى شيئاً فشيئاً، وشعرت بالسعادة كثيراً حينما رسخ بعقلها اعتقاد أن الرجل والمرأة مخلوقان مختلفان لا يتبادلان الحب إلا في الظلام وحسب حينما تنسدل ستائر الغرفة.



بعد زواجهما بوقت قصير، وجد أسكيلد وظيفة في ساحة السفن في بيرجين -بالطبع- كان عليهم أن يعينوا ذلك المهندس الشاب لاسيما أنه حاصل على شارة ميلورج. فبدأت بيورك تستيقظ في الخامسة صباحاً لتعد الشاي لأسكيلد الشاب الذي بدأت علامات الإجهاد والتعب تسيطر على ملامحه بسبب العمل، وصار يجلس كل يوم في الردهة محدقاً في الفراغ يتملكه شعور غريب بالعزلة والوحدة، بينما تنشغل بيورك عنه بإشعال النار في الموقد الخشبي وتنظيف سترته وكيّ سراويله وعقد رباط عنقه، ثم تهمس في أذنه: أتمنى لك يوم عمل سعيد أنه عملك ثم عدّ إلى المنزل مباشرة.

لم تلفت نظرها قط رائحة الكحول التي بدأت تفوح من فمه عند عودته من ساحة السفن، لم يساورها الشك حياله فقد كان يمارس علاقتهما الحميمة دون تغير يذكر، بينما أثر الكحول تأثيراً إيجابياً كبيراً على شخصيته، فقد ساعد في محو شعوره بالعزلة والوحدة بل وأباده إلى غير رجعة.

كان أبلغ دليل على ذلك عودته إلى منزله ثملاً ومعه اسطوانة موسيقى الجاز التي استعارها من زميله إينجولف فيسكر وبدأ يرقص في الردهة.

تعجبت ماما راندي التي كانت نادراً ما تبدى تعليقاً عكس والده تماماً وتساءلت: «لما كل هذا الصخب؟»

صاح والد أسكيلد: ابني يسمع موسيقى الزوج! كانت تلك العبارة هي التي حثت أسكيلد على التعقيب قائلاً: «أن موسيقى الزوج تلك ممنوعة في الجيل الثالث» ثم استأنف في الرقص ثانية رقصه.

في أحد الأيام، أحضر أسكيلد مسندا للوحات الرسم في المنزل، ثم أعلن أنه يريد أن يكون فناناً مما دفع ماما نيلز أن تقول: لقد أصيب ابني بالجنون تماماً!.

علت وجه أسكيلد علامات الدهشة والعجب قبل أن يخرج من جيبه لوحة مطوية لبيكاسو.. صورة أمبرواز فولار.

قال أسكيلد وهو يفرد اللوحة على المائدة في غرفة الطعام كما لو كانت خريطة



كنز مدفون: أتريان من هذا؟

أجاب أبلهيد: دين إينجمان؟

قال أسكيلد مرتباً على رأس ابن أخته: لا

أقترح ماما راندي-وهي لم تر في حياتها لوحة يمثل هذا السوء-«كويسلينج»؟

قال أسكيلد: لا

قالت بيورك وهي تلقى نظرة خاطفة على العنوان يمينا أسفل اللوحة:

هل يمكن أن يكون السيد فولار؟

أجابها أسكيلد وهو يقبل وجنتها: نعم ولا في آن واحد، دعوني أفسر لكم  
سؤالي من يمثل ذلك الذي يوجد في الصورة إلى جانب أمبرواز فولار؟.. وحينما  
لم يجد لسؤاله أية إجابة منهم جميعاً.. استطرد قائلاً: إنه أنا أم تلاحظوا  
ذلك؟.

بالفعل لم يلاحظ أحد ذلك باستثناء بيورك فقد راودت عقلها أفكار فظيعة..  
أليست تلك اللوحة تشبه صورة أسكيلد التي عجزت هي عن تجميع أجزائها؟  
وهل كان صحيحاً أنه لا يوجد أي ترابط بها؟ كانت الصورة عبارة عن تراكم  
لأجزاء متقطعة وزوايا حادة مرق بها الرسام أفكاره إرباً؟ لم تلبث أن راودتها  
تلك الأفكار حتى استبعدتها في الحال وقالت: «هذا هراء يا أسكيلد إنك  
لست بهذا العمر المتقدم ولا بهذا القبح الواضح في الصورة».

ما إن أتمت بيورك عبارتها حتى سيطر على ملامحه تعبير جرح مؤلم غائر لم  
يتفوه سوى بعبارة واحدة: «يا لكم من ريفيين!»

بعدما تعرفت العائلة على الطريقة التكعيبية التي تبناها بيكاسوف في لوحاته،  
بدأت تفوح من أسكيلد رائحة الكحول وشذى عطره أكثر من ذي قبل حتى  
أصبحت رائحة نفاذة كانت رائحة زيت التربنتينية الذي يسكه في أواني  
معدنية صغيرة حينما يجلس أمام قماشات رسمه ويبدأ في نفخ فرشاة  
الرسم الخاصة به يمينا ويساراً بعدما ينتهي من عمله وفي أيام الأحاد كثيراً  
ما كان يقطب حاجبيه ويعبس ويلعن بصوت مرتفع حينما يتضح له أنه



يفتقر إلى الموهبة الفطرية، في البداية-بالكاد- لاحظت بيورك تلك الأوقات القليلة التي يجلس فيها أسكيلد في الردهة ليلاً ومعه مسند لوحاته وفرشة الرسم ورائحة الترتينية تفوح منه كانت تضطر للذهاب إلى النوم وحدها حتى الصباح، وحينما تستيقظ باكراً تقوم بواجباتها المنزلية مجدداً كالمعتادة، فتقوم بكَيِّ قمصانه يعبئها عبق الكحول والعطر والترتينية الذي كانت تقارنه بشكل لا إرادي بشذا العطر الناعم الذي كانت تشتمه حينما تقابل دكتور ثور، كان ثمة شعور عنيد بداخلها يرفض تلك المقارنة تماماً، كما أنها ترفض أن تميل بقلبها لأحد غير أسكيلد.

حينما قبلت أسكيلد في الصباح قبل أن يذهب إلى عمله في ساحة السفن فكرت ملياً في نفسها: ماذا عن علاقتنا الحميمة؟ ماذا حدث؟ لكن ما إن تباعدت خطاه عن المنزل في طريقه إلى عمله متوكلتاً على عصاه وما إن اختفى عن ناظرها حتى تلاشت كل مخاوفها.. تبدد تماماً شعورها بالقلق.

في ليلة من الليالي استيقظت بيورك فزعة وهي تتصبب عرقاً في فراشها.. لقد راودها حلم غريب حقاً «أن زهرة عباد الشمس بدأت تنمو في رحمها».

في صباح اليوم التالي، بدأت بيورك تشعر بالآلام في معدتها بعدما ذهب أسكيلد إلى عمله، اتصلت راندي بدكتور هاينز الذي حضر على الفور وقام بالكشف على بيورك ووضع سماعته على بطنها التي بدت كبيرة نوعاً ما.

قال الطبيب في هدوء وهو يغمز بعينه لراندي بثقة «لا شيء يدعو للقلق.. اشربي الكثير من الماء فلا زال أمامنا ثلاثة أسابيع قبل أن يحين يوم الولادة، أومأت بيورك موافقة، كانت تثق تماماً في كلام الأطباء».

على الرغم من ذلك فقد اشتد عليها الألم وبدأ العرق البارد يتصبب بغزارة من جبهتها فكان عليها أن تستلقى على الأريكة، بعد فترة قصيرة دخل عصفور من نافذة المنزل المفتوحة، ثم بدأ يضرب الهواء بجناحيه وهو يطير محلقاً في الردهة حتى اصطدم بزجاج النافذة وسقط على الأريكة، كان ذلك لبيورك إشارة لحلول وقت وضع الطفل.



صاحت بيورك قائلة: سيأتي الطفل الآن إلى الدنيا! سيولد الطفل الآن! كما إن لدي غازات في معدتي أيضاً! اتصلوا بوالدي!

ركضت ماما راندي في فزع وخوف شديد إلى الهاتف لتتصل بدكتور هاينز الذي رفض الركض جيئةً وذهاباً لهذا المنزل، قال لراندي ويبدو على صوته الانزعاج والضجر: إن كانت الفتاة تعاني من غازات بمعدتها ادخلوها المرحاض فحسب فلم يحن موعد ولادتها بعد بحق المسيح!

لذلك جلست بيورك في الحمام وهي تتصبب عرقاً بارداً، تعاني من آلام مبرحة في خاضرتها، حينما عاد أسكيلد من عمله بساحة السفن حاملاً معه في جيبه لوحة مطوية (صورة الكمان ليبكاسو) التي طرحها على مائدة الطعام مثلما فعل بصورة فولار من قبل، وقبل أن يتساءل حينما علم أن بيورك دائمة الدخول إلى الحمام: «ما هذا الهراء؟» أمسك بسماعة الهاتف ليتصل بالطبيب الذي شعر بالانهاك والتعب بسبب توالي المكالمات الهاتفية بالحاح لتلك العائلة، فقد كان الطبيب يتناول عشاءه لكن حينما صاح فيه أسكيلد بصوت مرتفع، قرر الطبيب أن يهدئ من روع أسكيلد وهو من سيصبح أباً عما قريب، فقال له: «حسناً.. سآتي خلال ساعة».

قبل مرور ساعة، زاد على بيورك الألم حتى تسبب لها في صعوبة في التنفس.. كان هناك عصفور يريد أن يخرج للحياة.. يريد أن يرفرف بجناحيه خارج رحم أمه.

بدأ يضغط على الرحم أكثر فأكثر، ويحاول أن يجد له مخرجاً من ذلك الظلام، أرادت بيورك أن تنهض لتعود إلى الأريكة، لكن الآلام المبرحة لم ترحمها ولم تعطها الفرصة لفعل أي شيء، بل لم تدعها إلا حينما سقطت -المسكينه- مغشياً عليها.

وبينما كان أبلهيد يحرق فاعراً فاه في العصفور الذي اعتقد أنه قد مات في الردهة والذي بدأ يقاوم الموت.. يتشبث بالحياة.. يضرب بجناحيه الهواء شيئاً فشيئاً على الأرض مما دفع أبلهيد مندهشاً متعجباً ليصبح قائلاً:



«أنه يحاول أن يطير! رأيته بنفسه!».

كان هناك طائر آخر يحاول أن ينطلق خارج رحم أمه.. مولود جاء إلى الدنيا من بين قدمي بيورك.. لم يلبث أن تعرف على العالم الخارجي حتى اصطدم برائحة الفضلات القذرة بعدما سقط في المرحاض فور خروجه إلى الدنيا. صاحت بيورك وهي تشعر بدوار شديد: أسكيلد! اندفع أسكيلد في لحظة إلى الحمام ليعرف أن وليده قد سقط في المرحاض.. يختنق وسط الفضلات.. سرعان ما أقحم أسكيلد يديه في المرحاض.. أخذ يفتش.. تلتقى يده بالكثير من الفضلات القذرة، لكنه لم يعباً لذلك أبداً بل ظل يبحث في عين المرحاض على طفله لاهثاً خائفاً من أن يفقده، حتى أمسك أخيراً بشيء طويل بدا له أنه الجبل السري فأخذ يسحبه بقوة حتى وصل إلى المولود، فما إن وجده حتى علت ملامحه الفرحة بالصيد الثمين.

صاح أسكيلد فرحاً: «إنه صبي..!» فقد كان أول من علم نوع المولود، أردف قائلاً: إنه صبي بحق المسيح أبلينا حسناً يا عزيزتي.. أليس كذلك؟ ثم دخلت ماما راندي بقدر الماء المغلي، وقامت بغسل المولود قبل أن يدخل عليهم دكتور هاينز متمماً: «لابد أنكم تمزحون».

في المرحاض..! فكان تعليق الطبيب وقحا ما أثار علامات الدهشة والتعجب على ملامح من بالمنزل جميعاً، إلا أن الصبي بدا بصحة جيدة وكان ملفوفاً في بطانية قبل أن يسلم في الردهة إلى والدته ووالده اللذان اعترتهما علامات الدهشة والتعجب حينما رأيا أذني الطفل الكبيرتين اللتين كانتا مختفيتان في الغشاء الجنيني قبل الولادة.

همس أسكيلد: هل ترون كيف يبدو؟ لم يرغب أحد في الإجابة على سؤاله. استمر أبلهيد يحرق في ابن خاله تعلق وجهه علامات الدهشة طوال الأسابيع التالية من ولادته كل يوم ينحني عليه ويتأمل فيه مندهشاً ويقول: انظروا لتلك الأذنين ! لمن تلك الأذنين؟

أردفت ماما راندي: «ليست لعائلتنا بأي حال من الأحوال».



صاح أبلهيد جاحظاً عينيه: إنهما يتحركان لقد رأيتهما بنفسي!  
تنهدت بيورك.. وقالت: «أرجوأن تتوقف عن الحديث عن أذنيه».. كانت  
متأكدة أن هناك الكثير الذى يمكن التركيز عليه أكثر من أذنيه.  
فاستطردت قائلة: انظر إلى أنفه كم هي جميلة!! أنظر إلى عينيه كم هي  
رائعة!! أنا متأكدة أنه سيصبح شخصاً مرموقاً في المجتمع.  
استمرت بيورك في الغناء للوليد ليلاً ونهاراً..

الصبي الصغير.. ينتظره مستقبل مشرق.. ينتظره.. أنت، أنت.  
أراد أبلهيد- بإلحاح الأطفال- أن يفهم ما تعنيه فسألها: هل سيصبح إطفائياً؟  
أم رئيس وزراء؟ وعندها.. أمرت بيورك الجميع بالتزام الصمت، فالطفل  
بحاجة إلى النوم. وفي المساء بعد عشاء يوم عمل طويل في ساحة السفن عاد  
أسكيلد إلى المنزل تفوح منه رائحة الكحول والعطر، والترنينة تعبى المكان  
الذي تطأ فيه قدماه، فقالت له بيورك: «الطفل نائم فحاول التزام الهدوء ألا  
يمكنك أن تأخذ معدات رسمك إلى سلم المنزل؟».

لا.. لا تبدأ في ذلك.. كف عن دغدغة الطفل.. كف عن مضايقته!.  
ظن أن بإمكانه أن يدغدغ طفله الرضيع كيفما شاء، ولكن كلماتها خيبت  
ظنه فغمغم ببضع كلمات تفصح عن امتعاضه قبل أن يتجه إلى سلم المنزل  
حيث تابع عمله على لوحة سميت لاحقاً(مولود جديد في مراحل قديم)  
وهو يشرب الماء من قارورته الجديدة التي أصبحت وعصاه رفيقته المقربتين  
في الحياة فيما بعد.

لم يمنع باب المنزل تلك الرائحة النفاذة من التغلغل بجميع أركان المنزل،  
فتنهدت بيورك وفتحت النوافذ لتجديد الهواء لكن باءت جميع محاولاتها  
بالفشل الذريع، وحينما وقف أسكيلد ذات مرة في المطبخ ليشاهد بيورك  
وهي تعطي للطفل حماماً دافئاً فما كان منها إلا أن قالت له بجفاء: «لما  
تقف هكذا كالأخرق؟» وإذا أراد أن يغنى للصبي، قالت له: «أنت تخيفه  
بصوتك» وعندما ينحنى علي فراش ابنه لكي يطبع قبلة أبوية دافئة على



وجهه، تعرضه بقولها: «أنت تجرحه بشعر لحيتك يا أسكيلد.. كف عن هذا...!

في حين أن علاقتهما الحميمة في الظلام الدامس قد صلت إلى مفترق طرق بل إلى النهاية فثمة من احتل مكانه على صدرها.

لم يجد أسكيلد ملاذا له سوى مكان عمله عند سلم المنزل حيث استسلم للكحول الذي بدأ يأخذ منحى جديدا في حياته، ثم تدهورت صحته بصورة ملحوظة بعد قليل، وأصبحت رثائه اللتان كانتا ضعيفتين من جراء أعوامه المريرة التي قضاها في ثكنات الجنود الرهيبة بألمانيا تعاني بسبب الهواء الرطب عند سلم المنزل إلتهاب الشعب الهوائية وأيضا بسبب روائح التبرنتينة التي تفوح بكثافة من حوله وإفراطه في التدخين، مما اضطره أن ينسحب من مناطق اللحم في ساحة السفن والمناطق المحيطة حيث الغازات النفاذة المنبعثة من أجهزة اللحم التي تختلط بالسحب الكثيفة في السماء وتسبب له السعال الشديد وضيق التنفس، وقد دفعه ذلك إلى أن ينكب على عمله في غرفة الرسم منحنيًا على مائدة الرسم.

لم يتخيل طيلة حياته قط أن يرى لوحاته تتحول إلى تماثيل حديدية مفعمة بالواقعية وكنتيجة لذلك بدأت تصميماته للسفن تسلك طريق التغيير، فقد بدأ يتخيلها عنصرا من عناصر الخيال بفعل المشروبات الكحولية واللوحات التكعيبية عند سلم المنزل.

شعر أسكيلد أنه يسلك طريقاً جديداً من شأنه أن يحدث ثورة في الخطوات المتبعة في العمل بساحة السفن، لكن لم يوافق الجميع على ذلك.

أخذ اللحامون وهم في عملهم يتمتمون بأن هؤلاء المهندسين الملعونين يجلسون على رسمهم ولا يعلمون شيئاً عما يحدث في الواقع الذي نعيشه وعقّب عمال الكهرباء: «اللعة! لا نرى معنى لرسماتهم».

تعجب كبير العمال في ساحة السفن قائلاً: «تباً لذلك! ماذا يحدث هنا بحق الجحيم!»



وبعد عدة أشهر تزايد شعورهم بالسخط وعدم الرضا عما يحدث في العمل، حتى جاء يوم تقدم فيه ثلاثة رجال يمثلون فريق العمل ليقدموا شكواهم للمدير الذي استمع لهم عابساً على مدار خمسة عشرة دقيقة كاملة ثم قال لهم «حسناً، ينبغي علينا أن نصلح تلك الأخطاء فابتهجوا ولا تقلقوا، وبذلك باءت مهمتهم بالفشل فقبل أن يرحلوا مكتب المدير، أغلق الأخير الباب وهمس إليهم «إنه النجار عليكم اللعنة ماذا تريدون مني فعله؟» لا يمكنني طرد النجار ألا ترون ذلك؟ هل تعلمون ماذا سيحدث من جراء ذلك إن حاولت طرده؟ هل تعرفون ما معنى هذا؟

برغم ذلك قرر الرئيس أن يتحدث مع أسكيلد، وبالفعل فقد حدثه في أحد الأيام بعد موعد العمل قائلاً: أعلم أنك تبلي بلاءً حسناً في عملك، لكن أحياناً يمكن للشخص أن يتقن عمله للغاية لدرجة أنه لا يعطي لنفسه مساحة للتفكير السديد فيما يعمل.

بعد مرور نصف ساعة كان أسكيلد يصب جام غضبه ويلقى بكلمات يتمتمها لا يعرف معناها في حانة ما يطرح في تلك الكلمات يأسه وشعوره بالإحباط، أخذ يتحدث مع زميله إينجولف فيسكر قائلاً: هؤلاء الحقراء، تلك الأفكار التافهة، هؤلاء المغفلون.

أوماً إينجولف وهويشفق على زميله الذي أصبح في حالة يرثى لها، فقد كان أول من ساعد أسكيلد لينمي معرفته بموسيقى الجاز والرسم التكميبي.

في طريق عودته إلى منزله.. بداية تساقط الثلوج.. تنهمر بغزارة حيث أن ذلك هو فصل الخريف بتقلباته المزعجة يلقي بظلاله على بيرجين في عام ١٩٤٦ حينما تذكر أسكيلد ذلك الشعور الذي نما بداخله فتغلي في عروقه ثورة الشباب حينما تم طرده من مكتب مالك السفن ثورستن.

أخذ المسكين يجول في الشوارع بشهادته العلمية وخاتم الخطبة في جيبه، يخالجه شعور قوي برغبة جامحة في الهجرة إلى بقاع أخرى حيث يبدأ من جديد...!



ذهب أسكيلد إلى جوتنبرج في السويد ليبدأ من جديد، لكن كلما أبحرت السفينة من الميناء أمام عينيه شعر بالدماء تغلي في عروقه وثورة الشباب تتملكه.. لكن سرعان ما تلاشى ذلك الشعور محته الأيام والليالي حتى أصبح في طيّ النسيان.

بعد مرور شهر وعندما قرأ أسكيلد إعلان عن وظيفة في بيرجين (تيديند) تعمل بساحة السفن في أوسلوم يتردد للحظة في التقدم لتلك الوظيفة، وسرعان ما اتصل بالمستول في ساحة السفن بأوسلوم يستمر الأمر طويلاً قبل أن يقرر أسكيلد باب مكتب رئيسه وقت الغداء قائلاً له دون تردد: وجدت وظيفة أخرى في أوسلو ربما سيقدرّون مواهبي ، ما إن أتم أسكيلد عبارته حتى استاء الرئيس لرغبة أسكيلد في ترك عمله، لكنه أكد عليه في نفس الوقت أن ساحة السفن يمكنها قبول تركه العمل وقتما يشاء ، فأردف أسكيلد قائلاً: أتمنى أن أترك العمل الآن.

بعد انتهاء دوام العمل في ذلك اليوم، حيث جلس في نفس مكانه المعتاد في أقرب حانة، حاول إقناع صديقه إينجولف فيسكر بالذهاب معه إلى أوسلوفقد أكد له أسكيلد: أن الرواتب هناك أفضل بكثير، كما أنهم سيعطونك التسوية التي تريدها، سنعيش هناك كالنبلاء.

لكن مساعي أسكيلد لإقناع صديقه ذهبت هباء، فلم يقتنع إينجولف فيسكر أبداً بما أخبره به صديقه لذلك انتهى أسكيلد من احتساء الخمر ثم عاد إلى منزله وأخبر عائلته بخطته المستقبلية الجديدة.

تعجبت بيورك قائلة: «إلى أوسلو!.. ماذا حدث؟ هل طردوك؟» كان لكللمات أسكيلد وقع الصدمة على بيورك تلك الكلمات التي كانت تطرب آذانها يوماً ما قبل الحرب، أما بعدها فكانت تسعد بها أكثر ، فقد كانت أساساً لحياتها العاطفية ودافعاً لها لتشبع رغبتها وتوقها لترك فيلا النبيل البيضاء في كالفارفين.

والآن.. فهي تشعر بسعادة كبيرة وراحة أكبر في ذلك المسكن الصغير في



سكانسن، فقد أتاح انشغال زوجها في العمل أحياناً وفي لوحاته الزيتية أحياناً أخرى، لتمنح ابنها الصغير كل الحب والاهتمام في حين تقوم ماما راندي بخدمتهما.

صاحت بيورك: أنت تمزح.. أليس كذلك؟.

لكن ماما راندي قاطعتها قائلة: دائماً ما يناقش الرجل مثل تلك الأمور مع زوجته أولاً، أهكذا تشكرنا على كل ما فعلناه من أجلك؟ .

أهكذا يكون شكرنا على نومى ووالدك في غرفة الضيوف؟ أبهذا الشكل يقدم الابن لأمه الشكر على ما فعلته وتفعله دائماً من أجله؟.

صاح أسكيلد قائلاً: سئمت سماع ذلك الكلام النمطي السخيف هيا.. استمرا.. تكالبا عليّ أيتها البقرة العجوز، بينما كانوا يتشاجرون في المطبخ، تجمد جسد أبليهيد الصغير من الخوف في الردهة، وهويتخيل جده نيلز يمارس عادته المفضلة (ضربه مجدداً بعدما يترك خاله المكان) والذي لم يلبث أن عاد إليه بعد غياب.

كان بابا نيلز هو الوحيد الذي لم يرد الشجار أو الاعتراض على قرار أسكيلد ذلك المساء، لكنه انسل خلسة نحو باب المنزل ليشاهد ابنه وهو يعمل على لوحته الزيتية. حدّق في وجه الرجل الذي رسمه أسكيلد بالطريقة التكعيبية لفترة طويلة، فقد بدا له حقيقياً تماماً وكأنه وقّع لتوّه على قماشة الرسم، ثم ربت على كتف ابنه أسكيلد.

نظر أسكيلد إلى والده في قلق متحيراً مما يريد به ذلك الرجل العجوز، وفجأة أشرق وجهه وبرقت في عقله فكرة ما، تحرك لتنفيذها على الفور، فقد أخرج أسكيلد نسخة أصلية مطوية من جيبه كانت هذه المرة لوحة «باذرز مع القارب اللعبة»، ثم سأل نيلز أسكيلد عن رأيه فيما تبدو، تأمل نيلز لفترة طويلة في الصورة التي تذكر أسكيلد بـ كاتارينا في الصباح الملبد بالضباب، أجابه نيلز: «تبدو كقارب لعبة، ثم عاد إلى كرسيه الهزاز».

في الأيام التالية، بدأت تتزاحم أمام الأعين عدة صناديق في الشقة، بدأ أسكيلد



وبيورك يحزمان حقائبهما ويضعان القدور وأدوات المطبخ في صناديق.  
قبل رحيلهما بيوم واحد ذهبت بيورك لتودع عائلتها في (سكيبياكن)  
وحينذاك لم يكن بابا ثورستن بخير ، فقد تملك منه الجنون تماماً حتى أنه بات  
عاجزاً عن التواصل مع من حوله، فجلست بيورك على حافة الفراش قبضت  
بيداها يديه في دفء وحنان، وسبحت بعقلها بعيداً تتذكر أيام طفولتها  
البريئة الجميلة التي مرت عليها كلحظة من عمر الزمن في فيلا النبيل البيضاء  
في كاليفارفين، حيث الخدم والحشم يملئون المكان جيئة وذهاباً.  
تذكرت حلمها تحت أشجار القضبان، وعطر الطبيب الناعم الذي ينبعث في  
شذاه شعوره الداخلي بالكآبة والوحدة .

قدمت لهما ماما إيلين الشاي متممة: بحق المسيح! أوسلو! بعدما احتسى  
أسكيلد وبيورك الشاي رحلا على الفور وعيني أسكيلد شاخصةً إلى الأفق  
متفائلة بمستقبل باهر ينتظره، بينما عيني بيورك تنظر إلى عائلتها وتلوح  
لهما بيديها من على رصيف القطار.. كان آخر ما رآته قبل أن تحجب المباني  
والأشجار رؤيتها وجه أبلهيد الصغير والذي وقف محدقاً إلي الفراغ في حزن  
شديد، ثم التفتت بيورك ونظرت إلى زوجها أسكيلد الذي كان يضرب أرضية  
عربة القطار بعنف بعصاه، وما إن رآها تنظر إليه حتى ربت برقةً على خدها  
قائلاً: كان ينبغي علينا القيام بذلك منذ فترة طويلة.. بحق المسيح.. كان علينا  
فعل ذلك منذ زمن بعيد!.



## الجهاز الغريب السخيف

قالت أختي ستينا: لم يكونا في مثل هذا العمر المتقدم، لكنها لم تمنع النظر في الصور التي أحضرناها من منزل جدي وجدتي في (تانوفي) لأثبت صحة كلامي لها.

خرجت من هناك بعد الظهيرة حينما انتهيت من زيارة جدي بيورك.. لا زال أثاث المنزل كاملاً عدا بعض الحاجيات الصغيرة التي تولى (جسبر وستينا) أمرها ، فقد أحضرها لبيورك في منزل الطفولة.

فتحتُ الخزانة الكبيرة على الفور في غرفة النوم وبدأت أبحث وأفتش فيها بدقة، بينما علا صوت دقات قلبي وصدق حدسي أخير ووجدت الخطابات القديمة التي كان يكتبها جدي أسكيلد في (راملوسا) .

على الظرف كتبت كلمات بخط عريض «أرجو أن يحرق هذا الخطاب بعد موتي».. لكن جدي لم تحرق تلك الخطابات أبداً، كما أنها لم تتوقع أني سأبحث وأفتش في متعلقاتهما بطريقة همجية، ووجدت أيضاً ذلك الجهاز الغريب السخيف والعديد من معدات الرسم الزيتي التي أخذتها معي إلى منزل ستينا كما وجدت صوراً قديمة لأبي في طفولته فلم تكن أذناه قد تغيرتا بعد.. كانتا كبيرتان للغاية، وحاولتُ إقناع ستينا أنهما أكبر بكثير من بقية أجزاء وجهه لكنها فضلت الإنصات لرأيي في صورة بيورك.

قالت لي: إذاً ما رأيك؟

سألتها: ألم تكن في المستشفى؟

كانت دهشتي كبيرة عندما رأيتهما فور وصولي ترقد في الفراش على ظهرها ، وتخرج من فمها أنبوبة بخطاف صغير أخضر أسفل أنفها تُمدّها بما تحتاجه من أكسجين لمواصلة الحياة.

كانت عيناها مغمضتان.. جلدها بدا شاحباً.

مناخ الغرفة مملوء بالهواء الفاسد وتنتشر رائحة بول خفيفة..!



تسللت على أطراف أصابعي بهدوء شديد حتى وصلت إلى فراشها اعتقاداً منى بأنها نائمة وأمسكت يدها بلطف.

همست دون أن تفتح عينيها: «أخيراً قررت العودة إلى بلدك اعتقدت أن ذلك لن يحدث أبداً».

مرت أعوام كثيرة منذ رأيتها آخر مرة، كان لابد لي أن أعد نفسي جيداً قبل رؤيتها. هذه المرة رأيت ماما راندي وقد تجاوز عمرها المائة عام، لكن آثار الشيخوخة على بيورك كانت لي صدمة العمر: تجاعيد كثيرة تملأ وجهها وعظامها بارزة من جسدها النحيل، وشفتاها ترتجفان بشدة.

سألتها فجأة مشيراً إلى قصصها: لما ذا بدأت مجدداً؟ كنت أنوى أن أطرح عليها ذلك السؤال خلال الأسابيع القليلة القادمة، لكن تلك الكلمات هي أول ما تفوهت به حينما رأيته، وكانت مبعثاً لراحة النفس وهداة القلب. استطردت جدتي قائلة: افتح الخزانة.

تلفتُ حولي فهناك العديد من الخزانات التي يمكن فتحها فذهبت إلى أكبرها.. فتحتها على الفور فسقطت جميع متعلقاتها على الأرض وكانت عبارة عن ثلاثين أو أربعين علبة فارغة كعلب السردين ما إن أبصرتها حتى لاحت بمخيلتي صور البلدة حيث أقامت جدتي بيورك، تلك الصور تحمل نفس التعليق (هواء نقي من بيرجين) ملصق عليها من الخلف الطوابع النرويجية، تعرفت على الفور على خط أبلهيد المميز.

أخبرتني ستينا الآن أن أبلهيد يرسل علبة جديدة كل أسبوع، ربما اعتقد أنها ستثير الضحك لدى بيورك، لكنها أخذت تلك العلب بعين الجدية والاعتبار. همست «اعطني واحدة».

أدركت على الفور أنها تريد أن تشتم عبق الهواء المنعش، كانت ثمة ثلاثة ثقوب على جانب العلبة من الواضح أنها تريد أن تلتصق أنفها لتستحضر ذكريات بيرجين من خلال هوائها المنعش بداخل العلبة، خلعت عنها أنبوبة الأكسجين وأسندت رأسها بيدٍ ورفعت العلبة إليها باليد الأخرى ليتسنى لها



أخذ نفس عميق، وبعدما استنشقت الهواء المنعش عادت جدتي لترقد في فراشها وقد ارتسمت على وجهها نظرة حاملة، ولم يمض وقت طويل قبل أن يظهر أثر العلبة السحري عليها، فوجدتها تجلس فجأة على الفراش.

ثم همست وهي تضع يدها على قلبها قائلة: إنها كسرة الثلج تلك الكسرة التي أزعجتني طوال حياتي، لكن بدأت الأمور تسوء فيما بعد.

كانت جدتي تتحدث الترهات وتكرر حديثها كثيراً لم تعد تتذكر أسماء الأشخاص ظلت محدقة في اللوحة الكبيرة ذات المنظر الطبيعي المعلقة على الحائط كالمنومة مغناطيسياً.

أحياناً كثيرة تحدثت بوضوح مما ساعدني على استخلاص العديد من التفاصيل الهامة والكثير من النقاط الحيوية للمناقشة خاصة فيما يتعلق بأذني والدي، حتى جدتي بيورك أصرت على أنهما كبيرتان.

لكن ستينا لم تأخذ ما ذكرته جدتي بعين الاعتبار، فبيورك بالنسبة لها سيدة عجوز تتحدث الترهات، ولم تُقم ستينا لكلماتها وزناً، كانت تريد المزيد من الأدلة الدامغة الملموسة حتى أنها رفضت الاقتناع بالصور التي أحضرها لها كدليل على ذلك.

قالت بيورك هامسة: أحياناً كثيرة تداعبني الملائكة. تعلم ستينا جيداً أن أيام طفولة والدي كانت مميزة بأذنيه الكبيرتين تلك، لكن كل ما سيطر على تفكيرها خلال حديثها هو أن تثبت أنها على حق. قلت لها: حتى ذكرياته الأولى كانت متعلقة بتلك الأذنين.

ابتسمت ستينا وقد اعتقدت أنني وضعت نفسي في حرج أمامها.

قالت: «ذكرياته الأولى؟» لم أكن أعلم ذلك أبداً!

إن أول ما استقر في عقل نيلز الصغير ذى الأذنين الكبيرتين كأذني القدر «جاج إيرز» -هي بوابة أمامية مفتوحة ينيرها ضوء ساحر جميل- تحديداً تلك كانت بوابة حديقة أمام أحد المنازل المجاورة لساحة السفن في أوسلو، بينما كانت بيورك تجفف الغسيل في الخلف ذهب جاج إيرز إلى الفناء الأمامي



للمنزل ليلعب بقطاره اللعبة ، وحينما لمح البوابة قد فتحت أمامه-فجأة-  
والتي أغلقت دائماً أمام آماله وأحلامه.

لكن أسكيلد نسي أن يغلقها ذلك اليوم وذلك جعل جاج إيرز ينظر إلى  
الطريق في دهشة وتعجب، وكان منطقة محرمة عليه قبل ذلك ليس لأنه  
غير مسموح له باللعب في الفناء وحسب، بل أيضاً لأن إمكانية المغامرة  
خارج البوابة لم تكن-أبداً- في الحسبان.

وقف جاج إيرز محدقاً في العالم الممتد أمام عينيه يناديه للمغامرة واكتشاف  
الأسرار.

شيء ما بدأ يخالجه، يسمع صداه من داخله يغنى له ويحثه على نسيان  
اللعبة بقطاره، ويشجعه على المضي قدماً في اكتشاف ذلك العالم الغريب  
المليء بالأسرار، يدفعه لإشباع رغبته الملحة في الصباح فرحاً بهذا العالم الذي  
كان محرماً عليه من قبل وقد أصبح متاحاً له الآن، يناديه ذلك الصوت أن  
يشبع رغبته الجياشة في الاستكشاف تلك الرغبة التي تنامت على الرغم من  
رؤيته تلك المخلوقة الساحرة أمامه.

كانت فتاة في السادسة من عمرها تقف مع صبيين صغيرين يستمتعون  
بتعذيب فأر صغير وقع في أيديهم صيداً سهلاً.

أراد جاج إيرز أن يشاركهم اللعب، فتقدم بخطوات قلائل من الشارع، وقد  
لمحه أصغر الصبية فوكز تلك الفتاة الساحرة في جنبها وكزة خفيفة فالتفتت  
نحو جاج إيرز ليجد الصغير أنها تتمتع بشفتين صغيرتين جذابتين كبرعم  
زهرة نضر، ينجذب إليه الراي انجذاباً ودون أن يشعر يقترب منها أكثر من  
المسموح، ثم صاحت: أنت! يا ذا الأذنين الكبيرتين!

توقف (جاج إيرز)

فأردفت قائلة: أجل أنت يا صاحب أذني القدر أتحدث إليك أنت، أنا متأكدة  
أنك تسمع ديبب النملة وأنت في منظرِكَ هذا.

سمع جاج إيرز السخرية من شكله، لكن لم يسعه سوى أن يلزم الصمت



والذي لم يستطع صوت الصبيين أن يقطعه وهما يسخران منه، ويضحكان عليه بصوت مرتفع متحاورين: «ما رأيك؟.. أليست كبيرة أذناه؟» ثم التفتا لنيلز الصغير قائلين: أيها الطيار المحارب احترس، إنك لم تقلع بالطائرة بعد، فلماذا تلبس سماعات الأذن؟ أيها المخلوق القبيح ذوالأذنين الصغيرتين لماذا لا تعود إلى أمك؟

وبذلك نجح الأطفال الثلاثة في اقتحام حياة جاج إيرز بسرعة كبيرة مثلما خرجوا منها أيضاً.

عاد نيلز الصغير مسرعاً إلى عالمه الآمن في الجهة الأخرى لبوابة الحديقة. وبعد مرور أسبوعين عاد أسكيلد إلى منزله من ساحة السفن ثملاً شديد الثمالة أكثر من المعتاد.

في تلك المواقف.. اعتاد جاج إيرز أن يجثو في خزانة أسفل حوض المطبخ حيث يلطف الماء المندفع في الأنابيب من حرارة جسده الصغير، ويطلق لخياله وأحلامه العنان ليجسدها واقعاً معاشاً على شكل خطوط داخل الخزانة يخطها بقلمه الصغير بينما تتصاعد الأحاسيس والمشاعر لتصل إلى أوجها.

في ذلك المساء بالتحديد كانت غمة مشكلة ما تؤرق أسكيلد، وقد صرح بها بعد ضغط شديد من قبل بيورك في الردهة واعترف أسكيلد أنه تم طرده من ساحة السفن جراء ما قدمه من تصميمات سفن تفتقر الحرفية والمهارة، كذلك بسبب شكاوى متعددة قدمت ضده من اللّحامين والكهربائيين وكبار العمال.

تمتم أسكيلد وهو يضرب الأرض بعصاه: «إنهم ريفيون! حقرون.. جهلة!». تنهدت بيورك عند تقديمها الشاي لزوجها قائلة: لكن بحق المسيح! ماذا سنفعل الآن؟

صاح أسكيلد-مهذّباً- أن ما حدث لن يمر بسلام وأنه سيهدم ساحة السفن على رؤوس أصحابها، وأخذ يسب ويلعن بغضب جم وهو يصرخ: ما فائدة شارة ميلورج وجميع من بأوسلوم يسمعون عن النجار، أشهر محارب من



أجل الحرية في غرب الترويج؟

فعادت الصناديق تتراكم مجدداً في الردهة فحقائب الترحال مبعثرة هنا وهناك، بدأ جاج إيرز الصغير يزحف في المكان ويختبئ في الصناديق بعدما تم تعميده من قبل مجموعة الأطفال في الشارع، وبعد لحظات بدأ يرسم عصا صغيرة على جوانب الكراتين كعادته واختفى وسط عوالم غامضة من الكتب والقذور وأواني الطبخ والملابس القديمة.

في يوم ما أخرج جاج إيرز رأسه من أحد الصناديق التي يلهو بداخلها وسأل والده: أين سنذهب بالتحديد؟

فأجابه أسكيلد وكان جالساً أمامه وفي يده قدح من القهوة محدقاً في الفراغ: إلى البرية هناك يا بني ذلك ما كان ينبغي علينا فعله منذ زمن مضى.

مجدداً كان هناك أمام المنازل بالقرب من ساحة السفن في كريستيانساند حيث انتقلت عائلة أسكيلد فيما بعد: بوابات حدائق أخرى وأطفال يلعبون ويمرحون في الشارع، ونيلز الصغير أراد الخروج لذلك العالم الغريب لاستكشافه مثلما فعل قبل ذلك.

صاح أحد الصبية قائلاً: أنت هناك.. يا له من منظر! أبّ بعضا وابنٌ بزوج من الأذنين مثل.. ماذا تعتقد أنهما يشبهان؟

أجاب صبي آخر: مثل أذني الإخطبوط؟

اقترح طفل آخر: مثل الفطائر المحلاة؟

فأردف الأول: لا بحق الجحيم، يبدو كالفييل! إن أذنيه كبيرتين كأذني الفييل تماماً! ألا ترون ذلك؟ إنه الفييل دامبو!

شعر جاج إيرز بنفس الشعور السابق شعور رهيب يدفعه للالتزام الصمت، وما تذكره حينما تذكر الموقف السابق مع الصبية السابقين، لكن هذه المرة لم يهرب كعادته للعالم الآمن في الجانب الآخر من البوابة، بل مكث في مكانه يشاهد الأطفال يلعبون ويمرحون وقد نسوا أمره تماماً وانشغلوا عنه بإنزال خيطٍ بخطاف يبدو كصنارة في البالوعة، بعد



قليل وحينما اصطادوا كيساً قديماً من البالوعة وقد جلسوا يلتقطون أنفاسهم على الأرض لمحو نيلز الصغير يقف أمام بوابة الحديقة.

صاح الصبية: فيما تحديق هناك يا دامبو؟

فتح جاج إيرز فاه واجما أراد لأول مرة أن يدافع عن نفسه أمام سخرية واستهزاء الصبية منه، فصاح فيمن يسكنون العالم الغريب في الجانب الآخر من البوابات: أنت دامبوولست أنا أنتم الأخرقون ولست أنا!

ما إن سمع الأطفال تلك العبارة حتى ضحك أكبرهم واسمه بير وقال له: هل سمعت في حياتك عن برغوث ينبح؟ ألم تسمع به من قبل؟ تعال هنا وأرنا أذنيك.

أراد جاج إيرز أن يعرف ما يفعله الأطفال فسأل أحدهم وهويقترب منهم: ماذا تفعلون؟

فأجابه أحد الأطفال: أنهم يصيدون سمك الثعبان من المجرور ثم أردف الطفل وتعلووجه نظرة مأكرة خبيثة قائلاً: تدخل تلك الأسماك ميناء السفن وأحياناً تخرج من الحمامات في ساحة السفن، وحينما سألهم جاج إيرز فيما يستخدمون سمك الثعبان، نظر إليه الجميع في دهشة وتعجب.. وقال بير بتنهيدة عميقة: إنه ليس قبيح الشكل فحسب بل غبي وأخرق أيضاً.. فلم يكن من نيلز الصغير إلا أن التزم الصمت كعادته حينما يسخر منه الأطفال، حتى راف أصغر الأطفال بحاله وأجابه: نأكلها.. نأكل سمك الثعبان.

تعجب جاج إيرز قائلاً: ألا تظنون أنها مقرزة؟

أجابه بير: لا.. أبداً يا دامبو! ماذا لا تدعنا نلقي نظرة عن كثب على أذنيك؟ ما إن أنم عبارته حتى جذب نيلز الصغير بقسوة من أحد أذنيه الكبيرتين.

صاح جاج إيرز متألماً: «آه..! لا..! لا..! لا!»

فأردف بير: «من منكم يريد أن يمك بالآذن الأخرى؟»

وبهذا أصبح جاج إيرز بين صبيين كبيرين في حالة يرثى لها، ويعانى ألماً شديداً وهما يجذبانه من أذنيه، وفي لحظات اسودت الدنيا أمام عينيه وتباعدت



الأرض من تحت قدميه وكأنها اختفت من الوجود، ظل يتأرجح في الهواء بينما يصيح أحد الصبية: هيا لنر ما إن كان يمكنه الطيران حقاً أم لا.. طر يا دامبو.. طر!.

لم يرحمه تلك الصبية الأشرار إلا حينما أغمض عينيه وبدأ يصدر صوت قعقعة، ذلك الصوت كان له المنقذ من قبضتهم، فما إن سمعوه حتى تركوه يسقط على الأرض دون أن تأخذهم به شفقة أو رحمة.

صاح أحد الصبية: انظروا إلى هذا! إن أذنيه تتحركان! يمكنه تحريكهما.. بحق المسيح! جثا الجميع ليمعنوا النظر في أذنيه التي هدأت حركتها لحسن حظه، لكنهم ظلوا يحاولون تحريكهما كلا على حدة.. يتهامسون.. يتمتمون حتى زال عنهم الشعور بالدهشة والعجب، فربت بير على كتف جاج إيرز قائلاً: «نحن آسفون على كل ما حدث ما رأيك في أن نساعدك بأن نجعل أذنيك تبدو أن أقرب إلى الطبيعية؟»

فسأله جاج إيرز باكياً: «هل يمكنكم بالفعل القيام بذلك؟» أجابه بير: بالطبع.. أذهب وأحضر الكيس.

سرعان ما أتي أحد الصبية بالكيس الموحد الذي أخرجه من المجرور لجاج إيرز الصغير الذي كان يجلس على الرصيف يمتلكه الصمت الرهيب، بدأ بير الحديث بهدوء قائلاً: إن دم ثعبان الماء يمكن أن يسبب فقدان البصر إن وضعت في عينيك، لكن إن وضعت وحله في أذنيك، ستبدأ الأذنين في الانكماش، ما إن أتم بير عبارته حتى غمس إصبعه في الكيس فأخرجها بكمية كبيرة من الوحل بني اللون قائلاً: من يريد أن يعالج أذنه الأخرى؟

صاح أحد الصبية: «أنا أريد ذلك فصاح آخر»: لا دعني أنا أولاً.. فنشب جدال صغير بينهما حتى فازواحد منهما بتلك التجربة وهو صبي صغير يسيل مخاطه من أنفه، فقد دسَّ إصبعه في الكيس وأخرج كمية من الوحل القذر متبعاً بير كمثال يحتذى به الذي قال له: «ضعه في أذنه، وهنا شعر جاج إيرز بشيء بارد صمغي يزحف كالحية في قناته السمعية».



سألهم جاج إيرز: هل سيجدي ما تفعلونه نفعاً؟ أوماً الجميع بالإيجاب في فضول بينما أغمض جاج إيرز عينيه وسرت في جسده رعشة شديدة. بعدما اكتملت جلسة العلاج الأولى.

صاح صوت آخر: أريد أن أجرب أيضاً، وآخر: وأنا أيضاً.. فتخرج بذلك كمية أكبر فأكبر من الوحل من داخل الكيس، وتندس أصابع كثيرة لتقحمها في الأذنين الكبيرتين الحمراءتين حتى قال بير: عد الآن إلى منزلك وإن لم تنكمش غداً سنعطيك جرعة أخرى من الدواء!.

ومنذ ذلك اليوم أخذت بيورك تنظف أذني ابنها بأعواد القطن بواسطة بالماء والصابون مراراً وتكراراً لكن دون جدوى، فكلما أقنعت بيورك نفسها أنهما أصبحتا نظيفتين عاد الوحل يندفع منهما مجدداً.

تنهد أسكيلد حينما عاد يوماً ما من عمله في ساحة السفن ووجد زوجته في محاولة منها لتنظيف أذني ابنه على مائدة المطبخ فسألها: «هل لديه عدوى أو التهاب ما في أذنيه؟» ثم سألا نبيلز الصغير إن كان يشعر بألم في أذنيه قبل أن يغمساً (فازلين) على الترمومتر وقاما بقياس درجة حرارته، لكنها كانت طبيعية جداً، ومع مرور الوقت، لم يكن الوحل فحسب هوما يخرج من أذنيه خلال خطوات تنظيفهما التي أصبحت من الطقوس اليومية لبيورك، بل وجدت بيورك أيضاً بعض الحلزونات الصغيرة وأجمات خضراء وأوراق شجر صفراء اللون، كما وجدت بعض صغار الضفادع تقفز من أذنيه حتى طفح كيلها فقالت لابنها يوماً ما: لا تقحم شيئاً في أذنيك، ربما ينتهي بك الأمر بأن تصاب بالصمم.

أوماً جاج إيرز مقرا بكلامها ثم سألها إن كان صحيحاً ما يتردد أن أذنيه كبيرتين للغاية.

أرادت بيورك أن تعرف من يضايقه بهذا الكلام فسألته: من قال لك ذلك؟ لكن جاج إيرز لم يرد الإفصاح بأي كلمة عن جلسات علاجه السرية التي يأخذها يومياً في الشارع، أجابها نافياً: «لا أحد».



في نفس اليوم دفعت بيورك بزوجها أسكيلد إلى الردهة حيث ظلا يتهامسان ويتمتمان لمدة ربع ساعة كاملة.. بعد ذلك اندفع أسكيلد إلى المطبخ أمسك بجاج إيرز ثم رفعه في الهواء، أخذ يلفه بقوة حتى دارت رأس الصغير بشدة، ثم أجلسه والده على مائدة المطبخ وصاح فيه قائلاً: كن فخوراً بأذنك يا بني إنها تجعلك تسمع ما لا يسمعه الآخرون وأيضاً ما لا يستطيع سماعه مواطنو كريستيانساند.. هؤلاء الحمقى!

سأل جاج إيرز والده بعدما زال عنه خوفه: ما الذي يمكنني سماعه يا أسكيلد؟

أجابه والده: لا تناديني بأسكيلد يا بني.. نادني بـ أبي.. أتفهمني؟ فأردف جاج إيرز: نعم يا أبي ما الذي يمكنني سماعه؟ ولأنه لم يكن لدى أسكيلد إجابة على سؤال ابنه السابق، فقد حاول جاج إيرز اكتشاف ما يمكن سماعه بأذنيه الكبيرتين ولا يستطيع سماعه الآخرون. فهو يمكنه سماع صوت أنفاس أمه المتلاحقة.. أناتها.. تنهيداتنا في الردهة.. صوت الصفيح الصادر من رئتي أبيه.. صوت انسياب وطنين كميات الأدوية التي أقحمها الأطفال الأشرار في قنواته السمعية.

مع الوقت، بدأ جاج إيرز يسمع أموراً لا يصدقها عقل، ففي يوم ما، حدّق نيلز الصغير في وجه أبيه وسأله: «ما الذي تريدني أن أسمعه يا أبي؟.. أخبرني. أجابه أسكيلد قائلاً: إن أذنك حقاً أذننا رجل ناضج، ستسقط النساء فاقدرات الوعي من سحر أذنك.

بعد ذلك ذهب أسكيلد خارج المنزل لممارسة هوايته المفضلة (الرسم الزيتي) بينما وقف جاج إيرز على مائدة المطبخ حتى جاءت بيورك وأنزلته على الأرض.

ما إن نزل جاج إيرز على الأرض حتى زحف إلى داخل الخزانة أسفل الحوض وأغلق الباب خلفه، وأحضر قلمماً وبدأ يكمل رسمه للعصا التي اعتاد رسمها من قبل، كما اعتاد أن يخرج من تلك العصي رؤوساً كبيرة وأقداماً صغيرة،



لكنه الآن وجد نفسه بطريقة لا إرادية يرسم مثلثاً كُتاب حاد بدلاً من الوجه وكذلك فعل في جميع العصيّ التي رسمها. وسرعان ما تحولت تلك العصي المرسومة في الخزانة إلى وحوش صغيرة.

هناك ما يدفعه للتعبير عن الوحوش بداخله حيث جسدها أمامه لتشاركه الواقع الذي يعيشه.

لم يلبث بعد أن خطَّ جاج إيزر أول وحش في الخزانة حتى امتلأ المنزل جميعه بوحوشه الخيالية، وفي صباح يوم ما سقطت من أسكيلد شفرة حلاقته على أرضية الحمام وما إن انحنى ليلتقطها حتى وجد ما لم يكن في الحسبان!! فقد وجد ثلاثة وحوش صغيرة على الحائط أسفل الحوض، حتى بيورك حينما كانت تنظف المنزل فقد وجدت وحوشاً أسفل الأسرة، وبين الأرفف السفلية في حجرة المؤن وأدوات المائدة، وذات يوم وهى تقوم بتنظيف شامل للخزانة أسفل حوض المطبخ فوجئت بصف الوحوش التي احتشدت هناك حتى كاد قلبها أن ينخلع من هول المفاجأة فقد شعرت بالبرودة تسري في جسدها حتى اوشكت أن تتجمد من الفزع، فحاولت بيورك محو تلك الرسوم نهائياً لكن دون جدوى ، فكلما أزالَت بيورك عددا منها رسم جاج غيرها في الحال، وسرعان ما تبرز ملامح الوحوش القديمة مجدداً بين ثنايا بقع الزيت في المطبخ بعدما تمت دهان حوائطه بالكامل.. حتى بات محو تلك الوحوش أمراً مستحيلاً.

وفي مساء أحد الأيام تساءل أسكيلد في نفسه متعجباً: وحوشٌ.. آذان متسخة..! أي نوع من الصبية يكون ابني.. ذلك الصبي الغريب!.

بعد أيام قلائل عاد أسكيلد إلى المنزل وأحضر معه ببغاء طويل الذيل يدعى كاي، أحضره من بحار في الحانة المحلية وقد أمكن للطائر أن يقول: أعطني مكعب سكر.. احضر الأكوافيت، كانت تلك العبارة هي آخر عبارة قالها الطائر وأضحكت أسكيلد كثيراً وضع كاي على مجتمه في الردهة مقيداً بسلسلة معدنية حول قدمه كي لا يطير ويهرب عن المنزل.



سأل جاج إيرز أباه: «هل هو حقاً من أمريكا؟».

أوماً أسكيلد مُقراً قبل أن يحمله ليلقي نظرة عن كُتب على هذا الطائر ذي المنقار المعقوف والريش الزاهي الألوان والعينين الصغيرتين اللتين تبدوان كبليتين زجاجيتين تتحركان باستمرار في حركة دائرية، حدّق جاج إيرز في إعجاب وانبهار في هذا المخلوق تملّأه البهجة والسرور حينما يسمع صوته الغريب ورائحته الطيبة حتى صاح أسكيلد مداعباً ابنه قائلاً: «احترس وإلا سيقضم أنفك».

بعد زوال الخوف وعدم الألفة في بادئ الأمر، أصبح كاي هو محور الحديث المفضل لدى الأب والابن.

سأل جاج أباه: هل يجب أن نضع للطائر بعض الماء يا أبي؟

سأل أسكيلد ابنه: هل تحدثت مع كاي اليوم يا بني؟

أصبح لكاي عدة ألقاب كأبي طفل محبوب في العائلة.. بيب بوي.. بابل هيد.. يانكي.. وبعدها لقّن أسكيلد ذلك الطائر عدة دروس، بدأ كاي يقلد صوته لُقّب الطائر بالمخلوق الشيطاني (ديمون كرياتشار) وبذلك الطائر الشيطاني (دامن بيرد) .. وكثيراً ما كان يشاهد أسكيلد يتجول في البلدة وكاي على كتفه. وبفضل وجود كاي بدأ جاج إيرز يأخذ مكانة مرموقة بين الصبية في الجوار.. حينما كان يمر أسكيلد عليهم ومعه ذلك الببغاء العجيب القادم من أمريكا، كان جاج إيرز يسمع الصبية يتساءلون: هل هذا ببغاء حقيقي؟ هل يمكنه الكلام؟ وحينما يخرج الصبي إلى الشارع لتلقي علاج أذنيه اليومي، كان يحضر بنفسه الصبية إلى المنزل ليلقوا نظرة عن كُتب على ذلك الطائر العجيب.

سأل بير: هل يمكننا لمسه؟

أجابه جاج إيرز: بالطبع يمكنك ذلك لكن المس منقاره فحسب.

بسعادة غامرة ودهشة عارمة اقترب بير من الببغاء، لكن ما إن بدأت سبابته تتحرك سننيمترات قليلة بعيداً عن المنقار حتى صاح جاج إيرز: احترس



سيقضم أنفك، فما إن سمع بير صياح جاج إيرز حتى سحب إصبعه بعيداً عن الطائر على الفور وقد تملكه الخوف والذعر.

صاح صبي صغير: «تملكك الذعر حتى أنك لم تتمكن من لمسه!»

لكن سرعان ما أحدث الببغاء كاي خللاً في توازن الصبية حينما ضرب الجمع بجناحيه فبدأ بير في الدفاع عن نفسه وسط مناقشة حادة مع الجميع، وحينما اقترب جاج إيرز من الطائروحملة وضغط أنفه الصغير على منقار الببغاء الكبير فلم يكن هناك ما يمكن مناقشته بعد ذلك.

بات الببغاء يشكل خطراً كبيراً للصبية لكنه مثل ثقلًا كبيراً لشخصية جاج إيرز أمام قرنائته، في حين استمرت جلسات علاج أذنيه على كل حال، وتزايدت مشاعر الخوف والفرع لدى بيورك كلما كان يخرج من أذني ابنتها الكبيرتين المزيد من الوحل.. الحلزونات.. والحشرات المهموكة، كما تزايد استهلاك بيورك للأعواد القطنية لتنظيف الأذن وكذلك الماء والصابون في الأواني المعدنية، في نفس الوقت تزايدت أيضاً أشكال الوحوش التي يرسمها جاج إيرز في الخزانة أسفل حوض المطبخ، حتى باتت تلك الوحوش مخيفة أكثر من ذي قبل، قال أسكيلد: إنه التهاب في الأذن الوسطى مجدداً وجد جاج إيرز ترمومتر مغطى بفازلين يقحمه في أذنيه والذي كان يمثل له الذل بعينه . كل يوم تخلع أمه سرواله عنه وتضع له لبوساً بارداً رغماً عنه في حين يصبح أسكيلد من الرذهة بعد فراغ صبره: هل يعاني الصبي من الحمى؟ لكن النتيجة لم تتغير مع مرور الأيام، فهو لم يكن يعاني من الحمى بل كان يخالجه شعور داخلي أوقل مشاعر مختلطة تجاه أمه، مثلت بيورك له حتى ذلك الحين الملاك الحارس في المنزل فقد كانت لديها القدرة على امتصاص تصرفات أبيه العنيدة.

وبالرغم من مرور الوقت ظلت الحال على ما هي عليه، وحينما رفعت بيورك سروال ابنتها ابتسمت له ابتسامة رقيقة قبل أن تقول له: سيكون لك أخت صغيرة.



فسألها كيف يحدث هذا؟ أجابته بيورك: لا يجب أن تسأل عن ذلك أيها الولد الشقي سل والدك.

قال أسكيلد لابنه: حينما يأتي أخوك الصغير إلى الدنيا، يجب أن تتصرف كأخ كبير وتتوقف عن التبول في فراشك، كان والده يشير إلى حقيقة أن جاج بدأ يتبول في فراشه أكثر من ذي قبل، بعدما فقد الببغاء الذي أحضره له والده من أمريكا قيمته، وزال عن الصبية بالجوار الفضول القاتل الذي كان يتملكهم حيال ذلك الببغاء.

استطرد أسكيلد قائلاً: يجب أن تكون مثلاً يحتذي به أخوك ويسير على نهجه، ثم أردف بصوت فظ ونظرة صارمة تعلووجه قائلاً: «لذا تجاسر يا بني وكن لأخيك أماً كبيراً».

لم يفهم جاج إیرز ما يتحدث عنه والده، لكنه شعر بعدم الرضا عن نفسه وعن شخصيته حتى انعكس ذلك الشعور على تعبيره المفضل لديه.

فيما بعد: بدأت تسوء الأمور فمثلاً بعدما ينتهي من غداء ليلة الكريسماس يستند على مقعده ويتنهد بعمق قائلاً: تسوء الأمور دائماً في حياة أبي أو أثناء عشاء العمل حينما يتأمل بإعجاب الاستثمارات غير الموفقة لمنافس ما، حينئذ يمكنه قول: «تسوء الأمور فعلاً مع فلان أراهن على أنه ينبغي له بيع أي شيء قبل نهاية العام».

يقف جاج أمام والده الذي تفوح منه رائحة التربنتينة كطفل لم يتجاوز الرابعة من عمره شعر أن أباه هومن تسوء الأمور بالنسبة له، في حين يتعجب أسكيلد حاد الطباع قائلاً: «لكن من أن يأتي هذا الطفل الملعون؟». استطرد أسكيلد وهو يتجشأ قائلاً: حينما تتعاشر الخنازير تلد صغار الخنازير، بينما حينما يدخل الفرد في علاقة حميمة مع شخص آخر ينجب أطفالاً.. والآن اذهب والعب.

صاحت فيه بيورك: أسكيلد! ما هذه الخرافات التي تخبرها لابننا! أجابها أسكيلد: أعتقد أن الصبي يمكنه أن يسمع الحقيقة.



لكن بيورك لم توافق أبداً على أسلوب حوار أسكيلد، ثم همست فيما بعد وهي تحدث أختها هاتيفياً: ذلك الرجل يدفعني للجنون يشمل كحيوان حقير تفوح منه رائحة الخمر إلى جانب رائحة التربينتينة الفظيعة بحق المسيح! كم أشتاق إلى بيرجين اعتادت (لينا) منذ أكثر من عامين ماضيين أن تستمع إلى شكاوى بيورك، وتبتسم فخورة بنفسها فهي موضع ثقة أختها، فتطلق لها العنان لتنفس عن شعورها بالإحباط، استطردت بيورك قائلة: سأخبرك بالعبارات والكلمات التي يستخدمها يومياً: أحمر خجلاً من مجرد التفكير فيها كانت تنفس بيورك عن غضبها أثناء محادثتها مع أختها هاتيفياً ترتجف من مجرد ذكر تلك الكلمات التي تخدش الحياء والتي نشبت كالنار في الهشيم فجأة في منزلها دون مقدمات، والآن بالفعل فقد توقفت علاقتهما الحميمة بعد مولد جاج إيرز، لكن مؤخراً عادت لتطفو فوق سطح حياتهما بشكل جديد، كانت تلك العلاقة أشبه بمعاشرة الحيوانات، يتسلل أسكيلد شديد الثمالة تفوح منه رائحة الخمر والتربينتينة يزحف إلى فراش زوجته زحفاً، ويمارس الحب معها بقوة بشكل يعكس من داخله شعوراً رهيباً بإحباط مكبوت، في حين يفوح عطر الطبيب لينعش أحلام بيورك مراراً وتكراراً.

لم تذكر بيورك عن ذلك شيئاً لأختها، لكنها تشتكي منه فحسب قائلة: ذلك الرجل يدفعني للجنون، ثم تمتمت هامسة في نفسها: أتمنى لو يشمل حتى الموت، بعد ذلك أغلقت بيورك سماعة الهاتف وذهبت للبحث عن جاج إيرز الصغير الذي اختفى في الخزانة أسفل الحوض.

حينما وجدت أنه ما زال هناك كثير من الأشياء المقززة تخرج من أذني ابنها، قررت بيورك أخيراً أن تأخذه إلى طبيب الأطفال كان عليها أن تدخل البلدة على كل حال، كان اسم الطبيب بونتويدان، وكان رجلاً ناضجاً متقدماً في السن، فوجدت بيورك نفسها محاطة بجميع أنواع الأدوات الطبية: أنابيب اختبار، أجهزة قياس ضغط الدم، وكتب ضخمة عن استمئاء الطفل باليد، والتي كانت من أهم اختصاصات ذلك الطبيب، ما إن رأت بيورك حقيبة



الطبيب واشتمت الرائحة المعقمة التي تذكرها بمن هوماً لوف لديها، حتى شعرت بالراحة للمرة الأولى منذ زمن مضى، في حين جلس جاج إيرز ساكناً في مكانه بينما كان الطبيب يفحص أذنيه بدقة، في البداية انشغل الطبيب في التفكير في حجم أذنيه وكيف أنهما متعامدتان على رأس الصبي قبل أن يهتم بعد وهلة وينشغل بصلب المشكلة، وهي الأشياء المقززة التي تسيل كالشلال من أذني مريضه، لم يدم ذلك الفحص طويلاً، فقد جلس دكتور بونتوبيدان على مقعده، ومال بظهره إلى الخلف، وأشعل تبغه في حين ساد الصمت الغرفة لوهلة قبل أن يقول لبيورك: التهاب في الأذن الوسطى؟ أهذا ما تعتقدينه يا سيدتي العزيزة؟ لا.. دعيني أخبرك بذلك بصوت عال وواضح: ذلك الصبي يقحم أشياء في أذنيه.

صاحت بيورك: نعم، لكنني أمرته ألا يفعل ذلك.. نيلز.. ألم أمرك بألا تقحم شيئاً في أذنك؟

أوماً نيلز الصغير مقرأً، بينما هزت بيورك رأسها في استسلام ويأس بعدما تمت أن تسمع تشخيصاً وافياً لحالة طفلها أوتسمع الطبيب يخبرها بإعطائه أقراص دوائية لتشفيه من علته، ثم همست بيورك: إذاً.. أعتقد ما من شيء يمكنك فعله.

أردف الطبيب: لماذا أنت متأكدة من ذلك؟ ثم استدعى الطبيب ممرضته لتصطحب جاج إيرز إلى غرفة الانتظار، واستطرد الطبيب وهوينقر المكتب بخلبونه: أتعلمين يا سيدتي العزيزة: هناك بعض الطرق هل يمكنني أن أطرح عليك سؤالاً؟ هل مارست على ابنك أي نوع من أنواع العقاب البدني؟.

أجابته بيورك وهي تجهل أية إجابة ينتظرها منها الطبيب: لم استخدم معه العقاب البدني كثيراً.

فقال لها الطبيب وهوينظر إليها بثقة وانتصار: إذاً من الواضح يا سيدتي العزيزة أنه لا بد منه الآن.. الضرب..!، استخدمتي وسيلة الضرب حينما يضع أي شيء في أذنيه، اضربه في الحال فالعقاب الفوري هو أهم علاج لابنك



حتى لا تختلط على الصبي الأمور ويدرك لماذا يستخدم والده ووالدته تلك الأساليب الضرورية.

سألته بيورك: «لكن ألا يوجد أي حل بديل؟»

مال بونتوبيدان ظهره إلى الخلف في مقعده ثم أشعل غليونه مجدداً، في البداية بدا منزعجاً لتردد بيورك لكن سرعان ما توهج وجهه بفكرة طرأت بباليه، وهرع نحو إحدى الخزائن المنزلية الكبيرة وظل يبحث بين أجهزة قديمة حتى عثر على ضالته في شيء ما يبدو كدروع صغير، دعنا نسميه (الجهاز الغريب السخيف) ذلك الاسم الذي أطلقه عليه جاج إيرز فيما بعد، وضع الطبيب ذلك الجهاز الغريب على مكتبه وهو متحمس قائلاً: ها هو حلنا.

وجدت بيورك نفسها أمام مخضّر (كورسيه) حديد صُمم قبل الحرب العالمية الأولى على يد بونتوبيدان نفسه بعد دراسة متأنية لجهاز استخدم من قبل دكتور دانيال جي أم سكريبار والعديد من الأطباء الذين يتلاقون في نفس التفكير، كانت جميع تلك الابتكارات لغرض واحد فحسب وهو منع الأطفال من الاستمنا باليد أو القيام بأية أفعال لا أخلاقية، لذلك كان المخضّر ابتكار قديم حتى في بدايات عام ١٩٥٠ همست بيورك في نفسها في تعجب ودهشة: ما هذا بحق الجحيم؟ ثمة شعور داخلي لدى بيورك يدعوها لرفض ذلك الحل السخيف لكنها شعرت كثيراً بالتعب من كثرة تنظيف أذنيه من الوحل ومن كثرة استخدام الأعواد القطنية كانت تشعر بالإحباط حيال كل تلك المشكلات التي تحيط بحياتها. الأسرية.. كما أنها كانت مفتونة بقوة تأثير الطبيب اللامع الذي، فسرعان ما أقنعت نفسها به وبما سيخبرها به.

شرح لها الطبيب: يمكنه أن يلعب قدر ما يشاء، لكنه لن يمكنه رفع ذراعيه فوق كتفيه، كما أضاف قائلاً: حينما تكونين أنت وزوجك حاضران لا داعي لأن يلبس الصبي ذلك المخضّر بالطبع.

لكن هناك بعض التوضيحات التي يجب على الطبيب شرحها، حيث أن المخضّر لن يستطيع أن يفي بالغرض المطلوب منه، يمكن لنصفه السفلي أن



يتحرك، فالهم هو الجزء العلوي فحسب، والذي سيكون محكم الربط إلى  
رسغي الصبي لتحديد حرية حركته.

استطرد الطبيب قائلاً: إن القوى الرهيبة الشاذة التي تدفعه لعادة إقحام  
الأشياء في أذنيه ليست كتلك التي تميز الاستمناء باليد، لم يخف ذلك  
الطبيب المتقدم في العمر شغفه واهتمامه بعمله الذي شعر به في الماضي،  
حيث أنه استخدم المُخَصَّر مع أطفاله لفترة قصيرة وكانت النتائج مذهلة  
حقاً، فها هو ابنه الآن يعمل طبيباً تحت التدريب وابنته تزوجت من ضابط  
بحري في أوصلو.

قالت بيورك: حسناً.. من الأفضل أن أستخدم أسلوب الضرب.  
استدعى جاج إيرز الآن بعدما ترك خلفه ثلاثة وحوش وناب واحد مرسوماً  
على الحائط أسفل مقعده في غرفة الانتظار، في البداية، لم يكن الطفل يدري  
مصيره الذي ينتظره حينما كان الطبيب يأخذ مفاصله ويتجراً على مضايقة  
الصبي، لكن ما إن بدأ في مضايقته حتى تعالت صرخات مدوية ترج أركان  
العيادة، ثم جاءت الممرضة فزعة لتمسك بالطفل تراجعت بيورك في الحال،  
وأخذ الطبيب يسب ويلعن بصوت مرتفع.

صاح الطبيب: لقد عضني عليه اللعنة، وبدأت قطرات الدماء تسيل من يد  
الطبيب على الجهاز الغريب السخيف.

أخذ جاج إيرز يتمتم أثناء سيره في شوارع كريستيانساند وعينيه لا تفارقان  
الرصيف قائلاً: أمي مغفلة.. مغفلة حقاً.



## الفرار بعيداً عن الواقع

حينما عاد أسكيلد إلى بيته من ساحة السفن ووجد ابنه أسفل الحوض، صاح: ما الذي يرتديه ابني بحق الجحيم!! أيّ درع ذلك بحق المسيح...!!  
ما إن سمع جاج إيرز صوت أبيه حتى زحف خارج الخزانة وهويّين ويتذمر حتى يتسنى لوالده أن يلقي نظرة عن كُتب على مخَصّر بونتوبيدان، ثم صاح الصبي معترضاً: لا أريد ارتداء هذا يا أبي.. لا أريده.. ذلك الجهاز السخيف الغريب!!

نظر جاج إيرز باستعفاف لوالده الذي أخذ يفرك بقعة سوداء على وجهه من آثار العمل في ربكة وحيرة من أمره حتى وصل إلى قرار نهائي فصاح: «اخلع ذلك الجهاز السخيف».

لم يتفق أسكيلد مثلما ذكرنا من قبل مع بيورك في اعتقاده وإيمانه بالمهام والاختصاصات الموكلة للفرد ولم يثق أبداً في هؤلاء الأطباء الذين يظنون أنفسهم قادرين على فعل المعجزات وتحقيق المستحيل، فهم يظنون أنفسهم كالسحرة يمارسون السحر والشعوذة لشفاء المرضى.

تذمر أسكيلد وهويّتحسس ذلك المخَصّر قائلاً: لن يركض ابني هنا وهناك بهذا الشكل أبداً، ولأسباب معينة قررت بيورك الدفاع عن وجهة نظرها لأول مرة.

حينما حاول أسكيلد فك الأربطة والأحزمة ليفك وثاق ابنه من جهاز التعذيب هذا الذي أعطاه له الطبيب صاحت بيور: «لا يجب عليك فعل ذلك إلا بأوامر من الدكتور بونتوبيدان، سيرتديه جاج لشهرين وحسب».

لكن أسكيلد لم ينصت إلى حديثها قائلاً: «لن أسمح بذلك أبداً»، حتى عندما نجح أسكيلد في حلّ الحزام الأول ثم الآخر فلم يثنيها ذلك عن رأيها بل صممت على تنفيذ أوامر الطبيب، فدفعت بنفسها بين الأب وابنه بقوة حتى هوى جاج إيرز أرضاً.



ثم صاحت: «وإلا سأغادر المنزل وأذهب إلى أُمي».  
ساد الصمت المكان لوهلة.. نظر جاج إيرز إلى أمه في رعب.  
فصاح أسكيلد مقلداً صوت زوجته في سخرية واستهزاء بنبرة طفل باكي: أُمي،  
أُمي، أريد أن أذهب إلى أُمي.  
لكن استطردت بيورك وهي تهز أسكيلد بعنف: أنا أعني ذلك يا أسكيلد..  
سأغادر المنزل.

فصاح أسكيلد في حين كان تفكيره مزدحماً بالعديد من الأمور يتضمنها تذمر  
من قبل العاملين في ساحة السفن والذي انتشر كالنار في الهشيم في جميع  
أرجاء العمل، وكانت المشكلة القديمة سببه دائماً، فقد ظهرت العديد من  
الآراء والاقتراحات المتعلقة بتصميمات السفن الخيالية التي يقدمها أسكيلد  
للجنة العمل وبإلهامه في اتخاذ الأسلوب التكعيبي في تصميماته.  
انسحب أسكيلد إلى الردهة ما يعد خيانة واضحة لجاج إيرز وتركه وحده في  
المطبخ في مواجهة أمه الغبية التي صممت على ارتداء ابنها لذلك المخصر  
السخيف دون أن تعباً بعبارات السخرية والاستهزاء التي هطلت على رأس  
ابنها كالطر في الشارع طوال الأيام التالية.  
• ألم تروا جاج إيرز؟ إنه يلبس درعاً!  
• ياله من أخرق! اليوم ليس عيد الهالوين!.

بالطبع استمرت جلسات علاج أذنيه لكن هذه المرة لم يتمكن جاج إيرز من  
الدفاع عن نفسه ودرئ الخطر عن أذنيه، فقد كان يعوق حرية حركته ذلك  
المخصر السخيف الذي اقترحه الطبيب لعلاج الحالة، واستمر الحال على هذا  
المنوال فالصبية يقحمون كل ما هو غريب في أذني جاج إيرز بزعم علاجه من  
علته، بينما ظلت بيورك تنظف أذني ابنها من الوحل وقطع الحلزون التي  
تملأها عن آخرهما.

بعد مرور شهر من فشل ذلك الجهاز الغريب السخيف في القيام بمهمته  
المستخدم لها وحينما ذهبت بيورك مجدداً إلى مكتب الطبيب بوننوبيدان



لشكوى من النتائج السلبية للمخَصّر، بدا الطبيب عجزاً وكأنها تقدم به  
العمر عشرة أعوام كاملة، حدّق بالأم في دھول ودهشة.  
ثم قال: هل الأمر متعلق بالنتوءات على قدميه مجدداً؟  
أجابته بيورك في دهشة وعجب: نتوءات على قدميه ..! الأمر متعلق بأذنيه  
يجب أن تفحصهما مجدداً، لكن لم يجد الطبيب ضرورة من القيام بذلك  
الأمر.

أردف الطبيب-شارد الذهن- قائلاً: يجب أن ننتظر حتى نرى كم سيستغرق  
ذلك الأمر من الوقت، كل شيء في حينه يا سيدتي العزيزة ستستيقظين يوماً  
ما وستجدين كل شيء قد انتهى.

لم يكن من بيورك سوى أن أمسكت بيد ابنها وعادت أدرأها إلى المنزل  
تجوب العديد من شوارع المدينة ينتابها شعور قوي بالحيرة والاضطراب،  
لكن ما إن استحضرت حقيقة الطبيب في مخيلتها حتى عادت لتثق في كلام  
الطبيب كحالها دوماً فهي تؤمن بالأطباء ولا تفقد أبداً ثقتها في التأثير  
السحري لحقيقة الطبيب بها، ثم قالت لابنها وهما في طريقهما إلى المنزل:  
«لقد سمعت حديث الطبيب يقول أن يوماً ما سيكون كل شيء على ما  
يرام».

أصبح أسكيلد لا يلقي بالآبل لا يعبأ مطلقاً بمنظر مخَصّر بونتوبيدان، فقد  
تزامنت العديد من الأمور في عقله مثلما كانت دائماً لفترات طويلة حتى  
آخر يوم في حياته، في حين لم تره عائلته مشغول البال أبداً، فقد كان يشحذ  
زناد فكره في الحانات وحسب، وبعدما هددت بيورك بالعودة إلى منزل  
والدتها في بيرجين، حتى أن لحظات الحديث بينها وبين أسكيلد قد اقتصرت  
على الضرورة القصوى، وقد تبنيا عادة تبادلها والتي أصبحت ملازمة لهما  
حتى الأيام المتبقية في حياتهما.

في السادسة مساءً تناول بيورك طعام العشاء مع ابنها جاج إيرز في المطبخ،  
ثم يُعاد تسخين الطعام، ثم تُلف القدور في جرائد ويوضع الطعام كله تحت



الألحفة في غرفة النوم ليبقى الطعام دافئاً حتى يعود أسكيلد من عمله في التاسعة مساءً.

وبذلك تحولت غرفة نومهما التي كانت متنفساً للقائهما معاً في الظلام الدامس إلى غرفة لتخزين كرات الأسماك والسمك المشوي، وحساء الكرنب، فبدأت تزحف رائحة الأطعمة المختلفة المستفزة تمسك بالألحفة.

أتذكر تلك الرائحة حتى الآن وكأنها البارحة، اعتدت أن تثير تلك الرائحة حاسة الشم لدي منذ صغري، فكلما دخلت غرفة نومهما المظلمة المكسدة بالأطعمة المختلفة في ثانوي منذ ذلك الحين.

بدأت تعبيرات وجه أسكيلد تتغير ويعكس تغيرات ملحوظة في شخصيته حيث أصبحت العبارات اللاذعة تندفع من فمه وتتطاير النظرات العابسة الكثيبة من عينيه حتى بدا للجميع بخيلاً نوعاً ما، وبدأت رائحة الكحول ودخان الترنيتينة في بدايات عام ١٩٥٠ تترك أثراً واضحاً بوجه جدي الذي تقدم به العمر بشكل ملحوظ.

بدأت المشاكل تتكالب على أسكيلد حتى مساء يوم ما، حينما قرأ جدي إعلاناً في الصحيفة، فما إن انتهى من قراءته جيداً حتى وُجد فيما بعد يركض خلف رئيسه يتملكه غضب عارم، فقد ظل يهرول خلفه حتى وصل إلى منتصف ساحة السفن، وأخذ يلوح بعصاه مهدداً أنه سيرج الرجل ضرباً، بعد مرور نصف ساعة، كان رئيسه في مكتب سجل العاملين يأمر بشطب أسكيلد إريكسون من السجل، ياله من رجل مجنون!.

في صباح اليوم التالي: قرع اثنان من ضباط الشرطة باب أسكيلد لإعطائه إنذاراً رسمياً بالآلا يعود إلى ساحة السفن أبداً، بينما وقفت بيورك ساكنة تحذق في المحضرين في ذهول وتعجب، وسواء قبل أو بعد تلك الحادثة فقد قرأ أسكيلد إعلاناً قصيراً مكتوباً فيه كلمة ستافينجار تلك الكلمة التي علقت في ذهنه وسيطرت على تفكيره.

لم يعترض أحد من الأسرة حينما أعلن أسكيلد في مساء يوم ما أنه وزوجته



قد ضاقا ذرعاً بكريستيانساند فقد كانت لهما أساس كل المشكلات، فقرر أسكيلد أنهما سيغادران إلى بلدة ستافينجار الذهبية حيث سيعيشان كالملاك والأباطرة.

فكرت بيورك في الأمر ملياً: ستافينجار؟ على الأقل اختار أسكيلد الاتجاه الصحيح ، فهي أقرب إلى بيرجين من كريستيانساند!

ومنذ ذلك الحين بدأت بيورك تترقب اليوم عندما تحزم حقائبها وتغلق باب ذلك المنزل خلفها إلى الأبد لتترك خلفها كل ما يربعها ويخيفها في ذلك المنزل المشنوم الذي يعج بالوحوش التي اعتاد ابنها على رسمها فوق جميع الحوائط، وبأشباح زوجها التي تتملكه وتسيطر على جميع أفعاله ونظراته التي باتت مختلفة كلياً في الآونة الأخيرة.

في حين ساورت البعض العديد من الشكوك مثلما قالت لنا لاختها بيورك على الهاتف: لما لا تعودا إلى بيرجين فحسب؟ بحق المسيح، ألا يمكنه العودة إلى عمله القديم؟ في غضون ذلك، بدأت تتزاحم أمام الأعين الكثير من الصناديق في ساحة المنزل، وكذلك العديد من الحقائب والملابس مختلفة الأحجام والأنواع متناثرة هنا وهناك، حينما سمعت صيحات تنادي من الشارع: جاج إيرز! ماذا يحدث؟ إلى أين تذهبون؟.

فأجاب جاج إيرز: بعيداً، ثم هرول الصبي داخل المنزل ليختفي في الصناديق الكرتونية ويكشف كل أسرار عائلته: السراويل الداخلية، الصور والخطابات القديمة والتي كان الكثير منها مرسل من قبل دكتور ثور، وقد نجح براءة في تغطية كل تلك الصناديق برسومات الوحوش الصغيرة بأعداد هائلة مما أفرغ الحمّالين وحول عملية نقل العزال إلى جلبة وضجة شديدة، بالطبع لم يغير حمل بيورك في الأمر شيئاً مثلما لم يصف شيئاً تصرف أسكيلد حينما قام بتقديم الخمر للحمّالين بروح معنوية عالية خلال أيام قبل تركهما المنزل، كما لعب معهم البوكر في ساعات مبكرة من اليوم، ثم قام بتعريفهم بموسيقى الجاز عند الساعة الثالثة صباحاً ليضفي ساعات متعة أكثر لليوم.



وكم كان منظر وصول العائلة إلى هافينباكين في ستافينجار غريباً حقاً بالنسبة للجيران والأطفال الذين يلعبون في الشارع، فما إن وصلت أسرة أسكيلد إلى محطة القطار حتى أعجب بحصان عجوز كان واقفاً في الجهة المقابلة للرصيف يأكل بعض الكرتون برغم اعتراض الشياطين ومحاولات بيورك المضنية لإقناعه بأن يتصرف بعقل واعٍ إلا إن أسكيلد قرر أن يجعل ذلك الحصان يجر عربة نقل الآثاث طوال الطريق إلى هافينباكين.

عند آخر العربة التي كانت تنمايل بشدة كان هناك الشياطين الثلاثة شديدي الثمالة يغطّون في نوم عميق، ترتفع أصوات شخيرهم عالية.. بينما أمام العربة يجلس رجل واثق من نفسه يمسك بعصاه في يده وزمام الحصان بالأخرى، في حين يجثو على كتفه الأيسر، ببغاء أخذ يصيح: اللعنة بحق الجحيم! من يتنقل بهذا الشكل؟ بينما تجلس بجوار الرجل امرأة في شهور حملها الأخيرة ، ويبدو أنها لم يغمض لها جفن طوال الليل ، وعلى قمة الأمتعة وصناديق النقل كان جالساً!! وكأنه على قمة برج: صبي صغير ذو هيئة مضحكة بأذنين عملاقين يرتدي درعاً غريباً يمنعه من تحريك ذراعيه.

وقف الجيران جميعاً على أعتاب منازلهم يشاهدون عربة النقل وهي تتهادي في الشارع يجرها حصان منهك القوى، بينما يركض خلفها الأطفال بالجوار ظانين أنها عربة السيرك قد أتت إلى بلدتهم ليحظوا أخيراً ببعض المرح خلال أيامهم الرتيبة المملة، لكن الكثير منهم أصيب بالإحباط عندما علموا أنها مجرد عربة نقل متاعٍ لأسرةٍ أتت حديثاً لمشاركتهم الحياة في بلدتهم الصغيرة، في حين شعر البعض الآخر بالإثارة والمتعة لمجرد الشبه الكبير بين عربة المتاع وعربة السيرك.

لكن لم تكن ستافينجار بلدة الذهب والنعيم مثلما ظن أسكيلد، فلم تُستقبل الأسرة كالمملوك والأباطرة مثلما كان يحلم رب الأسرة، صحيح أن أطفال الجوار تحمسوا لمساعدة الأسرة في نقل الآثاث وهوما كانت الأسرة تحتاجه بالفعل حيث أن الشياطين لم ينهضوا بعد من سباتهم العميق، بينما ظل الرجال



والنساء البالغين في منازلهم وحينما تخطى أحد الجيران الشارع للترحيب بالسكان الجدد، انسحب على الفور قائلاً في نفسه: يدّعي أنه مهندس! ما هذا اللغو! ما هو إلا عامل في ساحة السفن في رأبي.

عجز الجميع عن إيقاف أطفال الجيران عن الاستمرار في إزعاج تلك الأسرة.. فقد دفعهم فضولهم إلى حمل الصناديق والخزانات حتى تبعثرت خطابات دكتور ثور القديمة على أرض الحديقة، وتمزقت المفارش، وأصدرت الأطقم الخزفية أصوات قعقعة شديدة كانت مصدر صخب وفوضى عارمة قبل أن ينكسر بعضها على أرض الممر المؤدي إلى منزل الأسرة الجديد.

كان اهتمام الأطفال منصباً وبشكل خاص- على جاج إيرز الصغي وقد سألوا بيورك: «ماذا به؟.. هل يعاني من التشنجات؟ ألهذا السبب يرتدي ذلك الشيء؟».

أجابتهم بيورك بصبر وهدوء شديدين أن ابنها الصغير يعاني من عادة إقحام الأشياء في أذنيه وأن المخضّر لم يكن درعاً مثلما يراه البعض، بل كان اختراع لطبيب فائق الذكاء. مع مرور الأيام صار جاج إيرز أضحوكة الجوار كله كانت تُسمع عبارات السخرية والاستهزاء تتردد في أرجاء الشارع وتضابق جاج إيرز نفسه الذي كان يسمع السخرية من أذنيه ولم يحرك ساكناً تجاهها. يصيح الأطفال قائلين: أنت.. هناك هل يمكن أن نناديك بـ جاج إيرز؟ اقترب وأرنا كيف تقحم الأشياء في أذنيك؟

بالرغم من رفضه الشديد لفكرة الاختلاط مع هذا العالم مجدداً، إلا أنه لم يصدر منه سوى الإذعان والانصياع لأوامر هؤلاء الأطفال، في حين كان والده دائماً ينصحه باللعب خارج المنزل كأبي صبي كبير، وكما قال له في أحد الأيام: «الفئران فحسب هي التي تعيش أسفل حوض المطبخ»، فأطاع الصبي والده، وأخذ يتهادى في مشيته مرتدياً ذلك المخضّر السخيف الذي وصمه بالتشنج وجعل الأطفال ينعتونه بالكرة الغريبة المتدحرجة في شوارع ستافينجار، وذلك حينما وقف الصبي أمام معذبيه المرتقبين، قال لهم بدون



تردد: «لا يمكنني فعل ذلك بنفسني لكن إن وعدتموني بألا تجذبوا أذني بقوة سأسمح لكم بفعل ذلك عني».

أجابه أحد الأطفال: اتفقنا.. لكن ماذا سنضع بداخلهما؟

حينما كان يحسب المدة الزمنية التي ينبغي عليه قضاءها خارج المنزل في الشارع ليرضي والده اقترح جاج إيرز عليهم قائلاً: «ما رأيكم أن تضعوا فيهما أوراق الشجر؟»

لم ينقض وقت طويل على انتقالهم إلى ستافينجار حتى بدأت بيورك تراودها أحلامٌ تنذر بسوء مرتقب حتى أصبحت تلك الأحلام تصيها بالرعب وتقض مضجعها.

في إحدى الليالي استيقظت فزعاً حينما راودها حلم فظيع أن طائراً كبيراً حط على فراشها وبدأ ينقر في بطنها المنتفخة ويحدث بها ثقباً عدة.

وفي ليلة أخرى نزلت إحدى الشخصيات التي رسمها أسكيلد بالطريقة التكعيبية من على الجدار.. اقتربت من بيورك وهددتها بمشرط كبير في يدها وحينما استيقظت بيورك من ذلك الكابوس الأخير- كانت الساعة الثالثة صباحاً - انتفضت من فراشها مدفوعة بألم شديد وغريب للذهاب إلى الحمام، فما إن همّت بالجلوس على المرحاض حتى أدركت ما يحدث لها، فأسرعت عائدة إلى غرفة نومها.

هزت أسكيلد بشدة لتوقظه من نومه وهي تصيح: سيولد الطفل الآن.. اتصل بأمي.

سارع أسكيلد بارتداء منامته وهروا إلى الهاتف ليتصل بحماته التي أخبرته أن حالة بابا ثورستن ساءت عن ذي قبل في تلك الليلة لذا لا يمكنها أن تأتي إلى ستافينجار الآن، همست بيورك: لا.. يجب أن نعود إلى بيرجين، لكن أسكيلد أمرها بالعودة إلى فراشها وعدم الاقتراب من المرحاض.

ثم طمأنها بقوله: «إن تطورت الأمور سريعاً وقرُب موعد ولادتك الفعلي يمكننا الذهاب إلى بيرجين ثم نادى على القابلة».



فما إن صرخت بيورك من آلام المخاض الأولى حتى انتفض جاج إيرز من نومه خائفاً فرعاً، فوجد والده في المطبخ، فقبل أن يقول له أسكيلد في ترقب: «سيأتي أخوك الصغير إلى الدنيا تذكر ما اتفقنا عليه».

تمتم جاج «نعم يا أبي» ثم تسلل إلى داخل الخزانة أسفل حوض المطبخ مجدداً حينما وافته الفرصة للقيام بذلك، حيث جلس طوال الثمانية والأربعين ساعة التي ظلت فيها بيورك تعاني من آلام المخاض الشديدة، ولم يكن المولود في عجلة من أمره للخروج إلى الدنيا مثلما جاء أخوه الأكبر، ظل جاج إيرز في الخزانة حتى عندما تحولت ثرثرة القابلة الموحية بالتفاؤل إلى تمتمات يشوبها القلق العارم.

ظل جاج إيرز في مكانه داخل الخزانة يتابع الموقف عن بعد، وحينما أتى إلى منزلهم طبيب شاب يتبعه فريق عمل طبي كبير، لم يسمع الصبي حديثهم بوضوح بسبب الوحل المقرز داخل قنواته السمعية-بعد قليل - اخترق أذنيه صوت صياح أمه قائلة: لا، لا يمكنني التحمل.. لا.. لم أعد أحتمل.

في تلك الأثناء كان جاج إيرز بصحبة جميع الوحوش التي عاد لرسمها في الخزانة، ولكنه أضاف إليها بعض الكائنات الفضائية الجديدة والقريبة الشبه بالوحوش القديمة ولسان حاله يقول عنه «من الصعب أن يستبدلا ابنهما بطفل صغير أحسن منه» ما إن شرد ذهنه قليلاً حتى تنامت إلى مسامعه همسات أبيه الماضية وحديثه السابق معه «تلك الأذنين! إنهما رائعتان!» يمكنك أن تسمع بهما ما لا يسمعه غيرك.. يمكنك سماع ما لا يسمعه قرويو كريستيانساند الحمقى.. لكن ما الذي يمكنني سماعه يا أبي؟ أنصت! لكن ما الذي تريدني أن أسمعه يا أبي؟ تنبه جاج إيرز وعاد إلى واقعه الذي يعايشه بالفعل حينما سمع صرخات بيورك المدوية من غرفة نومها، فحاول الصبي بكل جهده الإنصات والاستماع لما يقال حتى يمكنه إرضاء والديه ولولمة واحدة، ثم شعر بشيء ما يتدفق في قنواته السمعية تلك الأحلام الطفولية والأفكار البريئة بدأت تختمر في عقله.. تندفع بقوة مع ذكرياته المؤلمة لأعوام



سابقة، ولم يكن سبب ذلك الشيء الذي يسمعه توقف بيورك عن الصرخ، بل بسبب استمرارها في الصرخ ليوم كامل فيما بعد حتى قرر جاج إيرز الفرار بعيداً عن هذا الواقع والانعزال في خيالاته وضبط سمعه على ترددات أخرى. ثمة مشهد درامي مختلف بدأ يطغى على واقع ولادة الطفل الصغير، بدأ جاج إيرز يسمع أصواتاً مختلفة عن أصوات أمه وأبيه والقابلة والطبيب، أصواتاً تندفع لتجبر الصبي على سماعها عنوة، وقد صار هناك لغط وضجيج عارمين قبل أن يصبح صوت بعيد عن أصوات الآخرين قائلاً: يا بني، هل أنت مستيقظ؟ ثم ساد الصمت مجدداً .. بعد وهلة.. عاد الصوت ثانية يتحدث عن التبول في الفراش.. إنه الذل والهوان والإرث الكبير الذي فقد بعدما أطاحت به الأعاصير السبعة ودفنته تحت الأرض-بعد قليل- بدا الصوت استرضائي مطمئن قائلاً: فليذهب كل ذلك إلى الجحيم حانت اللحظة لقد رقدت في مكانك هذا بلا هدف سبع سنوات مضيت تتبول في سروالك وتتصرف كالطفل الصغير دعنا نتخطى ذلك الأمر الآن.. لا يوجد ما تخاف أوتهرب منه.. هل ستأتي معي يا بني؟ -بعد وهلة- سمع جاج إيرز صوتاً آخرأ يعرفه جيداً.. إنه صوت جده لأمه بابا ثورستن الذي قال له بصوت خافت ضعيف: نعم يا بني.. أنا قادم.



## غناء الروح

في صباح اليوم التالي.. حينما استيقظ جاج إيرز من نومه سمع صوتاً باكياً، فأسرع إلى غرفة نوم والديه حيث رُزقت بيورك بطفلة صغيرة شاحبة اللون منذ ساعة، فقال أسكيلد بعدما وجد أنه انخدع حينما اعتقد أن المولود سيكون صبي آخر: حسناً لم يكن ذلك خطأها على أية حال.

ومع مرور الأعوام بدأ أسكيلد وبيورك يتبنيان طريقة مزدوجة في التعامل مع أبنائهما الثلاثة، فقد كان أسكيلد دائماً يقول لابنيه: أنتم الاثنان يجب أن تتشجعا وتتحملا أكثر من ذلك وإلا ستندمان فيما بعد، ثم يقول عن ابنته: بحق المسيح! إنها تبذل ما في وسعها، وحينما كان ثلماً.. أوهكذا يكون دائماً.. يضع الطفلة الصغيرة على حجره ويتمتم بأصوات الأطفال الرضع التي يصدرونها ببراءة.

كانت بيورك تعامل ابنتها الصغيرة بحب جارف واهتمام شديد منذ البداية، تغني لها العديد من الأغاني عن المستقبل الباهر الذي ينتظرها، وتقوم بحمايتها بكل ما في وسعها من عيون الحساد.

بعد مرور عامين، شرح الطبيب لبيورك ما علمه الجميع لفترة طويلة أن الطفلة مصابة بتلف في المخ ولن تكون لديها القدرة على الكلام أبداً، فما إن أخبرها الطبيب بذلك حتى وقع حديثه عليها كالصاعقة. ما أثلج قلب الأم المسكينة..!

لم يفت ذلك في عضدها ولم يعنى ذلك أنها أهملت ابنتها، لكن ما من شيء قد تغير مع مرور الوقت فأعوام كثيرة مضت.

قالت بيورك: لست مخطئة في طريقة تربيته فلا يلقي أحد على اللوم لذلك، لكنني كنت أكثر ثراً دائماً لأمر أولادي.

قال أسكيلد وهو يحمل جاج إيرز ليتمكن من طبع قبلة أخوية دافئة على صدغ المولودة الصغيرة ثم قال له: اقترب منها.. سلّم على أختك الصغيرة



فرفض جاج إيرز قائلاً: لا، لا أريد ذلك، لكن أسكيلد صمم على موقفه.  
فتذمر الأب وقال لابنه: هيا.. أعطها قبلة على صدغها.  
صاح جاج إيرز وهو يضرب أباه بقسوة وعنف حتى اضطر أسكيلد أن يرغم  
الصبي على تقبيل المولودة عنوة بكل ما أوتي من قوة، وحينما وقف جاج  
على الأرض مجدداً تذكر الأصوات التي سمعها ذلك المساء.  
تعجب جاج إيرز بفخر لنجاحه في سماع كل ما لا يسمعه الآخرون بأذنيه  
الكبيرتين وهوينظر إلى والده ووالدته مترقباً منهما تعليقاً على ما قاله: لقد  
ذهب جدي ثورستن إلى نوردلاند ليظل مع والده، لقد سمعت ذلك الكلام  
بأذني.

سأل أسكيلد: ماذا قال؟

صاحت بيورك قائلة: بحق الرب! لقد نسيت تماماً أمر بابا ثورستن في بيرجين،  
ثم استطردت: أرجوك يا أسكيلد اتصل بأمي.  
بعد مرور فترة قصيرة وحينما اتصل أسكيلد بحماته علم أن بابا ثورستن قد  
توفي ذلك المساء، ثم وُضع في قالب ثلجي حتى تستجمع بيورك قواها وتسافر  
إلى بيرجين وتشارك في الجنازة، واستغرق ذلك الأمر أسبوعين كاملين، على  
الرغم من الاحتفاظ بجثمان ثورستن في مخزن بارد، إلا أنه بدأت تفوح منه  
نفس الرائحة التي كانت تفوح من أسكيلد يوماً ما بالرغم من أن بابا ثورستن  
لم تكن له نفس عادة أسكيلد، فانتهى به الحال في ثلاجة في انتظار بيورك.  
سرعان ما عبأت تلك الرائحة أرجاء الكنيسة كلها حتى طغت على رائحة  
الزهور الجميلة.

ذهبت بيورك إلى بيرجين وحدها ومعها طفلتها حديثة الولادة، ثم جلست في  
الصف الأول مع ماما إيلين ووسط كل ذلك الصخب والجلبة بالكنيسة فقد  
تمكنت بيورك من شم رائحة ناعمة رقيقة.. باختصار تلك كانت رائحة عطر  
دكتور ثور التي يعكس شعوره بالكآبة والوحدة تلك الرائحة التي انبعثت من  
الصف الثالث بالكنيسة حيث وجدت بيورك دكتور ثور جالساً على المقعد



الخشبي الطويل المحجوز لأصدقاء العائلة القدامى.

لكن في الحقيقة فإن أغلب أصدقاء العائلة القدامى ولوا الأدبار بعدما تم إغراق السفن، وعلى الرغم من ذلك كان ثور يجلس وحده في ذلك الصف، وقد شعرت بيورك أنه نجح في أن يملأ المكان الشاغر.

في صباح اليوم التالي، بعدما دفن بابا ثورستون قابلت بيورك صاحب ذلك العطر الرقيق مجدداً في فيسكيتورجيت عصرًا، ثم في مطعم عام حيث جلسا معاً لتناول بعض الشطائر، كان دكتور ثور قد اكتسب شهرة كبيرة بمقالة نشرت له عن جراحة الأعصاب. إنه يتصرف باحترام كسيد مهذب كعادته دوماً: يتحدث بلباقة وينصت باهتمام ويمسح فمه بحرص مبدل بعد تناول طعامه، على عكس أسكيلد تماماً الذي اعتاد على سلوك قذروهوأنه يمسح فمه في أكماء قميصه.

كان الطبيب طيب القلب مفعم بالمشاعر والأحاسيس بشكل يدفع الآخرين للبكاء من شدة التأثر به، وحينما ألقت بيورك نظرة خاطفة أمامها لمحت صورتها بعينيه وهي تتناول طعامها بنهم واضح وجوع شديد، كما شعرت بمشاعر الكآبة والوحشة ترتسم على وجهه على الرغم من أنه لم يفقد حس الفكاهة الذي تمتع به، قال دكتور ثور ضاحكاً بعدما انتهيا من تناول الطعام «مرحاً.. ثم أخرج العملة المألوفة من أذنها قائلاً: هنا يكمن حس الفكاهة لديها، ثم استأذن دكتور ثور بالانصراف، فقبلًا بعضهما البعض بحميمية أكثر من المعتاد من امرأة متزوجة وصديق قديم للعائلة.

شعرت بيورك بإثارة وحرارة شديدة تسري في جسدها بعدما قبلها الطبيب المرهف الحس، خالجتها مشاعر جياشة انفطر لها قلبها، فأخذت بيورك تفكر طوال رحلة عودتها إلى ستافينجار بالسفينة: لما لا أعود إلى المنزل في ستافينجار ثم آخذ ابني وأعود أدراجي إلى أمي؟ ماذا أفعل في ستافينجار؟ حينما رست السفينة في ستافينجار ولم تجد أكسيلد ينتظرها مثلما وعدوا من قبل، استمرت الأفكار والوساوس تجول في ذهنها: كيف وصلت الأمور



بيني وبين أسكيلد إلى هذا الحد؟ هل بدأ زوجي يشعر بالامتعاض تجاهي؟ لكن حينما وصلت إلى منزلها أخيراً ووجدت زوجها الذي نسي أمر وصولها تماماً أقل شمالة من المتوقع وابنها المهمل يزحف خارج مكانه المعتاد للاختباء أسفل حوض المطبخ ويركض نحوها في شوق ولهفة، طردت جميع الوسوس السابعة وقالت في نفسها: ما تلك الترهات التي كنت أفكر فيها؟

حينما حاول أسكيلد أن يتجاذب معها أطراف الحديث عما حدث في بيرجين، ادعت بيورك أنها ودكتور ثور تقابلا بمحض الصدفة، ثم أردفت قائلة: ذلك الرجل كان دائماً يلاحقني.

بعد مرور أعوام على ذلك الحدث، بدأت بيورك تصدر صفيراً مختلف النغمات عن ذي قبل في مطبخ المنزل حيث نشأت، ثم بدأت جدتي تطرح تعليقات وملاحظات تتضمن أهمية المقابلات التي لا تقتصر على الصدفة. ثم بدأت تفكر في نفسها ملياً: إن عاد الزمان إلى الوراء لصرت شجاعة مثلما كنت في الماضي، لطوّرت علاقتي سريعاً مع دكتور ثور مثلما كنت في شبابي، لكنني الآن متزوجة منذ ما يقرب من ثلاثين عاماً من رجل سكير، وبالرغم من ذلك لا يمكنني تركه، ثم تبع تلك الأفكار فصلان كوميديان:

الفصل الأول: تذهب أمي إلى غرفة النوم وتخرج مجدداً أوراق الطلاق وتضعها على المكتب، ثم تعود إلى المطبخ ثم تضع الأوراق أمام جدتي بيورك مشيرة لها إلى مكان التوقيع وإلى حيث ستملأ البيانات بيد مرتعشة، فتنصاع جدتي إلى أوامر أمي وتوقع اسمها، وحينما تكتمل إجراءات الطلاق وتضع أوراق الطلاق على الطاولة في حين تمتلئ عينا جدتي بيورك بدموع السعادة، تشكر أمي بحرارة ثم تحتسيان الشاي معاً قبل أن تنفث جدتي دخان سيجارتها في ارتياح.

الفصل الثاني: بعد تناول الشاي، تتردد جدتي بيورك تقول أنها لا تريد من أمي أن ترسل تلك الأوراق وأنها ستأخذها معها إلى المنزل وتفكر في الأمر ملياً، ثم سترسلها بنفسها في غضون أسبوع أو اثنين، ثم تعد أمي بذلك قبل أن تنطلق



مسرعة في طريقها وأنا على أعقابها، تحكي لي بعض القصص وتقبلني قبله  
الوداع قبل أن تعطف في واحدة من زوايا تانوفي.. وماذا عن أوراق الطلاق؟  
تقذفها جدتي في الشارع لتصبح كأوراق الشجر.. تذروها الرياح، ثم بعد ذلك  
بشهور، تعود جدتي بيورك وينتهي المشهد كله فيتكرر مجدداً بعد وهلة..!  
مثلاً ذكرت من قبل: بدأت مشاعر بيورك نحو جدتي أسكيلد تتغير شيئاً فشيئاً  
فلم تعد قادرة على تحمل زوجها دائم الثمالة وبدأت تشعر بالاشمئزاز  
من رائحته البغيضة، في حين بدأت تمتلكها أحلام تبعث من الروايات  
الرومانسية عن الأبطال الأطباء مساءً حتى في ساعات استيقاظها صباحاً  
بدأت تسيطر عليها تلك الروايات التي ابتاعتها من متجر الكتب القريب  
من المنزل وبدأت تلتهمها عن آخرها كلما وابتها الفرصة لقراءتها، فما كان  
من أسكيلد سوى الشعور بالازدراء والاحتقار للميول الأدبية الجديدة التي  
طرأت على شخصية زوجته، كما حاول جاهداً دون جدوى جذب اهتمامها  
إلى الكتب الفنية وتسجيلات موسيقى الجاز.

إلا أننا لا ننكر أن بيورك قد عقدت العزم وصممت على اتجاهها في الحياة  
فهي لم تر في الطريقة التكعيبية سوى جنون زوجها، كما لم تسمع مع  
موسيقى الجاز سوى أصوات كؤوس الخمر التي أدمنها زوجها شر إدمان.  
كانت معركة الحياة تلك بين اهتمامات أسكيلد الثقافية وتذوق بيورك الأدبي  
الشائع هي النقطة الحيوية والمشكلة المحيرة التي دارت حولها علاقتهما  
فيما بعد.

حتى حُسم الصرعى بينهما إلى حد ما حينما طورت بيورك من عشقها وميلها،  
ليتخذ من أوكار المقامرة منحىً حيويًا في حياتها حينما تقدم بها العمر.  
ففي المساء حينما تسمع صوت صرير سرير أسكيلد تستيقظ من نومها خوفاً  
من اقتراب زوجها منها ومطالبته لها بحقوقه الشرعية فينفطر قلبها ويختلج  
بين ضلوعها فتشعر حقاً بالإثارة، وفي تلك الأوقات النادرة الحدوث حينما  
يقترّب منها أسكيلد تغمض عينيها وتخيّل يدين ناعمين لطيب تتحسسها،



تسبح بخيالها في مشهد جميل وردي اللون ،تسمع صوت موسيقى هادئة  
لأنشودة رومانسية حاملة، ذلك المشهد الخلاب الذي يزين أغلفة مجموعات  
القصص الرومانسية لأبطالها الأطباء التي حرصت على تجميعها حتى كونت  
منها الآن مجموعة رومانسية كاملة.

في لحظة ما تساءلت هل حقاً كان يسمع والدي وهو في الخامسة من عمره  
أصواتاً من العالم الآخر..؟! هل حقاً هناك توارد خواطر واتصال تخاطري  
بينه وبين بابا ثورستون حينما كان الأخير في عالم الأموات..؟! أم أن ذلك ما  
هو إلا روح أكبر جد في العائلة (راسماس) ذلك الرجل العجوز الهرم من رعا  
نوردلاند، والذي عاد إلى أصغر أحفاده ليهمس في أذنيه بكلام مبهم حينما  
ينفرد الصبي مع وحوشه في الخزانة بعدما اصطحب ذلك العجوز ابنه عبر  
نهر الموت.

كانت الروح تغني: الثراء على الأبواب.. ستمطر السماء مالاً وفيراً.. ستجني  
الذهب الكثير، كنت أتساءل أيضاً إن كانت ترد إلى مسامع ذلك الصبي  
بالخزانة همسات تلك الروح عن فلسفتها وتعاليمها مثل: ليس من المهم  
أن تعرف نقاط ضعفك فقط، لكن الأهم أن تعرف نقاط ضعف الآخرين..  
ابدأ بالهجوم.. الهجوم خير وسيلة للدفاع.. لا تبادر بطرح الأسئلة.. ولتسأل  
لاحقاً.. الشائعات أثنى من الذهب: اغتنمها.. اغتنم الفرص أيها الحقير.. هل  
حقاً بدأت تسمع أصداء تلك الملحوظات في الخزانة أسفل حوض المطبخ؟  
يجوز ذلك بالتأكيد.

استقبل جاج إبرز تلك الهمسات في البداية خائف فزع في أحيان كثيرة، كان  
في شك من أنه يسمع تلك الهمسات بالفعل، لكن فيما بعد بعدما اعتاد على  
صوت الأجرش للروح بدأ يتوق إلى سماع همساتها وغنائها ونصائحها له وأخذ  
يستقبل كلماتها بحب ومتعة طفولية بريئة.

بعد ميلاد آن كاترين، أصبحت الروح زائراً مستديماً في الخزانة أسفل حوض  
المطبخ، وحينما تتوقف الروح عن بث العناصر الأساسية لفلسفتها في أذني



أصغر أحفاد راسماس، حينما تتوقف عن غرس معتقداتها وتعاليمها في عقل الصبي الصغير.. تنغمس الروح في غرس الولاء والتقدير والحنين إلى بيرجين في نفس الصبي، تلك المدينة الذهبية التي يسعى القراصنة والمغامرون والباحثون عن الذهب للوصول إليها بفارغ الصبر، ليفتحوا لأنفسهم أبواب الثراء على مصرعها حتى باتت بيرجين نقطة أساسية على خريطة الكنز في عقل جاج إيرز الذي بدأ يطرح على والديه العديد من الأسئلة عن البلدة. هل صحيح أن هناك الكثير من السرطانات في البحر بالقرب من بيرجين بشكل يجعل من السهل عليك اصطيادها حتى وإن كنت على رصيف السفن؟ هل حقاً أن الجميع يصبحون أثرياء في بيرجين؟ تتم أسكيلد قائلاً: أي نوع من الطلاسم تلك التي يتحدث عنها ذلك الصبي؟ أجابته بيورك: ربما كان ما يقوله صحيحاً يا عزيزي .

بالرغم من إشارات ونصائح شبح الماضي الذي بات يخيم على منزل أسكيلد، إلا إنه أصبح جلياً أن إقامة تلك الأسرة في ستافينجار لم تكن مثمرة قط من نواحي عدة، بل كانت تَطْرُق الأسرة بوابل من المشكلات وتؤرق صفاءها بالمحن والشدائد العظيمة، حتى الطفلة حديثة الولادة التي كانت بمثابة الجانب المضيء في ستافينجار أصبحت مبعثاً لقلق الأسرة أكثر من سعادتها. في البداية أصيبت الطفلة بمرض (اليرقان) الذي استمرت في المعاناة منه على فترات متواصلة، وتبع ذلك شكواها الدائمة من ألم في معدتها، وعندما توقفت أخيراً صرخاتها الفظيعة من الألم، هاجمها سعال شديد عانى منه والديها معها الأمرين، لكن حينما تم طرد أسكيلد مجدداً وهو في حالة من السكر البين، صرّح أسكيلد أن ساحات السفن النرويجية غير مثمرة قط ولن تجدي نفعاً أبداً، فما إن أدلى زوجها بذلك التصريح حتى انفجرت بيورك في ثورة عارمة فهي لم تعد تطيق معه صبراً.

كما شكته لأختها لينا حينما تحدثت معها هاتفياً صاحت قائلة: تم طرده مجدداً أصبحت موقنة بأنني سوف أموت بسببه.. يا إلهي!! ليتك يا أختاه



العزيزة تعلمين مدى معاناتي في ستافينجار، لذلك ينبغي علينا العودة مجدداً إلى بيرجين، هل يمكنك أن تتحدثي مع أحد الأشخاص المعنيين بذلك الأمر؟ وهل يمكن أن يتوسط زوجك لأسكيلد عند أحدهم؟

في محاولة منها لمساعدة أختها في محنتها أخبرت لينا زوجها بالأمر برمتها، فذهب الزوج إلى ساحة السفن في بيرجين، ودخل مكتب الرئيس حيث بدأت تُثار قصة النجار مجدداً بعدما باتت في طي النسيان مع مرور سبعة أعوام كاملة، حتى نجح زوج لينا في التوسط لأسكيلد لدى رئيس العمل في ساحة السفن كصديق حميم له، كي يعود أسكيلد إلى عمله والذي-حتماً- لن تتأثر سمعته بالوساطة والمحسوبية، أما عن تصميمات السفن الخيالية فلا شك أن النجار قد نضج بالدرجة الكافية التي تمكنه من الإقلاع عن تلك العادة.

سمع الصبي صوت الروح الأجش يتردد قائلاً: تلك المدينة الرائعة.. لقد اقتربت المدينة المدهشة من المنال.. حينما سمع جاج إبرز الحديث عن أشخاص حقيقيين في بيرجين يتحدثون عن أمور حقيقية في المدينة، حينما أدرك أن حديثه عن بيرجين قد أتى بثماره المرجوة، اندفع الصبي من داخل الخزانة مهرولاً إلى الردهة حيث وجد بيورك تتلعثم في الحديث أمام زوجها الثمل وهي تمسك بورقة في يدها.

كانت تلك الورقة ما هي إلى خطاب وصل ذلك اليوم من ساحة السفن في بيرجين يدعوا أسكيلد للعودة إلى عمله.

قالت بيورك لزوجها وهي غير قادرة على إخفاء شعورها بالفخر والاعتزاز بنفسها: اقرأ الخطاب فحسب.. انظر ماذا فعلت لأسرتنا؟

لكن أسكيلد رفض قبول ذلك العرض بعبارة بسيطة: «شكراً جزيلاً» لم يكن أسكيلد يريد أن تساعد امرأة خداعة أخذت تتحدث عنه وعن مشكلاته سراً دون أن يعلم بما يجري خلف ظهره، لقد أخبر بيورك أنه يمكنه تدبر أموره بنفسه دون مساعدة من الآخرين، ثم استطرد في غضب قائلاً: لما كل هذا؟ بعدما قرأ سطور الخطاب، مزقه إرباً في غضب جم.



اعترضت بيورك قائلة: لكن يا أسكيلد، لقد عُرض عليك عمل في بيرجين لن يستطيع أحد في مكانك وموقفك تعويضه!.

صاح جاج إيرز وهو يهلل ويقفز فرحاً: «بيرجين» هل هذا صحيح؟ هل سنذهب إلى بيرجين؟

أجابته بيورك وهي تربت على رأس ابنها وتمعن النظر في وجه أسكيلد: نعم.. سنذهب إلى بيرجين يا صغيري نيلز.

صاح جاج إيرز بعد وهلة في الشارع: مرحا.. سرحل من هنا.. سنعود أدراجنا إلى بيرجين.

لم يكن اعتراض ذلك الصبي في ذلك الوقت أمراً ممكناً أبداً.

استمر جاج إيرز في طرح العديد من الأسئلة على والديه اللذان كانا يجهلان من أين أتى ذلك الصبي بتلك الأفكار التي استحوذت تماماً على عقله، استمر الصبي في الثرثرة قائلاً: «هل صحيح أننا سنصطاد سرطانات من بيرجين؟ الأطنان من السرطانات؟»

واستطرد متسائلاً: «هل سنصبح حقاً أثرياء الآن؟» فأجابته بيورك: حسناً.. يجب أن نتوقف ملياً للنظر في ذلك الأمر، أنت تعلم كيف يجني والدك المال، لكن حماسة جاج إيرز كانت عظيمة لن يمكن ردعها أو قمعها بأي شكل مطلقاً، في حين شعر الكثير بالخوف والرعب من عودة الأسرة إلى الشقة في سكانسن بعد غياب دام سبعة أعوام في المنفى بعيداً عن البلدة.

قالت ماما راندى التي زاد وزنها نحو ٢٠ كيلوجراماً منذ أن ذهب ابنها إلى أوسلو: «بحق السيدة العذراء! ستعودان إلى البلدة مجدداً! إنه لخبر سار حقاً أن تعودا بهذه السرعة!»، سرعان ما اصطف الجميع لاستقبال وتقبيل أفراد الأسرة: جاج إيرز الذي قوبل بالدغدغة والمداعبات الحميمة، بيورك التي شعرت بسعادة عارمة تسري كالدّم في العروق للعودة إلى بلدها، وأسكيلد الذي علت ملامح وجهه علامات الإرهاق والتعب واليأس في نفس الوقت، ثم جاء مهرولاً نحو الباب.. أبلهيد.. الذى كان عمره في ذلك الوقت في خمسة



عشر عاماً، ولديه ندبة أعلى شفته العليا، قائلاً: مرحباً يا خالي.. مرحباً يا ابن خالي.. مرحباً يا زوجة خالي.. هل رأيتم دراجتي الجديدة؟ تعالوا وسأريكم إياها.

تأوه بابا نيلز من كرسيه الهزاز قائلاً: على رسلكم جميعاً، ثم أضاف بعد وهلة: حسناً.. أنا أعرف تلك النبرة سأطرد إلى المطبخ مجدداً.



## راكل الخصي

منذ عام ١٩٥٤ ولمدة عامين عاشت الأسرة مجدداً في الشقة في سكانسن مع ماما راندي وبابا نيلز، امتلأت غرفة النوم بأطعمة الأسرة كالعادة وتزاحمت معدات الرسم الزيتي على سلم المبنى، واحتشدت جيوش الوحوش الصغيرة تندفع من خزانة المطبخ أسفل الحوض لتحتل المنزل بأكمله، وعلى الرغم من ذلك فقد استقبل نيلز وراندي تلك التغيرات بصدر رحب، وفي اليوم التالي لوصول الأسرة في سكانسن قام أبلهيد بدعوة جاج إيرز لجولة في بيرجين على دراجته الجديدة.

قبل أن يركب الدراجة سأل أبلهيد جاج إيرز: «ما هذا القميص الغريب الذي ترتديه؟»

أخبره جاج إيرز إنه جهاز اخترعه رجل عجوز منذ فترة طويلة وحينما أراد أبلهيد معرفة لما لا ينزعه فحسب: «حدّق فيه جاج إيرز في تعجب ودهشة وسأله: هل يمكنني ذلك؟»

تعجب أبلهيد قائلاً: «بالطبع يمكنك القيام بذلك!» دون أن يهمل جاج إيرز فرصة للتفكير لوهلة فك أبلهيد الأحزمة وسحب الجهاز العجيب السخيف لأعلى حتى رأسه قائلاً: «هيا اخلعه عنك ولا تقف هكذا كالأخرق».

ركب جاج إيرز الدراجة في تعجب وذهول، ثم ذهب الاثنان في جولة في بيرجين.

بعد مرور أسبوعين على إقامة الأسرة في بيرجين؟، كان جاج إيرز قد قام بجولة كبيرة في المدينة حتى تعرف على معظم معالمها، بالطبع أصيب بصدمة شديدة وخيبة أمل عارمة حينما وجد البحر لا يعجج بالسرطانات العملاقة، وأن قمم الجبال لا تتلأأ ذهباً، لقد اعتقد حقاً أنها كانت خديعة عظيمة من الروح لتتحطم آمال الصبي على صخرة الواقع الذي يعيشه بالفعل، لكن لم



تلبث خيبة أمله أن تبدلت بحماسة شديدة لركوب الدراجة، بالإضافة إلى سعادته العارمة حينما استخدم ابن عمته مدية صغيرة لفتح ذلك الجهاز السخيف مما أتاح للصبي الفرصة لنزع ذلك الجهاز عن نفسه وارتدائه مرة أخرى وقتما يشاء وحينما يحب ذلك، وبمجرد أن نزع ذلك الجهاز السخيف عنه حتى اعتراه إحساس بالحرية المطلقة يسري في صدره.. كاندفاع الدم في الأوردة، فلم يعد يسمع تعليقاً من أحد بشأن أذنيه مطلقاً حينما كان مع أبلهيد بعكس ما لم يكن ابن عمته برفقته. وفي يوم ما سمع صوتاً يناديه في الشارع: أنت.. هناك.. نعم أنت يا ذا الأذنين الكبيرتين.. جاج إيرز! اقترب منا لنرى أذنيك هذه.

صاح جاج إيرز قائلاً «بحق الجحيم! لا!».

قال أحد الصبية: ماذا..؟! ماذا قال لتوه ذلك الأخرق؟ هل يحاول أن يكون وقحاً؟ ذلك القرد القبيح الصغير! وقبل أن يدرك ما يحدث له وأنه وقع صيداً سهلاً في شرك الرعاع، كان محاطاً بمجموعة من صبية بيرجين ولم يكونوا مختلفين عن صبية كريستيانساند أوستافينجار.

قال الصبية وهم منهمكين في الضحك: «يا لها من أذنين! بحق الرب! إنه قبيح حقاً! ما إن صاح الصبية بتلك العبارات السخيفة حتى أمسكت الأيدي بذراعي جاج إيرز وجذبت أذنيه بشدة أيادي أخرى، فشعر الصبي المسكين مجدداً بألم شديد يسري من أذنيه لجسده كاملاً.

صاح جاج إيرز قائلاً: توقفوا! ابتعدوا عني!

لم يكن الصبية ليتوقفوا عن جذب أذنيه والاستهزاء منه لولا سماعهم صوت دراجة وهي تزار كأسد هائج يقترب منهم من زاوية في الشارع قبل أن يندفع نحو مجموعة من الصبية بأقصى سرعة.. صاح أبلهيد في حنق: ماذا يحدث هنا بحق الجحيم؟ ما إن سمع الصبية صياح أبلهيد ورأوا اندفاعه نحوهم حتى هرعوا في خوف ورعب شديدين فتعثرت قدما أحدهم وسقط أرضاً بينما هوى اثنان منهم على ظهريهما قبل أن يركضوا بعيداً في دعر شديد.



سأل أبلهيد بصوت مروع: هل أصابك مكروه؟

أجابه جاج إيرز: لا.. لكن لم تعجبهم أذناي.

فأسدى أبلهيد له بالنصيحة بقوله: إن قال أحدهم شيئاً عن أذنك اركله في خصيتيه بقوة فحسب.. أبرحه ضرباً.

قال جاج إيرز متعجباً: في خصيتيه..؟!؟

أردف أبلهيد: نعم؟ عليهم اللعنة ركلة قوية تدق لهم حقاً ناقوس الخطر مدى الحياة.

بعد انتقاله إلى بيرجين، أصبح لنيلز الصغير (جاج إيرز) لقب آخر جديد: راكل الخصي، وعادت الروح تهمس في أذني جاج إيرز قائلة: أبدأ بالهجوم ثم سل لاحقاً منذ ذلك الحين، بدأ جاج إيرز ينفذ أول خطة رئيسية في حياته بناءً على كلمات أبلهيد بشأن دق ناقوس الخطر في حياة المتطفلين عليه، تلك الخطة هي: ركل الغير في خصياتهم، وفي ذلك الحين شاهد في الشارع صبياً في الثامنة من عمره يجيد الركل بقوة، كان كثيراً ما يعود إلى منزله وقت العشاء بعين يحيطها هالة سوداء وشفاه مشققة، لكن في يوم ما عندما تحقق أبلهيد من الخوف المسيطر على ابن خاله وفي محاولة منه لكسر حاجز الجبن بداخل جاج، وجد أن ابن خاله يحتاج إلى استراتيجية مختلفة مثلما كان واضحاً لنيلز الصغير نفسه.

سأل أبلهيد: من كان ذلك هذه المرة؟

فأجاب جاج إيرز: إنه نيلز ذوالكلف من أوفريجاتن.

لعن أبلهيد قائلاً: ذلك العنزة! هيا نذهب هناك ونحدث إليه

لذلك ركب أبلهيد وجاج إيرز الدراجة إلى أوفريجاتن حيث كان نيلز ذوالكلف يلعب وحده بالكرة، وقبل أن يدرك جاج إيرز ذلك كان ابن عمته قد تبخروا ختفى في ساحة مظلمة خلف المكان حيث يوجد نيلز تاركاً جاج إيرز وحده في ساحة العدو.

سمع جاج إيرز صوتاً في الظلام يقول له: ناديه اجعله يقترب منك



صاح جاج إيرز مشيراً إلى نيلار بحركات إباحية قذرة: أنت! نيلار! يا ذا الوجه القبيح! أيها الحمق!

صاح نيلار وهو يلقي بالكرة التي يلعب بها ويندفع بسرعة نحو ذلك الطفل المزعج الوقح: ما هذا بحق الجحيم؟ لكن ما إن وقف نيلار أمام الصبي القادم من ستافينجار حتى خرج له من الظلام الدامس.. فتى في الخامسة عشر من عمره بندبة على شفته العليا، فأمسك الفتى بنيلار المرتعد وسحبته إلى الساحة المظلمة حيث قيّد الفتى ذراعي نيلار خلف ظهره ثم صاح لابن خاله: هيا! اركله!

تردد جاج إيرز لوهلة قبل أن يركل نيلار أعلى فخذه مما دفع الأخير أن يصدر صوتاً رهيباً مؤلماً انطلق من بين شفتيه المرتجفتين من الخوف.

صاح أبلهيد: لا.. اللعنة.. صوّب على خصيتيه تلك الضربة ضعيفة للغاية. أطاق جاج إيرز قائده ووضعه هدفة نُصّب عينيه مجدداً لكنه هذه المرة نجح في ركله في مكان الهدف تماماً، أو على وجه الدقة فقد سدد له جاج إيرز ضربة موجعة حقاً تدق ناقوس الخطر في حياته حتى تدفقت الدماء من شفتي نيلار الذي انهار على الأرض من شدة الألم وذلك قبل أن يركله أبلهيد في مؤخرته ليؤكد له أنهما لا يمزحان معه وأكد ذلك بقوله «: أنت لن تسبب لنا أية متاعب.. أليس كذلك؟

قال نيلار لاهثاً: لا.. لا.. أبداً.

حينما خرجا إلى الشارع الرئيسي مجدداً، شعر جاج إيرز أن جسده ينتفض مما فعله بنيلار، في حين كانت تعلو وجهه علامات الزهو والإعجاب حينما رأى ابن عمته يصفر غير عابء بما دار في الشارع الجانبي المظلم، فقد قال أبلهيد حينما ركب وجاج إيرز دراجته: «حسنًا.. من التالي في القائمة؟

فها هو يسمع صوت الصبي التالي في الساحات المظلمة الجانبية في بيرجين يصرخ من الألم والعذاب الذي يكيّله له جاج إيرز بعدما يقوم أبلهيد بتقييده حسب الخطة الموضوعة أخذت أصداً أصوات المعذبين في الطرقات



المظلمة تتردد: لا! لا! بعدما يمرّ جاج إيرز وأبلهيد على جميع الصبية بالجوار  
يذيقونهم صنوف العذاب ألواناً، وبعدهما طوّرا لهما أسلوباً جيداً بين الصبية،  
نجح جاج إيرز في كسب احترام الصبية جميعاً بالجوار.

بدأ الصبية يتهايمسون حينما يمرّ عليهم جاج إيرز: «ها هو راكل الخصي»  
بالرغم من أنه لم يتمكن من إيقاف الصبية تماماً عن مضايقته إلا أنه نجح  
لأول مرة في حياته أن يعيش في سلام بعيداً عن شرورهم، فذلك بالطبع يعود  
الفضل فيه لأبلهيد الذي أشيع عنه منذ فترة وجيزة أنه سدّد لكمة شديدة إلى  
فك جده نيلز حينما أمسك الرجل العجوز بالسوط من الخزانة.

لم يستخدم بابا نيلز ذلك السوط قط، ولم يسدد به الضربات مثلما فعل منذ  
زمن بعيد منذ أن طارد أسكيلد وهو شاباً، وذلك حول مائدة الطعام عندما  
علم بعلاقته بالفتاة الداعرة، لكن ذلك منذ أعوام كثيرة مضت، فقد بلغ  
أسكيلد الآن من العمر أرذله.

لعدة أيام منذ أعوام عدة وقف أسكيلد وماما راندي حائلاً أمام بابا نيلز  
دون الخروج من المنزل بعدما أغرق شاربّه بالفالزين وارتدى ملابس شبابية لا  
تليق بسنه، فقد حلّ أزرار قميصه بشكل مكّن الجميع من رؤية شعر صدره  
الأشيب، وحاول الخروج من الشقة ليقود السفينة (أماندا) كبّاحر مخضرم.  
وفي كثير من الأحيان لم يتمكنوا من رده، مما أتاح له أن يتسكع في ساحات  
السفن في الميناء لطلب وظيفة من أي ربان يقابله في طريقه حتى أنه استدّر  
عطف رجل طيب القلب فأعطاه كأساً من الخمر قبل أن يرافقه إلى منزله في  
سكانسن، حيث قام بتنظيف نفسه وسمع صيحات راندي بوزنها الزائد عن  
الطبيعي تكيل له السباب والاتهامات.

حينما كان جاج إيرز برفقة ابن عمته يتسكعان أخذاً يزمجران في شوارع  
وطرقات بيرجين، واستمرا يذيقان الصبية ألوان العذاب والمهانة كانت بيورك  
في طريقها لرؤية الطبيب مع ابنتها التي لم يتعد عمرها العامين والنصف ولم  
تتعلم المشي بعد كما أنها لم تنطق بكلمة واحدة حتى الآن، في حين يؤكد



أسكيلد أن قدرتها على الكلام ستأتي في حينها، لكن تلك العبارة لم تنهى شكوك بيورك فقد تسللت في أحد الأيام من الشقة دون أن يلاحظها أحد برفقة ابنتها آن كاترين، ودقّت جرس مكتب دكتور ثور الذي بدأ ممارسة الطب بجانب دراساته النظرية في جراحة الأعصاب.

بيورك: محاطة بكافة أنواع المعدات الطبية، ومتأثرة بما انطبع في ذاكرتها من الكتب الرومانسية المتعلقة بالأطباء، جلست بيورك في مكتب ثور وأطلقت لخيالها العنان، ولم يكن أمر ابنتها هوما يشغل تفكيرها فحسب، بل أيضاً مشاكلها مع زوجها الثمل متعاطي الخمر، كما لمحت بيورك لثور أن علاقتها الحميمة مع زوجها باتت عذاب مهين يهدد حياتهما الزوجية، وأن زوجها منه كان خطأ منذ البداية.

كل ما قصته بيورك على دكتور ثور أصابه بالذهول والدهشة، فقد تخيل دائماً أن بيورك وهي تعيش سعيدة بعد زواجها فقد خirt بين اثنين فاخترت ذلك النحيف الكتيب، والذي ظهر فجأة عند مدخل الباب في بيرجين من قبل بعد طول غياب.

ما إن أفصحت بيورك له عن تعاستها الزوجية حتى شَعَّ وهج سرى في جميع أنحاء جسده بعدما تمالك نفسه من المفاجأة أسند ظهره على مقعده وأمسك بيدها في حنان ودفع.

كان ثور دوماً حيّ الضمير في أداء واجباته المهنية كان هذا جلياً عندما فحص الطفلة الصغيرة ودرس انفعالاتها في حين أجرى لها العديد من اختبارات الذكاء، وطرح على بيورك بعض الأسئلة بشأن الطفلة: لم يرد بخاطره التفكير بمتعته الشخصية-أبدأ- في مثل ذلك الموقف حيث اعتقد في ضرورة أداء دوره المهني بشرف وضمير، وتطبيب جراح المرضى، لذلك قام ثور بفحص الطفلة ثلاث مرات للتأكد من تشخيصه ثم أخذ نفساً عميقاً وبعدما أخبرها بتشخيصه انفتحت النافذة فجأة على مصرعيتها واندفع هواء بارد عباً مكتب ثور واحتل قلب جدتي حيث استقر كشطية ثلج تبرّد قلبها المتأجج المشتعل



حتى آخر أيامها.

بعدما اختفى التأثير السحري لثور على حالة بيورك النفسية، وفي طريق عودتها إلى منزلها عبر شوارع بيرجين برفقة ابنتها الصغرى آن كاترين، بدا لبيورك جلياً أنه حان الوقت للاهتمام أكثر بابنها، كطفل تتلاعب به الأقدار وتتقاذفه رياح الخطوب، كان لتلك الأسرة البائسة أكثر مما لا تتحمله من الحياة.

حينما أخبرته بيورك بالتشخيص ذلك المساء، سألتها أسكيلد في حقن: من أخبرك بذلك؟

أجابته: دكتور ثور

فصاح أسكيلد: ذلك الساحر الأحقر..!!

أردفت بيورك: إنه أفضل طبيب في البلدة يا أسكيلد بحق الرب هل هذا كل ما يشغلك في الأمر؟ لكن لم تحظ الإجابة برضا أسكيلد التائر قط، ذلك الزوج الغاضب والذي اندفع نحو غرفة التي تلعب فيها ابنته الصغيرة.. حملها برفق ثم صاح: تلف في المخ؟ بلاهة! معاقبة ذهني؟ بحق الجحيم!

سأل جاج إيرز الذي جاء لتوه يركض نحو الباب: ماذا حدث؟

أجابه أسكيلد: انظر إلى أختك.. هل تبدو في رأيك متخلفة بلهاء؟

قال له جاج إيرز في حيرة وربكة: صه!

تعجب أسكيلد قائلاً: بالضبط! هذا ما أتحدث عنه لقد أراد الطبيب الذي قصده أمك أن يحبس الطفلة في مؤسسة لرعاية المعاقين.

فسأل جاج: لماذا..!!

صاح أسكيلد: الرب وحده يعلم حينما تهمتت ماما راندي قائلة: بحق السيدة العذراء بينما حدّق بابا نيلز في الفراغ أمامه جالساً على كرسيه الهزاز.

هكذا انتهت المناقشة وانتهى الحديث عن هذا الموضوع، حتى ماما راندي ظلت صامتة طوال المساء، كذلك كان حال بيورك بعدما سكنت تماماً حتى بعد الظهيرة حين أغمضت عينيها وراحت في سبات عميق على الأريكة بجوار



بابا نيلز، وحينما كانت بيورك تحلم بشظية الثلج التي أثلجت قلبها المشتعل المتأجج شوقاً، وبينما ظل أسكيلد يتحرك جيئةً وذهاباً عند سلم الدرج يضع لمسات فرشته على واحدة من لوحاته التي حظيت بأقل نجاح من سابقتها -لقد سميت فيما بعد باسم الطبيب والمشرط- ذهب جاج إيرز إلى غرفة اللعب ونظر إلى أخته التي جلست هناك تمتص قالباً خشبياً.

فها هو ذا.... الأخ الأكبر الذي رفض تقبيل أخته الصغرى عند ولادتها في ستافينجار، وجد نفسه يجلس مع الطفلة الصغيرة الصامتة.. يلهو معها ببراءة بينما هي كادت البهجة والفرحة تقفزان من عينيها، جلس جاج إيرز في تلك الغرفة حتى المساء يلعب مع أخته حتى استيقظت بيورك من حلمها، وبعدما حان موعد نومهما رافقتهما إلى غرفة النوم، ثم استدقات ببطانية قبل أن تسبح مجدداً في أحلامها.

خلال الثلاثين عاماً التالية تنامي الخوف بداخل بيورك يوماً بعد يوم من فتح النوافذ، وازداد اهتمامها بالكتب الدرامية في حين تزايد ولعها وشغفها بالسترات الحريرية أيضاً هوسها المرضي بالأوشحة وكانت دائماً تنصح أفراد أسرتها وعائلتها فرداً فرداً حينما يرحون المنزل قائلة: لا تنسوا ستراتكم أوأوشحتكم، خذوا حذرکم وإلا ستصابون بالبرد، تهمس الروح دائماً: «إنها من النوع البارد» ، بينما كنت أنظر للأمر بشكل مختلف: إنه الخوف من البرد الذي شعرت به حينما قام دكتور ثور بتشخيصه في عام(١٩٥٤) .

في اليوم التالي: لم يلحظ أي من أفراد العائلة تطوراً أو تغييراً في طريقة تعامل بيورك مع ابنتها، فالتغير الوحيد عن اليوم السابق هوتلك الأغنية عن المستقبل الباهر التي ترددت مرة واحدة فحسب، ثم حذفت من أغاني قبل النوم، بينما علت ملامح عمتي السمينية رؤية أخرى ،كما رأيت في عينيها نظرة أبعد، لم أشأ أن أضيّع الوقت بالإمعان فيها، لكن مع مرور الوقت بدأ أسكيلد يبدي اهتماماً بالغاً بشأن ابنته، كانت التغيرات في حياته العاطفية ملحوظة للغاية، ففي ذلك المساء حاول بأقصى ما في وسعه أن يجعل ابنته



تتعلم السير، وطوال الأسابيع التالية حاول جاهداً أن يعلمها قول كلمة «بابا».. في البداية، لم يجد ذلك التعليم نفعاً فلم يسعها سوى البكاء الحار لكن حينما بلغت عامها السادس بدأت أولى خطواتها في السير واستطاعت في السابعة أن تتمم بتلك الكلمة السحرية «بابا».. نظر أسكيلد لتطور الأمور مع ابنته كانتصار شخصي له على الرغم من أنه توقف عن تعليم ابنته أي شيء بعد ذلك.

حينما عانى حب بيورك لابنتها من تلك الرياح الباردة الخفيفة التي تنعش قلبها المتأجج بالمشاعر نحوثر، وحينما حاول أسكيلد جاهداً أن يثبت سلامة ابنته بدأ حب جاج إيرز لأخته ينمو شيئاً فشيئاً وأخذ في مشاركتها ألعابها الصامتة، وأحياناً كثيرة كان يصطحبها معه إلى الشارع حيث لاحظ جاج إيرز-في رضا وسعادة عارمة- أن مُعذِّبيه السابقين كانوا يولون الأدبار ويعبرون الجانب الآخر من الرصيف عند رؤية الصبي وأخته يسيران في الشارع، فقد كان أحيان كثيرة ويصيح فيهم وهم يهرولون أمام عينيه، لكن مع مرور الوقت بدا ذلك أقصى ما يمكنه فعله كان الانتصار الحقيقي له حينما توقف معذوبه عن عبور الرصيف المقابل، فبدلاً من ذلك اقتربوا منه وقطعوا مخلب سرطانٍ مطهيٍّ إلى اثنين ثم أعطوه واحداً.

سأله صبي نحيف يدعى ثوربيورن يوماً ما: هل ستأتي معنا لاصطياد السرطانات غداً؟ ومنذ ذلك الحين بدأ جاج يشارك الصبية ميولهم وحبهم الشديد لاصطياد السرطانات على رصيف ميناء السفن مستخدمين سمكاً صغيراً مسحوقاً كطعمٍ مربوطٍ في خيطٍ مجدول على الرغم من قلة السرطانات في البحر بعكس ما وعدته الروح، إلا إنه كان هناك عدد لا بأس به بين ثنايا الصخور وأسفل طحالب البحر على طول رصيف السفن في بيرجين، وفي حين كانت الأسماك الصغيرة المسحوقة تأتي بثمارها المرجوة استمتع الصبية بتجميع أعقاب السجائر واستخراج التبغ المتبقي منها ثم لفه في أوراق الجرائد ثم إشعاله أخيراً وهم يلقون النكات البذيئة على بعضهم البعض،



بعدها يتجهون إلى فيسكييتورجيت حيث يسلمون سرطاناتهم إلى (سفين) وهو تاجر السمك الذى يستبدل كل سرطان حي بمخلب سرطان مطهى. تلك المخلاب المطهاة تؤتي أكلها في حينها، لكن على الرغم من حماسه للمغامرة الكبرى مع السرطانات شاهد جاج إيرز سرطاناته الخمسة العملاقة تتحول إلى خمسة مخالب سرطانات مطهية، يتمتم وفمه مليئاً بلحم السرطان: إذًا.. لماذا يجب أن يستغلنا ذلك الرجل البدين في جنى المال الوفير عن طريقنا؟ لكن لم ير أي صبي من الصبية أن في ذلك الأمر ظلماً أو إجحافاً لحقهم ولم ير أي واحد منهم ذلك الاتفاق على المقايضة أنه إجحاف لحقهم. في تلك الليلة بعدما توقف جاج إيرز عن الشكاية من سفين، تاجر السمك، لاحظت بيورك المعجزة فبينما تجلس على الأريكة تعاني من حملها الثالث مجدداً.. متعبة وشديدة الإنهاك من تسلط ماما راندي التي تعاملها كشيء تافه عديم النفع حيث ترغمها-دائماً- على شرب المزيج المعد من الفيتامينات الخضراء اللون كربيهة الرائحة ألقت ناظرها على ابنها شذراً وهو جالس في غرفة اللعب يلهموع أخته الصغيرة-لوهلة- استقرت عينها على أذنيه وفجأة.. ارتجف جسدها من هول المفاجأة.. قفزت من جلستها في الحال واقتربت من ابنها في ذهول ودهشة شديدين.

ما إن بدأت بيورك في هز أذنيه برفق في بادئ الأمر، صاح جاج إيرز قائلاً: كفي عن ذلك.. كفي عن تلك الدغدغة، لكن ما من شيء يمكنه ردعها الآن.. أمسكت بأذنيه بقوة وفحصتهما بحرص شديد، ثم أمرت ابنها أن يقف تحت المصباح حيث أكملت فحصها الدقيق لأذنيه حتى استنتجت أن ثمة معجزة حدثت لأذنيه فقد كانتا نظيفتين تماماً.

نادت بيورك على أسكيلد فجاءها يركض من سلم الدرج، واستطردت قائلة: أسكيلد.. أذنيه! لا أعلم ماذا يحدث؟

دخل أسكيلد المنزل لكن لم يبد أي اهتمام بالأمر، ربما نسي قصة قذارة أذني ابنه، فبعد أن ألقى نظرة عابرة على أذني جاج إيرز، قال بصوت هادئ: حسناً،



وماذا في ذلك؟ ثم عاد إلى مرسومه أسفل سلم المبنى.  
بعدها استقر المخضّر الكريه الذي اخترعه الدكتور بونتوبيدان في قاع الخزانة بعيداً عن أعين المتطفلين، ولم يرد ذكره على مسمع أحد إلا في الساعات المبكرة من صباح الأيام التالية خلال حفلات العائلة بعد مرور عدة أعوام، لكن بيورك دائماً هي من يقع عليها اللوم بسبب قناعتها السابقة بجدوى ذلك الجهاز البغيض، كان أسكيلد دائماً ما يسخر منها عند ذكر ذلك المخضّر قائلاً: أنت وقصص طبيبك الأحمق، فأني طبيب يستطيع أن يستغل سذاجتك لخداع الآخرين وتقنعهم بما يقتنع هو به...!



## هروب أبلهيد

لم يتجاوز أبلهيد السابعة عشرة من العمر حينما هرب إلى البحر في عام ١٩٥٥.. بعد مرور ستة أشهر من إثارة الشغب بين صبية الجوار في بيرجين.. يمكنك ملاحظة تغيرات مميزة في هذا الغلام من كان يستمتع باصطياد معذي ابن خاله السابقين حتى ذلك الحين لمجرد الشعور بالمتعة والمرح حتى بعد توقفهم عن إيذاء جاج إيرز.. حتى خطى جاج إيرز أولى خطواته في الحديث الايجابي مع الغير.. حينما حاول تنقيح سلوك ابن عمته غير القابل للتصحيح ونصحه بأن يتوقف عن إيذاء الصبية من كانوا يعذّبونه قبل سابق.. حينما كان يركب أبلهيد دراجته ويتعقب أعضاء نادي السرطانات الذين يفرون هارين أمامه في خوف وذعر شديد.. كان يلقي أبلهيد على مسامعهم تلك الكلمات المخيفة: هل تحاولون أن تتظاهروا بالدهاء أمامي؟ هل تريدون العراك؟ وفجأة توقف كل ذلك.. بدأ أبلهيد يمر بدراجته على هؤلاء الصبية دون أن يعيرهم أي اهتمام.. يصقّر في الهواء بهدوء شديد حتى أنه دخل بدراجته.. شارد الذهن.. في عربة بائع اللبن ما كانت مركونة بجانب الطريق. حتى داخل المنزل، كانت تصرفاته تدق ناقوس الخطر وتندّر بخطب كبير.. ذلك الفتى من كان يزلزل الأرض حينما يسير في الشوارع مهدداً ومتوعداً صبية الجوار، أصبح الآن صامتاً تماماً.. في كثير من الأحيان، كانت الأسرة تجده يجلس في صمت وهدوء شديد يكتب كلمات على ورقة.. احتارت ماما راندي في أمره.. أعطته زيت كبد الحوت.. أعدت له كثير من خلطات الفيتامينات المتنوعة المثيرة للاشمئزاز وأرغمته على شربها عنوة.. لكن لم يجد شيئاً نفعاً.. استمر شحوب وجه أبلهيد وكرس الكثير من وقته في كتاباته المستمرة.. وفي غفلة من الجميع، كان يغطي أبلهيد ظهر الورق بقلوب غير متقنة الرسم.. ثم يركب دراجته إلى غابات لانج.. يقترب من شجرة صنوبر مميزة الشكل.. ذات حفرة ضخمة تقسم جذعها إلى نصفين.. ثم يضع



خطاباته بداخلها بعدما يتأكد أن ما من أحد يراقبه أو يتتبعه.. كان يبتعد عن الشجرة في الحال إلى أيكة مجاورة.. يشعل واحدة من السجائر التي يسرقها من خاله ثم ينتظر هناك بقلب ينفطر.. تُسمع دقاته عالية.. حتى تأتي مخلوقة جميلة جذابة ذات شعر أحمر اللون من بين أشجار الصنوبر.. يشاهدها من بعيد تقترب.. فيزداد خفقان قلبه المتيئم.. إنها إيدا بيوركفيج، ابنة أكبر ممتنع عن المسكرات في المدينة.. من سيقوم العام القادم بالتعاون مع دين إينجمان بغلق الحانات.. فيما بعد، سيقومان بتقليص عمل عربية السيرك ميري.. ها هي إيدا الجميلة تسير نحو شجرة الصنوبر ذات الجزع المتفرع.. تعلو وجهها علامات الاستسلام والانسياق لا إرادياً خلف فضولها الجرم ومشاعرها الجياشة التي لم تشعر بعد بتملكها منها.. تأخذ الخطاب من داخل الحفرة.. تفتحه على الفور.. وبعدما قرأت الخطاب، ارتسمت ابتسامة رقيقة على شفثيها.. ثم اختفت مجدداً بين أشجار الغابة.

كانت تلك الابتسامة الآسرة بمثابة ضوء أخضر يدفع أبلهيد للتردد على تلك الغابة الساحرة مجدداً.. وكتابة لها المزيد من الخطابات دون كلل أو ملل.. حينما كان يحاول التحدث إليها، تغني هي بنبرة مختلفة.. وكلما تبعها أبلهيد بدراجته، صاحت إيدا: ابتعد عني أيها الأحمق.. وحينما حاول أبلهيد أن يتبعها من المدرسة إلى منزلها، قالت له: سمعت أموراً سيئة كثيرة عنك.. ألا تعرف ذلك؟ لكن كل يوم حينما يصيح أبلهيد بكلماته السحرية على دراجته: ساعي البريد قادم، تظهر إيدا الجميلة في غابات لانج لتقرأ خطاباته الرومانسية.. اعترافاته بحبه الجارف وعشقه اليائس بلا أمل.. يدفعها فضولها الشديد.. ثمة شيء آخر يحثها على قراءة تلك الخطابات لكنها لم تعباً لمجرد تسميته.

بعد مرور أعوام، قالت إيدا في نفسها: بحق المسيح! ذلك الأحمق لا يقاوم! بعد خمسين خطاباً أو أكثر، قررت إيدا ألا تختفي بين أشجار الغابة.. بدلاً من ذلك، ذهبت نحو الأيكة حيث يختبئ أبلهيد ثم سألته: ماذا تفعل هنا؟



اعطني سيجارة.

لم تشأ الجلوس معه في الأيكة.. لكنها انتهت من تدخين السيجارة كلها في سبعة أنفاس وهي تخبره أنه يمكنه توصيلها من المدرسة إلى المنزل في اليوم التالي.. بعدما غادرت الأيكة، التقط أبلهيد عقب سيجارتها الندي ووضعه في جيبه.

حينما كان يتجول أبلهيد في بيرجين على دراجته في حالة من الإلهاء وشروذ الذهن بعدما فقد القدرة على ترويع الآخرين، كان دائماً يسمع أصوات من الشوارع تصيح قائلة: هذا الأحقق يبادل ابنة آرنت بيوركفيج الحب ويمارس معها علاقة حميمة ساخنة.

ما إن يسمع أبلهيد تلك العبارة المستفزة حتى يعود ليظهر جزءاً من شخصيته السابقة الخفية الثائرة.. فيركض خلف الصبية.. أعضاء نادي السرطانات.. مهدداً ومتوعداً في ثورة وغضب عارم.. لكن الجميع كانوا يرون أنه أصبح يعجز عن ترويع الصبية بنفس القوة مثلما يفعل من قبل.

قال ثوربيون لجاج إيرز: بحق المسيح! لقد أصبح ابن عمك ساكناً.. خانعاً للغاية! لقد شوه أبلهيد حديثاً وهو يسير على بعد خطوات قليلة من ابنة آرنت بيوركفيج.. يحمل لها حقيبتها المدرسية والشرر يتطاير من عينيه وهوينظر إلى الصبية من حوله.. من أخذوا يتظاهرون بالخوف منه ثم قالوا له ثم يشيرون إلى إيذا كأثما يشيرون إلى نوع مقزز من الجعة: ها هي جعة الجنزيبيل! في حين كانت تتزايد نظرات السخرية والازدراء منهما، كان يزداد أيضاً فضول العامة.. وانتشرت الشائعات في الجوار عما يفعله أبلهيد مع تلك الفتاة في غابات لانج.. أحياناً كثيرة، كان الصبية يتلصصون على الحبيين.. يوماً ما، استطاع أحدهم أن يلتقط خطاباً من الشجرة العتيقة ويقرأ كلمات قليلة كانت تبدو حمقاء بالنسبة له، قبل أن يهرول أبلهيد خلفه والشرر يتطاير من عينيه والغضب يعلو وجهه الثائر.. في يوم آخر، أصيب أحد الصبية بالذهول حينما رأي صدرأ عارياً في الأيكة.



وانتشرت الشائعات كالنار في الهشيم بين صبية الجوار تقول: كانت ترقد الفتاة هناك عارية تماماً.. تنفث دخان سيجارتها، في حين ردد الصبية: إنهما يقيمان علاقة حميمة معاً في غابات لانج ويدخان السجائر في آن واحد! هل تعلمون ماذا كانت تفعل كانت تجثي على أربع وتقول له: هيا، إليّ بعضوك الذي لا تقاوم!

اضطر الحبيبان الشابان أن يهربا لأبعد مدى في الغابة بعيد عن ملاحقة صبية الجوار لهما.. كانا يقضيان أيام الأحاد بين أشجار الصنوبر.. يقفان في مناطق بالغابة مقطوعة الشجر حيث مهدت لهما الطبيعة الطحالب وسائداً ناعمة.. تلك التي أتاحت لهما الفرصة للقيام بعلاقة حميمة أكثر سخونة.. حيث بدت لهما تلك الطحالب فراشاً وثيراً مخملياً.. ناعماً.. بعيداً عن أعين وألسنة صبية بيرجين.. بدأت أرواح الأشجار تتهاشم بقصص عشقهما.. في حين بدأت تُسمع أصوات سفلية تشدوا أغاني مميزة هادئة.. كانت المشاعر بين أبلهيد وإيدا متأججة مشتعلة للغاية تدفعهما للاقتراب أكثر فأكثر من بعضهما البعض.. يارسان أفعالاً لم يقوموا بها في أي مكان آخر.. مما يملؤهما بالإثارة والمتعة التي تظل معهما حتى حين عودتهما إلى منزليهما مساءً حيث الحياة الصاخبة في بيرجين.. في حين كان الصبية يبحثون عن عاشقين هنا وهناك في الغابات بشغف وفضول عارم لكن فجأة توقفت علاقة الحبيبين ببعضهما البعض خلال ذلك الصيف في حين كان مناخ بيرجين معتدلاً للغاية يجذب أي عاشقين لعدم التوقف عن تبادل الحب.. حينما جاءت إيدا مهرولاً إلى أيكتهما القديمة، بعد مرور ثلاثة أسابيع منذ بداية العام الدراسي الجديد، وهي تصيح: أنا حامل أيها الأحمق.. أنظر ماذا فعلت الآن أيها الحيوان الغبي!

استدارت وركضت بعيداً تاركة أبلهيد خلفها في قلق وحيرة من أمره.. لكن في المرة التالية التي شهد أبلهيد فيها إيدا كانت تنتقي كلماتها بحرص وتُهدب عباراتها في الحديث معه.. أخذت تتحسر وتنوح على ما ألم بها من خطب



شديد حتى قالت له ملحوظة حاسمة في النهاية: سأخبر أُمي  
بعد ذلك عانى أبلهيد معاناة فظيعة.. لم يشعر بآلام الهجر والفرار فحسب..  
بل عانى كثيراً من ذلك العرق البارد الذي أخذ يتصبب منه كلما فكر في  
إيـدا.. جينجر.. وكل ما فعلاه معاً في تلك الغابات الساحرة.. لكن يبدو أن  
الأمر اقتصر معه على التفكير والتخيل فحسب.. لم ير أبلهيد شيئاً من إيـدا  
بيوركفيج طوال الثلاثة أسابيع التالية وكأن الأرض قد انشقت وابتلعتها.. في  
حقيقة الأمر، لم يعد أبلهيد متحمساً لرؤيتها كثيراً.. استمر في ركوب دراجته  
في شوارع بيرجين.. لكنه بدا عليه التششت والاضطراب وشروذ الذهن أكثر من  
ذي قبل كأنه صورة معكوسة لشخصيته المروعة السابقة.

أخذ أبلهيد يتجول بدراجته هنا وهناك ينتابه شعور بالنشوة.. بالهلفة لمجرد  
التفكير فيها.. حتى جاء يوم ما، ظهرت فيه سيارة سوداء كبيرة بالقرب  
منه.. أرغمت أبلهيد على التوقف عند الحاجز الحجري بجوار الرصيف حتى  
كاد أن يسقط أرضاً.. بدا من نافذة السيارة، الممتنع عن المسكرات.. آرنت  
بيوركفيج.. تعلق وجهه علامات الغضب العارم.. استطاع أبلهيد من النظرة  
الأولى على وجه ذلك الرجل أن يعرف أنه ليس من نوع الرجال الذي يمكن  
التحدث معه.. فدخل أبلهيد السيارة السوداء.. شاحب الوجه كشبح مروع..  
بالرغم من أن تلك هي المرة الأولى التي يركب فيها أبلهيد سيارة إلا إنه لم  
يتمكن من إبداء أية حماسة.. بعدما سارت بهما السيارة في الشارع لربع  
ساعة دون أن ينبسا ببنت شفة.. دون أن يتفوها بكلمة واحدة تهدئ من  
روع أبلهيد أوتزيل عنه القلق العارم مما سيحدث بعد ذلك.. مما سيلم  
به من خطوب وكوارث اكتشف أبلهيد أن آرنت كان في طريقه إلى سفح  
الجحيم.. وهو جزء يبرز من جبل شاهق الارتفاع.. على بعد مسافة بعيدة عن  
البلدة.. فأدرك أبلهيد على الفور أنه سيدفع به إلى هناك.

تلثم أبلهيد وتمتم بعد فترة صمت طويلة قائلاً: لم أفعل ذلك عن عمد.  
أمره بيوركفيج أن يلتزم الصمت.. وحينما توقفت السيارة عند سفح الجحيم،



أخذ آرت نفساً عميقاً ثم التفت للفتى قائلاً: لا أهتم لأمرك.. لا أحب أمثالك أبداً.. من الحمقى والأغبياء.. لكن لا يهم لأنك ستتزوج إيدا في مارياكيرك السبت القادم.

حقد آرت في وجه أبلهيد بعينه الصغرتين.. شعر أبلهيد مجدداً أن ذلك الرجل ليس من النوع الذي يمكنك مجادلته.. فتلعثم أبلهيد قائلاً: نعم، بالطبع.

قال آرت مشيراً إلى باب السيارة: حسناً، والآن اخرج من السيارة قبل أن تصيبني بالسقم!

في لحظة، كان أبلهيد خارج السيارة في الشارع وحده.. حينما ضغط آرت بيوركفيج على دواسة البنزين بشدة لينطلق نحو البلدة.. وجد أبلهيد نفسه يتصب عرقاً مجدداً، قرر أبلهيد أن يتحدث إلى أسكيلد.. فقد كان أبلهيد هو الوحيد في العائلة من يلجأ لأسكيلد ليسدي له النصيحة.. بعد ساعات، وصل أبلهيد للحانة حيث يحب أسكيلد الذهاب بعد العمل.

قال أسكيلد في دهشة وتعجب: ها هوذا ابن أختي العزيز! هل بدأت لتوك التردد على الحانات؟

تمكن أبلهيد بالكاد من التفوه ببعض الكلمات وهولا يزال يتصب عرقاً.. أخبر خاله أنه بحاجة للتحدث معه.. لذلك اقتاده أسكيلد إلى مائدة في ركن الحانة، طلب له شراب الأكوافيت.. بدا أسكيلد معتاداً للغاية على تلك الحانة.. يثرثر مع المحيطين به بمعنويات عالية.. يصيح بأفزع العبارات والملاحظات منادياً على النادلة.. حتى بدا لأبلهيد أن خاله يقضي حياته كلها في تلك الحانة.

بعدما استمع أسكيلد لورطة أبلهيد، نظر إليه بجدية وقال: حسناً، أرى الأمر أمامي الآن.. لديك خياران: إما أن تتزوج الفتاة أو تهرب

كان للخيار الثاني وقع الصدمة لدى أبلهيد حتى أخذ يتصب عرقاً أكثر من ذي قبل وهو يردد: أهرب؟ لكن أين أذهب؟

أجابه خاله: إلى البحر أيها الأحمق



تتم أبلهيد قائلاً: وماذا عن إيدا؟

أجابه أسكيلد: فعلت الفتاة ذلك بإرادتها.. لم ترغهما على شيء.. عليها أن تتحمل العواقب إذًا، أمر لأبلهيد بكوب أكوافيت آخر ثم قال له: لم يكن ذلك خطؤك على كل حال.

قيل ذلك التعليق بابتسامة ثقة تعلو وجه أسكيلد مما طمأن أبلهيد وجعله على يقين من أن تلك العبارة ممكنة وأقرب إلى الواقع.. بصحبة خاله ورفقاؤه السكارى من بدءوا يروون لأبلهيد قصصاً مطولة عن البحر، بدأ تأثير الغابات الساحرة يزول رويداً رويداً من عقل وقلب الفتى.. بدأت صورة آرنت بيوركفيج.. والد إيدا.. تتلاشى شيئاً فشيئاً.. كذلك حال صورة جينجر.. إيدا الجميلة.. من كانت تنهمر دموعها اليائسة الولهانة على صدره منذ فترة قصيرة.. باتت هي الأخرى حلماً ضبابياً مشوشاً.. وحل محل تلك الصور المشوشة، أفكار عن أمواج البحار المتلاطمة على الصخور.. كما لاحت في الأفق أحلام عن الشاطئ الساحر حيث تتناثر أوراق الشجر في جزر وأراضي بعيدة.. عن الأمسيات الحاملة الجميلة التي يمكن أن يقضيها أبلهيد في المرافئ الجديدة.. عن العاهرات المتسييات بلا رادع.. من سيكفلونه عشرة يورو فحسب في الليلة.. قبل أن يودّع الفتى خاله.. أسرع إلى دراجته بعدما زال عنه العرق البارد الذي كان يتصبب منه بغزارة كلما بدت بمخيلته صورة آرنت الثائر وعباراته المهددة.. كلما جال بذهنه ما فعله مع إيدا في الأيكة التي شهدت علاقتهما الحميمة الساخنة.. تبخر ذلك العرق الذي كان يؤرقه كثيراً إلى الأبد.. كزوال ندى الفجر عند بزوغ الشمس حتى بات كل شيء له بسيطاً للغاية.. وصارت الأمور ممهدة له للهروب من الورطة التي أقحم فيها نفسه طواعية.

في صباح يوم ما، استيقظ جاج إيرز على صوت ماما راندي تركض هنا وهناك في الردهة في توتر وقلق عارم.. تصيح بصوت مرتفع وهي تلوح بخطاب كتبه أبلهيد بخطه المميز.



قتمت ماما راندي وهي تنوح: بحق السيدة العذراء! إنه مجرد طفل.. هل أنت من أقنعت ذلك الصبي بتلك الأفكار يا نيلز؟  
استيقظ بابا نيلز.. من اعتاد على النهوض مبكراً الساعة الرابعة صباحاً..  
يجلس على كرسيه الهزاز فحسب.. ثم ينام مجدداً حتى الساعة الخامسة والنصف.. حدّق في وجه زوجته الثائرة قبل أن تبدأ الثورة العارمة حينما كانت ماما راندي تصيح في غضب جم قائلة: البحار الجنوبية! الفلبين! جميع سكان تلك البلاد همج.. متوحشون... مجانيين.. من آكلي لحوم البشر.. ذلك الفتى الملعون!

ما إن أدركت راندي أن نيلز قد تحدث بالفعل مع أبليهيد ذلك الصباح قبل رحيله حتى أمطرت الرجل المسن بوابل من السباب والإهانات في في ثورة عارمة لأنه لم يحاول ردع ذلك الفتى.. استدعيت أخت أسكيلد، إينجريد.. من ورديتها في مستشفى هوكلانند... جاءت مسرعة إلى المنزل لتقف أمام راندي الثائرة وأختها الكبرى من كانت على وشك البكاء، حتى حسم أسكيلد الموقف وصرّح للجميع أنه هومن نصح أبليهيد بالهروب إلى البحر.  
صاحت إينجريد وماما راندي في آن واحد: ماذا! لا، لم تفعل ذلك.. أليس كذلك؟

حينما وجد الثورة العارمة التي انفجرت في المنزل، فكّر أسكيلد في نفسه ملياً في صباح يوم ما في طريقه إلى عمله في ساحة السفن: لقد تحملت الكثير.. سئمت الحياة على هذا النحو.. يجب أن أتغاضى عن الكثير.. انحنى دائماً حتى تمر الأمواج المتلاطمة بسلام.. أجتو على ركبتي مقدماً فروض الولاء والطاعة.. دائماً نفس تلك القصة تتكرر كل يوم.. حينما كان يسير في برد الصباح القارس ليذهب إلى عمله، تراءت بعقل أسكيلد تلك الفكرة القديمة: منزل جميل في ضواحي بيرجين.. منظر البحر الرائع.. الهدوء والسكينة تعم الأسرة، كان ذلك هونفس الحلم الذي أسر أسكيلد وهوشاب في غرفته في فندق الأرملة كئاتسان -ذلك الحلم الذي شاركته فيه بيورك بكل جوارحها.



بعد وهلة، اختار أسكيلد قطعة أرض.. وبعد فترة قصيرة، تمكن من تجميع المال الكافي لأعمال البناء من عمله الناجح وسمعته القديمة كمحارب عظيم من أجل الحرية.. كل يوم أحد، كان يخرج أسكيلد لموقع العمل عند صخور بيرجين الصلبة ممسكاً بأصابع ديناميت في يده.. كان يُسمع صوت الانفجار مدوياً لمسافات بعيدة.. كانت الأسرة تذوق طعم العذاب ألواناً حينما تفكر في عائلها الوحيد.. أسكيلد.. شديد الثمالة.. يتحسس طريقه.. بتؤدة وأصابع الديناميت في يده بينما يعزف الفونوغراف النقال الخاص به موسيقى الجاز.. مما يعني أنه يلاقي ترحيباً حاراً حين عودته إلى المنزل.. كانت بيورك تتوق أيضاً للهروب من طغيان واستبداد حمايتها.. كما كانت تصطحب الأطفال أحياناً إلى الأرض التي ابتاعها لهم أسكيلد لترى كيف يسير العمل بها. سأل جاج إيرز يوماً ما وهو يسير إلى موقع المبنى تحت الإنشاء قائلاً : إذًا، إلى متى سنعيش هناك؟

نظرت إليه بيورك نظرة خاطفة وأجابته: إلى الأبد لم ينس جاج إيرز أبداً ذلك الوعد.. لكن فيما بعد، بات ذلك الوعد دليلاً ملموساً دامغاً على كذب والدته.. فثمة نقاط عدة تشير إلى نفس الاتجاه فمثلاً: لما تذهب دائماً إلى الطبيب وهي سليمة.. لم يصبها مكروه؟ لماذا تقول دائماً أنها ستذهب للتسوق ثم تعود أدراجها إلى المنزل بأيدي خاوية بعد ساعات عدة، لكنني سأدخل في صلب الموضوع.

في يوم الأحد، بعد اختفاء أبلهيد من البلدة، سُمعت طرقات شديدة على باب المنزل في سكانسن.. دخل آرنت بيوركفيج تعلو وجهه علامات الثورة والغضب العارم.. ومعه جينجر مرتدية ثوب زفاف متواضع.. في البداية، لم يعرف أحد ما كان يتفوه به ذلك الرجل الذي أخذ يصيح بعبارات غير مفهومة بينما اغرورقت عينا الفتاة بالدموع الغزيرة حتى أنها لم تتمكن من التفوه بكلمة واحدة.. حتى أدرك الجميع شيئاً فشيئاً سبب اختفاء وهروب أبلهيد.. صاح آرنت قائلاً: سأقتله! ثم أجهز على بابا نيلز من تملكه القلق



والتوتر الشديد.. أمسك آرنت بابا نيلز من ياقته بعنف.. صاح البغواء ذعراً.. صرخت ماما راندي صرخة مدوية.. في حين صرامة أسكيلد وتصرفه الحاسم منع الزائر من التماذي في هزله.. سحب أسكيلد السيد بيوركفيج من ذراعه ببساطة ودفع به إلى الخارج.. ثم أخبره أن العريس قد ذهب إلى البحار الجنوبية.. ولن يظهر في الأفق طوال العامين التاليين.. حينما قررت إيدا.. جينجر.. ألا تبكي عليه مجدداً، كان أبلهيد يرقد في أرجوحته الشبكية في قاع سفينة في عرض البحر.. كانت تلك هي طريقة مؤازرته لإيدا.. هكذا وقف بحق إلى جوار جينجر الحامل بعد ما فعله بها في غفلة من الزمن.. كان ذلك أقصى ما فعله أبلهيد لإنقاذ إيدا من الورطة التي أقحمها بها .. بالرغم من أن ذكرياته معها في الغابات الساحرة كانت تتملك عقله وكيانه كله في المساء حينما يتطلع إلى عنان السماء عندما تمر السفينة من بلاد إلى أخرى.. كانت تلك الذكريات الدافئة تلازمه طوال طريقه إلى مانيل وسنغافورة.

في العام التالي، بعدما تركت المدرسة بعد فعلتها الشنعاء التي وصمتها طوال حياتها، حينما كانت تُشاهد إيدا وهي تجوب شوارع بيرجين تدفع بعرفة طفل- في الحقيقة، لم يكن طفلاً واحداً.. بل كانت العربّة بها طفلتان صغيرتان- كانت أسرة إريكسون تسرع الخطى قبل أن تسمع الجميع يربط بها ذلك التوأم.. لكن هيهات فعلت تلك الأسرة، لقد انتشرت الشائعات.. وتردد القيل والقال هنا وهناك عن علاقة أسرة إريكسون بحفيدتي بيوركفيج.. وبالرغم من انتشار الخبر كالنار في الهشيم في فيسكيتورجيت إلا إن ماما راندي أنكرت أية صلة تربط عائلتها بذلك التوأم.. في حين كان أسكيلد يلقي دائماً نظرة عابرة على التوأم حينما يتهاذى في خطاه من وإلى ساحة السفن وهو ملاً جيوبه بأصابع الديناميت المدمرة في طريقه إلى موقع البناء.. كذلك فعلت أخته إينجريد.. سارت على نفس خطأ أسكيلد في تجاهل التوأم.. لكن بيورك.. من أصبحت الآن أمّاً لثلاثة أطفال.. كانت هي الوحيدة التي تقترب من إيدا.. تربت على يدها.. تحمل كل طفل على حدة بدوره.. تداعبهما



براءة وحب شديد.

أخذ الصبية في الجوار يرددون: هل هرب بالفعل؟ بهذه البساطة؟

أوماً جاج إيرز إيجاباً.

فأردف الصبية: لا، تباً له! وبهذا الشكل، استطاع أبلهيد أن يحظى مجدداً  
بسمعة كبيرة بين صبية الجوار.. من نسوا ذلك الأحمق من دخل بدراجته  
في عربة بائع اللبن.. نسوا ذلك الأخرق الذي كان يحمل الحقيبة المدرسية  
الخاصة بتلك الفتاة ذات الشعر الأحمر اللون.. كما نسوا تلك الكلمات البلهاء  
التي قرءوها مرة قبل سابق بين سطور خطاب سرقوه من تلك الشجرة  
بالأيكة التي شهدت علاقة أبلهيد وإيدا الحميمة الساخنة والتي انتهت  
بحمل إيدا وهروب أبلهيد.



## أمر السرطانات

حينما كان أبلهيد يخترق بدراجته شوارع بيرجين في حالة من الارتباك وشرود الذهن، قرر جاج إيرز ألا يحصل على مقلب سرطان في مقابل سرطان كامل كعادة نادي السرطان وزملائه الذين اتخذوا ذلك أسلوباً للحياة.. لكن ما إن تجرأ الصبي لإبداء اعتراضه على سفين حتى حدّق تاجر السمك في وجهه بابتسامة متسامحة قائلاً: هل هذا صحيح؟ إذاً ماذا يريد السيد المحترم في المقابل؟ سرديناً؟

حدّق جميع أعضاء نادي السرطان في وجه زميلهم في ذهول ودهشة عارمة حينما أجابه جاج إيرز قائلاً: سأخذ في المقابل حقي نقداً. ما إن تفوه الصبي بتلك العبارة حتى انفجر سفين ضاحكاً انحنى من أسفل المنضدة الطويلة للمتجر ليقف أمام الصبي الجريء بعدما اسقط خلفه قوالب الثلج من فوق المنضدة، وبعدها انتهى جاج إيرز من حديثه، نظر له سفين نظرة باردة ثم صاح قائلاً: اخرج من هنا حالاً.

همست الروح إلى جاج إيرز هذا المساء أسفل الحوض قائلة: يا له من رجل أحمق! لكنه ليس تاجر السمك الوحيد في البلدة، في صباح اليوم التالي، أخذ جاج يتجول في فيسكيتورجيت وحده ويتحدث عن السرطانات: «سرطانات سمينة وكيرة وحية يتم اصطيادها طازجة جاهزة للعرض وسط قوالب الثلج ثمن الواحدة منها عشرة يورو والتوصيل مجاني»، يهمس الصبي في نفسه: «قل اتفقنا فحسب».

بعد فترة قصيرة استطاع جاج إيرز أن يصل إلى اتفاق مع تاجر سمك يدعى هاندريك يملك كشكاً في ضواحي فيسكيتورجيت، وعندما يذهب أعضاء نادي السرطان إلى فيسكيتورجيت ليبادلوا ما اصطادوه من سرطانات بمخالبها، كان يتسلل جاج إيرز خلسة ويذهب إلى كشك هاندريك حيث يقوم بتسليم السرطانات في مقابل عشرة يورو للواحد، وبعد قليل، بدأ جاج إيرز يتتاع



السرطانات من بقية الصبية بسبعة يوروللواحد أيضاً، ثم همس لهم محذراً:  
«لكن لا تخبروا أحداً».

حينما أراد الصبية معرفة لماذا لا يذهبون لهاندريك فحسب ويعطونه  
سرطاناتهم بأنفسهم، أصر جاج إيرز قائلاً: «إنه اتفاقي الشخصي مع  
هاندريك»، ثم صاح: «لا.. اتفقوا مع تجار السمك خاصتكم».

كان سيدهم للسرطانات متعتهم الأساسية.. أكثر من أي شيء آخر، لذا لم  
يعترض الصبية حينما خفّض جاج إيرز سعر السرطان إلى خمسة يورو، أو  
حينما عرض عليهم شراء كل حصيلتهم من صيد السرطانات اليومي بسعر  
بخس أقل بكثير مما كان هاندريك يدفعه لجاج إيرز فما كان منهم إلا أن  
قالوا له: «حسناً لكن بشرط أنه يجب عليك أن تأخذ هذه السرطانات بنفسك  
إلى السوق».

لذلك كانت مجموعة الصبية تذهب إلى فيسكيتورجيت، وواحد منهم يقف  
بالخارج لسحب حصيلة اليوم من صيد السرطانات.

وهكذا عرف جاج إيرز لأول مرة معنى جني المال، وهو ما كان تحقيقاً لنبوءة  
الروح التي كانت تهمس في أذنيه قبل سابق: «الثراء على الأبواب.. ستمطر  
السماء ذهباً.. سيعرف المال طريقه إليك»، ولا يمكن الاعتقاد بأن جاج  
إيرز يتبع أسلوباً جديداً في المقايضة، وذلك حينما يأتي الصبية بسرطاناتهم  
فيتحسس جيوبه قائلاً: «لا.. ليس معي أية نقود اليوم» فبدلاً من المال  
يجد الصبي-بالصدفة- زوجاً من المناديل في جيبه الخلفي أو بعض السجائر  
أخذها خلصة بغير علم والده، ثم يقول لهم معذراً: «أعتقد أن ذلك كل ما  
لدي اليوم فما كان من الصبية سوى الإذعان لعرضه والموافقة على مقايضة  
سرطاناتهم بتلك المناديل أو السجائر متعجبين بشدة عما كان يفعله جاج  
إيرز بالمال.

لم يكن الصبي يدخر المال لشراء دراجة، كما أنه لم يدفعها لفتاة تدعى (ليود  
ليندا) كي تخلع سروالها الداخلي، بل كان جاج إيرز يشتري مالاً بالمال أي



أنه كان يتتاع عملات وأوراق نقدية قديمة بتلك النقدية الحديثة، كانت تلك العملات القديمة ذات شكل غريب يخفق لها قلب الصبي بشدة حينما يراها بين يديه، ولقد شوهد جاج إيرز كثيراً أمام مصرف (إيبسن) للعملات والأوراق النقدية يحدّق في نوافذ تغيير العملة، أحياناً كثيرة كان إيبسن يرى البقع الزلقة التي تتركها أنف جاج إيرز على نافذة المصرف حينما كان يركض موظف تغيير العملة خلف الصبي وهو يصيح مهدداً جاج إيرز بعصا في يده: توقف عن جعل لعبك يسيل على نوافذي، لا يعرف أحد كم كان عمر إيبسن لكن عُرف أنه قد بلغ من العمر أرذله، وأنه تقريباً- يعد أكبر معمرٍ في غرب النرويج، حتى تأكدت تلك المعلومات يوماً ما حينما انسل جاج إيرز إلى داخل المصرف ووضع عملات نقدية كثيرة على منضدة المصرف ثم سأل عن سعر عملة محددة في نافذة تغيير العملات التي وقف فيها إيبسن بنفسه والذي اقتاد الصبي إلى مكتب قديم تعلو وجهه نظرة مأكرة، ثم التقط العجوز صندوقاً خشبياً لامعاً انتزع غطاءه بصعوبة بعد وقفة درامية.. ماذا كان في الصندوق؟ عملات ذهبية من روسيا المدعمة للقيصر.. عملات فضية من بروسيا.. الإمبراطورية الألمانية.. وأوراق نقدية قديمة تعود إلى ما قبل توحيد العملة والعديد من المفردات الغريبة الغامضة.

قال إيبسن وهو يضرب منضدة المصرف بقبضته: «إيفان الفظيع! جاء إلى مصرفي ووقف مكانك هذا أيها الصبي.. لا تبتسم لي هكذا.. من أين حصلت على تلك العملات إذا؟ حضر إيفان إلى مصرفي.. لكن أعتقد أنك لا تصدقني.. أليس كذلك؟ اذهب إذًا.. أخرج من هنا على الفور!

لكن جاج إيرز أجاب «لا.. فأنا أصدقك بالطبع.

قال إيبسن: جيد اذكر اسم أي شخص يعجبك وسأقول لك أنه أتى إلى مصرفي هذا.. هيا.. فكر في أي اسم.

قال جاج إيرز: «مم الملك.. الملك حاقون؟»

قال إيبسن: جاء عام ١٩١٣ كان أراد أن يصقل مجموعته النقدية، كما



أعطاني شخصياً عملة في الذكرى السنوية وكان ابنه برفقته .. لا تصدقني..  
أليس كذلك؟ كان للملوك القدامى أسلوب مختلف، في تلك الأيام اهتم  
الجميع بالدولارات فحسب ألم تر كيف يتجمهر الجميع حول السفن الحربية  
الأمريكية على رصيف السفن في سكولتيجران؟ كانوا يبتاعون ويبيعون  
دولارات ذلك الرجل العظيم، ألم تر كيف كان هؤلاء الأمريكيون يقذفون  
تلك العملات من السياج وكأنها علب علكة؟، لم تكن العملات الجديدة ذات  
قيمة برغم من مظهرها البراق، كان الجميع مستعدين لبيع أجسادهم من  
أجل دولارات ذلك الرجل العظيم ..! ؟.

وحينما كان تاجر العملة يثرثر التقط جاج عملة ذهبية كبيرة وأخذ يحدق في  
صورة إيفان الفظيع عليها كانت تهیؤات حقاً ما بدا له أن إيفان يغمز له.  
صاح إيبسن: ابتعد أيها الخبيث عن تلك العملة فليس من المستطاع أن  
يُشتري كل شيء بالمال أيها الصبي ، أشار إيبسن إلى عملة فضية صغيرة من  
روسيا تلك المرة كان سيزار نيكولاي هومن يغمز لجاج إيرز قبل أن يطبق  
الصبي يده على العملة.

حينما أسرع جاج إيرز إلى الباب والعملة في جيبه، صاح تاجر العملة: لما  
العجلة...؟! لم ينصت الصبي إليه وسرعان ما اختفى في شارع (أليكيجاتن) .  
وحينما عاد الصبي إلى سكانسن وجد صندوقاً خشبياً قديماً بين أدوات رسم  
أبيه حيث وضع عملته، ثم أخفى الصندوق أسفل سريره قبل أن يذهب إلى  
الردهة ليجد أخاه الصغير (كنات) البالغ من العمر ستة أشهر.

بالرغم من تحذيرات إيبسن له إلا أن جاج إيرز ركض عصر ذلك اليوم إلى  
رصيف السفن في سكولتيجران ليلقي نظرة على السفينة الحربية الأمريكية  
التي رست على الرصيف البارحة، وقد رأى جاج على متن السفينة مجموعة  
من البحارة يتسكعون هنا وهناك يرتدون زيهم المعروف بلونه الأزرق  
والأبيض.. صاح الصبي للبحارة: أعطوني دولاراً أونصف دولار فحسب!  
ما إن تفوه الصبي بتلك العبارة حتى وجد عملة براقّة تطير في السماء لتسقط



أرضاً أمامه مثلما أخبره إيبسن تماماً فالتقطها جاج إيرز وحقق فيها مذهولاً ومندهشاً ولم يفهم سبباً لرفض تاجر العملات القديمة أن يتاجر بالدولارات كما لم يدرك لماذا يقذف البحارة إليه بالعملة دون حتى أن يفكرون لوهلة في الأمر لذلك حاول مجدداً .

فصاح الصبي: ما رأيكم أن تعطوني واحدة أخرى؟ عملة صغيرة فحسب.. أرجوكم.

قذف البحارة إليه بعملة أخرى وهم يضجون بالضحك على متن السفينة، وحينما انحنى جاج إيرز ليلتقطها من الأرض شعر بضربة شديدة على مؤخرة رأسه، ثم سمع أصوات ضحكات أعلى من ذي قبل على متن السفينة وضع الصبي يده على الجزء الذي يؤلمه في رأسه قبل أن يشعر بلكمة شديدة في حلقه، ثم لكمة أخرى حينما أُلقيت له عملة أخرى ضربت ركبته بشدة، وحينما وقف الصبي وسط أمطار غزيرة من العملات أدرك أن البحارة لا يعطونه حفنة من العملات فحسب بل حفنة من الضربات والركلات أيضاً، فقد الصبي على إثرها شعوره إن كان في الجنة بين تلال المال، أم في جهنم بين كرات النار.

لم يشعر جاج إيرز بالآلام التي تعتري جسده من اللكمات والضربات التي يسددها له البحارة، بل كان منكباً على التقاط العملات على متن السفينة في ذهول لا يصدق نفسه من الفرحة ويسمع همس الروح في أذنيه مردداً: «الثراء على الأبواب.. ستمطر السماء ذهباً.. سيعرف المال طريقه إليك» ووسط شروده في كلمات الروح وذهوله ودهشته وهويلتقط العملات، ضرب جاج إيرز بعملة على جبهته فصرخ من الألم وولى الأدبار تاركاً متن السفينة بكل ما بها من مهازل.

وعند عودته إلى منزله والكدمات تغطي جسده كله وجد الصبي أن سيزار نيكولاي أصبح بصحبة جورج واشنطن عملات عدة مطبوع عليها صورة سيزار نيكولاي استقرت في الصندوق الخشبي بجوار عملات جورج واشنطن



أسفل سرير جاج إيرز فلم ينس الصبي أبداً تلك الضحكات التي انطلقت مدوية من أفواه البحارة الأشرار فوق الكوبري. فكر الصبي ملياً في نفسه قائلاً: هل حقاً بعت نفسك من أجل دولارات ذلك الرجل العظيم؟ كما تذكر جاج إيرز أن العملات لا زالت على رصيف السفن ملقاة على الأرض تحت السفينة الكبيرة، لكن في اليوم التالي، حينما هروا الصبي إلى رصيف السفن على أمل أن يعثر على بقية العملات، وجد جاج إيرز أنها اختفت مع السفينة الحربية والبحارة أيضاً. كان لذلك الحدث أبلغ الأثر في نفس الصبي، لم يتعلم منه الكثير عن دولارات الرجل العظيم فحسب بل تعلم أيضاً أن جني المال ليس بالأمر اليسير على الإطلاق، حينما لم يخرج ليصطاد السرطانات أو يعاقب في مدرسته وايت سكول فيمثل بين يدي نائب المدير (كرامر) الذي ينحني أمامه الصبي بأدب جم، كان جاج إيرز يذهب لزيارة تاجر العملة إيبسن في أليكيجاتن.

حينما وقف الصبي-جامع العملات- ممتناً خلف واجهة مصرف إيبسن ذلك الرجل الذي أسعد جاج إيرز كثيراً لاتخاذة قدوة له بعدما ثبت صدق كلامه. سأله إيبسن: أيها الصبي.. هل عدت مجدداً؟ من أين حصلت على كل ذلك المال؟

تمتم الرجل الطاعن في السن قائلاً: «كريستيان التاسع».. لا تعلم من هو كريستيان التاسع.. أليس كذلك؟ بحق الرب! ماذا علموك في المدرسة؟ كان الملك (كريستيان) مصري، سلمي متى؟.. في عام (١٨٦٤) كان رجل دولة ذا شأن ومقام رفيع.. ومظهر خاص لكنه بخیل حقاً..!، فيمكن أن تستغرق الصفقة معه عدة أيام قبل الوصول إلى اتفاق معه، لكن ماذا تعرف عن مثل هذه الأمور؟ لا تصدقني.. أليس كذلك؟

أوماً جاج إيرز نافياً.

فأردف إيبسن قائلاً: هل تعتقد أن الملك كريستيان مدينة في روسيا؟ هل تعتقد أن فريدريك ويلهيلم ملك بروسيا الإمبراطورية الألمانية تاجر



سرطانات في فيسكتيتورجيت؟ أليس لديك أية خلفية تاريخية أيها الأحمق؟  
سلني إن كان ويلهيلم.. ملك بروسيا قد أتى إلى مصري.. سلني إن كان يمكن  
لـ ١٦ شلناً أن يساوي ١٩٢ بنساً.. الإجابة نعم!!

هكذا تعلم جاج إبرز النظام المالي في (لابيك) وأموراً كثيرة عن البنسات،  
الشلنات، العلامات وعن توحيد العملة عام (١٨٧٣) وعن العديد من أشكال  
التزييف والغش كخلط كثير من النحاس بالعملات الفضية والذهبية.

في الصندوق أسفل سرير جاج انضم لسيزار نيكولاي كل من: كارلوس الثالث  
ملك أسبانيا، فريدريك أغسطس الأول ملك ساكسونيا بألمانيا وويلهيلم ملك  
بروسيا والعديد من ملوك الداهرك بدت صورهم على العملات الذهبية  
والفضية.

لكن تزايدت دولارات الرجل العظيم أيضاً، وبالطبع لم يخبر جاج إبرز إيبسن  
أنه يذهب إلى رصيف السفن في سكولتيجران كلما رست السفن الحربية  
الأمريكية، والآن يذهب إلى هناك مرتدياً خوذة على رأسه ويستخدم غطاء  
قدرٍ كدرع حماية له من وابل العملات.

صاح جاج إبرز قائلاً للبحارة وهو يضرب يديه ببعضهما ويضرب الأرض  
بقدميه في وقاحة: أعطوني دولاراً أونصف دولار فحسب!

صاح الصبية الآخرون وهم يعدون عدتهم يحصنون أنفسهم بالقدر  
وأغطيتهما مثل جاج إبرز، وينتظرون وابل العملات: أعطونا نصف مليون،  
دائماً ما كانت تحتشد الجموع الغفيرة من الصبية على رصيف سفن  
سكولتيجران حين تمطر السماء عليهم وإبلاً من العملات والعلكات وهم  
يصيحون ويهتفون جميعاً بأية ترهات، تُسمع أصوات المتألمين هنا وهناك  
على الرصيف، تحدث العديد من المشاجرات العنيفة يتبعها صيحات الانتصار  
مدوية، تلك كانت فَعَالِيَات ما كان يحدث يومياً على رصيف السفن قبل  
أن يلقي الصبية بأنفسهم على متفجرات الرجل العظيم، حتى قطع العلكة  
الممضوعة من قبل كانت ذات قيمة بالنسبة لهم فيمكن أن تُمَزَج بالسكر



ويعاد مضغها مجدداً.

لم يتحسن الوضع في سكولتيجران بعدما علم الصبية في الأحياء الفقيرة بالجوار أمر تلك الرياضة الخاصة التي فكر البحارة على السفن الأمريكية قضاء أوقاتهم في ممارستها، لكن سرعان ما بدأ صبية الأحياء الفقيرة يظهرن في الساحة ليعلنوا نواياهم للجمع الغفير من الصبية المتجمهرين في ساحة السفن أمام السفينة الحربية الأمريكية، وعندما لم يجد النقاش والتفاهم نفعاً مع هؤلاء الصبية قام صبية الأحياء الفقيرة باستخدام أساليب أخرى للحصول على عملات البحارة كالتوبيخ والسخرية: انظروا إلى هذا الصبي ذى الأذنين الكبيرتين! بحق الرب! كيف لا يسعه الطيران والتحليق فوق السفينة فحسب؟ أويشيرون إلى ثوربيرون النحيف في استهزاء وسخرية قائلين: انتبه حتى لا تنفلق نصفين يا ذا الساقين الطويلتين!.

مما أدى إلى العديد من الأفعال السيئة الدموية كالصق على الأرض والتعارك بالأيدي والتطاحن الدموي فتتناثر الأشلاء هنا وهناك على رصيف السفن. ثمة شيء آخر كان ضرورياً حينما يأتي هؤلاء البحارة إلى الميناء: فالنوادي التي تتقاطع مع أشجار الصنوبر في غابات لانج أصبحت مشوهة محفور عليها أول حرف من اسم المالك وتزين وتحلى بالوحوش الفظيعة المرعبة.

استمرت المنافسة والنزال بين هاتين المجموعتين من صبية الجوار، ولكن بعدما قام البحارة بتطوير وتحسين رياضتهم المفضلة تدفعهم صيحات الجموع الغفيرة التي تستمتع بتلك الرياضة كثيراً بدأت الأمور تتغير شيئاً فشيئاً.

كان وجود السفن الحربية الأمريكية له أبلغ الأثر في جعل بيرجين قرية صغيرة فقد انكمشت المدنية فجأة ولم يعد آمناً سير صبية الجوار بمفردهم خاصة في الجهة الشمالية لزوايا معينة في الشوارع الغربية لبعض المباني في الجوار، فأنت لا تعرف متى ستلقى الرعاع من صبية الأحياء الفقيرة والذين يفرضون سيطرتهم على النوادي، وإن ضللت الطريق يوماً ما- مثلما حدث



مع ذي الساقين الطويلتين ثوريرون- لابد أن تعلم يقيناً أنك ستواجه نفس المصير الذي واجهه هوحينما صادفهم في طريقه.

قام صبية الأحياء الفقيرة بسحب الصبي المذعور في شوارع الأحياء الفقيرة حيث كانت تنتظره حفنة من الرعاع الساخرين منه، بعد ذلك اقتادوه إلى مكان مهجور حيث احكموا وثاقه في عمود حينما أرسل صغار الصبية للبحث عن جيفة كلب، بعد فترة عاد أحد صغار الصبية ومعه قطعة لحم من جسم كلب ضال على عصا في حين كان ثوريرون قد تبول في سرواله رعباً بينما كان يُسمع نحيبه وعويله في جميع شوارع الجوار وما بعده، وحينما رأى ثوريرون المرتعد لحم الكلب الضال على عصا رفيعة، التزم الصمت فجأة لم ينبس ببنت شفة حينما قطعت قطعة اللحم إلى نصفين لم يتفوه بكلمة حينما أقحم الصبية قطعة لحم في سرواله الداخلي والأخرى لُطخت بها مؤخرته التزم الصمت الرهيب حينما اقتاده الصبية خلال شوارع الأحياء الفقيرة وقد تحلى بالصبر ورباطة الجأش حينما كان يسمع عباراتهم الساخرة وكلماتهم المليئة بالذل والهوان التي كانوا يمتطرونه بها طوال الطريق.

وحينما أطلق الصبية سراحه أخيراً لم يتحلّ ثوريرون بالشجاعة الكافية التي تمكنه من العودة إلى منزله بل هروا إلى بحيرة سكانسن ليغسل سرواله بالماء البارد.

في اليوم التالي.. أدرك صبية الجوار جميعاً في جميع أنحاء سكانسن أن هؤلاء الصبية الرعاع من الأحياء الفقيرة قد تجاوزوا كل الحدود.

لم يعبأ جاج إيرز بما آل إليه الحال كما كان أسكيلد هو الرجل الوحيد الذي يمكنه المرور على هؤلاء الرعاع بسلام حينما كان يقصد طريقه إلى عمله الشاق في صخور بيرجين ومعه أصابع الديناميت.

في المدرسة المحلية التي كانت تسمى بالمدرسة البيضاء (وايت سكول) لمبانيها بيضاء اللون تعلم جاج إيرز أن سمعته كراكل للخصي أو ارتباط اسم عائلته بأبليهد وفعلته في غابات لانج لا تمنع من تعرضه للذل والهوان في النظام



التعليمي، فقد كان دائماً يظهر نائب المدير كرامر في الصورة غاضباً، ثائراً ويزأراً كالأسد يطيح بالطلبة ، كان أحمر الوجه، رأسه أصلع بخصلات شعر خفيفة خلف أذنيه والعجيب أن إحدي عينيه زرقاء اللون والأخرى بنية، ولذلك لقبه الصبية بقوس قزح أوالملون(لوحة ألوان الرسم)

في الصف الأخير في وايت سكول، جلس ذوالساقين الطويلتين(ثوربيرون) الذي أصبح لديه حركة عصبية وهى تقلص لا إرادي في عضلات الوجه أسفل عينه اليسرى،وذلك بعد جولته الإجبارية التي قام بها في الأحياء الفقيرة.

بجوار الصف الأخير يجلس نيلار ذوالكلف أو من لُقّب بـ الوجه ذي الكدمة وهو أول ضحية في طريقة ركل الخصي، لكنه الآن صار جندياً مخلصاً في المعارك على رصيف سفن سكولتيجران، في ذلك الوقت كان جاج إيرز يجلس في الصف الأمامي بسبب حماسة(ماجناس) معلم التاريخ الجديد لمعلومات الصبي التاريخية الجيدة ، فقد كان جاج إيرز معروفاً بانحدار نسبه من سلالة عائلة سيزار الروسي ويلهيلم ملك بروسيا .. فريدريك أغسطس ملك ساكسونيا بألمانيا، وبأنه من أحفاد ملوك بلاد شمال أوروبا وشمال المحيط الأطلسي فكل الحقائق التي يعلمها جاج إيرز دون أن يكلف نفسه عناء التفكير دفعت معلم التاريخ أن يقتنع تماماً بأن ذلك الصبي ما هو إلا موسوعة متنقلة فأهله ذلك للجلوس في الصف الأمامي.

فيما بعد أدرك معلم التاريخ أن معرفة الصبي بالتاريخ كانت يشوبها عدم الفهم للتفاصيل الدقيقة، وتختلط بها كتاباته الخيالية العارية من الصحة، فمثلاً ادعى جاج إيرز أن كريستيان الثالث من جعل الترويج مقاطعة داغمركية في القرن السادس عشر، وقام بزيارة إيبسن تاجر العملة في أليكيجاتن وأن جورج واشنطن كان أكبر طفل على مر العصور، إلا إن معلم التاريخ كان يتساهل مع خيالات الطفل لذلك لا زال جاج إيرز يجلس في الصف الأمامي يملؤه الضجر والملل.

كانت السبورة هي كل ما يراه جاج إيرز أمامه، مما دفعه للاستغراق في أحلام



اليقظة حيث يهمس في أذنيه صوت الروح الأجش يتلاقى مع صوت إيبسن  
تاجر العملة ليسيطران على عقله وكل جوارحه فالعملات الساحرة تتلألأ  
وتلمع أمام عينيه وتتراءى له السرطانات الكبيرة الضخمة حين يتم اصطيادها  
من المياه العميقة، وفي منتصف حلم اليقظة يظهر معلم الرياضيات كرامر  
أمام ناظري الصبي غاضباً ثائراً ولم ينتبه جاج إيرز أن نائب المدير ظل ينادي  
عليه عدة مرات.

صاح كرامر: نيلز، لما لا نخبرنا بما قلته للتو؟ نيلز.. أفق من غفوتك.. لكن  
باءت محاولات إقناعه بالفشل.. كان الصبي مستغرقاً في أحلام اليقظة حتى  
صاح المعلم بكل ما أوتي من قوة: نيلز! فاستيقظ الصبي أخيراً من أحلام  
اليقظة وعاد إلى أرض الواقع.

صاح الصبي يتملكه الخوف والرعب: يا إلهي! حدّق جاج إيرز في وجه كرامر  
الذي كان على بعد خطوات قليلة منه، وهو يصيح فيه: «هل أنت منتبه  
أيها الصبي؟ عذراً لقول هذا؟ لكن كيف يمكنك ألا تسمع ما يقال بذلك  
العضو البارز من وجهك الذي تملكه - يشير إلى أذنيه الطويلتين-؟»

أجاب جاج إيرز يتملكه الشعور بالذنب: لا أعلم يا سيدي.  
أردف كرامر: ماذا تقول؟ هل تسمعون ذلك أيها السادة؟ يقول أنه لا يعلم!.  
ضج بقية الطلبة بالضحك قائلين: إنه مضحك يا سيدي .

صاح كرامر في غضب عارم وهو يمسك بأذن جاج إيرز اليسرى ليدفعه  
للنهوض: «حسناً أيها الأحمق؟ دعنا نسمع ما كنت تفكر فيه وأنت تجلس  
هنا، أوركما تفكر فيما لا تعلمه؟

أجاب جاج إيرز: لا يا سيدي.. أنا آسف.. لا أعلم يا سيدي .. أه!.  
التفت نائب المدير كرامر إلى الفصل ثم قائلاً: «إلى بعض الاقتراحات.. هيا يا  
أولاد! فيما كان يفكر صديقنا الذي صاحب الأذنين كأذني الحمار!»  
كان أول اقتراح من نيلز ذي الكلف: «موقف العالم يا سيدي؟» تنفس  
الجميع الصعداء وقال كل صبي في نفسه: «على الأقل لم أكن أنا محله!»



قال آخر: عذراً يا سيدي إنه يفكر في فتاة تدعى ليندا؟

قال ثالث: ربما يفكر نيلز يا سيد كرامر في أخته المجنونة؟

تعجب كرامر وهو يضغط على أذني جاج إيرز بعنف حتى وقف الصبي على أطراف أصابعه وصاح في الصبية: «لا يا أولاد.. خطأ.. طالبنا النموذجي المثالي هذا.. هذا الطفل المعجزة.. هذا الحيوان المدلل الذي يملك عقل الحمار، لا يفكر في شيء البتة فعقله خاوي تماماً من أية أفكار إنه من النوع الذي سينتهي به المطاف في مصنع العظام أيها السادة!».

سأل أحد الصبية: هل هذا صحيح يا سيدي؟ أتعني يا سيد كرامر أن نيلز صاحب كرامر في وجه جاج إيرز: «هل أنا محق في كلامي هذا؟»  
تمتم جاج إيرز مرتعداً: نعم يا سيدي، وحينما أمره نائب المدير بأن يردد ما يقوله، أضاف الصبي: عقلي خاوي.. لا يمكنني التفكير على الإطلاق.. سيطحنون أذني ويحولونها إلى عظم.. أستحق أن أسحق وأتحول إلى عظام.. نعم يا سيدي، أنا حمار وحيوان!..

منذ ذلك الحين، أصبحت أذنا جاج إيرز في خطر محقق أن تجتث من رأسه، لكن فجأة طرأ تغيير غريب على المعلم الذي كان يصر على التدريس في معمل الفيزياء فقد كان الطلبة يعرفون السبب لكن بقية المعلمين يجهلونه تماماً، فيما بعد اكتشفه المعلمون لقد استدعى المعلم كرامر نائب المدير للممثل أمام المحكمة المحلية التي قضت بمعاقبته بدفع خمسة عشر كورونا في اليوم لمدة ثمانية أيام، فبدأ كرامر يبتعد عن مضايقة جاج إيرز ويربّت على رأسه بحب مصطنع، ثم جلس خلف مقعده حيث مدّ قدميه ثم قال بصوت عذب متكلف: «الكرة أيها الحيوان»

غلف الصمت معمل الفيزياء.. ذلك الصمت الرهيب الذي تشوبه الإثارة والترقب الحذر فتظهر بجوار مكتب المعلم آلة مربعة مولدة للكهرباء اختراع من المخترعات في معمل الفيزياء والتي دائماً ما يصر نائب المدير كرامر على تدريسها، هذه الآلة تولد كهرباء ساكنة عن طريق ذراع إدارة



صغير وتُلقب بالكرة، بات معروفاً بين طلبة المدرسة أن آلة الكهرباء تلك لا تستخدم للأغراض التعليمية بل كوسيلة للعقاب فحسب كان عليهم خلع أحذيتهم وجواربهم أولاً، ثم يقفون على لوحة معدنية باردة قام كرامر بدقها على الأرض بجوار الآلة ليكون الصببة في المجال الكهربائي للآلة، وفي النهاية، يحركون ذراع الإدارة حتى يُعبأ الهواء بالكهرباء الساكنة فيصابون بالصعق الكهربائي جزاءً لما اقترفوه من ذنب.

ردد جاج إيرز خلف كرامر من أدار ذراع الإدارة كرجل متحكم في مصائر من حوله: «لم يكن القدر رحيماً بي لقد ابتلاني بأذني حمار كبيرتين لكنه لم يملأ عقلي بشيء، لذلك لم أنصت إلى ما قيل بالفصل سينتهي بي الحال مسحوقاً في مصنع العظم إن كنت أجدي لهم نفعاً هناك».

لذلك أدار جاج إيرز ذراع الإدارة مثلما يفعل بقية الصببة في معمل الفيزياء الخاص بكرامر حينما يعترفون بأخطائهم في تلك العبارات المخزية المخجلة أمام الفصل حتى يضرب كرامر المكتب بسلسلة مفاتيحه ثلاث مرات ثم يقول: «قَبْل الكرة» ما إن تفوه كرامر بتلك العبارة حتى حُل الصمت والوجوم الشديد في المدارس النرويجية بأسرها على معمل الفيزياء كله لأنه كان معروفاً أن ما إن تلمس شفتاك تلك الكرة الكهربائية، تسري شحنات كهربائية زائدة بعقلك ما يجعلك تتبول بشكل لا إرادي على سروالك في كثير من الأحيان.

إذاً، ماذا فعل جاج إيرز؟ انحنى وقَبْل الكرة، ثم ردد فيما بعد خلف كرامر: «لقد تتبولت على سروالي.. أنا حيوان صغير قذر».



## قزميدة سطح منزل

تتذكر أختي ستينا روايات والدنا عن نائب المدير كرامر بسهولة فترتعد كلما جالت بخاطرها تلك الذكريات المؤلمة، بعدما استرجعت تلك المشاهد المرعبة من روايات والدنا عن كرامر تنهدت بعمق ثم نظرت من خلال النافذة حيث كان زوجها جسر يسير جيئة وذهاباً بآلة قطع الحشائش يُقلم الشجيرات الصغيرة، كان جسر قد فقد بعض أصابعه في كلتا اليدين وقد استطاع الإمساك بآلة قطع الحشائش بصعوبة، كان ودوداً في التعامل معي لكن لم يمنع ذلك تحفظه في بعض الأحيان لم يدخل غرفة الضيوف قط كان يطرق باب الغرفة بأدب جم وينتظر حتى أفتح له، قمت بتخزين جميع معدات الرسم القديمة لأسكيلد في تلك الغرفة، ثم خرجت لأبتاع بعض الأشياء الجديدة على الرغم من أن عودتي إلى الدمارك لم تستغرق سوى أقل من أربع وعشرين ساعة إلا أن القصص والروايات استغرقت فترة طويلة لتطير وتسبقني إلى الوطن منفصلة في الأمسيات الحاملة أومجتمعة في الأحلام والمشاهد التي تتراءى أمام ناظري يعكسها عقلي الذي يستحضرها كاملة لأراها أمامي رأى العين.

سألت ستينا وهي تحول نظرها عن جسر: هل خرجت اليوم لزيارة السيدة العجوز مجدداً؟  
أومأت بالإيجاب.

استطردت ستينا قائلة: هل لا زالت مجنونة؟ تتحدث عن تلك الترهات عن تلك العُلب التافهة؟ هل لاحظت من تعتقد هي أنه مصدرها؟  
أومأت بالإيجاب مجدداً.. تعتقد جدتي بيورك أن الهواء المنعش القادم من بيرجين يأتي من والدنا ولم تتحدث أبداً عن المرسل الحقيقي كرجل لا زال حياً حتى وإن أسرتها الروايات عنه بشدة، كما وجدت خطابين من أمي في تلك العُلب، خطاب واحد من عمي (كنات) لكن من أكثر من عام مضى، ما



إن التقط ذلك الخطاب حتى يُشع وجه جدتي نوراً ويومض من انتعاش الذكريات بمخيلتها.

سألت ستينا: هل لا زال يكتب الخطابات حينما يحتاج للمال فحسب؟ فأجابت: كنت.. ذلك الأحمق.. فليتجرأ ويكتب خطاباً آخر إن فعل سيكون ليّ معه شأنٌ آخر.

منذ أن انتقلت العائلة إلى المنزل الجديد الذي أوشك على انتهاء التشطيبات في الجوار، أصبح كنت فرداً فعلياً في العائلة في غفلة من الجميع..! أخذ كنت أخته آن كاترين وبدأ بصحبتهما في السير في البداية خطف غليون بابا نيلز وألقى بها من النافذة، ثم التقط عصا الكروشييه الخاصة بماما راندي وألقى بها هي الأخرى من النافذة هكذا اعتاد أن يلقي الأشياء من النافذة، ولم يمض وقت طويل حتى كانت جميع الأشياء بالمنزل بمختلف أحجامها مهددة ليكون مصيرها الشارع-براعة فائقة- تُقذف السكاكين، العملات، السجائر حتى أنابيب ألوان أسكيلد لم تسلم من عادة كنت الغريبة، فكثيراً ما كانت تُجمع من الشارع.

في البداية لم يكن واضحاً أن كنت سيكون طفلاً مثيراً للمشاكل في العائلة ما من دليل دامغ يؤكد تلك النبوءة، لكن سرعان ما تطور هوسه لإلقاء الأشياء من النافذة ليأخذ صورة نشاط زائد، في ذات الوقت، كان مستوى طاقته المرتفع سبباً في جعل أخته آن كاترين ذات الخمسة أعوام الجالسة في غرفة اللعب الخاصة بها، تبدو أكثر تخلفاً عن ذي قبل، فقد اعتادت العائلة أن تنظر إليها كطفلة زائدة الوزن، لكن النظرة البلهاء في عينيها بدأت تختفي شيئاً فشيئاً.. تغير لون جلدها فجأة فقد بدا شفافاً، وبدأت تتحرك في بؤس وعجز وضعف كنبته حُجب عنها الضوء أخذت تذبل شيئاً فشيئاً، حتى بيورك اعتقدت أن ثمة أمر غريب ومخيف يُلِم بابتها لاحظت الأم نظرات باردة في عيني ابتها تلك التي بدت وثيقة الصلة بشعور بيورك بالذنب وتأنيب الضمير أو بشظايا الثلوج التي تغمر قلبها والتي حاربتها بكل ما



أوتيت من قوة بالسترات النرويجية والبطاطين الصوفية.

قبل أن ينتقلوا من البلدة، تمكن من(كنات) هوس جديد غريب وهو حوب الركن خارج المنزل- قال ذلك فيما بعد: أردت أن اكتشف العالم الخارجي -بدأت العائلة تُكلف جاج إبرز بأعمال يومية جديدة مملة- مثل جمع الأشياء التي يقذفها كنتاج من النافذة إلى الشارع والبحث عن أخيه الصغير حينما يركض خارج المنزل، يُسمع صوته عالياً ينادي على أخيه وهو يسير في الجوار: كنتاج ! أين أنت؟ في كثير من الأحيان كان جاج إبرز يجد كنتاج في أركان بعيدة من ساحة المنزل الخلفية يطارد القطط أو يجده في صناديق القمامة حيث يبحث عن الذهب، وأحياناً يجده على بعد عدة كيلومترات من المنزل بزعم أنه يحاول معرفة المسافة التي يمكنه أن يبعدها عن المنزل. كلما عاد جاج بأخيه الصغير المفقود، قالت له بيورك: «ماذا كنا سنفعل بدونك؟»

تلك الأعمال اليومية ساهمت كثيراً في زيادة شعور جاج إبرز بالمسؤولية، كما أنها غرست في عقله فكرة أنه الشخص الوحيد الذي يجب أن يجمع شمل الأسرة حتى أصبح كذلك بالفعل في وقت لاحق ومما يؤكد ذلك التعبير ما جاء في الخطابات العديدة ضمن ملحوظات ديمقراطية متعددة أرسلها لأخيه في الجهة الأخرى من المحيط الأطلنطي.

قبل أن ينتقلوا من البلدة بفترة قصيرة حينما عرض جاج إبرز على أمه لأول مرة مجموعة العملات الرائعة التي قام بجمعها من قبل، نظرت إليه بيورك باعجاب وفخر شديدين، أخبرته أنهم لن يتضورون جوعاً في وجود ذلك الكنز بالمنزل.

كانت بيورك ترغب باستمرار في ممارسة لعبة: أن الأخ الكبير هو الشعلة المضئمة للأسرة ويعتمد عليه أكثر من أبيه لتأثيرها القوي على جاج إبرز الذي أشعلته الحمية للقتال بحماسة أكبر في ساحة السفن في سكولتيجران حيث أنه أصبح على علم بأن العملات الأمريكية غير شائعة بين جامعي العملات



الحقيقيين، فكان يتاجر بهم مع بقية الصبية ليحظوا بعملات أكثر قيمة، كان الصبي يرسم خطأ بالطبشور على الأرض القرميد في المدرسة ويشجع الآخرين على عمل قرعة بالعملات، فمن تقترب عملته من خط الطبشور يربح جميع العملات في حين بدأ الصبية يصطادون السرطانات لجاج إيرز من كثير من ساحات السفن في بيرجين.

جلس جاج إيرز وصندوق الكنز تحت ذراعه أعلى أول عربة من عربات نقل الأثاث الثلاث التي أقلت الأسرة إلى المنزل الجديد حيث سيعيشون للأبد باستثناء بعض التفاصيل الصغيرة، أن أسكيلد صمم وبنى ذلك المنزل بنفسه، ولا يمكننا أن ننكر استعاضته بالإلهام التكعيبي الذي يسيطر على عقله، فحينما دخلت نيويورك المنزل لأول مرة سألت أسكيلد: لماذا صُممت غرفة الطعام مسدسة الشكل؟ ولم جعلت الرواق متعرجاً؟ لكنها أحجمت عن التعليق على أية تفاصيل أخرى، بعض الأبواب لا تُغلق السقف يتسرب الماء منه لم تشأ نيويورك التعليق عن كثير من الأمور ووجدت أن ذلك به إهانة لزوجها مما يُضعف من شأنه أمام أولادهما، كما كانت الأرض الخشبية رديئة التشطيب حتى أن بعض الشظايا تعلق في أحذية أفراد الأسرة أثناء سيرهم لكن لم يتمكن الإلهام التكعيبي من إفساد فرحتهم، كما أن نيويورك شعرت أخيراً بالراحة لابتعادها عن حمايتها المتسلطة وعن أكواب الفيتامينات المقلزة.

حتى جاج إيرز كان منبهراً بالمنزل الجديد فقد أصبح له غرفة نوم مستقلة، كان الصبي يركض هنا وهناك في المنزل كل يوم تغمره الفرحة العارمة، وفي المساء، كان جاج إيرز يدخل ليتفقد الخزانة أسفل الحوض، ويغلق الباب خلفه بعدما يتقلد سن قلم رصاص، ثم يبدأ في رسم وحوشٍ على الباب من الداخل، بعدها يسبح في أحلام اليقظة التي تراوده دوماً حينما يجلس أسفل الحوض.. يسمع الروح مجدداً تحدثه عن صناديق الكنز المليئة بالعملات التي تسعد العذارى فينشدن من فرط السعادة.



أصبح جاج إيرز معتاداً على الدخول في عالم تلك الروح، إلا أنه لم يفهم ما تعنيه «بكل تلك الشابات العذارى» الوحيدة التي تشبه اللاقي تتحدث عنهن الروح من شابات عذارى، هي.. ليود ليندا التي كان الصبية الآخرون يتحدثون دائماً عنها، وفي يوم ما نادته ليندا قائلة: نيلز يقولون: أنك قبلت الكرة اليوم لكنه يسرع بالركض بعيداً عنها، فقد كان على يقين بأن ثمة شيء غريب في تعليقها هذا، كما أنه ارتعد كثيراً حينما جال بذهنه كل ما فعلته تلك الفتاة مع الصبية الآخرين في كثير من السقائف في الساحات والأفنية الخلفية فقد سمع عدة إشاعات كانت أكثرها سخافة: أنها تضع أعضاءهم الذكرية في فمها.

في أحد الأيام قال ذوالساقين الطويلتين (ثوربيورن) بعد عراك ناجح ومثمر على رصيف سكولتيجران: «قريباً سأصبح غنياً جداً حتى أن ليندا ستتوسل إليّ لتضع عضوى في فمها» وعلى الرغم من ذلك تقين جاج إيرز من أن تلك الفعلة سخيفة للغاية لدرجة يصعب تصديقها، سيطرت صورة ليود ليندا والعضو الذكري في فمها على ذهن الصبي حتى باتت أساس عاصفة من التأملات التي اجتاحت تفكيره وكيانه كله تعجب الصبي قائلاً: «هل يتبولون في فمها؟ قبل أن يطرد الفكرة من عقله مؤقتاً في حين استمر في رسم وحوشه..! وحينما دقق النظر إليها فيما بعد: نادته بيورك لأن أخاه كنان قد خرج مجدداً من المنزل- لم يكن يدري جاج إيرز لما رسم تلك الوحوش- فزحف خارج الخزانة فقد بدا كالخروف وهو يخرج منها على أربع.

صاح جاج إيرز وهو يركض خارج المنزل: كنان.. أين أنت؟

سمع صوتاً يجيبه من منحدر في الجبل مقابل المنزل: «أنا هنا حينما تسلق جاج إيرز لينضم إلى أخيه، كان كنان يشير إلى سفينة ما.. يمكنك رؤية البحر من هنا بأعلى كذلك أيضاً أغلب مناطق بيرجين.

ثرثر كنان وهو يقفز هنا وهناك بحماسة شديدة قائلاً: السفن تبهر بعيداً أبلهيد هناك بعيداً.



أردف جاج إيرز وهو يسك بيد أخيه قائلاً: نعم.. حقاً.

منذ أن اصطحب أسكيلد ابنه، كُنت إلى ساحة السفن ليشاهد واحدة من السفن حديثة البناء، تملّك الصبي هوس غريب بالسفن حتى سيطر على تفكيره بالكامل كما علم الكثير من المعلومات عن رحلات أبلهيد الخطرة عبر بحار العالم من ماما راندي التي عانت من كوابيس مستمرة تراودها في منامها وتقصّ مضجعتها حيث ترى فيها سفينة أبلهيد تغرق في عاصفة عاتية. صاح كُنت وهوينزل منحدر الجبل: «عاد أبلهيد»

أردف جاج إيرز: حقاً! وهويقتاد أخاه الصغير إلى المنزل حيث قوبل الصبي بترحيب وفخر شديدين من قبل بيورك التي قالت مربته على وجنة المنقذ الفخور المعتد بنفسه، جاج إيرز: «ماذا كنا سنفعل بدونك؟»

فكر جاج إيرز ملياً في نفسه ثم قال: بدوني كانت ستسؤ الأمور كثيراً وستتفكك الأسرة تماماً، ثم ذهب إلى غرفته ليتفقد مجموعة عملاته.

فيما عدا حقيقة أن خروج الأخ الصغير كُنت من المنزل أصبحت بالأمر اليسير بعدما علم جاج إيرز مكان أخيه المحبب إلى نفسه، لم يجد فرد من الأسرة أي شيء سلبي في تحركاتهما، بدا أن أسكيلد وبيورك قد استأنفا علاقتهما الحميمة مجدداً.. فمضى أول أسبوع في المنزل الجديد بحالة مذهلة من الإثارة والتناغم والتجاوب النفسى الإيجابي مع البيئة المحيطة بالأسرة حتى مساء يوم الأحد...! فقد راودت جاج - فجأة - فكرة ما تهمتم قائلاً: «لما لم أفكر في ذلك من قبل؟» أن الطريق إلى وايت سكول له ولرفقائه في سكانسن أصبح الآن يمر مباشرة عبر حي الفقراء حيث يتجول الرعاع من صبية الحي الفقير الذين يفرضون سيطرتهم ونفوذهم على النادي، فيعربدون ويتسكعون في انتظار الضحية التالية.

فكر جاج إيرز ملياً ثم قال في نفسه: «ستسؤ الأمور كثيراً على كل حال». في صباح اليوم التالي، تناول الصبي فطوره مع أسرته ثم ذهب إلى غرفته ليحضّر حقيبته المدرسية وهراوة صنعها بنفسه.. قبل أمه قبل أن يهرول



إلى باب المنزل فبعد أن قطع مسافة خمسين متراً من الطريق فتح حقيبته المدرسية وأخذ الهراوة، ثم ركض لاهثاً طوال الطريق، ولم يتوقف حتى لالتقاط أنفاسه حتى وصل إلى وايت سكول وهو يتصبب عرقاً بغزارة، فلقد قطع طريقه إلى المدرسة-الذي كان عدة كيلومترات- بسرعة مذهلة. ركض جاج إيرز ذو الحادية عشرة من العمر عابراً الشوارع والطرق بخطوات سريعة، وقد مرّ سريعاً على مجموعة من صبية الحي الفقير الذين لم يروا فتى من سكانسن في جوارهم منذ زمن بعيد، زمجر لاهثاً وهو يمر على ليود ليندا في عدوه حتى كاد أن يطيح بها أرضاً فصاحت: «هل ستذهب إلى المدرسة لتُقبل الكرة مجدداً؟» كما تراجعت سيدات مسنات خوفاً من أن يطيح بهن أسرع عداء في النادي.

يسمع صوت بائع اللبن يسب ويلعن وقد كاد أن يهوى أرضاً من السرعة الفائقة التي يركض بها العداء المذهل، يُسمع صوت نباح الكلاب التي أثارتها سرعة جاج إيرز الفظيعة.. أصوات تأوهات راكبي الدراجات الغرباء في الصباح الباكر حينما سقطوا أرضاً من دراجاتهم بعدما أطاح بهم ذلك العداء المنقطع النظير، حتى بعدما تخطى جاج إيرز المنطقة الخطرة ووصل إلى بر الأمان في الجهة المقابلة لحي الفقراء لم يستطع التوقف عن الركض فهرمون الأدرينالين الذي أخذ يُضخ في عقله بمعدل كبير للغاية دفعه للاستمرار في هرولته وعدوه حتى توقف أمام وايت سكول بصعوبة فسقط أرضاً على ظهره ملاصقاً للسور العالي.

صاح نائب المدير كرامر: أنت! ألم يقل لك أحد أنه ليس مكاناً للاستراحة؟ أجابه جاج إيرز لاهثاً وهو فخور معتد بنفسه.. يتملكه شعور بالفرحة العارمة لعدوه السريع فائق النظير: معذرة يا سيدي-فكر في نفسه ملياً- ربما لم تسوء الأمور على أية حال.

خلال الأسابيع القليلة التالية اكتسب جاج إيرز لياقة عالية، كما اعتاد اللبّان وراكبو الدراجات والسيدات المسنات على رؤيته بالمنطقة، لكن..



هناك آخرون قد اعتادوا على رؤيته أيضاً «صبية الحي الفقير» الذين اختفت علامات الذهول والدهشة من ملامحهم، ولم يدم تحديقهم فيه طويلاً، كانت تطارده أحياناً كثيرة قطعة فضلات كلب مثبتة على عصا تُقذف عليه أثناء عدوه بجوار الصبية الفقراء، وأحياناً أخرى كان يتلقى ضربات حصى على جسده مصحوبة بصيحات من الرعاع فرحين بالانتصار على العداء السريع. يتبعها تهكم وسخرية: إنه الصبي ذوالأذنين.. مرحباً يا جاج إيرز! هل ضللت طريقك في المدينة؟

- هل تود أن تجرب ما جربه صديقك؟

- اخرج من الجوار في الحال أيها الأحمق!

سرعان ما بدأ الصبية الرعاع ينتظرون جاج إيرز في زوايا الشوارع على أمل أن يعرقلوا الصبي وهو يهرول أمامهم لاهثاً، ففي أول مرة سقط الصبي أرضاً على معدته أمام أربعة من الصبية الرعاع الذين كانوا يمدون أقدامهم لعرقلته، وثب جاج إيرز على قدميه وبدأ يحرك عصاه يميناً ويساراً بعنف وقسوة باديين على ملامحه الغاضبة حتى تراجع الرعاع في الحال، لكن للأسف أحاط به كل من: بلاك بير، أجلي ليف، فات هانز، ورد بيج، وقطعوا عليه أي سبيل للهروب.

قال رد بيج: على رسلك، نريد أن نتحدث إليك فحسب.

صاح جاج إيرز: «اذهبوا جميعكم إلى الجحيم!»

قال بلاك بير: «سنذهب للجحيم أيها الأحمق».

كان جاج إيرز يخطط لموقف كهذا، فخطا خطوة بالقرب من رد بيج، ورفع عصاه مهدداً لكنه لم ينسحب، وبدلاً من ذلك ثبّت عينيه على العصا استعداداً لتفادي الضربة.

حينما بدأ جاج إيرز يحرك عصاه يميناً ويساراً قال أجلي ليف: «على رسلك».

رد(د بيج): على رسلك بينما مد يده ليخطف العصا، لكن ذلك ترك مساحةً مكشوفةً مما جعله عرضةً لأول ضربة- مثلما كان يتوقع جاج إيرز-.



بعد ذلك بثانية كان العداء الصغير يركض بالشارع قبل أن يتمكن أي من أجلي ليف وبلاك بير، أوفات هانز من إبداء أية ردة فعل في حين كان رد بيح يرقد متلوياً على الرصيف تظهر على وجهه آثار ضربة شديدة موجعة تركت بقعة حمراء اللون على وجهه وطنين شديد في أذنيه.  
صاحت ليندا التي ظهرت فجأة أمام الأعين في نهاية الشارع: ضربة مباشرة.. لقد تمكن منك.. أليس كذلك؟ أيها الخنزير البدين!

في ذلك الوقت، كانت بيورك قد ابتاعت مائتي رواية رومانسية طبية، بينما انشغل أسكيلد برسم لوحة تكعيبية أخرى في ساحة المدخل بعد فترة خمول وانقطاع عن العمل دامت لفترة طويلة، في حين كان يشعل الأخ الصغير كنوات بصورة متكررة، نيراناً صغيرةً على منحدر الجبل خلف المنزل على أمل أن يتواصل مع السفن البعيدة في الرقاق البحري.

في واحدٍ من أيام الأحاد سحبت آن كاترين نفسها من حجرتها وبدأت تخطو أولى خطواتها قبل أن تلمح بيورك المنشغلة بالغسيل - فجأة - ابنتها على المائدة تقف هناك ويديها في الطفافية تمضغ عقب سيجارة.

اندهشت بيورك للحظة وهي تمسك مجموعة من قطع الغسيل في يديها، واحتارت من أمرها هل يجدر بها أن تمدح الطفلة وتسعد بها لأنها بدأت في السير أم تنهرها لمضغها عقب السيجارة؟ كان رد فعل بيورك حيال ما رآته نموذجياً للغاية في حين كانت علاقتها بالطفلة تعاني من التحليل المستمر لأفعالها.

في ذلك الوقت اختفت تأملات بيورك في الطفلة فأسقطت قطع الغسيل من يديها وأسرت إلى ساحة المدخل لتحضر أسكيلد.

تعجب أسكيلد قائلاً: ماذا قلت لك!.. وحينما لمح ابنته تمضغ عقب السيجارة، استطرد: لا.. توجد مشكلة لدى آن كاترين، فهي ليست سريعة كباقي الأطفال فحسب.

همست بيورك وهي تضغط على ذراع أسكيلد: كيف خرجت من حجرة



اللعب؟

مال عليها أسكيلد هامساً: «لقد قفزت كالمهرة»، ظل الاثنان واقفين هناك ثابتين كحجارة صلدة يأخذ كل منهما بذراع الآخر، ويحدقان في ابنتهما.. فكرت بيورك في نفسها وهي تشعر بغصة في حلقها: «كأي زوجين عاديين حتى امتعضت آن كاترين فجأة ولوت قسماات وجهها، وبصقت عقب السيجارة على الأرض، ثم التفتت إلى أمها وأباها».

قال أسكيلد وهو يشير إليها محذراً: «هذا خطأ يا صغيرتي».

همس-بعد فترة قصيرة من ذلك الحدث- لبابا نيلز الذي أصابه الذهول والارتباك من صوت أسكيلد وهو يخبره أنها تمكنت من السير حتى انتزعت ماما راندي السماعاة من الرجل العجوز.

أمسكت راندي بيد بابا نيلز نزلت السلام مسرعة وركضت عبر شوارع الحي الفقير نحو منزل أسكيلد لترى المعجزة بعينها وهي تصيح في بابا نيلز غير مصدقة: «إنها آن كاترين.. لقد تمكنت من السير».

سأل نيلز: «إينجريد؟»

أوضحت راندي وهي تنظر بانزعاج إلى زوجها الذي استعاد القليل من زهوه وتبجحه: «لا أيها المغفل ليست ابنتنا إنها حفيدتنا آن كاترين» فكرت راندي ملياً ثم همست: «بحق العذراء!.. كيف مرت الأعوام بهذه السرعة..؟!، ثم ملحت صبياً صغيراً أشقر الشعر يقف في زاوية الشارع يبحث في صندوق القمامة وتعلو وجهه علامات الخوف والرعب ففكرت في نفسها ملياً: «يا له من جوار بغيض!»

حاولت راندي دفع بابا نيلز للإسراع قليلاً في الخطى لكنها لم تستطع التوقف عن النظر إلى ذلك الصبي الذي زحف بعد ذلك إلى داخل صندوق القمامة، كان هناك شيئاً مألوفاً في ذلك الصبي كانت على يقين من أنها رآته من قبل فكرت ملياً: «أين؟» ما إن اختفى الصبي بصندوق القمامة حتى أدركت راندي من هوفتركت بابا نيلز وأسرت نحو الصبي.



صاحت فيه: «توقف عن ذلك ماذا تعتقد أنك ستجد هناك؟»  
أجابها كنان وهويلتقط بعض العظام القديمة من القمامة: «ذهب وفروة  
رأس».

قالت راندي: «هذا مقرف حقاً».

صاح بابا نيلز متسائلاً: «هل هذا نيلز الصغير؟»  
أجابته راندي وهي تسحب الصبي معهما: لا.. إنه كنان.. الصبي الصغير  
ماذا يفعل هنا؟

حينما وصلت بيورك وبابا نيلز إلى المنزل في الجوار المتقدم حديث البناء،  
كانت بيورك قد تحدثت هاتفياً إلى أمها وإن كانت ماما إيلين نادراً ما تزورها،  
لم ينس أسكيلد قط الطريقة التي عومل بها في شبابه في فيلا النبيل البيضاء  
في كالفارفين، وكلما مرت الأعوام ازدادت الغصة والمرارة في نفسه فهي تسري  
بجسده مسرى الدم في العروق، لم يتضاءل شعوره بالعداء وإن أنقذته أسرة  
بيورك من الموقف الحرج الذي مرَّ به حينما فقد وظيفته في ستافينجار،  
وحينما جاءت أخت بيورك مع زوجها الرائع بسيارتهما (الفولفو) الجديدة لم  
يبد جدي لأيي أي امتنان ولا عرفان بالجميل قط.

لم يساعد أسكيلد على عدم نسيان ذلك الأمر المزري سوى الفكرة التي  
سيطرت على عقله تماماً: أنه إن أحسنت عائلة سفنسون استقباله منذ  
أعوام مضت لما أقدم على تلك الفعلة الخطيرة وهي (سرقة حمولة كاملة من  
الخشب) ولما قبض عليه الألمان، لم يترك أسكيلد أية فرصة لإبداء تعليقات  
ساخرة عن أسرة بيورك كلما اقتضى الحديث ذلك، لذلك فضّلت بيورك أن  
تقابل أمها في مكان آخر غير منزلها في سكيبيباكن أوفي منزل أختها لينا. كانت  
بيورك تشعر دائماً أن هناك رباطاً قوياً يربط أمها بأختها وكانت هي خارجه  
تماماً، فالحق أن لينا قد سئمت قليلاً من شكاوى بيورك المتكررة.

أما الآن، فقد اجتمعت العائلة كلها ولأول مرة كانت آن كاترين محط أنظار  
وإعجاب الجميع، وحينما حضرت العائلة جلست آن على الأرض في الردهة



تلعب بكرة كرات المطاطية، وألقته بعيداً، ثم انتظرت للحظة، ثم زحفت خلفها.

قال لها أسكيلد: هيا، أرينا ما علمته لك، لكنها رفضت النهوض والسير ، وقالت: «تووت.. تووت»، ثم عصّت يد أسكيلد للحظة قبل أن تزحف خلف الكرة مجدداً لتلقيها بعيداً مرة أخرى، مضت نصف ساعة كاملة بهذه الطريقة، أوقفها أسكيلد على قدميها عدة مرات لكن كل مرة يتركها فتتنهي قدماها وتسقط أرضاً وسط ذهول وارتابك أسرتها التي تنتظر لحظة مشيها بفارغ الصبر، بعد عدة محاولات باءت بالفشل قال أسكيلد لبيورك: هيا نتناول بعض القهوة .

لكنهما تناولوا القهوة في حالة من الاكتئاب وخيبة الأمل في حين حاول بابا نيلز إدراك أين هو، فسأل عدة مرات: «هل نزرر أحداً ما؟» أخبرته راندي في ضيق وانزعاج أين هما، ثم قال نيلز لزوجته ضاحكاً-خلسة- ضحكة خفيفة في لحظة من الوضوح والتجلي: «بالطبع أعرف أين نحن ، نحن في بيت ربان السفينة الصغير في الحي المتقدم حديث البناء»، ثم كذب بإهمال عقب سبجارة من النافذة، فبدأت راندي في توبيخه ونهره.

فكرت ماما إيلين في نفسها ملياً: بحق الرب يا لها من عائلة!، في غمرة تلك المواقف نهضت آن كاترين ترنحت وتمايلت نحو عتبة النافذة والسيجار الملحترق يتصاعد منه الدخان بلا لهب قد استقر في إصيص زرع، بطبيعة الحال أجفلت الطفلة قليلاً حينما بدأت العائلة جميعها تصفق لها وتصيح بإعجاب، كما صاح أسكيلد: ألم أقل لكم؟ إنها تطفوبطريقة عملية.

بعد لحظة، نهض بابا نيلز وقال: حان وقت قيلولة العصر حان وقت النزول من السفينة لسوء الحظ لابد أن أعود أدراجي إلى منزلي الآن.

انتحبت ماما راندي بينما كانت آن كاترين تسير بين شخص وآخر وصاحت: «ماذا» امتدح الجميع الطفلة بشدة قَبَلوها على وجنتيها ربتوا على كتفيها قبل أن تستطرده راندي قائلة: «لكننا حضرنا هنا لتونا»



قال نيلز وهو يسك بيد زوجته: «إلى اللقاء كان ذلك من دواعي سرورنا».  
قال أسكيلد: دعي بابا نيلز يعود إلى المنزل، بينما استمرت ماما راندي في الاعتراض

فقد قالت: لا يمكن لنيلز أن يعود إلى المنزل وحده ليس في حالته هذه.  
قال أسكيلد: «إن لم ينجح في العودة إلى المنزل وحده سنرسل نيلز الصغير للبحث عنه فهو أستاذ في العثور على المفقودين».  
قال بابا نيلز: ربما أكون عجوزاً لكنني لست خَرَفًا، بالطبع يمكنني العودة وحدي إلى المنزل.

في تلك اللحظة: بدا واضحاً وحديثه قاطعاً بصورة مذهلة، سألتها العائلة عن الطريق الذي سيسلكه للعودة حتى بدت ماما راندي مقتنعة تماماً بترك زوجها يعود أدراجه وحده إلى المنزل بعدما حذرته من درجة السلم المتقلقلة بالدرج.

قال بابا نيلز مجدداً وهو ينحني أمام زوجته: «إلى اللقاء كان ذلك من دواعي سروري».

في ذلك الوقت بُعيد الظهيرة كان جاج إيرز في طريق عودته إلى منزله عبر الحي الفقير يعدو بأقصى سرعة ماراً بشوارعه المتواضعة ممسكاً بعصاه المنزلية الصنع يمتلكه شعور بأنه لا يقهر، يستحضر في عقله مشاهد سريعة من الفيلم الذي شاهده مع ثوريبيرون وبقية صبية الجوارحيث يأتي جون واين راعي البقر الأعزب في بلدة معادية يركض ممتطياً جواده عبر البراري يتتبعه الهنود لسرقته بعض الجياد.. يجري جون حاملاً بيده مسدسه سداسي الطلقات الذي يومض في أشعة الشمس كعصا منزلية الصنع، ثم يصل جون واين ممتطياً جواده الأسطوري إلى مكان ما حيث يتوقف فجأة، ثم يتجسس على سبعة هنود يقفون هناك لا يفعلون شيئاً.

صاح جاج إيرز قبل أن يرتد على عقبه ويركض في الاتجاه المعاكس: اللعنة! فصبية الحي الفقير كشفوا أمره ولمحوه وهو يختلس النظر إليهم.



صاح أحدهم: يا جاج إيرز نريد التحدث معك.

أخذ جاج إيرز يزوم باستمرار وقلبه ينتفض من الذعر بين ضلوعه حتى صار المسدس بيده عديم النفع (فكر جاج إيرز ملياً: إن كان معي مسدس سداسي المطلقات بالفعل) .. تحرك سريعاً إلى شارع جانبي حيث وجد نفس المشهد المزعج: هنوداً لا يفعلون شيئاً ويقفون في منتصف الشارع، ارتد جاج إيرز مجدداً على عقبيه لكن الهنود السبعة الذين رأهم في أول الطريق، ظهروا له في آخره، وسرعان ما تبدد أي مشهد من مشاهد الفيلم من مخيلته.

لم يعد جون واين بل كان نيلز صاحب أذني القدر، ولم يكن الذين رأهم هنوداً بل كانوا صبية الحي الفقير بولعهم وميلهم الشديد لتعذيب الغير ببراز الكلب، أو بمعنى آخر كان صبية الحي الفقير يحاصرونه من كل جانب فركض جاج إيرز نحو متجر مهجور تسلق إلى سطحه لكنه لم يتمكن من النزول من الجهة الأخرى.

صاح جاج إيرز مجدداً: اللعنة! وهو يعصّ على شفثيه بينما كانت مجموعات من الصبية تحتشدان أسفله.

بينما كان جاج إيرز يقف على السطح ويرى عشرين صبيةً من صبية الحي الفقير مترقبين نزوله ومتحفزين بفارغ الصبر، حاول أن يعاملهم بدبلوماسية في بادئ الأمر.

صاح في حفنة الصبية: أصبحت صبيةً من الحي الفقير مثلكم تماماً الآن - أعيش في جواركم.

رد عليه أحد الصبية: لا.. لست كذلك أنت تعيش في الحي المتقدم حديث البناء في منزل من المنازل الرائعة، هل تعتقد أننا لم نسمع بتجوالك في المنطقة بسيارة عمك؟ تعتقد حقاً أنك تساوي شيئاً.. أليس كذلك؟

صاح جاج إيرز: لا.. لست كذلك إنها سيارة غبية ولم ترق لي على الإطلاق - حقاً وعمى أحمق أيضاً.

صاح الصبية أسفل السطح: لكنه لا يزال عمك أيها الغبي المختال انصت إلينا



انزل الآن.. نريد التحدث معك.

صاح جاج إيرز: لا وقد نفذ صبره تماماً ونفض عن نفسه قناع الدبلوماسية وبدأ يقذف الصبية بالطوب.

سمع أصواتهم يتأوهون بأسفل: آي.. حسناً.. كما تشاء.

بدأ الصبية يتسلقون إلى السطح يسكون الأفريز بأياديهم بإحكام بينما كان يقفز جاج إيرز على أطراف أصابعه ويتفوه بهتافات حرب شعواء، في البداية كانت الأمور تسير على ما يرام حتى جذبت يدان جاج إيرز من كاحله وسحبته لأسفل.

صاح جاج إيرز: دعوني وشأني! بينما كان يُساق كصيد ثمين خلال شوارع الحي الفقير ويُدفع به في مخزن مهجور، استمر جاج إيرز في الصياح: دعوني وشأني في حين كان الصبية يقيدونه بحبل في نفس العمود حيث قاموا بتقييد ثوريون من قبل صاح جاج إيرز: توقف، بينما أرسل أصغر الصبية لإحضار براز الكلب.

قال له رد بيج بابتسامة عريضة: اصمت وإلا سنقطع دابرك. أما عن بابا نيلز الذي بدا منذ دقائق معدودة، واضحاً وحاسماً في حديثه بصورة مذهلة، سيطرت عليه مشاعر الارتباك والحيرة بعدما قطع مسافة قصيرة من الطريق أين هو؟ والأسوأ من ذلك: إلى أين يذهب شعر وكأن يداً خفية قد أمسكت به وقيدته وأحكمت وثاقه برباط ما، ثم قذفت به بعشوائية إلى الماضي، وفي لحظة ما شعر وكأنه في طريقه عائداً إلى منزله خلال شوارع بيرجين في صباح يوم مشرق جميل كان من المفترض أن راندي إنجيريد وأسكيلد الصغير، ينتظرونه على رصيف تحميل السفن، لكن من الواضح أنهم تأخروا عليه.

في اللحظة التالية، اعتقد أنه قد أرسل لشراء السجائر لوالده لكنه أضع النقود، لكن سكان المباني الآيلة للسقوط في الحي الفقير أقنعوه أنه لم يكن في بيرجين بلد طفولته بل كان في أمستردام لكن البرعم الصغير ربان السفينة قد



اختفى في منطقة خطيرة حيث يُضاء الضوء الأحمر نذيراً بخطر محقق ويجب أن يجده بابا نيلز بأي ثمن وإلا لن تنعم سفينة العائلة بسلام أبداً، تدفقت بعقله مشاعر مألوفة من إثارة وغضب مختلطة بالقلق الشديد حيال ذلك الصبي ربان السفينة المفقود والارتباك الشديد أمام الضوء الساطع للغاية في المساء.

سمعه أحد الصبية المارين بجواره يتمتم: «البرعم الصغير، أين أنت أيها البرعم الصغير؟».

أسرع بابا نيلز الخطى خلال الحي الفقير باحثاً عن البرعم الصغير تتملكه انفعالات العصبية والانزعاج.. تتزايد بداخله شيئاً فشيئاً، لم يتمكن من معرفة طريقه خلال الشوارع المتشابكة، بينما تملك تفكيره هاجس غامض عن الحالة التي يمكن أن يجد عليها جاج إيرز البرعم الصغير-أوليتل سبراوت- مما جعله يُسرع الخطى في طريقه إلى المجهول كانت دقائق قلب الجد المسكين تتسارع.. يتصبب العرق الغزير من جبهته إلى عينيه ليجعل الرؤية ضبابية أمامه، حتى أن سقيفة مهدمة تقف في منطقة المباني تلك التي كان يمر عليها مراراً من قبل، بدت فجأة كالسقيفة التي دخلها منذ سبعين عاماً فقد تبدد الدهان الأحمر اللون من أمام ناظره ووجد أحداً يقف خارج السقيفة يحرس المكان، فكر بابا نيلز ملياً: لابد أنه البحار فأُسرع نحو السقيفة، ولكن بالطبع فوجئ بابا نيلز حينما لم يجد البحار ولا السيدة الضاحكة بالداخل كما أن منظر حفيده ربان السفينة عاري المؤخرة لم يشعره بالصدمة ولم يدفع بمشاعر الخوف وعدم التصديق لتتملك منه، ما رآه بالفعل ووجده صادمًا حقاً، كان البرعم الصغير مربوطاً، لم يكن يُجبر على ممارسة الشذوذ مع هؤلاء الرعا، لم تكن مؤخرة البحار تهتز أمام رأسه ، بل كانت تتأرجح أمام رأسه قطعة من براز كلب مثبتة على عصا.

صاح جاج إيرز «ليتل سبراوت» عندما وجد بابا نيلز يتملكه الاضطراب والفرع: إنه أنا! أنا نيلز الصغير يا جدي!



حتى وإن ارتدى لیتل سبراوت ملابسه تعرف بابا نیلز علیه بصعوبة وقد علت وجه ربان السفينة المفقود ملامح مختلطة من الشعور بالراحة لنجاح جده في الوصول إليه وبالبحر الشديد من الحالة التي وجده عليها جده المسكين حتى صبية الحي الفقير شعروا بالاضطراب والربكة حينما وجدوا الجد أمامهم، حاول رد بيع إلقاء العصا بعيداً لكن براز الكلب سقط منها على حذاء بابا نیلز كان بلاك بير في طريقه إلى خارج السقيفة بالفعل لكن للحظة فكر الصبية الآخرون أن يتكالبوا على الرجل العجوز وينقضوا عليه ويقيّدونه في عمود آخر لكن بدا ذلك صعب التحقيق.

استمر لیتل سبراوت في الصباح: هذا أنا.

لكن فجأة بدا الأمر جلياً لبابا نیلز ثم أضاف: أعلم ذلك لكن لما أنت مقيد في ذلك العمود بحق الجحيم؟

ما إن تفوه الجد بتلك العبارة حتى اختفى صبية الحي الفقير من السقيفة أخذوا يهرولون إلى الخارج ويندفعون ويتعثرون فيقع البعض على الآخر، ألقى البعض نظرة على براز الكلب عند قدم الرجل العجوز ثم ولوا الأدبار بكل ما أوتوا من سرعة، حينما حلّ بابا نیلز وثاق جاج إيرز في هدوء وفي طريق عودتهم إلى المنزل في الحي المتقدم حديث البناء، جال بذهن الرجل العجوز موقف جديد من الذاكرة، ثم تحدث إلى جاج إيرز مثلما كان يتحدث إلى ابنه في أغلب الأحيان: لا ترافق غريبي الأطوار إلى المنزل لا يغرّك كلامهم ولا تخذعك قصصهم، أوماً جاج إيرز بينما كان يختلس النظر إلى براز الكلب العالقة بمقدمة حذاء الرجل العجوز.

ما إن اقتربا من الحي المتطور حتى قال جاج إيرز لجده: «يمكنني متابعة السير في ذلك الطريق بنفسني واستطرد قائلاً تعلو عينيه نظرة استجداء وتوسل: لن تخبر أحداً بكل ما حدث أليس كذلك؟

ما إن تفوه جاج إيرز بتلك الكلمات حتى تذكر بابا نیلز مجدداً صوت الصبي ربان السفينة، ثم أجاب: لا.. لا بالطبع، هبت عصفه ریح عاتية أوقفت



خصلات شعره كهالة حول رأسه وارتسمت السعادة على وجهه حينما انحنى فجأة دون سابق إنذار إلى أقصى حد يسمح له به ظهره العجوز.. ثم قال وهو يصفح حفيده الذي تملكته الدهشة: إنه لمن دواعي سروري .

ثم اختفى بابا نيلز في شوارع الحي الفقير (ما من أحد بعائلته رآه حياً مجدداً.. سمعه صبية من الحي الفقير يحاول مواساة جاج إيرز.. البرعم الصغير قائلاً: لا تبكي ليتل سيراوت ولن يجذك أحد.. ، وجده جزار ينحني ويخلع حذاءه ويتابع سيره في الشوارع حافي القدمين فيما بعد، سمعه صبي من ساكني الأكواخ يدندن أغنية عن البحر.. سمعه صياد يهدد ويتوعد نفسه وصبيين صغيرين كانا يصطدان السرطانات لجاج إيرز وهما اللذان سمعا الرجل العجوز في اليوم التالي يقول: لقد أنقذته بحق الجحيم.. لم يتمكن الصبي الأول من طعنه.

في طريقه شارد الذهن.. باحثاً عن أماندا في ضباب صباح يوم ما هام بابا نيلز على وجهه وتجول حول أرصفة تحميل السفن في بيرجين، هبت رياح عاتية تكشف عن أنيابها مهددة الجميع بخطر محقق، وبينما كان يمر على المكاتب السابقة لمالك السفن ثورستون سفنسون في سي ساندتسجائن للمرة الثالثة، هبت عصفه ريح شديدة اجتاحت فاجن واقتلعت قرميدة سطح منزل من المنازل فهوت القرميدة خمسة عشر متراً لأسفل قبل أن تصطدم برأس بابا نيلز.

بعد مرور عدة أعوام قال أسكيلد وهو يرمق جدتي لأبي بيورك بنظرات غاضبة: «سوء الحظ.. لم نجن من عائلتك سوى سوء الحظ».

صاحت ماما راندي في ذات المساء فيما بعد: «لقد أخبرتك بذلك من قبل يا أسكيلد أنت من قلت لي أنه سيتعافى»

لم تعد ماما راندي إلى المنزل حتى الغسق حينما لم يكن بابا نيلز يجلس في كرسيه الهزاز كالعادة، أرسل نيلز الصغير جاج إيرز للبحث عن جده، وبعد وهلة: خرج أسكيلد أيضاً لينضم إليه للبحث عنه لكنه توقف فجأة حينما



وجد فردة حذاء والده في منتصف الطريق، فكر لوهلة ثم قال بعدما فحص فردة حذاء نيلز: إنها تشبهها حقاً كثيرون يطئون بأحذيتهم على روث الكلاب لكن مستحيل أن يوافق والدي على أن يوضع روث الكلاب على مقدمة حذائه..! ظل جاج إيرز يركض هنا وهناك باحثاً عن جده على جميع أرصفة السفن حتى سادت الظلمة أرجاء السماء، حينما تعثر جاج إيرز بجثة هامدة في سي. ساندتسجائن.

عودة بحار إلى الديار

بعد عام تقريباً من وفاة بابا نيلز في عام ١٩٥٧، طرق أحد ما باب المنزل في الحي الجديد حديث البناء، كان رجلاً ذا شارب كبير مهيب الهيئة، فتحت آن كاترين الباب ولم يكن أحد سواها بالمنزل إلا بيورك وراندي، ثم حدّقت في خوف وذعر بذلك الرجل طويل القامة الذي يصل طوله إلى مترين تقريباً، ابتسم ذلك الرجل المهيب كاشفاً عن فجوة سوداء مكان سن أمامي مفقود، توجد ندبة كبيرة على صدغه، وكان ذا شعر قصير خشن مفتول العضلات التي زُينت بالعديد من رسوم الوشوم الملونة، ومنها وشم لبيغاء أقرب إلى الحقيقي منه إلى الرسم حتى أن آن كاترين أرادت أن تلمسه، كان الرجل يرتدي قرطاً ذهبياً في إحدى أذنيه وتغطي جلده طبقة من السمرة الرائعة إثر التعرض لأشعة الشمس.

صاح كنان على سطح المنزل: لقد عاد أبلهيد! تبع كنان مسار الرجل العظيم في البلدة من على السطح مستخدماً تلسكوب أسكيلد، بيدوالرجل متطابقاً مع صورة ابن عمته الذي غاب عنهم منذ زمن بعيد، بدا على كنان الخوف والذعر حتى أنه لم يشأ أن ينزل إلى المنزل قط فقد فضّل البقاء كما هو على سطح المنزل في حين حمل العملاق آن كاترين من خصرها على باب المنزل وأخذ يقذفها في الهواء ثلاث مرات وهو يضحك بصوت مرتفع، ظهرت بيورك على مدخل الباب بعد وهلة ثم حدّقت في خوف في هذا الرجل الذي جذبها هي الأخرى فجأة من خصرها وأخذ يقذفها في الهواء.



صاحت: نيلز...! هل هذا حقاً أنت؟

أجابها الرجل: نعم هل هذه حقاً أنت؟

ظهرت ماما راندي في تلك اللحظة على مدخل الباب فما إن لمحت الرجل الضخم حتى أطلقت صرخة خفيفة من فرط دهشتها قبل أن يأتي دورها ويقذف بها في الهواء.

قالت فيما بعد وهي تهنئ ثيابها: «ما هذا الهراء؟»، ثم ساد الصمت في المكان لوهلة استغلتها السيدتان في أن تطلبا إينجريد في مستشفى هوكلاند وأسكيلد في ساحة السفن. رأى كنان الصغير عمته أولاً التي جاءت مهرولة نحو المنزل، بعد ذلك بوهلة ظهر أسكيلد ألقى بعصاه أرضاً ثم صدم رأسه برأس أبلهيد العملاق حينما كان يُقذف هو الآخر في الهواء، إلا إن أسكيلد لم يجن جنونه أوبيتس كحاله دوماً حينما تُصدم رأسه.

لا زال كنان الصغير لا يجرؤ على دخول المنزل إلا حينما حضر أخوه الأكبر إلى المنزل وأخذ العملاق يقذفه في الهواء هو الآخر عدة مرات، فاستجمع كنان شجاعته وركض في الردهة، ثم قفز على الرجل مهيب الهيئة قائلاً: «اسمي كنان وأريد أن تقذفني في الهواء أنا أيضاً».

لبقية ساعات ما بعد الظهيرة لازم كنان وتمسك بابن عمته يتحسس عضلات ذراعيه ويصمم على إقحام إصبعه في الفجوة السوداء مكان السن الأمامي بالفك العلوي، كما أرغم كنان أبلهيد على خلع قميصه البني المحمر لكي يتمكن من فحص كل الوشوم بجسده، شد الصغير قرط ابن عمته بعنف جذب شاربه الضخم، ثم مرر إصبعه بحرص على الندبة المثيرة على صدغه الأيمن أخبره أبلهيد بأنها كانت معركة غير عادلة وغير متكافئة مستخدماً الكلمة الانجليزية «عادلة»، فقد اعتاد على إلقاء بعض الكلمات والعبارات الانجليزية هنا وهناك، ثم استطرد قائلاً: كنت واحداً ضد سبعة لكنني هزمتهم جميعاً.

صار جاج إيرز متحفظاً بعض الشيء فيما بعد مع أبلهيد يحدق في خلسة إلى



عضلات ابن عمته الهائلة، لم يفهم كيف يمكن أن يحدث مثل هذا التحول لكنه تطلع إلى مرافقة أبلهيد له في الحي الفقير قريباً فهذا هومن سيديقهم العذاب ألواناً.

اصطحب الأخوان أبلهيد فيما بعد في نفس ذلك اليوم، ليرى غرفتيهما حينما سألهما أبلهيد إن كانا يريدان رؤية ما هو جامع وشاذ.

صاح كنان وهويقفز من الفرحة: نعم.. ما هوشاذ! بتعبير خبيث مكر، أغلق أبلهيد باب الغرفة، ثم خلع سرواله وقد ظهر جلياً وشم كبير أخضر داكن اللون على فخذه افترض الشقيقان أن ذلك ما أراد أبلهيد أن يريهما إياه، لكن سرعان ما نزع أبلهيد سرواله الداخلي أيضاً وترك مؤخرته عارية مما جعل الشقيقان يشهقان من الصدمة لم يشعرنا بالذهول والدهشة من حجم الوشم فحسب بل ذلك المثبت وسط الفخذ سميكة كقطعة اللحم أيضاً من الخيوط الغريبة الملونة التي تغطي مؤخرته الكبيرة فتجعلها مضيئة للغاية.

حينما ضغط كنان على مؤخرة أبلهيد ليتأكد أنها حقيقي همس الأخير مداعباً: عجباً! كانت الخطوط حقيقية أيضاً، لم يتأكد من ذلك إلا حينما اقتربا ووجدا السبب الحقيقي للألوان البراقة فثمة حروف باللونين الأحمر والأزرق تكتب تلك الكلمات على مؤخرته: إلى حبيبتي إيدا، لم يجد رسام الوشوم في سنغافورة الحروف اللاتينية يوجد حرفان معكوسان وحروف أخرى ناقصة تماماً - لكن لم يكن ذلك يزعج أبلهيد أبداً.

في ذلك المساء أخذ أبلهيد حماماً مكث فيه طويلاً، كما قضى ساعة ونصف يغسل أسنانه ويمشط شعره واضعاً الفازلين على شاربهِ ويعطر نفسه بعطر أسكيلد«أولد سبايس»، ثم قبل كل أفراد عائلته قبل أن يذهب إلى منزل أرنتبيوركفج الممتنع عن المسكرات في هاتومسجاتا، كما قطف ثلاث زهور من حديقة مرَّ عليها في طريقه إلى منزل محبوبته، وأخذ يصفرّ عالياً كرجل معتد بنفسه يجد متعة بالغة في نظرات الإعجاب والشهوة التي لمحها في عيون المارة في الشوارع التي جابها ليصل إلى محبوبته، فما إن وقف أمام



المنزل في هاتومسجاتا حتى قرع الباب بعنف فارتجت الجدران جميعها،  
وحينما فُتح الباب جثا أبلهيد على ركبتيه وعرض الزواج على إيدا التي  
حدّقت فيه في رعب وخوف من ذلك الرجل الغريب...؟!، في البداية لم تدرك  
حقيقته، لكن حينما تعرفت عليه أخيراً، احمزت وجنتاها ثم أجابته على  
عرضه بصفتين على وجهه وأغلقت الباب بعنف في وجهه.

لم يعد أبلهيد يصفّر أو يستمتع بنظرات الإعجاب في عيون المارة، ولا زال  
يحمل الزهور الذابلة التي أخذ يضرب بها كل ركن من أركان كل مبنى يمر به  
في طريق عودته إلى منزله في سكانسن.

في اليوم التالي استأنف مُحطّم القلب طقوسه القديمة أخرج دراجته من  
القبو قام بتزييت الجنزير الصدئ وثبّت الرفرف في مكانه، ثم بدأ يتابع  
الفتاة ذات الشعر الأحمر في جميع شوارع بيرجين حينما كانت تخرج للتنزه  
مع توأميها، بدا مألوفاً للجميع ظهور أبلهيد مجدداً يجوب شوارع البلدة  
بدراجته مرتبكاً شارد الذهن بدلاً من أن يعرض عليها أن يساعدها في حمل  
حقيبتها المدرسية مثلما كان يفعل من قبل، أخذ أبلهيد يتوسل إلى إيدا الآن  
لتوافق على أن يساعدها في حمل البقالة، كما عرض عليها في بعض الأحيان  
أن يدفع العربة حيث يرقد توأماه الذين بلغا العامين، لم يكتف بذلك بل  
اقترح أبلهيد أن يحفر لوالد إيدا حديقة ويعمل مجاناً كصبي عنده يقضي له  
احتياجاته في مصنع النسيج الممزوج بالمطاط الخاص به، لكن لم يجد كل ما  
فعله نفعاً على الإطلاق.

حينما تتبع أبلهيد حبيبته إيدا على مسافة العشرين متراً التي اتخذتها مساراً  
معتاداً لها كل يوم، صاحت فيه: اغرب عن وجهي أيها الأحق، وسرعان ما  
تملّك اليأس من أبلهيد المسكين حتى وجد الأمر ضرورياً للغاية لإنعاش طقس  
آخر من طقوسه القديمة، فقد صاح وهويتكلف الابتسام حينما كان يتمايل  
ماراً بها مستقلاً دراجته التي بدت صغيرة عليه للغاية: ها قد جاء ساعي  
البريد، لكن إيدا جينجر لم تذهب أبداً إلى غابات لانج وتراكت الخطابات



هناك داخل الشجرة العجوز.

بدلاً من ذلك بدأت إيذا تمطر أبلهيد المسكين بوابل من عبارات النقد اللاذعة، فقد صاحت فيه يوماً ما: اخلع ذلك القرط تبدو كقرصان في فيلم ردى هابط وأصلح سنك واحلق شاربك، ألقى بتلك الحقيبة الصوفية بعيداً هل تظن أنني سأهتم ببحار غبي؟.

خلال الخمسة شهور التالية، أطاع أبلهيد أوامرها ككلب مطيع مدرب جيداً، لاحظ كنت-تعلو وجهه علامات الإحباط وخيبة الأمل- كيف كان ابن عمته مهيب الطلعة يغير من هيئته ويبدل الشيء تلو الآخر، فقد بدأ أبلهيد يرتدي القمصان حتى يخفي كل الوشوم بجسده، ذهب إلى طبيب الأسنان ليُرْكب له سنناً زائفاً.. حلق شاربته.. كما توقف عن استخدام كلمات إنجليزية في حديثه، بدأت سمرة الشمس تتلاشى شيئاً فشيئاً، كما وُضع القرط في الدرج، وقبل مرور شهر كان أبلهيد يقضي مشاوير والد إيذا كل صباح، فيعد القهوة ويمسح الأرضيات، وبذلك فقد بدأ أبلهيد يعد نفسه لمستقبله المهني في العمل بمصنع الأطواق المطاطية الخاص بوالد إيذا، كان أبلهيد يردد دوماً: «حاضر يا سيدي». واستمر يلقي التحية على (أرنتبيوركفيج) الذي وجدها فرصة مناسبة ليعيد لأسرته كرامتها بأن يسخر العريس الذي هرب من الزواج من ابنته منذ أعوام.

حاول أسكيلد مراراً أن يجد لأبلهيد وظيفة في ساحة السفن لكن لم يعر الأخير لذلك أي اهتمام، بدلاً من ذلك بدأ أبلهيد يسير في الشوارع مرتدياً أطواقاً مطاطية حول أساور قميصه لتأكيد ولائه لأطواق بيوركفيج المطاطية التي تحمل شعار: أطواق بيوركفيج المطاطية-الأفضل في العالم- بعد الانتهاء من عمله مرتدياً دسنة من الأطواق المطاطية حول أساوره، واستمر أبلهيد في ملاحقة ابنة أرنت فقد شوهد ذات يوم وهو يسير على بعد ثلاثة أمتار خلف إيذا حاملاً حقيبتين كبيرتين من البقالة، وفي يوم آخر وجده ثوريبيورن وهو يصلح إطاراً من إطارات عربة الأطفال حينما كانت إيذا تلح عليه للإسراع في



عمله وقد نفذ صبرها تماماً.

قال ثوريون في يأس لجاج إيرز: «ماذا ألمّ بأبلهيد؟» أصبح «أبلهيد» حقاً منذ ذلك الحين، أصبحت كلمة «أبلهيد» تستخدم كمترادف لـ «صغير الرأس» على الرغم من شعور ثوريون باليأس والإحباط إلا إن سخطه ونقمه كان سطحياً للغاية فقد أصبح أبلهيد الآن بالغاً في حين يعلم الجميع أن البالغين جميعهم حمقى، حتى جاج إيرز أدرك أن ابن عمته لن يجدي له نفعاً في الحي الفقير حيث يقطن الرعاع، برغم ضخامة جثته وطول قامته، كما أن أبلهيد لن يسعه الآن ركل الصبية في خصاهم مثلما كان الحال من قبل فقد أصبح ممثلاً لمنتجات مصنع بيوركفيج للأطواق المطاطية لذلك كان على جاج إيرز أن يتولى زمام أموره بنفسه، أو بمساعدة أصدقائه، أما عن كنان فقد أصابه ابن عمته بالإحباط وخيبة الأمل.

تمت كنان: يا لحماقة أبلهيد...!!، ثم تسلل ليلتقط أحد أقلام أسكيلد القديمة السائلة قبل أن يحبس نفسه في غرفته، فميا بعد وجدته بيورك هناك في غرفته في نفس اليوم بلا سروال داخلي عاري المؤخرة وقد كانت ملطخة تماماً بالبر.

بعد ذلك بفترة طويلة رسم كنان على جسده وشم خاص به، ثم بدا لسلوك أبلهيد الذي يبعث الشعور بالإحباط وخيبة الأمل، وأيضاً بسبب عادة بيورك الجديدة في فحص مؤخرة ابنها الأصغر التي امتلأت برسوم البرص غير اللائقة بالمرّة قبل النوم، تأثير سلبي كبير على شخصية كنان الذي صار صعب المراس وحاد الطباع، فقد بدأ يركض لمسافات أبعد من ذي قبل يلقي أشياء أكبر من النوافذ، بعد وهلة كان لإحدى مشاعله التي يلقيها من فوق الجبل بسرعة رهيبة، تأثيرها الخطير حينما انتشرت سريعاً وأحدثت دماراً وتخريباً شاملاً للمنحدر كله.

اعتاد أسكيلد على ذلك التعليق: لحسن الحظ أنه المنحدر المناسب يعني بذلك المنحدر غير المأهول بالسكان، كما أحببت بيورك أن تروي القصة هكذا:



إن لم تكن الرياح تهب من الجنوب حتى أصبحت النيران التي يُلحِقها العم  
كنات بالغابة إحدى أفضل رواياتنا على الإطلاق، كما اعتادت أختي ستينا أن  
تقول: سل جدي بيورك أن تروي لنا قصة حريق الغابة، فقد كانت تعلم أن  
جدي لا ترفض لي طلباً أبداً، كنت أقول لها: إحكِ لنا عن الحريق الذي أحدثه  
كنات في الغابة، فكانت ترمقنا بنظرة مأكرة قبل أن تبدأ في سرد الحكاية.  
لكن لنعد إذاً لحريق الجبل، لم تكن القصة مضحكة أو مثيرة حينما شب  
الحريق في جميع أرجاء الجبل وتصاعد الدخان الأسود الكثيف فجأة ليغطي  
الجبل والغابة بأسرها، فقد اختفى كنات وأرسل جاج إيرز إلى الجبل للبحث  
عنه حينما ملح أسكيلد لأول مرة الدخان الكثيف يتصاعد، أوقع حامل  
لوحات الرسم الذي أحضره خارج المنزل على الأرض واندفع مسرعاً نحو  
الجبل بدون عصاه، وحينما رأت بيورك الدخان بعد دقائق قليلة كان أسكيلد  
قد اختفى في الضباب تسمعه في يأس ينادي على ولديه، قالت جدي بيورك:  
«اعتقدنا انهما فوق الجبل».

حينئذٍ أسرع جدي بيورك واثنا عشر جاراً من جيرانا نحو الجبل يحمل  
كلب منهم دلوّاً من الماء، ومضارب السجاجيد لكن لم يجد شيئاً نفعاً على  
الإطلاق، فلم تهدأ النيران حتى أحرقت جزءاً كبيراً من الغابة عن آخره...!  
لكن ماذا عن جاج إيرز وكنات الصغير؟.

اعتادت جدي هنا أن تثير الشكوك والمخاوف في تعبيرات وجهها حينما تطرح  
هذا السؤال.. هل وجدناهما أحياءً مجدداً؟.. نعم..!، فقد كان جاج إيرز  
وكنات بجوار الميناء ولم يلحظا الدخان الكثيف الأسود إلا حينما عادا إلى  
المنزل، وعندما رأى كنات ألسنة اللهب تتطاير من مشعله الصغير وتبدأ  
في الانتشار في الجبل أصابه الذعر والهلع فركض مسرعاً نحو الميناء حيث  
ذهب جاج إيرز أيضاً للبحث عنه، حتى لحق بكنات بعد أن قطع نصف  
طريقه إلى الميناء اصطحبه للميناء لشراء صيد اليوم من السرطانات من بعض  
الصبية، ثم ذهباً فيما بعد إلى فيسكيستورجيت حيث باعا السرطانات بعشرة



يوروللواحد، ولهذا السبب لم يعودا إلى المنزل حتى عاد فريق الإنقاذ يجر أذيال الخيبة حينما لم يعثر على المفقودين، حينها بدا أسكيلد حزينا عابساً أسود الوجه لفقدانه ولديه الاثنين، لكن حينما عاد الشقيقان يتبختران في ممر الحديقة بدا وجه أسكيلد شاحباً والتقط عصاه من الأرض وأمسك بها جيداً قبل أن يهوى بها على وجه كنان بشدة حتى كسرت أنف الصبي.

انتحب جاج إيرز وهو يصرخ: يا إلهي! بينما لم يصدر كنان أي صوت انتحبت بيورك وهي تقف حائلاً بينهما: يا إلهي...!

وهكذا وقفت الأسرة ساكنة لفترة طويلة ثابتة كأحجار صلبة متجمدة في إطار حزين، ولم تتحرك سوى الدماء التي سالت وتدفقت من أنف كنان، فتراجع جدي أسكيلد على عقبيه واتجه نحو الحانة دون أن يغسل حتى السخام حينما أخذت بيورك تداوي أنف كنان المكسور.

بالطبع لم يذكر أبداً هذا الجزء الأخير في رواية جدي بيورك فقد كانت القصة تنتهي دوماً بأنها تحتضن أولادها كما اعتادت أن تقول: «إن لم تهب الرياح من الجنوب لأصبحنا بالتأكيد من المشردين».

في اليوم التالي لحريق الغابة الهائل المشؤوم رسم أسكيلد لوحة كبيرة مساحتها حوالي متراً ونصف المتر المربع وقد قرر حينها أن يطلق عليها اسم «بيرجين تحترق».

في رأيي تعد لوحة «بيرجين تحترق» واحدة من أفضل لوحاته، فتبدولي السنة النيران المتصاعدة خلف وجه أبيض تشوبه الزرقة والعصا المتأرجحة التي تكسر توازن اللوحة، مثلاً لأفضل طرقة في التعبير، لكن أسكيلد لم يكن يهتم أبداً بتلك اللوحة.. كان معجباً للغاية بلوحة «الطبيب والمشرط» التي كانت من شأنها أن تجمع والدَيَّ معاً بعد مرور أحد عشر عاماً.

ما إن شفيت أنف كنان وتحول أبلهيد من ساعي بريد إلى رجل ناضج كبير حتى نسى الجميع أمر حريق الغابة، وأنف كنان المكسور وبدأت الأصوات اليومية التي يسمعها جاج إيرز يتردد صداها مجدداً.. تُسمع كلمات أغنية



الروح الهادئة: يا لروعة تلك المدينة..! أمطرت عملات نقدية.. وجد الذهب إليك سبيلاً، واستمرت الروح في الغناء في أذن جاج إيرز مراراً من قبل، لكنها الآن تهمس في أذنيه بكلمات أغنياتها التي تحققت الآن على أرض الواقع. صاح جاج إيرز وهو يعرض مجموعة العملات النقدية المثيرة التي جمعتها من قبل على كل من يقابله: سرطانات سمينة سرطانات جميلة حبة جاهزة للعرض في قوالب الثلج.

تعجبت بيورك وهي تنحني نحو بعض العملات البراقة التي كان يلمعها جاج إيرز مرتين في الأسبوع قائلة: «إنها مذهلة حقاً!»

قال أسكيلد وهو يلقي نظرة عابسة على تلك المجموعة من العملات التي تزن كيلوين: يا إلهي! ماذا ستفعل بكل تلك العملات؟

كان جاج إيرز على وشك أن يخبر والديه بما سمعه من قبل من إيبسن تاجر العملات حينما قطع حديثهم صوت غريب لم يسمعه من قبل فقد سمعوا صوتاً يقول: بابا.. ما إن تردد صدى ذلك الصوت في الغرفة حتى سرت رجفة باردة بجسد بيورك قبل أن تدرك أن ذلك الصوت يصدر من ابنتها.. نعم.. كانت-آن كاترين- تقف خلفهم في غرفة جاج إيرز تردد أولى كلماتها، وثب أسكيلد من فرط فرحته لذلك الحدث الجلل في حين صفقت بيورك في سعادة عارمة وأخذت آن كاترين تردد كلماتها الأولى حتى عصر اليوم التالي في عيادة دكتور ثور حيث كان يُسمع صوت جدتي مراراً وتكراراً.

شرحت بيورك متكئة على مكتب ثور بينما كان يعلق الطبيب لافتة على الباب: خطر العدوى - ممنوع الدخول- حاولت بيورك تقليد صوت ابنتها المميز لدكتور ثور بينما كانت تنظف ياقة قميصه من خيوط ضمادة كتانية، لكنها عجزت عن القيام بذلك بنجاح، في ذلك الوقت كان ثمة صوت آخر يثير ضجة واضطراب أعظم في العائلة أكثر من صوت آن كاترين صوت منعزل كان يتردد صداه في شوارع بيرجين قائلاً: «ابتعد عني أيها الأحمق لا تلمسني حتى نتزوج»



لم يكن للعائلة حديث حتى أقيم حفل الزفاف سوى عما حدث بالفعل في تلك الليلة في أوائل ربيع ١٩٥٩ حينما رأت إيدا أخيراً مؤخراً أبلهيد ذات الوشوم قال أسكيلد: لابد أنها استمتعت معه للغاية، بينما أبدت بيورك ملحوظة أن ذلك الصبي المروع تحدثت بيورك كثيراً عن ذلك الأمر ومع مرور الأعوام، بدت مشغولة للغاية بتلك القصة التي أصبحت-أخيراً- إحدى قصصها المفضلة.

أحبت بيورك أن تختتم قصتها بعبارة: «كان يحبها كثيراً حتى أنه بلا تردد سمح لغريب أن يدير، ويحرك علاقتهما.

- ماذا يعني «يدير» يا جدتي؟

أجابتي أختي ستينا: تعني يتلف أيها الغبي.. يحطم.. يخرب.. يفسد، أو مات بيورك معضدة ما تقوله ستينا .

مع مرور السنين، رسخ بذهني اعتقاد خاطئ أن أبلهيد أصبح شغوفاً باشباع غريزته الجنسية وإقامة علاقة حميمة مستمرة مع إيدا من فرط حبه وولعه بها.

كان أسكيلد أفضل صديق لأبلهيد مثلما كان أبلهيد أفضل صديق لأسكيلد منذ ثلاثة عشرة عاماً، جلس جاج إيرز في هدوء على المقعد الخشبي الطويل يشاهد الاحتفال بليلة زفاف أبلهيد حينما كان كنان يقف في الشرفة، ويرفض المشاركة في تلك الاحتفالات فقد أصيب بصدمة فظيعة في ابن عمته، كما تسبب كنان في حرج شديد خلال الحفلة التي أقيمت في الجوار المتطور حديث البناء، ففي غفلة من الضيوف ألقى كنان خاتمي الزفاف الواحد تلو الآخر من النافذة، كما سكب مشروب الـأكوافيت في الحوض -يحمسه لتلك الفعلة- رد فعل الممتنع عن المسكرات أرنتيبوركفيج الذي لم يهتز أبداً ولم يسعد بصناديق الأكوافيت التي أحضرها أسكيلد لتلك المناسبة، كما تمكن كنان من أن يسقط كعكة الزفاف أرضاً، ويمزق طرحة العروس حينما حملته إيدا لأعلى لتقبله على أنفه المعقوف، صاح كنان وسط ذهول الحاضرين



جميعاً: «فلنقطع الطرحة»، ثم اقتطع جزءاً منها، وكرر كنان قوله: «فلنقطع الطرحة»، وعندما همّ أن يقتطع جزءاً آخر منها قبل أن يحمله أبليهيد إلى إيذا لكي ينال العقاب الذي يستحقه: «ثلاث قبلات من العروس حتى في زفافه ارتدى أبليهيد مجموعة من الأطواق المطاطية حول أكمامه بالإضافة إلى دبوس معدني صغير على جيب صدره يحمل شعار: «أطواق بيوركفيج المطاطية الأفضل في جميع أنحاء العالم» أخذ أبليهيد يحيي حماه، كما حاول عدة مرات أن يبيع بالفعل الأطواق المطاطية للمدعوين الذين لم يكن لهم رد فعل سوى الضحك على محاولاته تلك، ثم بدأ الجميع باطلاق النكات عن أوجه الشبه بين مصنع الأطواق المطاطية وصناعة الأوقية الذكرية(مع التلميح على أن أبليهيد لابد أن يكون قد استخدم الواقي الذكري قبل أن يقيم علاقة حميمة مع العروس ويجعلها تحمل منه حينما كان في السادسة عشر من العمر).

ما إن حلّ المساء حتى انتهى حفل الزفاف وأُرسِل جاج إيرز إلى عربة السيرك ميري لكي يشعر بمزيد من المتعة والترفيه، فأُسْكِلد لم يعد معه نقود، كما أن بيورك رفضت أن تدفع كرونا واحداً في شراء الأكوافيت، كان عليه أولاً أن يتجول هنا وهناك لإحضار مجموعة من زجاجات ذلك الشراب، كانت جيوبه تخشخش وتقعقع حينما كان يندفع كالسهم خلال شوارع الحي الفقير عند أول خيوط الظلام، ومنذ ما حدث لبابا نيلز في السقيفة، لم يعد لديه مشكلة مع صبية الحي الفقير لذلك أسرع يركض في الشوارع دون أن يزعجه أحد، ثم أحضر سبع زجاجات أكوافيت-بنفس المبلغ الذي دفعه في عربة السيرك- في طريق عودته إلى المنزل وهو يسير بتمهل حاملاً الزجاجات السبع التي جعلت سيره مضنياً وإمكانية ركضه مستحيلة، سمع صرخة مدوية خلف سور خشبي، في البداية لم يشأ أن يتوقف لكن حينما مَيَّرَ صوت لويد ليندا، قرر أن يكتشف ما يحدث فتسلل إلى منطقة حيث كان لوح خشبياً مفقوداً، ثم نظر إلى موقع المبنى فإذا به يجد صبيين يذيقان ليندا حماقتهما، لقد أرغموها على



أن تقف على أربع، أحدهما ثبت رأسها بين ركبتيه في حين كان الآخر يحاول ضربها على مؤخرتها بقبقباه الخشبي، وتعرف جاج إيرز على أحدهما.. كان رد بييج.. لكنه لم يتذكر أنه رأى الصبي الآخر من قبل.

صاحت ليندا:.. لا.. حينما نزع الصبي الآخر سروالها الداخلي وبدأ يركل مؤخرتها العارية. أخذت المسكينة تبكي وتقول: توقف عن ذلك وهى تحاول أن تغطية مؤخرتها البيضاء بثوبها لكن باءت محاولاتها بالفشل.

وقف جاج إيرز لوهلة متجمداً ثابتاً كحجر صلد، ثم صاح هو الآخر: توقف فالتفت له الصبيان وحدقا فيه في ذهول ودهشة.

صاح رد بييج مشيراً إلى الأكياس التي تحوي زجاجات الأكوافيت: «ما هذا بحق الجحيم؟» إنه جاج إيرز ماذا تحمل معك؟

أجابه جاج إيرز: «لا شيء.. دعها وشأنها»

سخر منه رد بييج وهويفلت ليندا قائلاً: دعها وشأنها.. دعها وشأنها، ثم استطرد وهو يقترب من جاج إيرز: أنت تشعر بالغيرة فحسب، التقط رد بييج شيئاً ما في قبضته يبدو كحجر حاد، لكنه حينما اقترب من جاج إيرز، تردد لوهلة، فمن الممكن أن يكون ما يحمله بيده مميتاً حقاً، وجلس رد بييج على العشب ملتوياً أحمر الوجه متألماً لما فعله، بينما أفلت الصبي الذي لا يعرفه جاج إيرز، ليندا وبدأ يقترب من جاج إيرز، وكان أطول منه مرة ونصف ولم يبد عليه الاستمتاع حينما قال: «كنا نستمتع بوقتنا فحسب».

أردف جاج إيرز: «اخرج من هنا.. اخرج»

سأل الصبي وهو يلتفت لـ رد بييج الذي كان عاجزاً عن التفوه بكلمة: أنصت لي هل هذا هو أخوها الصغير أم ماذا؟ هل هو ذلك الأخ الصغير الحقير الذي يحافظ على عذرية أخته؟ ثم ضحك ذلك الصبي ساخراً: يا للموقف المؤثر! لكنه توقف فجأة عن الضحك حينما انقضى عليه رد بييج وقام بخنقه.

صاح جاج إيرز في ليندا التي أخذت وقتاً طويلاً لارتداء سروالها الداخلي: أسري، وحينما وصلا إلى الجهة الأخرى من السور، أعطاهما أحد أكياس



زجاجات الأكوافيت، ثم أسرعاً في الجوار تتطاير خصلات شعرهما ولم يتوقفا  
حتى ابتعدا لمسافة بعيدة عن الحي الفقير.

زمرجت ليندا وهي تستند على حائط وتلتقط أنفاسها: يا لهما من أخرقين!  
كيف يبدو ماكياجي؟

تلثم جاج إيرز وهو يحاول أن يقف على أطراف أصابعه كي لا يبدو قصيراً  
للغاية بجوار ليندا: «عظيم».

قالت: انصت لي.. ما الذي تحويه هذه الأكياس؟ أسرعت يداها لتفتش في  
الأكياس علت وجهها ابتسامة عريضة ثم سألته: «ألا يريد منقذي قُبلة؟»

هكذا حصل جاج إيرز الذي لم يتجاوز الثالثة عشر من العمر على أول قُبلة  
انحنت ليندا قليلاً لأسفل.. وأقحمت لسانها في فمه ثم عضت برفق شفته  
السفلية مما جعله يتراجع خطوة للوراء.. فقالت له: نسيت أنك اعتدت أن  
تُقبل الكرة الكهربائية ألا يمكننا تناول بعضاً من مشروب الأكوافيت؟

تبع جاج إيرز ليندا خلف سياج من الشجيرات جلس بجوارها ليحرب  
مشروب الأكوافيت بعد مرور نصف ساعة ملأتها ليندا بمناداته ببطلها، ألهمه  
مشروب الأكوافيت وحثته هرمونات الثالثة عشر من العمر على أن يطلب  
منها ما كان يختمر بعقله لفترة طويلة مضت.

تمتم جاج إيرز: هل يمكنني أن أسألك.. هل هذا صحيح أنك -أعني - أن  
البعض يضعونه في فمومهم؟

سألته ليندا: ماذا يضعون؟..وفيما؟

أردف جاج إيرز وقد شعر بالدوار: «العضو»

حاكنه ليندا قائلة: عضو! ثم ساد الصمت المكان فجأة قبل أن يشعر جاج  
إيرز أن قلبه يخفق بشدة فلقد ندم على أنه طرح هذا السؤال فقد لاحظ  
رجفة غاضبة ترتسم على شفتي ليندا ففكر في نفسه مالياً: «ماذا الآن؟»

سألته ليندا بعد فترة صمت قصيرة: «هل هذا ما تريده؟» لاحظ جاج إيرز  
أنها كانت غملة أيضاً وتغيرت نظرة عينيها قليلاً وهي تتبلع لعابها بصعوبة ثم



أضافت مستغرقة في التفكير: «سيكلفك ذلك زجاجة من الأكوافيت».

أردف جاج إيرز: «حسناً.. هذا ما أريده».

سألها جاج إيرز بعد وهلة وهو يحدّق في خوف في ليندا التي أقحمت عضوه

الذكري في فمها وأمسكت به فحسب دون أن تحرك لسانها.

تلثم جاج إيرز قائلاً: «هل يجب-أعني- هل أتبول فيه؟ ما إن أتم جاج

إيرز عبارته حتى صاحت ليندا قائلة: يا لك من خنزير مقرف ودفعته بعيداً

عنها فهو أرساً أمامها، وصاحت وهي ترمقه بنظرات حادة قاسية: يا لك

من صبي مقرف، ثم استطردت: ابتعد عني وهي تجهش في البكاء الحار.

سألها جاج إيرز مع أنه كان يفضل مغادرة المكان: ماذا حدث؟ هل أنت

غاضبة؟

صاحت وهي تقذف الزجاجة خلفه: لا يهم.. خذ زجاجتك واغرب عن

وجهي تمكن جاج إيرز بصعوبة من التقاط الزجاجة قبل أن تسقط على

الأرض وتنكسر.

تمتم جاج إيرز قائلاً: «يمكنك الاحتفاظ بها إن شئت ذلك».

صاحت: جميعكم سواء! عليكم اللعنة، لذلك واجه جاج إيرز خلل في تجربته

الأولى لإقامة علاقة مع الجنس الآخر، فأخذ يحزم زجاجات الأكوافيت الخمسة

بالإضافة إلى نصف قد تبقت، يسرع خارج سياج الشجيرات وهو يحاول أن

يغلق زمام سرواله.

حينما عاد جاج إيرز إلى حفل الزفاف لم يلحظ أحد أنه تناول الأكوافيت حتى

ارتقى على حذاء العريس فتساءلت بيورك قلقة: «هل هو مريض؟»

صاح أبلهيد: «يا إلهي!»

سأل أسكيلد ابنه وهو يهزه بعنف: «هل أنت ثمل؟» لكن هيهات له أن

يجيب فقد كان جاج إيرز في عالم آخر.

سمع جاج إيرز أمه تصيح: «يا إلهي! إنه ثمل!»

بينما يسمع الصبي صوت الروح بداخله تهمس في أذنه بصوت أجش: ابتهج!



من يهتم لحالك؟ الفتاة ليست سوى عاهرة.. إوزة صغيرة سخيفة..

صاح جاج إيرز في الروح: «دعيني وشأني! ابتعدي عني!»

بالطبع اعتقد والداه أنه يتحدث إليهما أوضح أسكيلد بقوله: لقد جن جنونه!» ثم حمل ابنه ليجعله يستلقي على الأريكة قبل أن يصلا إليها، تقياً جاج إيرز على ثياب أسكيلد الذي ظلّ طول المساء بثيابه الداخلية، وسرعان ما ذهب جاج إيرز في عالم آخر حين أخذ يغط في نوم عميق ولم يستيقظ حتى بدأ الضيوف في مغادرة المكان .

حينئذ كانت الروح قد رحلت وبدأ جاج إيرز يشعر بأنه مفعم بالحيوية والنشاط أخذ يسير بين المدعوين تعلووجه ابتسامة متكلفة حتى وإن لم يستطع نسيان تعبيرات وجه ليندا البائسة الغاضبة، كان العروسان على وشك مغادرة مكان الحفل حينما وقفا يتبادلان النظرات العاشقة.. تتهاافت روحاهما للمناجاة والعناق الحار على الباب الأمامي حيث كانت هناك عربتان تُسحبان باليد كبيرتان تنتظران العروسين مزينة بأكاليل الزهور كانت تلك هي فكرة أسكيلد أن يوصل هو وأرنتيبوركفيج العروسين بعربتي اليد تلكما ليلة زفافهما لكن ذلك الرجل الممتنع كلفةً عن المسكرات، لم يرغب أن يراه أحد ليلاً مع واحد من أكثر رجال البلدة ثمالة وأشهرهم في معاورة الخمر، لذلك عرض أرنت أن يوصل العروسين إلى الفندق بسيارته.

صاح أكسيلد: على جثتي إن كان لك عمر للقيام بذلك، كان يمكن للشعور بالخطر المرتقب أن يتصاعد في نفوس المدعوين إن لم يعرض جاج إيرز أن يدفع هوبنفسه عربتي العروسين.. فابتسم أرنتيبوركفيج في راحة شديدة أثناء سير الجميع في شوارع بيرجين المظلمة، تحدث أبلهيد عن السماوات المليئة بالنجوم المتلألأة فوق البحار الجنوبية عن تلك الأمسيات التي قضاهما يحلم بالغابات المسحورة ، ضحكت عروسه بصوت مرتفع في حين فكر جاج إيرز أن الأمر ممتع حقاً أن يسير في شوارع البلدة مع العروسين حديثي الزواج هو ووالده، لكن قبل أن يصل الجميع إلى الفندق بدأ أسكيلد يسمع



أصوات نباح كلاب الصيد تتردد في أذنيه، بدت إشارات الشارع كالألمان الذين يحملون مسدساتهم وسرعان ما تحولت بيرجين في عيني أسكيلد إلى ساحة مطاردة تعج بالألمان وكلاب الصيد الذين يلاحقونه أينما سار، تتمتع جدي أسكيلد وهو يحدّق بعصبية في الشوارع المظلمة «من هناك؟»

أدرك جاج إيرز ما ألم بوالده حينما بدأ يتحدث الترهات كتلك التي يتلفظ بها دوماً كلما يمر بتلك الحالة، لذلك اقترح جاج إيرز على والده أنه يجب عليه العودة إلى المنزل في حين سيساعد جاج إيرز العروسين في حمل أمتعتهم إلى داخل الغرفة، فاخفي أسكيلد في الظلام بعربة اليد مع عصاه، ثم تهمتم: ابتعدي عني أيتها الكلاب الغبية؟.

بعدما انصرف أسكيلد، هز جاج إيرز رأسه معتذراً عما بدر من والده وأوشك أن يحمل الأمتعة حينما أوقفه أبلهيد ثم قال: محال! بينما يمسك أبلهيد بجاج إيرز.. ثم الأمتعة.. وأخيراً بعروسه.. أقام أبلهيد ظهره وهو يقف ممسكاً بعروسه، وابن خاله وأمتعته في ذراعيه تقدم ببطء، وسار مترنحاً في ردهة الفندق حيث سلمه الحمال الليلي النعس مفتاح الغرفة، وفي طريقهم إلى أعلى الدرج وجد جاج إيرز نفسه يقترب بشدة من العروس كان نهدها يلمس وجهه وشعرها الأحمر يداعب أنفه لكن لم يلحظ أحد انتصاب عضوه المفاجئ.. همهم أبلهيد بصوت مرتفع بدا الأمر جلياً أنه سعيد باستعراضه لقوته الخارقة، حينما وصلوا إلى الطابق الثالث، فتح أبلهيد الباب بيد واحدة، دخل الغرفة ثم ألقى بأحماله وأمتعته وجاج إيرز على الفراش.

قال بابتسامة عريضة لابن خاله الذي يرقى في الفراش: خذ قبلة واحدة من العروس ثم غادر الغرفة في الحال.

وجد جاج إيرز مجدداً أن الجميع يقومون بعض شفاه بعضهم البعض وهم يتبادلون القبلات سمع صوت تأوه، ثم وجد أسنان إيدا تغوص في شفته وبدأت تضحك بصوت مرتفع، ثم استطردت: لديك أذنان مذهلتان! فبدأت بعضهما قبل أن يدفع أبلهيد بابن خاله المرتبك خارج الغرفة.



سمع جاج إيرز في طريقه لأسفل الدرج، الحمال الليلي يغلق الباب الأمامي للفندق ثم أدرك الصبي فجأة أن الحمال اعتقد أن جاج إيرز جزء من الأمتعة، ففكر الصبي: ربما لم يراني أبداً، ثم وقف جاج إيرز هناك على الباب الأمامي لخمس دقائق كاملة قبل أن يتسلل عائداً إلى الغرفة وجثا بركبتيه أمام ثقب المفتاح تسري بجسده رجفة شديدة غريبة للغاية قبل أن يعود أدراجه إلى منزله عبر الشوارع التي أضيئت بنور الفجر، كان قد حلّ غموض ليلة زفاف أبلهيد وسمع ما قالته العروس أول ما رأت مؤخرة زوجها الموشومة.

حدّقت العروس في وشم مؤخرة زوجها بإعجاب وزنته بيدها ومررت إصبعها بحرص عليه وهي تحاول اكتشاف معنى ذلك الوشم، ثم قالت: «لا.. أيها المغمفل».

في اليوم التالي توقف جاج إيرز عن التسكع وأعطى لنفسه فترة للتأمل فرقد في فراشه أغلب ساعات اليوم يعذب نفسه وهو يفكر في تعبير ليندا البائس الحزين الذي سيطر على ملامح وجهها الجميل إثر ذلك السؤال الساذج الذي سارع وطرحه بحماسة، والذي كلما يتذكره يتلاشى خجلاً، لقد شاهد جاج إيرز كيف تقام العلاقة الحميمة بين ناضجين من خلال ثقب مفتاح الغرفة فندق ميشن ففهم الآن أنه كان ضحية لسوء فهم طفولي، ثم فكّر في نفسه ملياً «مسكينة يا ليندا» بينما كانت آن كاترين تركض في المنزل وهي تردد كلمة «بابا» في حين كان أخوه الصغير كنات يلقي بالأشياء من النافذة بينما يصيح فيه أسكيلد بشدة.

أغمض جاج إيرز عينيه وانزلق تحت أغطية فراشه لأول مرة، شعر الصبي أنه سجين في منزل والديه، كما أن الخزي والخجل نوعان جديان عليه من المشاعر، وحينما سيطرت عليه تلك المشاعر السلبية في الوقت الذي بدأ أسكيلد يهذي فيه متحدثاً عن كلاب الصيد أمام فندق ميشن، لم يشعر جاج إيرز بالخزي من قبل حتى وإن كان ذلك الشعور موجوداً بالفعل، ولم يكن عدم انتمائه للحي الفقير والمسافة التي تفصل بين منزله وبين ذلك الحي هو



ما يمنع أصدقاءه من الاقتراب من منزله فحسب، بل كانت أيضاً حالة أسكيلد المزاجية والعقلية وخوف جاج إيرز من أن يرى أصدقاؤه والده في أسوأ حالاته، كل هذه الأشياء وقفت حائلاً دون اقتراب أصدقائه منه. كان ذلك سبباً جعل جاج إيرز يفضل لقاءهم في أي مكان آخر بعيداً عن منزله.

في صباح يوم الاثنين تطلع جاج إيرز للتحدث إلى ثوريبيورن على الرغم من أن عطلة نهاية الأسبوع تلك التي قضاها الصبي كانت محرجة بعض الشيء إلا أن ذلك لم يمنع من كونها مليئة بالأحداث المثيرة، وهو ما جعله يركض نحو وايت سكول ليسرد ما حدث لصديقه، لسوء الحظ كانت حصة المدير المنوب كرامر قد بدأت على الفور، لذا قرر جاج إيرز أن يكتب الأخبار الرائعة في ورقة ويمررها لصديقه.

كتب جاج إيرز في أول ملحوظة مررها لثوريبيورن: «وضعت ليندا عضوي في فمها».

ثم كتب في الأخرى: احتسيت شراب الأكوافيت في عطلة نهاية الأسبوع. ثم في الثالثة: شاهدت ابن عمتي وهويضاجع ابنة الممتنع عن المسكرات ويمارس الحب معها في الفراش بغرفة في فندق ميشن.

أخذ ثوريبيورن يهز رأسه وهويقرأ تلك الملحوظات غير مصدقٍ ما يقرأ.

ثم كتب ثوريبيورن ملحوظة طواها وألقاها خلفه: «أنت كاذب».

فأجابه جاج إيرز بملحوظة أخرى: «لا.. لست كذلك».

ثم كتب له ثوريبيورن ملحوظة في عجالة: «هل قَبَلْتَهَا؟» وإن لم ينجح أحد في تقبيلها من قبل، لكن لم تسنح لجاج إيرز الفرصة أبداً لقراءة ما دونه ثوريبيورن، فقد سمع صوت نائب المدير وهويقف هناك أمام ثوريبيورن فجأة ويلوح بالملحوظة في غضب عارم.

تعجب كرامر وهويرمق ثوريبيورن بنظرات حادة قاسية: إذأ أنت تهرر ملحوظات أليس كذلك؟



سرعان ما ارتجف عصب عين الصبي من الفزع منذراً بخطر محقق مرتقب، واستطرد المعلم في زهو بانتصاره وهوي تفحص الطلبة: أيها السادة صدّقوا أولاً تصدّقوا صديقنا دادي لونغليجز (ذا الساقين الطويلتين) يجلس هنا حقاً ويكتب!.

فانفجر الجميع في الضحك قائلين: «هذا مضحك حقاً يا سيدي».

قال أحدهم: «لم أكن أعلم أنه يستطيع الكتابة».

فأردف آخر: هذا مضحك يا سيدي.

استطرد كرامر وهوي يفتح الملحوظة: هيا نلقي نظرة عما كتبه.. حسناً، أنصتوا جميعاً! التفت إلى ثوريورن ساخراً: أيها القرد الصغير مرشحنا التالي لوجبة العظم، ثم التفت إلى جميع الطلبة في الفصل قائلاً: «ذلك الطويل الهزيل الأخرق الذي يدعى ثوريورن قد كتب تلك الكلمات خارقة الذكاء».

ساد الصمت المكان مصحوباً بضحكات مكتومة في حين ازدادت رجفة العصب أسفل عين ثوريورن، فتلك الحالة التي ابتلي بها منذ رحلته التعسة الفظيعة خلال الحي الفقير، وحينما بدأ كرامر في قراءة ما كتبه بالورقة هل مارست الحب معها؟ كان ذلك كل ما استطاع نائب المدير قراءته، ثم توقف فجأة، واصطبغت حنجرته ببقع قرمزية اللون وانتشرت حتى وصلت إلى قمة رأسه الأصلع.

قال بعض الطلبة: استمر يا سيدي.. ماذا كتب بعد ذلك؟

أردف آخرون: معذرة يا سيدي.. لكن وجهك تملؤه الحمرة

زمجر كرامر بعد ذلك بدقيقتين بعدما اختفى وأصبح في مأمن خلف مكتبه: مرشحنا لوجبة العظم ذلك الفتى الذي الأخرق استطرد كرامر وهوي نظر لثوريورن شذراً بعينه بنية اللون ويغمز بالأخرى زرقاء اللون: «لي الشرف أن أقدمك للكرة الكهربائية».

كان ثوريورن دائماً يتجنب مواجهة ذلك العقاب الرهيب، فهو دائماً يتجنب اقتراف الأخطاء كي لا يقبل الكرة الحديدية بعد توصيل الكهرباء بها مثلما



كان الصبية الآخرون يعانون ويلاقون أشد العذاب صعباً بالكهرباء بتقبيلهم تلك الكرة الحديدية الفظيعة.

لكن الآن ساقه قدره لملاقاة العذاب الأليم، فنهض المسكين ألقى نظرة عابرة على جاج إيرز الذي كان يتحسس تحت مقعده ملحوظته الأخرى التي تقول: أعتقد أنني توصلت لشيء هام جداً هذا الأسبوع، لكن لم تنح لثوريبيورن الفرصة لقراءتها، فبدلاً من ذلك بدأ ثوريبيورن يشهق بصوت مسموع وهو يخلع حذاءه وجوربيه، ثم خطا على اللوح المعدني ليدير الذراع المطاطي.

أخذ كرامر يغنى الكلمات التالية: «لقد قاطعت الدرس بسلوكي القذر» لكن شفتا ثوريبيورن كانتا ترتجفان بشدة حتى أنه لم يتمكن من تكرار كلمات المعلم، في حين أخذ يدير ذراع إدارة الجهاز وهو شارد الذهن يتملكه الخوف والذعر.

استطرد كرامر قائلاً: سينتهي بي الحال في مصنع لوجبات العظم إن كان لي نفع لديهم، لكن لا زال ثوريبيورن صامتاً عاجزاً عن أن ينبس ببنت شفة، ثمّة شعور رهيب بدأ يثار ويتصاعد في الفصل شيئاً فشيئاً.

قال أحد الطلبة بينما استمر ثوريبيورن في إدارة الذراع المطاطي: «سيدي، لقد تبول في سرواله».

كان صحيحاً أن بقعة مبتلة كبيرة بدأت تنتشر على مقدمة سروال ثوريبيورن ونزلت إلى فخذه، كما لاحظ جاج إيرز بقعة صغيرة من البول بدأت تتسع شيئاً فشيئاً عند قدم صديقه.

قال نيلار ذوالنمش: عذراً يا سيدي.. لكن..

كما تجرأ أحد الطلبة وقال: سيدي.. هل فكرت في أنه ربما - لكن نائب المدير أخذ يضرب المكتب بمفتاحه بشدة وأمر الطلبة بأن يلتزموا الصمت، ثم مطأ شفتيه ليتفوه بأفطع الكلمات ثم همس: «قَبْل الكرة أيها القرد» توقف ثوريبيورن في النهاية عن إدارة الذراع المطاطي للجهاز وهو يرتعد خوفاً وذعراً



بسرواله المبتل المزري فتنهد بعمق وانحنى.. ثم سكن جسده في الحال.  
مات ما إن لمست شفتاه الجهاز الكهربى هذا ما ذكرته صف بـرجن فى الـيوم  
التالى، وقد أوضحت العـديد من المقابلات مع طلبة آخرين بالفصل أن نائب  
المدير اعتاد على استخدام جهاز الكهرباء كوسيلة للعقاب لعدة أعوام.  
كما صرحت عدة مقالات صحفية رئيسية: دعونا لا نخلط الأمور ببعضها  
ولا نستسلم للجنون، فمعاقبة الطلبة ليست جريمة، واستخدام جهاز كهربى  
بطريقة مبتكرة نوعاً ما ليس جريمة أيضاً.. من يدري؟!، ربما كان الصبى لديه  
قصور فى عضلة القلب إلا أن تركيب لوح معدنى على الأرض ضد القواعد  
والقوانين والتغاضى عن حقيقة أن الطالب كان يقف فى بركة من البول، تلكما  
الأمران يعدان إهمالاً جسيماً وهروباً من المسئولية، لذلك يجب أن ننوه أن  
نائب المدير قد تم فصله فى الحال من وظيفته.  
كما أشارت المقالة عن نظام المدارس ككل فى كلماتها: لم تثبت الأحداث  
المتعاقبة ما ادعته الصحف الصفراء أن نظام المدارس لدينا يتسم بالفوضى  
والعشوائية .. لا بل على العكس من ذلك فهى تثبت أنه لا زال يؤدى مهامه  
التعليمية على أكمل وجه.  
اعتاد أسكيلد أن يقول: يا له من خنزير حقير! أعرف هذا النوع من البشر!  
لأنه اعتاد على خلط الأمور.



## خارج الخزانة

بعد موت ثوريورن، بدأت الحقيقة تدق على الأبواب.. تعكس تدهور الحالة المادية للعائلة، فبدأ الدائنون يطرقون الباب على أسكيلد: جزارون، بقالون والعديد من صبية التوصيل للمنازل الذين يدفعهم فضولهم كي يخطون خطوات طائشة تلقائية إلى الداخل بحيث يتخطون عتبة الباب ويتسللون حول المنزل ويقحمون رؤوسهم من النوافذ تُسمع أصوات تردد مراراً: «يا سيد إريكسون نعلم أنك هنا»

كان أسكيلد يرسم في الساحة حينما عاد جاج إيرز إلى المنزل من المدرسة مبكراً على غير العادة.

سأله أسكيلد وقد لاحظ شحوب وجهه: لما عدت مبكراً من المدرسة

فأجابه جاج إيرز بسؤال: «لما أنت بالمنزل؟»

أجابه والده: لقد أخذت إجازة ثم حدّق في ابنه بعينين جاحظتين وهويجازه سائراً على العشب ببرود أعصاب شارد الذهن.

تمتم أسكيلد وهويقتاد الصبي إلى داخل المنزل: ليس الأمر بهذا السوء كيف يكون ابني حساساً لهذه الدرجة؟

في صباح ذلك اليوم حينما كان ثوريورن لا زال حياً يدير ذراع التدوير للجهاز الكهربائي كالمجنون استدعي أسكيلد إلى مكتب رئيسه في العمل الذي قال له: أعلم أنك شاركت مشاركة عظيمة أثناء الحرب، وأعلم أن لديك أمور عدة تكافح لإنجاحها ومواكبتها.

قاطعه أسكيلد وهولا يفهم ما يعنيه الرئيس: أكافح لإنجاحها! أواكبها...؟! نعم.. تواجه العديد من المشاكل.

قال أسكيلد: مشاكل...! مثل ماذا بحق الجحيم؟

أجابه الرئيس: الزجاجة التي لا تفارق يديك ومعاقرة الخمر

أردف أسكيلد بكلمات لاذعة وهويضرب المكتب بقبضته: الزجاجة! هل أن



تشرب رشفة صغيرة من الخمر مع الغداء يعد مخالفاً للقانون؟  
فكر أسكيلد في طريقه إلى المنزل: يصرفني من الخدمة! تطردني حفنة من  
الفلاحين حقراء تافهون.. خنزير حقير غير متعلم.. اللعنة عليهم جميعاً!  
كان التفسير الوحيد الذي شرحه أسكيلد لبيورك لما حدث له حينما عاد إلى  
المنزل وبالطبع لم يكن كله كذباً؛ حصلت على إجازة وحقيقية كان الأمر ما  
هو إلا إجازة بدون مرتب لفترة غير محدودة، هي إجازة حتى يتخلص جدي  
لأبي من الأفكار والرموز التكعيبية دفعة واحدة ولأبد.

كان ذلك لطفاً من رئيس أسكيلد في العمل حينما أخبره أن تلك الإجازة آخر  
جميل يسديه له رئيسه، وألا يتوقع جدي منه أية وقفة طيبة أو أية مساندة  
له من جانبه بعد الآن.

حينما استعاد جاج إيرز وعيه من إغماءته، هزَّ أسكيلد رأسه في يأس  
واستسلام وكاد أن يقول لابنه: تجاسر يا بني قبل أن تفاجئه بيورك بثرتها  
القلقة الملهوفة: يا إلهي! ماذا حدث؟ ارفع قدميك خذ نفساً عميقاً لم يكن  
من جاج إيرز الذي اعتاد على هياج وثورة بيورك العاطفية المثيرة إلا أن  
نظر إلى والديه نظرة حزينة عابسة وأخبرهما بما حدث لثوريبيرون ذلك اليوم  
بالمدرسة.

أخذت بيورك تن وتعوّل قائلة: «لا.. يا إلهي!» حينما بدأت تتردد أربع  
كلمات في ذهن جدي أسكيلد الذي فكر في نفسه وهويعود إلى رسمه بعد  
وهلة: أعلم ذلك النوع من البشر، ثم أخذ يسب ويلعن حينما بدأ الكحول  
والترنبتين يؤثران على حسه وإدراكه قائلاً: «أعلم ذلك النوع من البشر»  
أخذت تلك الكلمات القليلة يتردد صداها في ذهن أسكيلد حينما اندفع فجأة  
داخل المنزل وأوضح أنه سيذهب لوايت سكول ليتناقش مناقشة حضارية  
مع مدير المدرسة.

لم يكن الأمر يسيراً على جاج إيرز حينما شوهده والده يتناقش مع ناظر  
المدرسة وبناءً على شهود العيان الخرقاء، بدا أسكيلد شخصية كوميدية



للغاية وهو يقف وسط فناء المدرسة في حين كان يُطَر الناظر بأقظع السباب والشتائم وأقظع الألقاب المقصود بها الإساءة غير المباشرة لشخص رئيسه في ساحة السفن، في النهاية شكّل المعلمون والطلبة الذين كانوا يتجولون بلا هدف في المدرسة لساعات منذ موت ثوريورن حلقة حول الرجلين أمسك ماجناس معلم التاريخ أسكيلد برفق من ذراعه محاولاً إخراجهم من ذلك الموقف المحرج، فصاح أسكيلد وهو يدفعه بعيداً عنه: «ابتعد عني» لكن بدلاً من أن يوقع المعلم على الأسفلت، وقع هو على مؤخرته.

صاح أسكيلد: أين عصاي؟ من سرق عصاي؟ في الفترة التالية لم يكن الأمر يسيراً أيضاً على أحد حينما بدا أبلهيد الذي كانت زيارته تجعل أسكيلد بحالة مزاجية جيدة مفتوناً بتوهم جينجر والأطواق المطاطية الرائعة حتى أصبح نادراً ما يزور عائلته في حين كان يتردد عليها شخص آخر ماما راندي ذات المائة كيلوغراما والتي كانت تسير في المنزل ترتسم على وجهها علامات عدم الترحيب والازدراء، وهي تفكر كيف يمكن للعائلة أن تحل مشاكلها المادية، كانت تحب كثيراً أن تقول: «لما لا تجرب العمل في مصنع اللحوم ذات العظم؟ فهم يبحثون عن عاملين هناك. لكن كان الأمر لدى أسكيلد مسألة كرامة، الأمر الذي يدفعه لأن يرفض مجرد أن تطئ قدماه ذلك المصنع فأجاب على ماما راندي وهو يغمز لابنه: «لقد رأيت ما يكفي من جثث».

بعدها أعلنت المحكمة المحلية حكمها فيما يتعلق بنائب المدير.. كرامر، زار جاج إيرز والعديد من الصبية قبر ثوريورن، وقف الجميع في حلقة حول شاهد الضريح حيث وضع كل منهم أكبر سرطان لديه بين الزهور الذابلة، قال جاج إيرز: «تنتشر شائعة أن كرامر سيرحل عن البلدة، ثم عاد الصبي إلى منزله في الجوار المتقدم الراقي حديث البناء منذ أن حصل أسكيلد على إجازة من عمله، تم تكليف جاج إيرز بمهمة-استغلاً للوقت- وهي إعادة والده إلى المنزل من الحانات المختلفة في موعد العشاء.



في كثير من الأحيان اعتقد جاج إيرز: أن الأمور تسوء شيئاً فشيئاً، حينما كان جاب في شوارع بيرجين عائداً إلى منزله مع والده السكير الذي كان يحمل فوق كتفه الببغاء «كاي» وهو يصيح: «اللعنة.. اذهب للجحيم» هذا الببغاء الذي ساعد على التقريب بين الأب وابنه من قبل، ها هو الآن يثير أعصاب جاج إيرز.

كان الجميع يسمع طرقات الباب على مدى ساعات اليوم وصوت أحدهم يقول: نعم لك بالداخل.

فيصبح أسكيلد: «نيلز» -الخطاة المعتادة- افتح الباب، ثم يتسلل جدي على أطراف أصابعه إلى غرفة النوم ويزحف تحت الأغشية الوثيرة، ويرد جاج إيرز على الدائنين: لا إنه غير موجود بالمنزل.. لا، عُد في يومٍ آخر.

تتسلل الرؤوس بارزة عبر النوافذ، وتصل عائلة أسكيلد خطابات مسجلة تطلب مبالغ هائلة يستحيل سدادها.

مع مرور الوقت بدأت تتناثر السرطانات فوق قبر ثوريبيرون في جميع أنحاء المدفن فبدأت تثير الذعر بين الزائرين وهي تتجول هنا وهناك في الطرقات، وبعد مرور أشهر قليلة ترك نائب المدير (كرامر) بيرجين تماماً، كما نسيت الصحف المحلية أمر ذلك الصبي الذي كان يدعي ثوريبيرون ولم تتذكر أن صبيّاً بهذا الاسم كان موجوداً بالفعل من قبل، كما قرر أسكيلد فجأة أنه قد ضاق ذرعاً بالدائنين الذين مثلوا عبئاً ثقيلاً على كاهله.

في صباح أحد الأيام حينما كان جاج إيرز في المدرسة وكانت بيورك خارج المنزل تتسوق بصحبة أطفالها الصغار، دخل أسكيلد غرفة أكبر أبنائه وقد جثا على الأرض بجوار السرير، ثم سحب قدر الذهب-كنز العائلة- الذي كان يقوم جاج إيرز بتلميع عملاته باستمرار والاعتناء به لمدة خمسة أعوام كاملة، ذلك الكنز الذي اكتسبه جاج إيرز في المعارك الدامية على رصيف سفن سكولتيجران، والذي دافع عنه بالهراوات وقطع روث الكلاب على العصي، وزنه وقدره في أليكيجاتن واستثمره في السرطانات التي اصطادها من المحيط



وتنبأ بها ذلك الشبح الذي أخذ يغني في أذن الصبي: ستمطر السماء عليك عملات ذهبية وسيجد الذهب طريقه إليك.

حمل أسكيلد قدر الذهب تحت ذراعه وكأنه صندوق خشبي عادي يحتوي على بعض العملات القديمة غير القيمة ثم خرج إلى البلدة.

بالطبع كان ينتوي أن يذهب إلى إيسن تاجر العملات في أليكيجاتن ويحصل على مبلغ مناسب لهذه المجموعة، لكن كان عليه أن ينعطف قليلاً نحو حانته المعتادة ولكن لسوء الحظ لم يكن لديه ما يكفي من مال لاحتساء الكثير من الخمر، فقد كان معه ما يكفي لدفع ثمن كوب جعة واحد فحسب، ففكر أسكيلد أن يحاول بيع مجموعة العملات هناك بالحانة كيف يمكن لرجل عجوز أحمق من أليكيجاتن أن يعرف قيمة هذه الأشياء في السوق على كل حال...؟! حاول أسكيلد بيع المجموعة لساقي الحانة لكنه لم يكن مهتماً بالعملات عديمة القيمة، ثم حاول إقناع جنديين نظاميين عجوزين بشراء تلك المجموعة لكنهما رمقاه بنظرات شك وريبة حتى شعر أسكيلد بالإهانة، ومع مرور الوقت نجح أسكيلد أخيراً في جذب اهتمام ملاح فنلندي لكنه بخس سعر العملات ووصل معه إلى نصف ثمنها الحقيقي.

قال الملاح ضاحكاً: إنها تساوي الكثير؟ على الأقل ستكون تذكراً جميلاً لابني، حصل أسكيلد على خمسة عشر كرونا، ثم فكر ملياً لماذا لا أبقى هنا بعض الوقت وأحصل على كأس آخر من الجعة أوربما اثنين آخرين؟

بعد مرور ساعتين.. بعدما أنفق كل ماله على الخمر شعر أسكيلد قليلاً بالذنب في حين اختفى الملاح وأدرك أسكيلد أنه قد عقد صفقة خاسرة بعد فترة قصيرة شوهد في الميناء يسأل عن ملاح لا يعرف اسمه خدع السيد إريكسون المسكين نصب عليه واستولى على ما يساوي المال الكثير، لكن الأمر بدا وكأن الأرض قد انشقت وابتلعت ذلك الملاح فلم تهدأ ثورة أسكيلد العارمة بعدما خدعه الملاح ونصب عليه فقرّر أن يذهب إلى ساحة تحميل السفن ويتحدث قليلاً بعقلانية مع رئيسه السابق.



رآه حارس مدخل ساحة السفن وهو يتقدم نحوالساحة مترنحاً.. حاملاً عصاه.. سمعه العمال في غرفة الحوالات وهويسب ويلعن في طريقه نحوالمبنى الإداري، كما سمع الرئيس نفسه صوت سقوط كرسي على الأرض، ثم أحدث الباب ضجة شديدة وهو يُضرب بعنف لِيُفتح عنوة، وقف أسكيلد إريكسون في حالة هياج وغضب عارمين، وينفجر مهدداً ومتوعداً يكيل أفضع السباب والشتائم لرئيسه الذي وقف ساكناً فاغراً فاه عاجزاً عن التصدي لثورته العارمة، فأخذ أسكيلد يؤرجح عصاه مهدداً يصيح بأعلى صوته حتى تردد صدى كلماته في جميع أرجاء الساحة ووصل إلى رذات اللحم، قال أسكيلد أنهم حفنة من الريفين الحمقى من رعا نورلاند وأنهم هواة غير مؤهلين وغير أكفاء، فهم فاقدوا الأهلية وخنازير حقيرة جاهلة...!

صاح أسكيلد بوقاحة وهو يطلب تعويضاً مادياً عن رواتبه المفقودة، كما صرح بصوت عالٍ أن رسومه لم يكن بها خطأ، وأن هؤلاء اللخامين هم الذين لا يفقهون شيئاً عن هذا العمل اللعين.

حاول الجميع بلطف تارة وعنف تارة أخرى منع أسكيلد من التهجم على رئيسهم، فأمسكوا به محاولين منع خطر محقق، لكنه صاح فيهم: ابتعدوا عني.. لا تلمسوني أيها الرجعيون لا تعلمون لماذا يحدث كل هذا...؟! لم يجد العمال بداً من أن يسحبوا جدي بعنف وقسوة خارج مكتب الرئيس بينما كان يصيح: تدين لي براتب ثلاثة أشهر.. أطلب اعتذاراً على الفور.. عليكم اللعنة جميعاً.. في النهاية: نجح العمال بإلقائه خارج المكتب، لكن ما إن سارع الرئيس وأغلق الباب في وجه مثير الشغب والغوغاء حتى حاول أسكيلد جاهداً أن يستجمع قواه ويخلص نفسه من يد أحد زملائه السابقين، فنجح في ذلك قبل أن يندفع نحوباب مكتب رئيسه، ووضع يده على إطاره حينما كان يحاول الرئيس إغلاقه بكل ما أوتي من قوة، وعندها.. سمع الجميع صوتاً غريباً في حين حدّق الرئيس في عقله إصبع على الأرض تبدو في غير مكانها الطبيعي...!



صاح أسكيلد: رأيتم؟ قبل أن تنطلق كلماته في ثورة وغضب شديد: إنه الآن يعجزني!

ساد الصمت المكان لوهلة على أحد جانبي الباب كان زملاء أسكيلد السابقين يحدّقون في إصبعه السبابة الأيمن حيث يتدفق سيل من الدماء كشلال ماء يندفع من مسدس ماء، وعلى الجانب الآخر انحنى الرئيس والتقط عقلة الإصبع التي سقطت على الأرض في حين بدا الرئيس شاحباً للغاية..!، لكن لم يكن ذلك مقارنة بحال أسكيلد الذي وقف أمام باب المكتب يحدّق في إصبعه مصعوقاً حينما كان الرئيس وزملاؤه السابقين يلفون حول إصبعه المكسور ضامدة بديلاً مؤقتاً حتى يذهب إلى المستشفى التي حاول الرئيس جاهداً إقناع أسكيلد بالذهاب إليها لكن الأخير رفض قائلاً: لا.. لن أذهب إلى أية مستشفى لعينة.

قال الرئيس: حسناً.. يمكنك على الأقل الذهاب إلى طبيب ليعالجك أعرف طبيباً ماهراً، ثم اصطحب الرئيس أسكيلد إلى سيارته في ساحة ركن السيارات وفتح له الباب.

لكن أسكيلد رفض مجدداً وقال: لا.. يمكنني الذهاب إلى هناك بنفسني. فترنح أسكيلد في طريقه ممسكاً عصاه حاملاً عقلة إصبعه في حقيبة ورقية حيث أن الرئيس شعر بعدم الارتياح لذهاب أسكيلد بمفرده إلى الطبيب في ذلك الموقف الرهيب، قرر أن يتّبع أسكيلد بسيارته.

كل شيء كان على ما يرام في بادئ الأمر لكن ما إن اقترب أسكيلد من وسط البلدة حتى شعر بالدوار وكان عليه أن يجلس قليلاً على الرصيف بحث الرئيس عن النجدة عمن يمكنه إنقاذ الموقف فوقعت عيناه على صبي بعربة يد.

بعدما دفع الرئيس للصبي المال ليجرّ العربة بأسكيلد المصاب قال لأسكيلد: إصعد على العربة سأصطحبك إلى طبيبي الخاص إنه أفضل طبيب في بيرجين. لكن قبل أن ينطلق الجميع جاء صبي آخر مندفعاً نحو العربة أذناه الكبيرتان



ترتجان من التوتر والعصبية وهو يمسك بإحدى يديه شبكة تتزاحم بها السرطانات.

صاح الصبي في ذعر: بابا..! ماذا حدث؟

كان ذلك الصبي جاج إيرز الذي كان في يوم إجازة من المدرسة فانضم سريعاً إلى الركب بدأ أسكيلد يئن ويتشنج قليلاً بعدما مضى الجميع في الطريق لربع ساعة، أدرك جاج إيرز أنهم في طريقهم إلى عيادة دكتور ثور للاستشارات الطبية، فتملك منه هاجس وحس مسبق بما قد يحدث، لكن أسكيلد طلب من الصبية أن يسرعوا وقد نفذ صبره تماماً ولم يعد قادراً على تحمل الألم بينما كان الرئيس يحاول موازنة الجميع بكلمات رقيقة تبعث الأمل في الشفاء وتخفف عن أسكيلد الشعور بالألم.

قال الرئيس- يبدو عليه عدم الاقتناع بما يقوله-: «ذلك الإصبع سيكون أفضل مما كان».

بعد فترة قصيرة: وصل الجميع إلى عيادة الطبيب، ثم حدّقوا في دھول في اللافة الغربية المعلقة على الباب تقول: «خطر العدوى.. ممنوع الدخول».

تعجب رئيس أسكيلد: «عدوى؟ ما معنى هذا؟»

تمتم جاج إيرز: عدوى..؟! فجأة.. رغب جاج إيرز في تغيير الطبيب الذي سيعالج والده، فبدأت تُسمع أصوات ثورة وهياج مليئة بالذعر على الجانب الآخر من الباب، فقد تم تمييز صوتي أسكيلد وجاج إيرز وبدا صوت مناقشتهم لتغيير الطبيب جلياً، وبدأت أحذية وأربطة أحذية وجوارب تتطاير في الهواء من الحجرة الخاصة الصغيرة المصنوعة من خشب الماهوجني في الركن البعيد من مكتب الطبيب، كان هناك ظل لشخص ما في عجلة من أمره يرتدي ملابسه حينما اندفع رئيس أسكيلد نحو المكتب وفتح الباب واقتاد موظفه السابق إلى الداخل.

قال الرئيس بنبرة مليئة بالثقة والسلطة: دكتور جانارسون.. لدي مريض بحاجة إلى علاج طارئ.



حدّق أسكيلد في دهشة في دكتور ثور نزع ضمادته وأشار للطبيب على إصبعه المقطوع وقد اندفع منه شلال صغير من الدماء التي تناثرت على قميص الطبيب المفتوح لوهلة.. اعتقد الطبيب أن أسكيلد أصيب بطلق ناري أطلقه عليه زوج غيور واندفعت الدماء تلطخ قميصه، لكن لم يكن لذلك أي أساس من الصحة، بينما كان يشعر الطبيب بالاضطراب والتوتر أمام أسكيلد، تذكر حينما بدا أسكيلد كتيباً شاحب الوجه وهو حدّق فيه في ذهول ودهشة في المنزل بسكيفياكن.

تعجب رئيس أسكيلد: افعل شيئاً إذاً يا رجل حينما طرد دكتور ثور تلك الذكريات من مخيلته، وبدأ يزرر قميصه الملطخ بدماء جرح أسكيلد ليباشر عمله ويفحص إصبع المريض، اتكأ جاج إيرز على الحجرة الصغيرة الطويلة المصنوعة من خشب الماهوجني ولم يكن عليه فعل ذلك أبداً، فقد سُمعت طقطقة عالية، ثم انفتح باب الحجرة الصغيرة فجأة دون قصد وخرجت من الظلام الدامس داخلها بيورك وقد سقطت أرضاً مرتدية فردة واحدة من حذاءها على الكعب وزوج من الجوارب تحمل ثوبها في يدها تغطي به وجهها في رعب وفزع، ذلك المشهد الجنوني الرهيب الذي لم يكن له مكان في ذلك المكتب، دفع بالجميع ليقفوا في ذهول فاغرين أفواههم من فرط الدهشة وهول الصدمة، بينما أسقط أسكيلد الحقيبة الورقية التي كان يحملها حيث وضع إصبعه المقطوع، في حين صرخ جاج إيرز صرخة قصيرة مكتومة، وقد بدا رئيس أسكيلد في عمله السابق: أخرقاً.. فاغراً فاه في ذهول ودهشة في حين أحنى الطبيب المخرج رأسه خشيةً أن يلتفت إليه أحد.

لكن بعد وهلة انحسرت الصدمة وتلاشى تأثيرها السلبي على الجميع بدأ أسكيلد يصيح ويرفع صوته عالياً وهو يقول: أنت تقفين على إصبعي! هل جننت؟ تحركي.

إن كان هناك أمل في علاج عقلة إصبع أسكيلد، فقد تبدد حينئذ وذهب في مهب الريح حينما انحنى رئيسه ليلتقط الحقيبة الورقية، سحب من الأرض



عقلة إصبع مسطحة كانت تقف عليها بيورك بكعب حذاءها الذي لم يتعد قطره سنتيمتراً واحداً في محاولة منها أن تستعيد توازنها، ويا له من تعبير مميز ذلك الذي ارتسم على وجه بيورك حينما اكتشفت أنها تقف على إصبع زوجها ، كان ذلك التعبير مماثلاً تماماً للتعبير الذي رأيته يعلو وجهها منذ أعوام مضت في المطبخ في ثانوفي في أودنس.

كانت جدتي بيورك تغسل الأطباق بعد العشاء بعد ذلك حينما فتحت الخزانة أسفل الحوض التي لم تكن تعج بعد بالوحوش الصغيرة، جاءها فأر مرتعداً يقفز بحركة مفاجئة ينطلق كالسهم خارج الخزانة حول قدميها فقفزت في الهواء من الذعر، حينما نزلت على الأرض سمعت صوت سحق كبير غريب فالأر بالتأكيد كان يرقد تحت حذاء جدتي بيورك، الفأر الذي اندفع من الخزانة.. مسحوقاً.. ميتاً.. تمتم أسكيلد وقد بدا صوته منزعجاً: هذا نموذجي للغاية، في حين شعرت بيورك بالارتباك والحيرة فروية فأرमित مسحوق تحت حذاء أحد: كان من الطبيعي أن يثير ضحك جدتي بدلاً من شعوره السابق بالاشمئزاز والانزعاج الذي شعرته من نبرة صوته ومن التعبيرات التي تملكت قسماات وجهه، لنعود إلى ذلك المشهد الرهيب في عيادة دكتور ثورن لم أكن أعلم أبداً بأمر إصبعه أعتقد أن أسكيلد كان يشعر بنوع من المتعة السادية في إرهاب بيورك بفكرة أنه يمكنه أن يكشف سرها وفضيحتها للعائلة كلها وهو ما لم يفعله أبداً إلا بعد مرور عدة أعوام: حينما عاد كنات من جاميكا. لكن لنعود إلى بيرجين فقد تم فحص عقله الإصبع وحاولت بيورك جاهدة ارتداء ثوبها حينما لم يبد أحد أي تعليق حتى أسكيلد الذي تحلى بهدوء ورباطة جأش شديدين لم يتفوه بكلمة حينما كان يحق في الحقيبة الورقية التي تحوي إصبعه المسحوق بداخلها، في حين نهض دكتور ثور وبعد أن أدرك أن الزوج المطعون في شرفة لن يبرحه ضرباً ولن يكيل له اللكمات في وجهه، نظر إلى الرئيس بغضب وقال: لما تسرعت وجئت بهذا الرجل إلى هنا؟ تلك الحالة من اختصاص المستشفى.



لم يتفوه جاج إيرز بكلمة ولم يبدو على ملامحه أي تعبير على الإطلاق، كما رفض حتى أن ينظر إلى أمه، لكنه قام بتصرف يُشهد له فقد ساند أباه ساعده للعودة إلى العربة حاملاً الحقيبة الورقية البالية وبها عقلة إصبعه المسحوقة تماماً حينذاك، كما أخذ مسح لوالده العرق الغزير الذي بدأ يتصبب من جبهته حينما بدأ أسكيلد فجأة في إفراز العرق بغزارة.

لم يفق أسكيلد إلا بعدما وصلوا إلى المستشفى وقد رفض أي نوع من التخدير كما رفض أن يقضي الليلة في المستشفى تحت أي ظرف من الظروف حتى وإن حاولت بيورك إقناعه بغير ذلك.

حينما بدأ الأطباء يفحصون إصبعه قال أسكيلد: «لا.. سنعود الآن جميعاً إلى المنزل».

في طريق عودتهم إلى المنزل لم يتبادل أحد الحديث مع الآخر تمتمت بيورك أنها يجب أن تذهب إلى منزل ماما إيلين لإحضار آن كاترين وكنات الصغير. تعجب أسكيلد: «إذاً، ستحضرين الطفلين من حيث تخلصتي منهما، ثم أثار نقطة أخرى من الأفكار الخفية التي كانت تختمر بعقله طويلاً عن عائلة بيورك: يا لها من حماة تلك التي ابتليت بها...!

لذلك عاد الأب وابنه إلى المنزل وحدهما وحاول جاج إيرز مساندة والده المصاب لكن ظل أسكيلد يؤرجح عصاه في ضيق وانزعاج، وحينما عاد بصحبة جاج إلى المنزل اندفع نحو الهاتف واتصل بحماته ليخبر بيورك ألا تأتي إلى المنزل تلك الليلة، ولم تنجح دموع بيورك في تلطيف وتهذئة الموقف مع أسكيلد حينما أجهشت في البكاء وهي تحدثه على الهاتف بعدما أنهى عبارته مع بيورك، أغلق أسكيلد سماعة الهاتف بعنف ثم ذهب إلى الردهة حيث وقف أمام خزانة الكتب، ثم بدأ يشفى غليله وينفس عن غضبه الكامن وثورته العارمة في الكتب الرومانسية الطبية، فقد انتزعها من الخزانة بعنف الواحد تلو الآخر ومزّقها جميعها إلى نصفين كما مزّق كل الصفحات إلى فتات قبل أن يبعثرها في جميع أرجاء الغرفة، كان يمكن أن يتحمل أسكيلد أن



تكون بيورك مفتونة بتلك القصص عن الأطباء لكن أن تحول حياتها الخاصة إلى رواية رومانسية، ذلك ما لم يتحمله أسكيلد أبداً.

كان لتلك العاصفة العاتية التي اجتاحت المنزل بتمزيق أسكيلد لصفحات الكتب عقاباً لزوجته على خيانتها له ونزواتها المبتذلة التي وضعت زوجها في موضع حرج أمام الجميع وعلى وجه الخصوص أمام نفسه، كما كان لتفكيره فيها كعاهرة وزانية، تأثيراً إيجابياً كبيراً على أسكيلد، فقد كان ذلك التصرف العنيف الذي قام به أسكيلد متنفساً له للتعبير عن غضبه الجامح وثورته العارمة.

بدأ جاج إيرز يطهو الطعام لوالده وينصحه أن يحرص على سلامة إصبغه، يصب له المزيد من شراب الأكوافيت حينما يفرغ كأسه داعماً بذلك دوره ككبير للأسرة.. يجمع شملها إن تفرقت، كما كان لاحقاً يساعد والده في الخلود إلى النوم وتسوية فراشه.

لكن في اليوم التالي لم يتحسن حال جدي أسكيلد وكان يوم السبت في الساعة السابعة صباحاً، حينما اتصلت بيورك لتسأل إن كان يمكنها العودة إلى المنزل لكن أسكيلد رفض ذلك بشدة وصرح لها أنه لا يمكنها المجئ للمنزل، ثم أغلق السماعه في وجهها بعنف في الساعة الثامنة والنصف، كان أول مجموعة من الدائنين يقرعون الباب فتحه أسكيلد بعنف ثم صاح: اغربوا عن وجهي.. دعوني وشأني.. في حين كان ابنه الذي لم يتعد الثالثة عشرة من عمره ينظف الردهة ويجمع كل فتات الروايات الرومانسية الطبية في أكياس كبيرة ثم وضعها في الشرفة وهو يفكر في نفسه ملياً: تسوّ كل الأمور وتنقلب رأساً على عقب حينما يزيئ المرء فهو يصبح كالخنزير.

سمع جاج إيرز والده فيما بعد يتمم بعبارات غير مفهومة بصوت مرتفع في الردهة ففهم أن أسكيلد أراد أن ينفرد بنفسه لذلك عاد جاج إيرز إلى غرفته وأغلق الباب بحرص في حين جثا على ركبتيه تحت السرير ليشغل تفكيره بما لا علاقة له بمشاكله الأسرية فقد كان محقاً: أراد أسكيلد أن ينفرد بنفسه، لذلك



كان يبدو عليه الانزعاج الشديد حينما وقف ابنه الذي يبلغ الثالثة عشر من العمر فجأة، على عتبة باب الغرفة وهمس في نفسه: مجموعة عملاقي.. أين هي مجموعة عملاقي؟

أجابه أسكيلد الذي بدا منشغلاً حينئذٍ بما هو أهم من مجرد مجموعة عملات صغيرة: لقد صُرفت اذهب إلى غرفتك أريد أن أنفرد بنفسي، لكن لم يقتنع جاج إيرز بتلك الإجابة الغامضة. فعاد وسأل والده: أين هي؟ ماذا فعلت بها؟

صاح أسكيلد وهويقذف الطفافية على ابنه: «اصمت.. اخرج من هنا لقد بعتهما دفعت الطفافية التي قُذفت نحوه، بجاج إيرز ليعود إلى غرفته لكنه بعد دقائق معدودة عاد لوالده الثائر.

تذمر قائلاً: «ماذا حصلت في مقابلها؟ فأجابه أسكيلد الذي ضاق ذرعاً بثثرة ابنه الذي يقف على عتبة الباب غاضباً: بعتهما بخمسة عشرة كرونا.. لا يهم.. سأحضر لك غيرها.

صاح جاج إيرز: خمسة عشر كرونا!

فصاح أسكيلد: قلت أنني سأبتاع لك مجموعة أخرى، ثم خرج إلى الشرفة واضطجع على المقعد الطويل.

بالفعل أمطرت السماء عملات ذهبية ووجد الذهب إلى جاج إيرز سبيلاً، لكن حينئذ بدا أن كل شيء قد تبدد لا يوجد دليل على تحقق تلك العبارة بمعنى آخر لم يفلح الشبح في دوره بالتنبؤ بالمستقبل، كما فشل في التنبؤ بالغضب الجامح الذي سيحتاج نفس ذلك الصبي وينفجر بداخله كالقنبلة الموقوتة بعد وهلة، كان جاج إيرز يقف في الرواق حيث كانت أصابع الديناميت المتبقية من أعمال البناء التي قام بها أسكيلد مبعثرة هنا وهناك بين العديد من أدوات الرسم، فقام جاج إيرز بتجميع كل الأصابع عدا أصابع الديناميت بالرددة، كما التقط علبة كبريت أيضاً ثم اتجه نحو مرحاض الجار الذي كان يُزعج أسكيلد بشدة.



اعتاد أسكيلد أن يقول: «أخيراً أصبح لنا مسكن خاص بنا إلا أن الجيران يتبولون بالقرب من نافذتنا».

فكر جاج إيرز في نفسه: سيُكسر المرحاض فوق رأسك، ستتذوق العذاب الذي تذيقه لي نعم ستعاني مثلما جعلتني أعاني، استرسل جاج إيرز في أفكاره أوربما في ترهاته حيث أن الصور الممزقة المبعثرة في رأسه حينئذ، في سن الثالثة عشرة، لا يمكن أن نعتبرها أفكاراً.

لقد سمع جاج إيرز بأذنيه الوعود بجني الذهب، فقد جناه بالفعل ثم فقده في الحال ظهر له بالفعل قدر من الذهب في نهاية قوس قزح، ثم بيع بحانة ما بخمسة عشرة كرونا فحسب.

في مرحاض الجار أسفل الشرفة حيث يجلس أسكيلد على المقعد الطويل محدقاً في السماء سار جاج إيرز ذوالثلاثة عشر عاماً تتحسس يداه علبة الثقباب في حين كانت تتخبط أفكاره المشوشة المبعثرة في عقله، فتح جاج إيرز غطاء المرحاض ألقى بداخله أصابع الديناميت ثم أغلق الغطاء مجدداً. سمع جدي أسكيلد أصوات وقع أقدام متلاحقة، ثم لم يسمع شيئاً لعدة دقائق استغرق منه الأمر وهلة فحسب قبل أن يدرك أنه سمع انفجاراً هائلاً، مثلما سمع جميع ساكني الحي الفقير أيضاً، لكن.. لم يلبث أن تلاشى صوت الانفجار في نفس أسكيلد حينما تفتقت الأوهام بمخيلته فدفعت بأفكار غريبة لتزاود عقله، فقد راودته فكرة أنه قد وقع في حفرة مرحاض معسكر ما خارج ثكنات الجنود العفنة في باتشينوالد معسكر النازيين الألمان حقاً كانت الفضلات تهطل عليه من السماء، تتساقط فتتناثر على جسده فنهض أسكيلد خلال سطح الماء اللزج المنهمر كالشلال الدافق عليه في ليالي الشتاء القارسة البرودة في باتشينوالد.. حينما عاد أسكيلد إلى الواقع الحال، فوجئ بآلاف القصص الورقية تتطاير في السماء تنهمر على رأسه كالسيل ويلمح بعض سطورها: في غرفة انتظار الطبيب كان دكتور أكس صديقاً دائماً للعائلة، العديد والعديد من قصص الروايات الرومانسية الطبية التي ألقى بها



جاج إيرز في الفناء، انهمرت على رأس أسكيلد كالثلج البارد تتضح بعض  
سطورها: كانت نبرة صوته المتسلطة تصيبها بالإغماء في حين أسرت نظرات  
الطبيب الساحرة قلبها: «خنت زوجي لكنه يستحق ذلك.. ذلك الحيوان..».  
بعد عدة دقائق، أدرك أسكيلد أنه لم يتم نقله إلى ألمانيا في شتاء ١٩٤٥ في  
الواقع، كان يقف في شرفة منزله التكعيبي في عام من أعوام الرب ١٩٥٩.  
مغطى تماماً بمخلفات الأسرة بالجوارومحاطاً بقصاصات المائتي رواية، تلك  
الروايات الرومانسية الطبية التي أدمنتها زوجته والتي حاصرت أسكيلد من  
جميع الجهات تتطاير من حوله لتغطي جميع الأرجاء، صاح أسكيلد: عليك  
اللعة! ثم أقدم جدي على الفعلة التي أقسم من قبل ألا يقدم عليها أبداً  
حدق في ابنه جاج إيرز والشرر يتطاير من عينيه بينما كان ابنه يقف في آخر  
الحديقة يحدق فيه هو الآخر والرعبة تملأ قلبه الصغير، وسرعان ما دخل  
أسكيلد المنزل فتح خزانة ملابسه وأخرج أكثر أحزمته سُمكاً، ثم ركض خلف  
ابنه بسرعة رهيبية جهة الحي الفقير حيث هرول جاج إيرز عدة مرات من  
قبل فأصبح لديه خبرة في إيجاد أقصر الطرق الفرعية للاختباء بحيث لا  
يلاحظه أحد في الممرات.

لكن لم يفلح معه الأمر في ذلك الموقف، فقد تعثر في الحصى أمام متجر بقالة  
(إيجارد) حيث أوسع أسكيلد ابنه ضرباً بالحزام أمام خمسة عشرة أو عشرين  
ماراً فاغرين أفواههم من فرط الدهول والدهشة مما يحدث أمام أعينهم،  
ومن بينهم حفنة من صبية الحي الفقير وقد اهتزوا بشدة من ذلك المشهد  
الرهيب، فقد انهال جدي على ابنه ضرباً بالحزام بكل قسوة وعنف حتى  
أصيب جاج إيرز بالإغماء في النهاية بين ذراعي والده المغطين بالمخلفات  
الآدمية، فما إن ارتقى جسد ابنه المضني الضعيف بين ذراعيه حتى تذكر  
أسكيلد عهده القديم ألا يستخدم الحزام في تربية أطفاله، وانطلق صوت  
أنين غير واضح من بين شفتي أسكيلد، ثم حمل ابنه عائداً به إلى المنزل  
واقتراده إلى الأريكة ثم ذهب ليأخذ حماماً.



حينما عادت بيورك إلى المنزل في الساعات الأولى من الليل، محطمة بذلك أمر زوجها بالألا تعود إلى المنزل الآن، كان جاج إيرز جالساً على أرض المطبخ بسن قلم رصاص في يده يرسم أكبر وحش رسمه في حياته لقد بدأ يرسمه داخل خزانة المطبخ لكن الوحش الذي رسمه كعادته دوماً بدا أكبر وأضحى بكثير مما سبق أن رسمه حتى أنه زحف خارج الخزانة إلى أرض المطبخ. قالت بيورك: مرحباً.. يا له من رجل قبيح الوجه لماذا لا ترسم بعض السيارات بدلاً منه؟

لم تبد أن كاترين ولا الأخ الصغير كنات أي اهتمام بالمخلوق الجديد في المطبخ، رفضت أن كاترين دخول المطبخ أساساً بينما سأل كنات والدته إن كان ذلك المخلوق حيّ أم هكذا يبدو فحسب.

أجابته بيورك: بالطبع لا إنه رسم لمخلوق لوجود له في الواقع، حينما حاولت بيورك نزع سن القلم من يد ابنها، صاح فيها جاج إيرز بأعلى صوته حتى أنها أعادته له على الفور.

بدأ الوحش يكبر شيئاً فشيئاً داخل الخزانات وخارجها حتى احتل الوحش المطبخ كله في المساء، فشعرت بيورك أنها تقف وسط خيوط عنكبوت في الردهة، كان أسكيلد منشغلاً أيضاً برسم لوحة أسماها لاحقاً «عودة الجزار» تلك التي حصرها في نطاق الوصف والتطبيق الرديء للون الأحمر، فقد كانت لوحة سيئة للغاية حتى أن بيورك لم تلاحظ البقع الأخرى على قميص زوجها كانت أيضاً رديئة للغاية حتى أنها لم تلاحظ تلك الآثار التي انتشرت على ظهر قميص ابنها اعتقدت أن أسكيلد رش ابنه باللون الأحمر فحسب وهو يرسم، لم تكن الظروف مناسبة لبيورك لكي تطرح العديد من الأسئلة، لذلك تجولت هنا وهناك بين المطبخ والردهة كالضيفة في منزلها، في المطبخ: كان يزداد حجم الوحش شيئاً فشيئاً.. وفي الردهة: تنتشر رائحة الهواء المعهودة المختلطة برائحة الخمر والترايبنتين التي اعتادت بيورك عليها من قبل وسرعان ما تردد اسم دكتور ثور على مسامع وشفاه الجميع.



في حوالي الساعة التاسعة، قامت بيورك بصبّ بعض الحليب في المقلاة ثم أضافت بعض الشوفان لإطعام أطفالها الصغار، ثم قدّمت بعضاً منه لزوجها الثمل الذي بدا في حالة مزاجية سيئة للغاية حتى أنه أسقط الطبق أرضاً ثم صاح في وجهها: طعام رديّ مقدم لحيوان، بعد فترة قصيرة: أدخلت بيورك طفلها الصغيرين في فراشهما استعداداً للنوم.

لا زال كنان يعتقد أن الوحش في المطبخ حقيقياً وحيّاً.. يعيش فساداً في المطبخ.. وبالرغم من محاولات بيورك المضنية لانتزاع سن القلم من جاج إيرز إلا أن جميع محاولاتها باءت بالفشل الذريع، وحينما استغرق جاج إيرز في نوم عميق على أرض المطبخ ممسكاً بالقلم في يده، اكتشفت بيورك خطوط الدماء على ظهر ابنها وحينما أدركت أن تلك الخطوط إثر ضربات عنيفة تلقاها ابنها المسكين على ظهره، سرعان ما أيقنت أن زوجها هو الذي انهال على جاج إيرز ضرباً بهذه القسوة الواضحة من الآثار الشديدة التي تركتها الضربات على ظهر المسكين، انهارت بيورك تماماً واجتاحت جسدها رجفة شديدة لقد ضاقت ذرعاً بما يحدث حولها، فهي لم تعد تحتمل من زوجها أكثر من ذلك، ف اتخذت جدي بيورك أحد القرارات القليلة الهامة في حياتها وهي تجلس على أرض المطبخ بجوار ابنها المعضب الذي انهال عليه أبوه أسكيلد ضرباً بالحزام بلا رحمة دون أن يدري أن الكبت يولد العنف، والانفجار في كثير من الأحيان وهو ما كان تطبيقه واضحاً في سلوكيات جاج إيرز وتصرفات بيورك وقرارها التي أقدمت عليه بعدما لم يبق لها في قوس الصبر منزع.



## في غابة نورلاند المسحورة

قرأ أسكيلد ملحوظة مدونة على ورقة في صباح اليوم التالي، كُتبت فيها تلك السطور: لقد ذهبت إلى نورلاند مع الأطفال.. لا أعرف متى سأعود» كان المنزل خاوياً على عروشه ولا يوجد به أحد.

فقد حُزمت جدتي بيورك أمتعتها مبكراً في هدوء ظلت مع ابنها الأكبر، جاج إيرز في نورلاند لفترة دامت أربعة أشهر وهي أقل مدة يمكن لعائلتي الحديث عنها، لم يهتم أحد بالتوسع في مناقشة حقيقة أن العائلة قد تفرّق شملها إلى حد كبير، كما لم يشأ أحد أن يتذكر أنه بعد فترة قصيرة من وصول أفراد الأسرة إلى نورلاند، اختفى جاج إيرز ولم يعد مجدداً لعدة أسابيع حتى الآن، بعد كل هذه الفترة لا زالت جدتي بيورك تنهرب من الإجابة على أسئلتي ربما لأنها لا تعرف حقاً ما حدث لقد اختفى جاج إيرز صبيّاً ثم عاد شاباً يافعاً هذا ما ذكرته فحسب مراراً وتكراراً.

تحدث أبي مرة فحسب عن تجواله في غابة نورلاند المسحورة، لكنني لا أعلم إن كان تكرارها يجدي نفعاً أم لا، تسلس الشك إلى القلوب، أخشى أن أختي ستينا بدأت تشعر بالملل والضجر مني.

تقول ستينا وهي تلقي نظرة مستسلمة على قماش الرسم الأبيض: إذاً يجب عليك أن تستخلص شيئاً من حديثك هذا فأنت لا يمكنك أن تتوقف عن السرّ عند نقطة فاصلة كهذه في منتصف القصة.

عاش أخو بيورك، إيليف في ضواحي بلدة صغيرة تسمى بوركيرسيوبعد انتهاء الحرب، ووجد وظيفة في مؤسسة لنشر الخشب، وبعد مرور عدة أعوام أصبح مديراً للمؤسسة وقام بتحويل مؤسسة نشر الخشب الراكدة تلك إلى مؤسسة ناجحة نجاحاً ملحوظاً في مجالها، لم تكن الغابة حيث اختفى جاج إيرز مربعة للغاية في البداية، كانت عبارة عن مساحات شاسعة لا تمت للغابات بصلة توحى بأنها منظر ريفي جميل وقد زُرعت في جميع المساحات



الخضراء جذول أشجار متعددة، لكن كانت لقمم الجبال الجرداء التي بدت جلية، تأثير سلبي كبير يدفع الإحباط واليأس ليتملك من الأسرة بصفة عامة، بدت بوركيرسيو.. بشوارعها القليلة مكاناً كئيباً موحشاً ولم يتذكر أي من الأطفال عبارات الوصف الجزلة التي تغنت بها بيورك عن أيام صيف طفولتها التي قضتها في نورلاند، تمت كنات الذي لم يكن متأثراً بمنظر مراكب نقل البضائع ومراكب الرحلات الكبيرة التي كانت تنقل الأشجار المقطوعة وأخشابها عبر النهر: «لا توجد سفن أبداً».

حاول إيليف جاهداً أن يجعل الأطفال يشعرون بالبهجة بعدما لاحظ أن الشعور بالإحباط واليأس قد ملهمهم شر تملك، وقد كان يجدر به أن يقول لهم: «إن ذهبتم إلى حافة الغابة سوف ترون حيوان (الوشق) ، إن لم يحسن ذلك الكلام من حالة الأطفال ويرفع من روحهم المعنوية.

كان ينظر إليهم نظرة متأملة ثم يقول: قريباً سيكون هناك أمل.. غداً سيكون أفضل من اليوم.. ستظهر الأضواء الشمالية يوماً ما.

وفي مساء يوم من الأيام، حينما عجزت الظواهر الطبيعية المعتادة عن الوصول إلى اللحظات الساحرة التي اصطبغت بها أيام صيف طفولة بيورك، وجد إيليف الأمر ضرورياً لسرد القصص المطولة، فقال لهم يوماً ما: يقولون أن تلك الغابات مسكونة، فكثيرون قد رأوا شبحاً يتجول وسط الأشجار ويسكن روح رجل ما فسرعان ما ظهر عجزاً تحوّل شعره إلى اللون الأبيض مع مرور الزمن، يقولون أنه روح الغابة التي أصبحت شديدة لا مأوى لها بعدما قمنا بقطع الكثير من الأشجار.

قال كنات وهويلقي ببيئة خاله من النافذة: مثلنا تماماً

كان ابنا إيليف متلهفين للغاية ليعرضاً على جاج إيرز غموض وسحر نورلاند لذلك اصطحابه إلى الغابة ذات الجذول حيث أفتعاه أن يخلع عنه قميصه ليفحصا الخطوط البيضاء وهي آثار ضرب أبيه له بالحزام علي ظهره، قاما بصحبة جاج إيرز بسباق ليروا من منهم يمكنه الركض أسرع من الآخرين



من جذل إلى آخر دون أن تلمس قدمه الأرض، كما قام ابنا خال جاج إيرز بتعليمه أي نوع من التوت صالح للأكل، وأي نوع من عيش الغراب لذيد الطعم وأي منه يجب أن يتجنب الاقتراب منه فقمضة صغيرة منه يمكن أن تُدخل المرء في حالة من الإغماء لأسابيع.

قال ابن خاله الأصغر يوماً ما: هل تعلم تلك القصة عن روح الغابة؟ أراهن أن ذلك الرجل قد أكل من ذلك النوع السيئ من عيش الغراب فحوّله إلى مخبول.

على الرغم من ذلك، لم ينوبنا خال جاج إيرز اصطحابه إلى حافة الغابة ليرياه حيوان الوشق النادر ولم يذهبا معه بعيداً إلى هذه الدرجة. كانت الغابة بعيدة جداً، وبعدهما تجولوا فيها لساعات طويلة رأوها من بعيد وكأنها حائطاً من الأشجار المصطفة الواحدة قرب الأخرى، صورة مهزوزة في الضباب الكثيف بعدما مكثت أسرة جاج إيرز في نورلاند لأسبوعين، شعر جاج إيرز أن الغابة تبتعد عنه شيئاً فشيئاً وأصبحت صعبة المنال والوصول إليها أمراً مستحيلاً.

كان لابني خاله نفس الشعور فقد انشغلا بأمور أخرى كثيرة، فمثلاً كانا سيرياه كيف يصطاد الفئران بفخ صغير، كما علماه كيف يتسلل ويقفز فوق ظهر طائر الطيهوج أيضاً تعلم جاج إيرز منهما تقليد صوت نداء زوج طائر يعيش في الغابات يسمى «ديك الغابات» وقد كانا منشغلين بلعبة أخرى كانا يحفران حفرة في الأرض ثم يصيح أكبر الأخين قائلاً: الآن فيخلع الأخوان سرواليهما ثم يشدان مؤخريهما بقوة حتى ينبجس من إحديهما قطرة بيضاء اللون في الحفرة.

ذات يوم نجح ابن الخال الأصغر في الإمساك بطائر الطيهوج، ثم صاح: سنريك الآن أرواح الغابة، قام الأخ الأصغر بجمع عيش الغراب الصغير ملء يديه والذي أقحمه وأخوه معه في حلق الطائر الذي أخذ يصرخ بشدة حينما كان الشقيقان يضغطان على حوصلته بقوة، وبعد ذلك: تركاه يمضي



لحال سبيله فركض الطائر بين الجذول في فزع وذهول وبدا جلياً أنه أصبح لا يخشى الإنسان منذ ذلك اليوم! من ناحية أخرى بدا أن أمراً آخر يفزع الطائر شيء في نفسه جعله يصيح بصوت مرتفع مثلما صاح أصغر ابني الخال قائلاً: أرواح الأشجار! كان ابنا الخال يسمعان الطائر يصرخ عصر ذلك اليوم: لا يصدق هذا الهراء سوى الأجيال القديمة! لكن لم يعر ابنا الخال ذلك الطائر المختل المخبول أي اهتمام، بدلاً من ذلك، أخبرا جاج إيرز عن قاطع أشجار الغابة الذي رأى حيوان الوشق ذات يوم فبدا ابن الخال الأصغر شجاعاً.. لم يتملكه الخوف حتى ارتعد قاطع الغابة فزعاً.. لكن أخاه أوضح للرجل أن الصغار هم من يعترهم الخوف من أي شيء.

قال ابن الخال الأكبر لأخيه الأصغر وهو ينخسه: الأفضل لك أن تعود إلى المنزل.

حينما عاد ابنا الخال إلى المنزل، قالوا لوالدهما: لم نجد حيوان وشق اليوم اعتذر إيليف لجاج إيرز مؤكداً له أنه سيصطحبه يوماً ما بإحدى سيارات المؤسسة إلى حافة الغابة.. ثم استطرد قائلاً: لكن الليلة حتماً سيكون هناك ما هو مثير في البلدة.. حتماً ستظهر الأضواء الشمالية.. لا تفقد الأمل في غد أفضل.

حينئذ علم جاج إيرز أن حديث خاله الماكر عن الأضواء الشمالية.. عن الأمل في يوم أفضل في نورلاند.. ما هو إلا هراء.. كأنه يقول: معذرة، ليست نورلاند مثيرة مثلما أخبرتك أمك.. لهذا السبب، اندهش جاج إيرز في ليلة ما حينما أيقظه ابنا خاله.. ثم قال الصبي الأكبر بصوت منخفض: ظهرت الأضواء الشمالية.

كان محقاً.. لمح جاج إيرز من النافذة، وميضاً بنفسجي اللون.. تموج وترقرق في السماء بطريقة مثيرة للغاية.. أخذ الشقيقان يداعبان جاج إيرز في الردهة.. حيث توسلا إلى أبيهما للذهاب إلى الغابة ذات الجذول ليشاهدا وجاج إيرز الأضواء الشمالية عن قرب.



قال إيليف وهو يتفرس ابن أخته: حسناً، لكن احذروا أرواح الأشجار!

أردف ابنا الخال معاً: لن ندع أرواح الأشجار تتملكنا، كانت تلك العبارة تتردد كثيراً في العائلة.. حينما جلست بيورك في ردهة منزل أخيها أول أمسية لها، انضمت إليهم وشاركهم الحديث عن الأرواح.

قال إيليف: لا تدعوا أرواح الأشجار تتملككم، وقد عني بذلك لا تستسلموا للإحباط واليأس والاكتئاب.. أن تدع أرواح الأشجار تتملكك يعني ألا تستسلم للظلمة التي تُخفي جانباً إيجابياً من شخصيتك.

بدت الأضواء الشمالية أقوى بالخارج من ذي قبل.. إن لم تكن قوية للدرجة التي تضيئ أرض الغابة كلها.. أخذ ابنا الخال يقفزان من جذل شجرة إلى آخر.. خدعة يقومان بها حتى في الظلام.. بينما أخذ جاج إيرز يركض خلفهما.. في كثير من الأحيان، كان جاج إيرز يتعثّر على الجذال.. أحياناً أخرى، تصاب ذقنه عليها.. يسب ويلعن.. كان يخاف أن يتركه ابنا خاله وحده في الغابة.

صاح الأخوان مازحين: أرواح الغابة.. أنت يا كل مخلوقات الغابة! نتحداك أن تظهرى لنا!

حينما أخذ جاج إيرز يركض تحت السماء قرمزية اللون.. يجابه العقبات.. يواجه الصعاب أثناء هرولته في الغابة متعقباً ابني خاله المخبولين على بعد خمسين متراً منهما، لم يعد يشعر بطول المسافة.. فجأة، اختفى ابنا خاله من أمام عينيه.. لم يراهما بل كان يسمع صوتيهما فحسب.. ذلك الأمر الذي جعله يتحلى بالصبر ورباطة الجأش.. لساعات كثيرة، تجوّل جاج إيرز في الغابة المسحورة حتى عثر على ابني خاله مختبئين خلف تل صغير.

صاح الصبي الأكبر سناً: إن تعرضت للأضواء الشمالية، ستكبر مؤخرتك عدة سنتيمترات وسيكون سائلك المنوي مضيئاً! لكن إن سارعت وكنت الأول في القيام بذلك! قبل أن يدرك جاج إيرز معنى كلامهما، كان ابنا خاله قد خلعا سرواليهما حتى ركبتيهما.. ركضا عاريي المؤخرة.. كأنهما يستحمان في حرارة ووهج الأضواء الشمالية بنفسجية اللون.. يحاول كل منهما الوصول إلى أقرب



جذل شجرة.

قبل أن تختفي الخطوط بنفسجية اللون من السماء التي شهدت تحولاً ملحوظاً.. تترقق فيها كل ألوان الطيف الجميلة حتى اندمجت جميعها في وهج فيروزي اللون الذي أضاء أرض الغابة بأسرها، قال لهما جاج إيرز: أنتما مخبولان، لهث جاج إيرز راكضاً خلف ابني خاله.. قبل أن يتوقف متعجباً من ذلك المشهد الغريب حينما كان ابنا خاله يصيحان مبتهجين.. كان ذلك المشهد مختلفاً تماماً عما رآه حينما التفت خلفه.. بدت الغابة جلية خلفه على بعد مئة متر على الأكثر كحائط ضخم.. وسط ذهوله ودهشته من جمال منظر الغابة عن بعد، لم يستطع جاج إيرز التوقف عن التفكير في أن الغابة تبدو مثيرة.. وقد اعترتها الدهشة من اقتحامنا المسيئ لها ليلاً ولم يكن لديها الوقت للإنسحاب.

صاح ابن خاله الأكبر: ها هو ذا! فكر جاج إيرز أن ابن خاله يتحدث عن الغابة.. لكن لم يكن منظر الغابة المظلمة يؤسر الشقيقان مثلما أسر جاج إيرز.. فقد كانا منشغلين بأمر مختلف تماماً.. في نهاية الغابة، على بعد عشرين متراً منهم على الأكثر، رقد حيوان الوشق بأذنيه الطويلتين اللتين تبدوان كالفرشاة.. يحدّق بكسل واضح، في الشقيقين وجاج إيرز الذي انضم إليهما بعد فترة من الركض المضني خلفهما في الغابة.. ما إن رأى جاج إيرز ذلك الحيوان حتى اقشعر بدنه من الخوف والذعر في حين ارتدى ابنا خاله سرواليهما في الحال.

همس ابن خاله الأكبر ناظراً إلى أخيه في تحدي: من يجرؤ على مطاردته في الغابة؟

أجاب شقيقه الأصغر وهو يتراجع بعصبية: هيا نعود إلى المنزل فحسب.

زمجر أخوه قائلاً: هل تخاف من قطه غبية؟

حينما ساد الصمت المكان، سمع الجميع صوت صراخ هائل من بعيد، قبل أن يتقدم جاج إيرز ويقول: سأقوم بذلك!



قال الأخ الأصغر: لا، لا تفعل ذلك.

أردف أخوه: يخاف حيوان الوشق من الناس.. إن تعقبته، سيركض في الغابة فحسب.. إنه طقس قديم وقول معروف منذ زمن، أن الفتى يتتبع حيوان الوشق في الغابة، يعود رجلاً يافعاً.

قال الأخ الأصغر: لا، غير صحيح.

بينما كان الشقيقان يتناقشان في هذا الأمر، سار جاج إيرز نحوحيوان الوشق.. ما إن تقدم منه حتى اهتزت أذناه في عصبية.. نهض.. تلفت حول نفسه عدة مرات.. ثم هرول مسرعاً داخل الغابة.

قال الأخ الأكبر برفق: تذكر أن تباعد عنه بما يكفي.. لا تقترب منه كثيراً. وأما جاج إيرز موافقاً على كلامه.

صاح الأخ الأصغر: يجب أن تمضي في طريقك في الغابة وإلا لن يفلح الأمر. بعد لحظة، اختفى حيوان الوشق في الغابة.. لمح جاج إيرز جسمه وسط ظلال الأشجار المظلمة.. كانت آخر عبارة سمعها قبل أن يتوغل في الغابة، لا تجعل أرواح الأشجار تتملكك! ثم أغلقت الغابة أبوابها خلفه.. كانت الأضواء الشمالية تتيح له الفرصة ليتحلى بالشجاعة ورباطة الجأش.. لكن بعدما خطا خطوات قليلة في الغابة، حدث أمر غريب حقاً.. خفت الأضواء كأنفجار صاروخ ما في الفضاء.. في السماء المظلمة مما أتاح له الفرصة ليلمح جسم حيوان الوشق المضيئ لآخر مرة.. ثم عمّ الظلام المكان.. ولم يعد قادراً على رؤية أو سماع أي شيء.. لم يعد يسمع صيحات ابني خاله.. لم يسمع سوى أصوات حفيف ضعيفة في أشجار البيسية كسقوط إبر من الأشجار الإبرية فيسقط معها كل ما يمكن أن تأخذه معها أرضاً.. تلفت جاج إيرز حوله.. ثم بدأ يعود أدراجه خارج الغابة.. لكن بعد سيره نحوأول جذعي شجر، شعر أنه ضل طريقه وبدأ يتجول ويتنقل بين الأشجار في خوف وتوتر شديد.

صاح جاج إيرز وهويسب ويلعن: اللعنة! كيف وصلت إلى هنا؟

في حين وقف ابنا خال جاج إيرز خارج الغابة في الظلام يصيحان: هيا، اخرج



لنا يا نيلز.. لم يعد الأمر مضحكاً الآن! بعد مرور ساعة، جلس الشقيقان على جذلين من جذال الأشجار.. أمسك الأخ الأصغر بيد أخيه ثم اتفقا الاثنان على أن ينتظرا حتى الفجر قبل أن يدخل الغابة للبحث عن ابن عمتهما.

حينما استيقظ جاج إيرز من نومه في صباح اليوم التالي، كان يسند رأسه على وسادة من الطحالب.. يحرق في رؤوس الأشجار الضخمة.. شعر بالجوع الشديد فبدأ يبحث عن التوت أو أي نباتات أخرى قابلة للأكل مثلما علمه ابنا خاله.. في البداية، وجد جاج إيرز بعض التوت في أجمة ما بالقرب من أكمة أشجار القضا.. فيما بعد، وجد بعض التوت الأزرق.. كان طعمه لاذعاً للغاية حتى أن جاج إيرز امتعض ومطّ شفتيه في مرارة.. وجد بعد ذلك فطرين من فطر عيش الغراب.. يمكنه سماع صوت محركات بدا جلياً من بعيد.. فاتجه جاج إيرز نحو مصدر الصوت معتقداً.. أو بمعنى أصح، قانعاً نفسه أن هذا الصوت لقاطعي أشجار الغابة الذين بدأوا العمل تلك الساعة في ذلك اليوم.. حينما مضى في طريقه نحو مصدر الصوت، رأى جاج إيرز أن الأشجار تزداد كثافة.. أن الصخور على أرض الغابة، تكبر لتصل إلى حجم الجبال الصغيرة التي يمكن تسلقها.. أصبحت الوسادات الطحلبية ناعمة للغاية حتى أنه غرق فيها إلى ركبتيه.. حيث أنه يتضور جوعاً، بدأ جاج إيرز يلتقط فطر عيش الغراب الموسمي، ذلك النوع الذي أخبره عنه ابنا خاله أنه -قابل للأكل- لكن يبدو أن جاج إيرز أخطأ وتناول النوع الخطأ.. ربما كانت تلك الثمار من عيش الغراب الذي قام ابنا خاله بإطعام طائر الطيهوج بها في اليوم السابق.. فقد حدث أنه بعد مرور عدة ساعات، حينما وصل جاج إيرز أخيراً إلى مصدر الضجة، رأى هيئة حذاء الظهر تقف بالقرب من شجرة ضخمة.. تتحسس طريقها صوبه بآلة كهربية تغطي بالطحالب.

صاح ذلك الشكل قائلاً: عُد إلى مصنع اللحوم ذات العظم!  
حرق جاج إيرز في ذعر ورهبة في صاحب الصوت الذي يقف أمامه ويخاطبه.. لم يكن سوى معلمه السابق.. كرامر.. ثم ركض مسرعاً نحو منطقة



آمنة في الغابة.. حينما كان جاج إيرز يهرول في طريقه محاولاً الخروج من الغابة، لاحظ آلاف من السرطانات تعدو مندفعة على أرض الغابة.. كما سمع مجدداً صوت صياح طائر الطيهوج من بعيد.. ثم شعر بالغابة تطوقه.. كأنها تمسكه بإحكام.

هكذا انتهى بجاج إيرز الأمر مستسلماً للغابة المسحورة.. بعد ذلك، تملكك الدهشة من قاطع أشجار الغابة حينما وجد ذلك الفتى المفقود الذي ضل طريقه في الغابة ينسحب مهرولاً في خوف وذعر.. لكن أحداً لم ير جاج إيرز مجدداً فيما بعد حتى ظهر في بوركيرسيو بعد عدة أسابيع.. منذ ذلك الحين، بدا جاج إيرز هائماً.. تائهاً في غابته بمخيلته وقد أصبح يعيش على وجبات خفيفة من التوت.. جذور بعض النباتات.. والكثير من فطريات عيش الغراب.. التي تحتوي على كمية كبيرة من فطريات عيش الغراب التي تحتوي على مواد كيميائية عضوية ضارة.. وقد اعتقد أنها صالحة للأكل.. خلال أول يومين، تخيل جاج إيرز نفسه، يطوف ويجول كالأمير حاملاً معه قدرًا واسعاً من الذهب في نهاية قوس قزح.. يسمع في مخيلته خلفية موسيقية تنطلق من كلمات أغنية أمه عن المستقبل المشرق لكن سرعان ما تتشقق في الجو، رائحة ننتة مثيرة للإشمزاز.. بدأت تزعجه وتشوش على خياله.. ثمّة كلاب صيد كانت تنبح من بعيد، حينما لمعت الأضواء الشمالية فرأى جاج إيرز رجلاً هزيبلاً يحذق في وجهه في خوف ورعب.. ينحنى نحوه ويتهمه أنه ابن رجل قاتل.

ما كان يزعج جاج إيرز ويؤرقه حقاً أكثر من ذلك الرجل الهزيل، كانت الروح.. روح أكبر أجداد جاج إيرز الساكنة في نفسه.. تتملك عقله وتسيطر على قلبه.. تتحكم في جميع تصرفاته.. تنتهز أية فرصة لغرس آخر تعاليم أكبر الأجداد عن فلسفته الكريهة في نفس أصغر أحفاده.

صاح جاج إيرز وهو يقذف بقوة الفروع والحجارة على الشبح الذي أصبح يزدريه بشدة: أخرج مني.. أخرج من ذهني! لا أريد أن أراك مجدداً!



بدأ الشبح يتحدث إليه معذراً عن فقدان جاج إيرز لقدر الذهب مؤكداً له أن السماء ستعود وتمطر عليه مجدداً عملات ذهبية وأن الذهب سيجد طريقه إليه مجدداً شيئاً فشيئاً.. ثم أردف.. وهو يعد جاج إيرز بالثراء المرتقب.. قائلاً: اعتقدت أن كل شيء يأتي بسهولة.. أليس كذلك؟ لكن لم يكن جاج إيرز ليعطي صديقه القديم فرصة أخرى.

صرخ فيه جاج إيرز: ابتعد عني! حينما كان جاج إيرز يصيح في الشبح، لاحظ أنه بدأ يتجسد في صورة مرئية.. فاقشعر بدن جاج إيرز.. ارتعد خوفاً.. شعر بآلام مبرحة في عضلاته وجسمه كله من الرعب في حين أخذت عظامه تن وتصدر صريراً هائلاً من الفزع.

تمتم الشبح المنبوذ وهو يختفي بين الأشجار: هيا.. در دفعة حياتك أيها الأبله! بعد ذلك لم ير جاج إيرز أكبر أجداده.. لم يسمع منه أي كلام مجدداً حتى ظهر الشبح بعد مرور عدة أعوام على القمم الباردة لجبال مت بلاخسا.. لكن قبل أن يختفي تماماً في وهج الأضواء الشمالية، تلفت الشبح حوله ثم قال: هيا، اعترف أيها الأحمق: لقد أمضينا وقتاً طيباً معاً، أليس كذلك؟ صاح جاج إيرز: ابتعد عني! ما إن هممت الروح لتختفي حتى رأى جاج إيرز فتاتين ساحرتين ترقصان.. تتقدمان نحوه.. إحداهما كانت فائقة الجمال.. شقراء الشعر.. بيضاء البشرة، بياض شجرة القضبان.. أما الأخرى، كانت سمراء.. كستنائية الشعر، مصففة خصلاته بطريقة غريبة.

همست الشقراء لجاج إيرز: ألسنت على ما يرام، أليس كذلك؟ قل وداعاً لأكبر أجدادك بشكل لائق.. لن تراه مجدداً.

ما إن أتمت الشقراء عبارتها حتى اختفت الفتاتان أيضاً كالشبح، وهما يقهقهان بصوت عال.. لكن لم تختفيا إلى الأبد مثلما فعل الشبح، بل ظلا يراودا جاج إيرز في أحلامه وفي يقظته أيضاً.. كانا يداعبان راحتي قدميه بريشة حينما كان الفتى مستغرقاً في النوم.. يطران ويقطران رذاذاً من أوراق مسحوقة في عينيه.. يقدمان له بعض فطر عيش الغراب الملون.. حلو الطعم



كالمانجو.. الذي يحتوي على مواد كيميائية عضوية.. سرعان ما اكتشف جاج إيرز أن الفتاة الشقراء هي التي تبدأ في المزاح والدعابة.. كانت بلا شك محيرة أكثر من الروح الأخرى.. أو الفتاة السمراء الأخرى-كما كانت تلك الشقراء مغرية ومزعجة للغاية في آن واحد- تختفي كل مرة يحاول فيها جاج إيرز أن يلمسها.. أما السمراء، على العكس تماماً، كانت تضم جاج إيرز إليها.. إلى حضنها الدافئ بين ذراعيها.. تجعله يستغرق في النوم ورأسه على حجرها .. في النهاية، كان ينشب نزاع وشجار بين الفتاتين.. كلما يضع جاج إيرز رأسه على حجر الفتاة السمراء، تظهر الشقراء خلف الأشجار.. تناديه بصوتها العذب المغري الجميل.. فتستشيط السمراء غضباً حتى أنها تقذف الشقراء بالحجارة.. تناديهما بأسماء مختلفة.. ثم تجذب شعرها بشدة في إحباط شديد.

إن لم تكن السمراء تحوم حول جاج إيرز، تميل الشقراء على أذنه هامسة: هيا نهرب معاً!

يومئ جاج إيرز بشغف ولهفة مردداً: هيا نهرب معاً، ما إن يردد جاج إيرز تلك العبارة حتى تختفي الشقراء في الحال.. يسمع ضحكاتهما الرهيبة الشبيهة.. تتردد بين الأشجار.. أحياناً يتبعها صوت عراك بين الفتاتين يثير أعصابه.. فقد جادلتهما كثيراً لعقد صلح بينهما لكنه في ذات الوقت، كان يشعر بالإطراء والتملق لأنهما يتنازعا ويتشاجران من أجله ليجذبا انتباهه.. وحينما يضيق بهما ذرعاً، يأمرهما بالذهاب إلى أي مكان آخر حيث يتشاجران بعيداً عنه في حين كان يستمتع برؤيتهما يتدحرجان على أرض الغابة.. تجذب كلا منهما الأخرى من شعرها.. يقرعان.. يبصقان على بعضهما البعض.. لكن في النهاية، شعر جاج إيرز أن الحال في الغابة المسحورة يزداد توتراً شيئاً فشيئاً حتى بدأ يحلم بالعودة إلى منزله في بيرجين في أسرع وقت.. كان يرتعد حينما يرى فتاتي أحلامه الشرستين اللتين يتوق إليهما وقد انتزعت خصلات شعرهما وتطايرت حول أذنيه.. في ليلة ما، حينما أيقظته السمراء وأمرته



بالذهاب في اتجاه قوس قزح مندفعاً تحت القبة السماوية الزرقاء، أطاعها جاج إيرز دون تردد ودون أن يلتفت خلفه.

همست السمراء في أذنيه قائلة: لا تجعل أرواح الأشجار تلبسك وتملكك، وقبل أن يختفي بين الأشجار، أضافت: أوحى تلك الفتاة الأخرى! اتبع جاج إيرز قوس القزح.. وحينما بدأت الأرض تتغير ووجد نفسه يسير عبر عالم الغابة ذات الجذال.. ذلك العالم الغريب مجدداً.. شعر بنفسه كأمر يحمل قدراً من الذهب في نهاية قوس قزح .. استطاع أن يلمح مدينة لامعة.. تضيء من بعيد.. خرج من الغابة ذات الجذال، إلى شوارع البلدة.. حيث كان المواطنون مستغرقين في النوم خلف الألواح الزجاجية للنوافذ داكنة اللون.. لكن حينما توقف أمام إحدى النوافذ حيث انتهى قوس قزح فيما بعد، اكتشف وقد تملكه الإحباط وخيبة الأمل، أنه لا وجود للذهب على الإطلاق. تميم جاج إيرز قائلاً: اللعنة! ثم فتح النافذة.. دخل من خلالها ثم رقد في فراشه قبل أن يتمكن ابنا خاله اللذان كانا يرقدان معه في نفس الغرفة، من إيقاف بقية أفراد المنزل.

مثلما كان الحال في بقية الأمور، حاولت بيورك أن تبقي اختفاء أبنائها سرّاً عن زوجها.. فتمنت عودة جاج إيرز بفارغ الصبر دون أن تخبر زوجها باختفائه.. لذلك فقد مضى أكثر من أسبوع قبل أن تُرسل بيورك تلغرافاً لزوجها تخبره فيه بالموقف.. في اليوم التالي، رأى العامة رجلاً كئيباً يحمل ببغاءاً على كتفه وقد وصل إلى محطة الحافلات العامة.. لم يتحدث إلى أحد.. لم ينظر لأحد قط.. بل سأل عن الاتجاهات مرة فحسب قبل أن يلتقط حقيبته وينطلق قاصداً منزل صاحب مؤسسة نشر الخشب.. ثم قال حينما فُتح له الباب: اللعنة! لم يهرب إلى البحر.. أليس كذلك؟

بكت بيورك قائلة: بالطبع لا، فهولا زال طفلاً على أي حال! جلس أسكيلد في غرفة الضيوف يصطنع اللطف والأدب في حديثه إلى كل فرد من أفراد العائلة.. كما صمم أن يتولى حملات البحث التي قام بها عمال



المؤسسة.. قاطعوا أخشاب الأشجار الذين كانوا يذهبون إلى الغابة كل يوم للبحث عن ابن أخت رئيسهم المفقود.. كان أسكيلد يدفع الجميع للجنون بطريقته المتعالية في التعامل.. كما اختبر مدى قدرة العمال على التحلي بالصبر حينما وضع خطط محكمة للبحث في الغابة.. فسرعان ما بدا أقل منطقية مما كان يعتقد في نفسه.. كما كان واضحاً جلياً أنه لم يأت إلى نورلاند من قبل.

مرت الأسابيع بطيئة، في حين تزايد شعور أسكيلد بالأعلوية والتفوق.. كان يجلس في كثير من الأحيان، لساعات طويلة على مقدمة السيارة.. يحدّق في السماء.. حتى بدا وجهه شاحباً وازداد شحوبه شيئاً فشيئاً حتى أيقظه في صباح يوم ما، ابنا أخته اللذان اندفعا إلى غرفة الضيوف بمنامتيهما وهما يصيحان: إنه يرقد في فراشه!

اندفع أسكيلد في غرفة ابني أخته حيث وجد بيورك التي لم تر زوجها يبكي منذ عصر ذلك اليوم في ١٩٤٠ حينما كانت ماما راندي تغني له أغاني النوم التي تغنيها الأمهات ليساعدن أطفالهن على النوم، في الردهة في سكانسن، واقفة كحجر صلد على مدخل الباب.. في البداية، شعرت بيورك بالخوف حينما رأت زوجها يقترب منها، لكنها حينذاك، شعرت أيضاً بتأنيب الضمير ولوم نفسها عما حدث لابنها المستغرق في النوم.. الذي كان في حالة يرثى لها.. بعدما تأكدت أن الصبي يخلو من الإصابات أو الجروح البالغة المميتة، بدأت تشعر بالذهول والدهشة حينما ألقت نظرة على ملابسه.. لم تكن ملابسه ممزقة وقذرة فحسب بل أيضاً صغيرة جداً عليه.. في حين كان من الصعب محو آثار مداعبة الروح له والتي بدت جلية تزين شفته العليا.

استغرق جاج إيرز في النوم لثلاثة أيام، يهذي منفعلاً.. يحتاج حينما تجول بخاطره، الظلال الأخيرة لأرواح الأشجار.. حينما استيقظ أخيراً، نظر إليه ابن خاله الكبير ثم قال: ألم نحذرك من أن تقترب من تلك الفطريات؟ في ذات الليلة، انفرد أسكيلد بزوجته في غرفة الضيوف.. يتفاوضان..



يتناقشان.. يعقدان اتفاقاً سرياً فيما بينهما وقد احتسبا فنجانيين من القهوة  
ليساعداهما على التفكير بعمق في مستقبلهما معاً.. بعد مرور ساعة ونصف،  
أسفرت مناقشاتهما عن مطلبين من أسكيلد ومطلب واحد من بيورك.. فقد  
طلب أسكيلد منها الآتي: لن تري دكتور ثور مجدداً وستنتقلين معي أينما  
ذهبت وأينما كان عملي القادم، في حين طلبت منه بيورك ما يلي: لن تُبرح  
الأطفال ضرباً مجدداً، في اليوم التالي، وُجد الرجل الكئيب مجدداً على محطة  
الحافلة حاملاً ببغاه على كتفه.. تلك المرة، بدا وقد نفذ صبره تماماً، فقد كان  
يفكر في العديد من الأمور التي ينبغي عليه الاهتمام بها: المفاوضات حول  
المرتب.. تذاكر المعديّة.. مقابلات مع شركة النقل.. زيارة ماما راندي الباكية..  
اتفاقات عائلية مع أبلهيد الذي كان متلهفاً لتولي أمر المنزل المصمم بطريقة  
هندسية تكعيبية.. حينما استقرت كل الأمور مع أسكيلد، كتب خطاباً قصيراً  
لبيورك حيث أوضح خطته المستقبلية.. كان الخطاب أمراً واقعاً.. يوحى  
بأن ما به من خطط سيتم تحقيقها بالفعل.. لكن حينما أوشك أسكيلد على  
إرساله، لم يتمكن من أن يمنع يده من كتابة السطر التالي: ابتهجي، سنعيش  
كالنبلاء والبارونات في الدهمارك.



## قيادة الدراجة معصوب العينين

تقول أختي ستينا بنظرة تملؤها الدهشة: أشباح! غابات مسحورة! ماذا ستجني من كل ذلك؟

بالرغم من أن ستينا يرسخ في ذهنها اعتقاد أن طفولة كل منا لا تخلومن عالم سحري.. إلا أن الحديث عن الأزمة الخطيرة المتمثلة في رحلة فطر عيش الغراب والجد الأكبر رامساس كشبح يثرثر ويهذي، يبدو أنه تخطى مدى الإدراك بمراحل.. كما أضافت ستينا: بالإضافة إلى ذلك، لم تهتم أبداً بكل تلك القصص من قبل.. والآن فجأة، أراك لا يمكنك التحدث إلا عنها!

كنت مدركاً تماماً كل ذلك.. أخلط الألوان.. أشد قماش الرسم الزيتي في غرفة الضيوف استعداداً لرسم الصورة التالية.. يبدو أن القصص بدأت تتملكني.. تسيطر على ذهني وتصرفاتي في آن واحد.. تقودني للرجوع إلى الماضي.. أتذكر نشأتي ودوافعي التي لا أعتقد أنني على استعداد لمواجهتها.. أضيف الكثير من الألوان إلى اللوحة.. تبدو غرفة الضيوف في فوضى عارمة.. بعد دقائق، يأتي طفلاً ستينا ركضاً ليريا أحدث اللوحات.

سأل الصبي الأكبر مشيراً إلى اللوحة التي كنت أعلقها على الحائط: هل هذه رأس كلب؟ يضع الصبي أنف مستعار وسط جبهته.. مثبتة برباط بلاستيكي.. يحمل الصبي في يد، سيفاً يحركه يمناً ويساراً بعصبية.

أجبت: لا، لم أرسم ذلك حتى الآن.

أردف الصبي الكبير وهو ينظر إلى اللوحة بإحباط: أريد أن أرى رأس كلب! لا أعلم لما يهتم طفلاً ستينا برؤوس الكلاب.. تلك الكلمة.. «رؤوس الكلاب»، حينما تذكرها ستينا، تشير إليها دوماً بتردد شديد.. يبدو أنها أخبرت طفليها قصصاً عن خالهما الذي كان يخاف، وهو صبي، من رؤوس الكلاب أسفل الدرج.. الذي كان يمتلكه الذعر أيضاً من الظلام والكثير من الأمور الأخرى.. ربما لم يكن اهتمامها برؤوس الكلاب مختلفاً عن اهتمامي الشخصي بجمايكا



التي عاد منها كنات لزيارتنا.. على أي حال، يستمر ابن أختي في الإلحاح في طلبه.. أن أرسم له رأس كلب بينما يداعبه أخوه الأصغر.. يرش عليه الماء في عينيه من مسدس الماء بيده.. صاح الأخ الأصغر: هذه أنفي المستعار! بعد ذلك بلحظة، يتعاركان.. يتدحرجان على الأرض بين أدوات توسيع قماشات الرسم وأنابيب الألوان.

صاحت ستينا: هذا يكفي أيها الأطفال المجانين! حان وقت النوم، اقتادتهما ستينا إلى خارج غرفة الضيوف.. بعد وهلة، سمعتها تغني لهما أغاني النوم في الطابق الثاني.. بعد ساعة، بعدما عادت ومعها زجاجة من الخمر، بدا عليها الارتياح أكثر من ذي قبل.

تقول ستينا وهي تعطيني كأساً: يبدو ذلك جيداً، ارتسمت ابتسامة خبيثة على شفتيها قبل أن تدخل في صلب الموضوع قائلة: لما لا تأخذ قسطاً من الراحة؟ لما لا تتنزه قليلاً بالخارج وتستمتع بوقت طيب في أي مكان بالخارج؟ كان يمكنها أن تقول لي: لما لا تبحث لنفسك عن رقيقة؟ في بعض المراحل الحياتية التي مررت بها مسبقاً، خاصة في مرحلة البلوغ، كنت سأتعامل مع هذا السؤال المحرج بطريقة مختلفة.. بالطبع كانت هناك فتيات كثيرات في حياتي.. بالتأكيد لست بكرة الآن.. حتى وإن استغرق مني ذلك الأمر بعض الوقت.. لم أكن، كغيري من الشباب، في عجلة من أمري في هذا الشأن.. لفترة طويلة، اعتقدت أن ترددي في إقامة علاقة حميمة مع الجنس الآخر يعزوي إلى أنني حساس الطباع.. وهو نفس السبب الذي أقنعت به نفسي، الذي جعلني أخاف من الظلمة حتى بعد سن البلوغ.. وامتد معي إلى سن الرشد.. لكنني الآن أعتقد أن ذلك يعزوي إلى عمتي السمينة.. وإن كنت لا أعلم علم اليقين إن كان ذلك الأمر بسبب ما فعلته بها أم ما فعلته هي بي.. على أي حال، بدأ فاعلوا الخير يقحمون الفتيات في حياتي.

هممت أن أعلق على اقتراحات ستينا باقتضاب وغلظة، لكنني منعت نفسي بالقوة ووعدتها أن أخرج للتنزه قليلاً والاستمتاع بوقتي.. لكن ثمة شيء ما



أريد أن أنهيه أولاً.

تقول ستينا مشيرة إلى زيارتي لدار المسنين هذا الصباح: وماذا عن جدتنا بيورك؟ هل شعرت بالهواء المنعش اليوم؟ طقوسها المعتادة؟ وأمأت بالإيجاب.. كانت علبة أبلهيد الأسبوعية هي المتوقع دائماً وجودها في يد الجدة بيورك وهي تقول بتنهيذة عميقة بعدما استنشقت الهواء المنعش من خلال ثقب العلبه: أراهن أن نيلز يقضي وقتاً ممتعاً هناك في المنزل القديم.

لم أستطع تصحيح انطباعها الخاطئ.. لم أتمكن من أن أخبرها بأن أحداً آخر غير جاج إيرز هو الذي يعيش الآن في منزلهم القديم في الجوار المتطور حديث البناء.. وهو الذي يهتم لصحة والدته حتى أنه أرسل لها هواءاً منعشاً من بيرجين.. كانت قصة اختفاء جاج إيرز للمرة الثانية بمثابة قبلة موقوتة انفجرت مدوية في وجوهنا جميعاً وبات من الصعب علينا تقبلها.. خشيت أن أذكر جدي بيورك بتلك القصة فيتسبب ذلك في وفاتها في الحال.. لذلك أعطيتها الفرصة لتكمل سرد واسترسال قصتها المغلوطة بناءً على جهلها أونسيانها للقصة الحقيقية وهو ما يعد سمة من سمات التقدم في العمر.. كما قمت بتشجيعها على الاسترسال في تخيلها لبيرجين.

عبرت بيورك مياه سكاجيراك مرة واحدة فحسب ولم تعد إلى النرويج مجدداً.. حينما جلست أمام فراشها هذا الصباح، أخرجت من جيبها صورة للعائلة.. تقف على رصيف المعدة في عاصفة قوية عاتية قبل يوم نيويورك ١٩٦٠.. في وسط الصورة، يبدو أسكيلد وبيورك متأبطان بعضهما البعض.. من الواضح أن العلاقة بينهما بدت رسمية للغاية.. مصطنعة متكلفة بعد افتضاح أمرها في غرفة الكشف في عيادة دكتور ثور.. يقف بجوار بيورك، جاج إيرز مرتدياً بدلة تبدو أصغر بكثير من حجمه.. يمكنك أن تلمح على جبهته، بثرتين حاول أن يخفيهما بجذبه لقبعته على جبهته بإحكام.. على طرف الصورة، يبدو كات و هو يحذق في الأمواج بينما تتعلق آن كاترين بسر والدها.. تبدو تلك



الصورة كأنها لأسرة طبيعية للغاية.. لكن إن حدّق أحداً في الصورة لاكتشف ظاهرة غريبة حقاً.. إن دقق أحداً النظر في جاج إيرز ذي الثالثة عشر من العمر، لاكتشف أنه حينما بدأ جسده يكبر حجماً، بينما بدأت البثور تظهر على جبهته والشعر ينمو في أماكن حساسة خفية، لم تنم أذناه أبداً.. فقد ظلا كما هما ومع مرور الوقت، بدا أن أذنيه تصغران في الحجم شيئاً فشيئاً.. وهو الوقت الذي أحب أن أسميه بداية مرحلة التكيف والتسوية وال ضبط والتناغم.

كانت الرحلة إلى الدمارك هي حتماً أطول رحلة قامت بها بيورك خاصة بسبب البحار العميقة التي دفعتها إلى مراحيض المعديّة بعد فترة وجيزة من ترك المصور المغمور للعائلة مع ابتكارتها الخاصة بها.. حينما كان أسكيلد الذي ارتاد البحار مراراً وتكراراً، يتجول هنا وهناك بابتسامة حمقاء ترتسم على وجهه.. بالرغم من قسوة الرحلات البحرية، حلمت بيورك دوماً بأن تكرر تلك الرحلة مجدداً مرة أخرى-رحلة صغيرة فحسب- رحلة قصيرة إلى بيرجين لزيارة أسرتها.. وهوما تحدثت عنه طوال حياتها.. لأعوام عدة، لم يكن أسكيلد متحمساً لتلك الفكرة.. لكن بعدما بلغ من العمر أرذله، حينما بدأ يتحدث عن القيام بتلك الرحلة، بدت شاقة عليهما للغاية.. حتى حينما عاد أسكيلد، وقد بلغ السبعين من عمره، إلى منزله يوماً ما ومعه تذكّرتين للمعدية وقد فتحهما على المائدة للتأكد منهما بدافع من شعوره القوي بالوسوسة.. أخذ يقرأهما لفترة طويلة تحت العدسة المكبرة حينما كانت بيورك تقف متكأة عليه، بدت الرحلة وكأنها تحولت إلى رحلة الأحلام بالنسبة إليهما.. كانت سعادتهما بها تفوق الوصف وشوقهما إليها يفوق الحدود.. لقد أخذا يتجاذبان أطراف الحديث.. يتداولان فيما بينهما عن الترتيبات لتلك الرحلة لعدة أشهر.. في حين كان يخالجهما دوماً شعور باستحالة القيام بتلك الرحلة.. حتى صار ذلك الشعور يخيم على خططهما ويملكهما شر تملك فباتا على يقين أن خططهما لن تجدي نفعاً.. لن تدخل في حيز التنفيذ وسيحول القدر



دون تحقيق مبتغاهما.. في النهاية، تحوّل شعورهما إلى حقيقة حينما ذهب جدي أسكيلد إلى مكتب الرحلات لاسترداد نقوده.. في زيارتنا التالية لهما، توقعنا أن نجد جدي وجدتي وقد تملكهما الإحباط واليأس.. لكن بدلاً من أن نجدهما مثبطا الهمة بفعل الوهن والضعف المصاحب للتقدم في العمر، بدا في حالة ارتياح وهناء بال غير متوقع.

قال أسكيلد: لا، ماذا فعلت النرويج لي؟ أريد أن أموت في الدمارك.  
بدا أسكيلد لأول مرة مستوعباً لبلاده الجديدة.. مقتنعاً بها تمام الاقتناع دون أن يشعر بالغضب أو الثورة على قواعدها.. كانت بالفعل عادات الدمارك الليبرالية حيال الخمر، تلقى استحساناً كبيراً من قبل أسكيلد.. لم تعد هناك حانات محظورة محرمة في الدمارك.. فيمكنه الآن احتساء الخمر على الملأ وهو ما يفعله على نحو أوسع ودرجة أكبر فيما عدا أثناء الفترات حينما ترغمه فيها مشاكله المتزايدة.. مع مرض القرحة على الذهاب بالعربة لعدة أسابيع محدثاً فوضى ودمار شديد محطماً كل القيود الروتينية المألوفة.

لكن لنعد إلى الصورة منذ عام ١٩٥٩.. قالت بيورك وهي تضحك بالضحك: تلك الأذنان! لم نجن منهما سوى المتاعب

أول يوم لاحظت فيه بيورك التوازن بين أذني ابنها وجسمه كان في فصل الصيف الثاني الذي قضته بيورك وأسرتها في ألبرج.. كانت تقف بيورك في المطبخ.. تتابع بعينها جاج إيرز وهو يركب دراجته في حركة لولبية جنونية بالشارع حينما أدركت فجأة أن أذنيه تبدوان طبيعيتان متناسقتان مع جسمه.

أدرك جاج إيرز ذلك من أول مرة لكنه في تلك اللحظة، كان مهتماً للغاية بركوب دراجته.. حتى فقد توازنه ذات مرة وكاد أن يسقط من فوقها.. وقد كانت المفاجأة.. مثلما فعل أبلهيد منذ أعوام عدة، فقد دخل جاج إيرز بدراجته في شاحنة اللبان التي كانت مركونة في الشارع حينما سمع صوتاً يهمس.. يخاطبه قائلاً: أيها الأحمق! لا يمكنك التحدث جيداً.. والآن لا يمكنك



حتى ركوب الدراجة!

فوجئ جاج إيرز بفاتة جميلة جذابة.. شقراء الشعر.. نسخة طبق الأصل من الفتاة الشقراء في غابة نورلاند المسحورة، تهر عليه في الشارع.. لذلك، في غمرة شعوره بالألم الشديد في ركبته، شعر بغصة بالغة في قلبه مع ألم بالغ في أحشائه.. الذي تحول سريعاً إلى غثيان ودوار.. لم تدرك الفتاة ذات الأربعة عشر عاماً التي كانت تُدعى ماريان كفيست أنها لعبت دوراً سابقاً في غابة أحلام جاج إيرز.. ذلك المحب الولهان الذي هام بها عشقاً وولعاً في الغابة المسحورة من قبل.. كما لم تكن تعلم أنها ستلعب لاحقاً دوراً حاسماً في تاريخ عائلة إريكسون.. أو على الأقل ستجلب لها الكثير من المشاكل.. أو ستكون هي سبب العديد من المتاعب التي ستعاني منها عائلة جاج إيرز فيما بعد.. لا، فقد بدا لها جاج إيرز.. ذلك القرد الجبلي الذي يهوى تسلق الجبال والذي تراه دوماً يقفز على دراجته في عالم المراهقة حيث تنتمي بأعوامها الأربعة عشر، عنصرٌ دخلياً في حياتها اليومية في ألبروج.. فاعتادت ماريان على متابعة راكب الدراجة المخبول هذا الذي استمر في ركوب دراجته على أعقابها.. تملأها مشاعر الفضول والازدراء والاحتقار في آن واحد.. لكنه لم يكن ماريان مثلما كان أبلهيد لجينجر يوماً ما، فقد قضى عاماً ونصف في الدمارك وقد علمه ذلك أن يظهر بصورة أكثر خضوعاً أمام محبوبته.

في فناء المدرسة- في يوم عاصف من أيام يناير ١٩٦٠ بعدما جاء جاج إيرز وعائلته إلى الدمارك- أرغم جاج إيرز على إحياء مهارات ركل الخصي مجدداً.. كان على أي قرد متسلق للجبال من النزويج أن يمتلك مهارات معينة في فناء أية مدرسة من المدارس الدماركية إن أراد أن يتجنب الذهاب إلى المبولة بالدور السفلي من المبنى.. وإلا سيكون من الضروري على الطلبة الجدد المرور بها.. لكن في نفس فصل الربيع، حينما انضم جاج إيرز إلى الفريق القومي للملاكمة لتنمية مهاراته، تم طرده على الفور لأنه استعان بالطرق غير المهيّبة في اللعب.. كركل منافسيه في خصيهم.. وقد زاد من شعوره



بالإحباط وخيبة الأمل أنه اكتشف أيضاً ضالة حجم السرطانات في ليمفيورد بالقرب من ألبورج بالمقارنة بالسرطانات كبيرة الحجم التي اصطادها جاج إيرز من فيورد الموحلة.

في ليلة ما، بعدما انتقل جاج إيرز وأسرته إلى المنزل الجديد ببرهه، كان جاج إيرز متكئاً على حافة نافذة غرفة نومه.. ووجهه مضاء بضوء خافت يصدر من مصباح واحد بالشارع.. وقد جفاه النوم تماماً.. لقد وعدته بيورك من قبل أنهم سيعيشون في المنزل المصمم بالطريقة التكميلية للأبد.. لكن الآن يسكن جاج إيرز وأسرته في بلدة غير البلدة وقد تركوا بيرجين خلفهم منذ أعوام.. بالفعل يشعر جاج إيرز بالوحشة.. بالتشوق لرؤية سلوكيات أبلهيد الوقحة.. كما يشاقق إلى صداقة إيبسن، تاجر العملات.. وجميع صبية سكانسن.. ها هوذا جاج إيرز يجلس هناك في وحدة وحزن بالغ.. يتخيل نفسه في بيرجين مجدداً.. وما إن بدأ يستسلم لأول مرة للكآبة تنهش في كيانه حتى رأى ضوءاً ينعكس من نافذة في الجهة المقابلة الشارع.. يأتي من منزل جار جاج إيرز وأسرته.. كان جاره لَحاماً يعمل في ساحة السفن حيث يعمل أسكيلد.. أغمض جاج إيرز عينيه تدريجياً ليستسلم إلى النوم وقد بدأ يغلب عليه النعاس.. لكنه اعتدل فجأة في جلسته حينما رأى هيئة فتاة تنهض من فراشها.. تختال في مشيتها حتى تصل إلى باب غرفتها ثم تخرج من الغرفة بتثاقل.. لقد نسيت تلك الفتاة أن تغلق الستائر.. ما إن رأى جاج إيرز وجهها الملائكي حتى جالت بخاطره صورة فتاة أحلامه في الغابة المسحورة.. بدت وقد تجسدت أمامه مجدداً ليس في حلم جميل.. إنما في واقع أجمل.. حتى بدت أحزانه وآلامه للبعد عن بيرجين ذات معنى جديد للغاية.. حقيقة أن فتاة أحلامه الشقراء التي رآها من قبل في الغابة المسحورة قد تجسدت في صورة ابنة اللحام في الثانية عشر من العمر مرتدية منامتها وحقيقة أنها لم تبادله النظرات في الأيام التالية، لم يشعره ذلك بالإحباط وخيبة الأمل كما لم يثبط ذلك من عزمته وإصراره على تحقيق حلمه القديم في الغابة



المسحورة.. فما كان منه بعد ذلك بوهلة سوى أن استعار تلسكوب أسكيلد..  
وضعه على حافة النافذة حيث جلس جاج إيرز حتى منتصف الليل بعينين  
محدقتين في التلسكوب.. لتكن شاهدتين صامتتين على العادات اليومية التي  
يمكن أن تبدو بسيطة هامشية لا أهمية لها بالمرّة بالنسبة للآخرين لكنها  
هامة وحيوية بالنسبة لجاج إيرز.. تمشط ماريان شعرها أمام المرأة قبل  
أن تذهب إلى الفراش.. يدخل عليها اللحم ليقول لها: تصبحين على خير..  
تجلس الأم على حافة الفراش تدلك لابنتها ظهرها.. وقد لاحظ جاج إيرز أن  
ماريان تستمتع بأن يدلك لها أحد ظهرها.. حتى أنها اعتادت ان تعضّ على  
شفتيها فتبدو ان ممثلتين.. مما يعطيها مظهراً ساحراً في المرأة.. كما لاحظ  
جاج إيرز أيضاً أنها اعتادت تقبيل دميتهما الدب الأخضر.. أكثر دماها قبلاً  
- تلك الدمية التي وضعتها على الرف- قبل أن تطفئ نور غرفة نومها.. بعد  
مرور ستة أشهر، لاحظ جاج إيرز وقد تملكه الدهول والدهشة، أن ماريان  
لم تكتف بتقبيل دميتهما الدب الأخضر فحسب بل كانت تضعها عدة مرات  
بين قدميها وهي ترقد في الفراش.. تضغط عليها بفخذيها بشدة حتى كادت  
الدمية تختفي تماماً.

كان مشهد الفتاة في الثالثة عشر من عمرها الآن وهي تضع دميتهما الدب  
الأخضر بين قدميها كافياً ليشعر جاج إيرز بالدوار.. وكان ذلك دافعاً له ليضع  
خططاً غير واقعية ومعقدة للغاية ليلفت انتباهها له.. لكن يفتقر جاج إيرز  
الثقة بالنفس التي كان يتحلّى بها أبلهيد.. والنبرة الهادئة التي كان يتحدث  
بها أبلهيد باللغة الدماركية.. بعدما استحضر جاج إيرز التجربة الحرجة  
التي مرّ بها أبلهيد مع ليندا في سياج الشجيرات، لم يكن أمامه، حتى في  
الصباح الباكر، سوى مراقبتها في صمت.. في نفس الوقت، كان جسد جاج  
إيرز ينمو شيئاً فشيئاً.. بينما يتضاءل حجم أذنيه تدريجياً مع مرور الأيام..  
كما بدأت تُسمع تعليقات وملحوظات عن لهجته ونبرته البالغة التي بدت  
جليّة في حديثه في حين تسلل الشحوب إلى قسمات وجهه نتيجة لأنه لم يأخذ



قسطاً وأفرأ من النوم.. كما بدت جلية، حلقة داكنة اللون حول عينه اليسرى نتيجة لالتصاقها بعدسة التلسكوب ليلاً ونهاراً.

لكن في ليلة من ليال خريف ١٩٦٠، شعر المراقب الصامت بالذهول والدهشة حينما رأى شيئاً أبيض اللون يطير في الظلام.. كان غسيل زوجة جاره الذي نسيت أن ترفعه من على الحبل.. ظل هناك يطير للأمام تارة وللخلف تارة أخرى كأنهما يتراقص على أنغام نسيم الخريف.. ضبط جاج إيرز التلسكوب نحوه.. فلمح زوجاً من السراويل الداخلية القطنية بيضاء اللون لماريان، ابنة اللّحام الصغيرة.. سرعان ما انتفض جاج إيرز من أمام النافذة.. ركض عابراً الطريق إلى ساحة اللّحام.. أخذ يتلفت يميناً ويساراً.. وفي لحظة، خطف السراويل الداخليين ووضعهما في جيب منامته.. ثم هرول مسرعاً إلى منزله مجدداً.. وخبئهما في الدرج العلوي من الطاولة بالقرب من فراشه.. كان يخرجهما كل مرة حينما كان يجافيه النوم ليلاً.

كان جاج إيرز يتخيل نفسه في إحدى أحلام يقظته، دمية ماريان.. الدب الأخضر.. يتلقى قبلة النوم من الفتاة في غابة أحلامه المسحورة.. قبل أن يسترخي بين قدميها القويتين ليخلد إلى النوم.. كانت خيالاته تشعره بعدم الراحة بعض الشيء.. ذلك الشعور الذي زاد كثيراً بداخله حينما أخذ يفكر في احتمال أن بيورك يمكن أن تكتشف تلك السراويل الداخلية على وسادته حينما توقظه في الصباح.. فقطع عهداً على نفسه أن يتخلص منها في أقرب فرصة.. ثم أخذ يقدر زناد فكره في التفكير في طريقة ما تجعل الفتاة تلاحظ وجوده وتتعرف عليه.. كما بدأ يتساءل كيف يلفت نظرها إليه حتى ظهرت الإجابة أثناء الصيف التالي في ألبروج في شكل دراجة قديمة مستعملة رقدت ساكنة في أيكة ما حيث كان أسكيلد يمرّ عليها كل يوم فيطريقه إلى العمل.. بعدما رأى جدي أسكيلد تلك الدراجة تقف ساكنة في مكانها يوماً بعد يوم.. ولم يظهر لها صاحب، أخذها إلى المنزل وقدمها إلى ابنه في عيد ميلاده الخامس عشر.. ما إن وقف جاج إيرز أمام دراجته الأولى في حياته حتى



أدرك أنها أفضل إجابة على سؤاله.. باختصار، قرر جاج إيرز لفت انتباهها بأن يجعلها تلاحظ أنه أفضل وأشجع راكب دراجة.

بعد ذلك بقليل، شوهد جاج إيرز ذوالخامسة عشر من العمر في الشارع.. يظهر حماسة بالغة للقيام بحركات بارعة خطيرة بدراجته.. تلك الحماسة التي أظهرها من قبل في ركل الخصي.. كان يقود الدراجة إلى الأمام تارة وإلى الخلف تارة أخرى دون أن يستخدم يديه في الإمساك بالجادون.. كما تعلم جاج إيرز قيادة الدراجة مُعْضُ العَيْنَيْن.. يغطيها بعُصَابَةٍ.. يرفعها قليلاً عن عينيهِ عند الضرورة.. كذلك قام بتجربة استخدام يديه بدلاً من قدميه في التبديل.. حتى بدأ يصطدم بالحاجز الحجري على حافة الرصيف كلما جلس على دراجته.. ذلك ما جعل بيورك ترى أن ابنها.. راكب الدراجة.. يقود الدراجة يميناً ويساراً بطريقة أقرب إلى الجنون منها إلى السواء حتى توقف بالقرب من شاحنة بائع اللبن المركة.. كثيراً ما كانت بيورك تهرع من منزلها لمداواة جروح ركبة جاج إيرز.. كما لاحظت عدة مرات ابنة جارها التي كانت في الرابعة عشر من عمرها حينذاك وهي تختفي في زاوية الطريق وتختلس النظر خلفها.. فكرت بيورك في نفسها مبتسمة، يا له من فتى مجنون! لكن حينما حلَّ فصل الشتاء، ووجدت بيورك أن جاج إيرز.. ابنها، لا زال يستعرض نفسه بحركات خطيرة مخبولة عبر البركة الموحلة المتجمدة في الشارع، استشاطت غضباً وتصاعدت حدة عصبيتها حتى اقترحت على ابنها أن يدعو ابنة جارهم لتناول الشاي معهم.

صاح جاج إيرز منذراً: شاي! ماذا لو لم تكن تحب الشاي؟

لبقية أيام الشتاء، أخذت بيورك تكرر عرضها على فترات متقطعة لكن كان جاج إيرز دائم الرفض.. حتى غيرت بيورك من خططها.. بدأت تستخدم عبارات غامضة لتصحيح فكرة ابنها الخاطئة أن الفتيات ينجذبن للفتيان الطائشين المتهورين.. استعانت بيورك ببعض الاستعارات المكنية المقتبسة من الروايات الرومانسية الطبية التي كانت تعشقها حينما كانت تصف



له كيف تعشق النساء الرجال مرهفي الحس اللذين يصيرون معجباتهم بالإغماء من كثرة جبهن وولعهن بهم.. كما أخذت تردد له أن اللطف أقيم من الجرأة.. أن الدفء أئمن من المغامرة ومن مواجهة التهلكة.. أفضل من القيام بأعمال فذة خطيرة.. لكن لم تُجد نصائح بيورك مع جاج إيرز نفعاً.. فقد ضرب ابنها بكلامها عرض الحائط.. رأته يوماً ما من خلال نافذة المطبخ في نيوفاورفتسفي، يقوم بأعمال خطيرة وحركات متهورة للغاية تكاد تخلع قلبها من فرط الرعب والخوف عليه، فأدركت حينها أن لكل شخص مفهوماً مختلفاً عن الآخر فيما يتعلق بوصف التهور والمتهورين الذي رسخ في ذهنها منذ زمن.

قالت ماريان كفيست حينما قاد جاج إيرز دراجته في الشارع في حلقات مجنونة طائشة: يمكن لأي أحد القيام بذلك، ثم أضافت بصوت أرق مفعم بالإحساس: أعرف شخصاً ما يقوم بتلك الحركة وهو يقف على المقود، فصعد جاج إيرز على الفور على المقود.. لكن سرعان ما سقط أرضاً في أقرب سياج من الشجيرات.. انطلقت ضحكات الفتاة عالية.. أخذت تهقه حتى اختفت من الشارع.

صاحت ماريان حينما كان جاج إيرز يربط العصابة على عينيه: أنت تغش! يمكنك أن ترى من خلالها!

حينما اقتربت ماريان منه لأول مرة لتربط له العصابة بإحكام، شعر جاج إيرز أن قلبه يخفق بشدة وكيانه كله يضطرب تماماً.. لكن سرعان ما تبدل ذلك الشعور بالخوف الشديد حينما وقف على دراجته وبدأ يغير اتجاهه يميناً ويساراً بعشوائية واضحة والعصابة مربوطة بإحكام على عينيه حتى أنه لا يرى شيئاً أبداً.. بدا جاج إيرز على ما يرام في أول عشرة أمتار.. لكن فجأة، سمع صوت محرك سيارة.. صاحت ماريان: انزوميناً! لكن لم ينتبه جاج إيرز لصياحها، وانعطف هو يساراً.. فكانت النتيجة أن اللحاح الذي كان في طريق عودته إلى منزله من العمل بسيارته انتبه فجأة لراكب دراجة جرى يتشبث



بغطاء محرك سيارته.

صاح اللحام، والد ماريان وهو ينظر من خلال نافذة سيارته: صبية غجر! في الدمارك، لا نقود دراجاتنا وسط السيارات معصوبي الأعين! كانت الحادثة التي تعرض لها جاج إيرز بسيارة اللحام قد حسمت الموقف.. في اليوم التالي، أوقفت بيورك زوجة اللحام في الطريق لتدعوها لاحتساء الشاي معها عصر اليوم التالي.. كما اقترحت عليها أن تحضر معها ابنتها.. لم يكن جاج إيرز هو السبب الوحيد الذي دفع بيورك لدعوة زوجة اللحام وابنتها لتناول الشاي فحسب بل أيضاً لشعور بيورك بالوحدة القاتلة في الدمارك.. لم يكن ذلك شعوراً جديداً بالنسبة لبيورك، لكن الأسوأ في الدمارك.. فاختلاف اللسان حقاً يسجن بني الانسان.. كان الدماركيون المواطنون الأصليون يحذقون بها باهتمام بالغ حينما تفتح فمها للحديث مما كان يسبب لها حرجاً شديداً.. اعتقدت بيورك أن زوجة اللحام تبدو ودودة.. لطيفة.. كما أن أسكيلد نادراً ما يدعو أحداً بالمنزل.. لم تخبر بيورك ابنتها بكلمة عن دعوتها لزوجة اللحام وابنتها كي لا تسبب لجاج إيرز القلق.. لذلك بدا مشدوهاً يتملكه الدهول والدهشة من هول المفاجأة حينما نادته بيورك عصر اليوم التالي لدخول غرفة المعيشة والترحيب بالضيوف.. بدت الفتاة ذات الأربعة عشر عاماً عابسة بجوار والدتها على الأريكة.. كمار فضت حتى النظر إلى جاج إيرز.. بيورك أيضاً كانت عصبية نوعاً ما فسرعان ما بدأت تحكي قصصاً عن نورلاند الساحرة.

بينما كانت بيورك تحكي قصصها، كانت ماريان تفغر فاهها من وقت لآخر.. لكن بعد مرور ساعة، حينما اقترحت بيورك على نيلز الصغير أن يرى ماريان غرفته، بدت الفتاة مهتمة نوعاً ما.. سرعان ما سألت جاج إيرز حينما دخلت غرفته، بنبرة ساخرة في صوتها، عما تفعله أسرته في الدمارك إن كانت الزويج رائعة مثلما تزعم بيورك.. ثم طلبت منه بعض الحليب لتضيفه إلى الشاي بقدها.. حينما ذهب جاج إيرز إلى المطبخ، بدأت ماريان تعبث هنا وهناك



في حاجياته.. فوجدت أولاً التلسكوب القديم على حافة النافذة.. نظرت من خلاله، فرأت المشهد المهرج بغرفة نومها جلياً في وضوح النهار.. فشعرت الفتاة بالضيق والهرج الشديد لأن الفتى اقتحم حياتها الشخصية بهذا الشكل.. حينما عاد جاج إيرز بالحليب، قالت له: إذا سمحت، أريد بعض السكر، فذهب لاحتضاره.. فعدت للتفتيش في أغراضه.. نظرت تحت السرير فلم تجد سوى كرات غطها الغبار.. ألقت نظرة عابرة على خزانة الملابس حيث وجدت ثيابه معلقة كالمعتاد.. ثم فتحت درج الطاولة بالقرب من فراشه.. ما إن أخرجت ماريان الملابس الداخلية البيضاء التي سرقها جاج إيرز من على حبل منزلها حتى ظهر جاج إيرز على مدخل الباب حاملاً سلطانية السكر.

صاحت ماريان محدقة في قطعتي الملابس الداخلية المسروقة: ماذا! إنها ملابس أمي الداخلية! ماذا تفعل هنا؟

أسقط جاج إيرز سلطانية السكر من الهرج.. الدهشة والخوف في آن واحد.. سرعان ما اندفعت ماريان.. الفتاة ذات الأربعة عشر عاماً خارج غرفة جاج إيرز بعدما رمقته بنظرة يملؤها الإحتقار والإزدراء.. ثم جلست الفتاة بجوار أمها على الأريكة أكثر عبوساً وتجهماً من ذي قبل.. لم تستطع أن تنبس ببنت شفة حتى رحلت عن المنزل.

بعد رحيل الضيوف، شعرت بيورك أن هناك خطأ ما قد حدث أثناء الزيارة.. كما عجزت بيورك عن معرفة الميزة التي وجدها ابنها في تلك الفتاة غريبة الأطوار.. في حين شعر جاج إيرز من ناحية أخرى أنه ارتكب لتوه كارثة محققة.. في ذلك المساء، لاحظ جاج إيرز أن الستائر في غرفة ماريان مغلقة على غير العادة.. فضبط التلسكوب لكن كان عليه أن يقنع نفسه بتخيل الخيالات والظلال الغريبة التي تتراقص خلف الستائر البيضاء.

بعد ذلك بقليل، بدا جاج إيرز شاحب الوجه أكثر من ذي قبل.. في حين بدأت بيورك تفتقد مشاهدة حركاته الاستعراضية المتهورة على دراجته



حتى أسكيلد لاحظ أن الفتى بدا مشتتاً.. تائهاً.. تسيطر على ملامحه علامات  
الذهول والإحباط.. لكن بعد مرور أسبوعين، مرت ماريان كفيست عليه  
في الشارع.. لم تنظر نحوه قط.. لكنها سلمته رسالة.. ثم توقفت لترى رد  
فعله.. كانت الرسالة عبارة عن سبع كلمات فحسب: هل حقاً كنت تعتقد  
أنها ملاسي الداخلية؟ ابتلع جاج إيرز ريقه بصعوبة.. التقط أنفاسه اللاهثة  
كأنه كان في سباق مع الزمن.. ثم أفصح عن كل ما يجيش في صدره من  
مشاعر دفينه.. أفشى كل الأسرار التي عرفها عنها: أنها تحب تدليك ظهرها..  
أنها تتدرب كثيراً على الابتسام بطريقة معينة.. وأن أفضل دماها هي دمية  
الدب الأخضر.. قال لها: لاحظت أنك تحبين أقبح دمية دب لديك وتفضلينها  
عما سواها.

خلال تلك المحادثة، حينما كانت تتدافع الأسرار التي احتفظ بها جاج إيرز  
بقلبه على مدى عامين كاملين من المشاهدة الليلية السرية لعادات محبوبته  
الخاصة - بدت الفتاة مندهشة كأنها ينزل عليها كلماته كالصاعقة.. بدت أكثر  
الفتيات في نايوفارفتسفي ذهولاً ودهشة.. وسرعان ما ابتسمت واتسعت  
ابتسامتها حتى ذكر جاج إيرز دميته الدب الأخضر.

صاحت فجأة وبدت شاحبة الوجه: أنت تختلس النظر على توم! أيها الخنزير  
المنحرف!

ما إن تفوهت بتلك العبارة حتى اختفت في الحال.. أخذت تهوول في الشارع..  
لم تعد تحمسه للقيام بالمزيد من الحركات الاستعراضية على دراجته.. كما  
قالت للجميع أنه أبله كبيغاء والده.. بعد مرور أسبوعين، ظهرت لافتة  
في نافذتها تقول: يجب أن تتكلم! ماذا كنت تفعل بالتحديد بملابس أمني  
الداخلية؟

فكتب جاج إيرز على لافتة وضعها على حافة النافذة تقول: لقد تخلصت  
منها.. أنا آسف.

بعد ذلك بقليل، شوهد لاعب الأكروبات، جاج إيرز.. يقوم بحركاته



الاستعراضية المتهورة على دراجته مجدداً في نايوفرفتسفي.. ولم تفهم بيورك كيف تنقف هي مكتوفة اليدين.. فقد ربطت ابنة الجيران عصابة سوداء على عيني ابنها جاج إيرز.. نيلز الصغير ذي الخامسة عشر من العمر فتتركه ينحرف يمينا ويساراً في الشارع بسرعة جنونية كالطيار.. تكتفي ماريان بأن تركض خلفه فحسب لترشده ليحترس كي لا يصطدم بالسيارات المركونة.. استنتجت بيورك بقلب مرتجف من الخوف على ابنها، أن ليست جميع الفتيات تقنعن بمعسول الكلام.. المعاملة اللطيفة الدافئة إلى غير ذلك من التصرفات الرقيقة.. على العكس تماماً، فقد استمرت ابنة اللحام في تشجيع جاج إيرز على القيام بالمزيد من الحركات والاستعراضات الخطيرة على دراجته.. كما لاحظت جدتي بيورك ابتسامة داعرة خبيثة ترتسم على وجه الفتاة حينما يطيعها ابنها.. فكرت بيورك في نفسها: إنه أخرج أبكم كالثور.. مطيع كالكلب.. متهور طائش كسائر الشباب.

سرعان ما انجذبت ماريان لحركات جاج إيرز الاستعراضية الخطيرة.. خاصة أنها كانت تحب المخاطرة.. تعشق كل ما هو خطير.. وسرعان ما زرعت في عقل جاج إيرز بتلك الفكرة الشيطانية المجنونة، أن يقود دراجته في ألبورج معصوب العينين.. على الأقل، اعتقدت بيورك أن ماريان هي التي زرعت تلك الفكرة الماكرة في عقله.. بالنسبة له، كانت ماريان هي التي أرغمته عملياً على القيام بذلك.. بالرغم من أنها ليست أكثر من مجرد حافز للخطة الكبيرة. كان ذلك في ثالث صيف للأسرة في ألبورج.. حينما لم يتدرب الجيبان، مثلما كان كنات يطلق على جاج إيرز وماريان، على الخدع والحركات الاستعراضية الجديدة بالدراجة في نيوفارفتسفي، فقد سارا في الطريق في ألبورج دون استخدام عصابة للعينين.. قال نيلز الصغير: الإعداد هو أهم مرحلة، ثم أخبر كل من ينصت له عن الخطة الجريئة.. لكن في يوم ما، ضاق أسكيلد ذرعاً بما يفعله ابنه من حماقات.. قرر أنه اكتفى تماماً من أفعاله الخرقاء.. فضرب المائدة بيديه بعنف محذراً ابنه من القيام بخطته الساذجة.. كما حذرته



بيورك في كثير من المناسبات من القيام بذلك.. وفي عيد ميلاده السادس عشر، تلقى جاج إيرز بطاقة تهنئة من ماما راندي حيث حذرت به عبارات شديدة اللهجة.. فكتبت راندي تقول له: حينما تتزايد الهرمونات في عنفوان الشباب، تختفي المشاعر الجميلة.. أمنعك بشدة من القيادة في تلك المدينة الرديئة المقرفة معسوب العينين.

بالنسبة لجدي بيورك، اعتقدت أن ماريان قد تسببت في غياب ابنها، جاج إيرز عن الواقع.. تسببت في انفصاله عن كل ما يدور على الأرض.. جعلته يعيش منعزلاً عن الواقع المعاش.. حتى الآن، وبعد مرور عدة أعوام، حينما أزور جدي بيورك في دار رعاية المسنين، أرى في عينيها نظرة حزن وكآبة شديدة حينما أذكر الجار في نيوفاورنغسفي.. حتى أن أختي ستينا تبدو منزعجة ويسيطر على ملامح وجهها مشاعر الضيق والحزن حينما تُدار دفة الحديث لترسو عند ماريان كفيست.

تقول ستينا: لما لا ننسى أمر تلك الإوزة السخيفة؟ فهي لا تستحق منا كل هذا الاهتمام.

لكنني لم أستطع القيام بذلك.. عجزت عن طرد أمر ماريان من بالي.. بالإضافة إلى أن وجهة نظر ستينا في ماريان كفيست كانت ممتزجة برأي جسبر الشخصي فيها.

تقاطعني ستينا: يا لها من حفنة ترهات وحقاقات ليس لها آخر! تلك قضية أخرى لن أعاقب عليها ستينا الآن.. ربما لاحقاً.. في طفولتها، كانت ماريان كفيست طفلة جامحة ومتهورة للغاية.. حتى في سن الثالثة، كانت تحضر إلى منزلها، الكثير من الديدان.. الحلزونات والعديد من الهوام والحشرات الطفيلية الأخرى.. وقد نصحتها والدها في بادئ الأمر بالخروج.. اكتشاف الطبيعة من حولها.. تسلق الأشجار.. تفقد البرك الموحلة لاكتشاف يرقات الحشرات.. إلقاء الوحل على الطيور في الشارع.. كثيراً ما كانت الأم تتفقد ابنتها المتسخة بالقذارة والوحل وتعلو وجهها علامات الامتعاض



والاشمئزاز.. وبهذا الحال، أصبحت ماريان موضع اهتمام والدها الأول.. كان دائماً يتحدث عن ابنته فيقول عنها أنها فتاة غجرية.. فقد كان يسكن بجوار والدها في طفولته، جالية غجرية وبالتالي أصبح مشهد دخول وخروج الجاليات الغجرية بجواره موضع اهتمامه الشخصي مثلما كانت البطاقات البريدية التي تُرسل له كل ليلة رأس السنة من عمه في جرين لاند محط اهتمامه الأول.. وبالتالي أصبح والدها مولعاً بتريد كلمة «فتاة غجرية» مراراً وتكراراً بالرغم من أن زوجته كارين لا تجد متعة في ذلك أبداً.

صاحت كارين مراراً: لا تطلق على ابنتي «فتاة غجرية»! وتوقف عن كل تلك الترهات التي اقتبستها من جرين لاند - لما علينا أن نذهب هناك ونحتك بسكان جرين لاند القذرين؟

كان اللحم يعلم أن زوجته ترتعد خوفاً حينما ترى شرايق الحشرات وهياكل الطيور العظمية التي كان دائماً يملأ بها غرفة ابنته.. كانت تشمئز للغاية حينما يصطحب اللحم ابنتهما ماريان في السادسة من عمرها في رحلات صيد أيام الآحاد.. ثم يعود بها ملطخة بأحشاء مليئة بالدماء وبقشور السمك.. كانت كارين ترتعد خوفاً.. تبدو دائماً شاحبة الوجه حينما يدق اللحم ألواح خشبية بمسامير في شجرة الدردار الكبيرة في الساحة الخلفية حتى يمكن لماريان التسلق إلى القمة والجلوس عليها.. تجثم كالقروذ على أعلى غصن من أغصان الشجرة الكبيرة ثم تصيح: انظروا ما يمكنني القيام به! وهي تتأرجح للأمام وللخلف في الهواء.

كانت كارين شديدة القلق على الفتاة المسكينة التي قرر زوجها اللحم تحويلها ببساطة إلى صبي.. حينما اقترب أول يوم لابنتهما بالمدرسة، وضعت كارين حياتها الآمنة في نايبوفارفتسفي في خطر محقق ومحك خطير حينما كتبت إنذار حاسم شديد اللهجة: ثمة أمور يجب أن تتغير أو ينتهي كل شيء بيننا.. للأبد! ابنتنا ليست صبي! أنصت اللحم إلى زوجته لأكثر من ساعة.. ثم نهض وذهب إلى الساحة الخلفية حيث صعد إلى شجرة الدردار وبدأ



يفك الألواح الخشبية التي دقها من قبل بمسامير في الشجرة.. في اليوم التالي، اختفت هياكل الطيور العظمية والشرنق من غرفة ابنته.. كما ألغيت رحلة الصيد الموعودة ليوم الأحد وتم استبدالها برحلة تسوق يوم الإثنين.. لم تبتع كارين لابنتها حقيبة مدرسية وأقلام فحسب بل أيضاً حددت موعداً لتفقد محال الملابس الحريمي حيث المعروضات باهظة الثمن من ثياب وأوشحة.. وأحذية التي أذهلت ماريان وأسرت عقلها بشدة.

وقد كان ذلك تحولاً ملحوظاً كلياً في نمط حياة ماريان.. في أول يوم لماريان بالمدرسة، دوت صرخات هائلة تهز أرجاء المنزل لكن لم يسرع اللحم لنجدة ومساعدة ابنته.. بل ترك المنزل دون حتى إلقاء نظرية عابرة على ماريان التي أصبحت على استعداد لدخول حياتها الجديدة بعد عراك شديد مع أمها.. فبدأت ماريان ترتدي ثوباً وردي اللون.. جورب طويل حتى الركبة أبيض اللون.. حذاء جلدي.. عقصة في شعرها التي بدت سخيفة للغاية.. ما حاولت كارين القيام به منذ عدة أعوام، استطاع اللحم تحقيقه في يوم واحد.. شعرت ماريان بخيانة والدها لها وتخليه عنها في أحلك الظروف التي تمر بها في حياتها.. خلال العامين التاليين، تزايد شعورها بالكراهية نحوه حتى بدا جلياً في عينيها اللتين كانتا تفيضان حباً وإعجاباً بوالدها.

مع مرور الوقت، اعتادت ماريان على شخصيتها الجديدة وتدرجياً، بدأت توجه حبها نحو أمها التي علمتها كيف تخطط ثياباً لدمائها.. فقد كانت كارين مقتنعة تمام الاقتناع بفكرة أن تعلم ابنتها الاهتمام بدمائها وتجميعها لدمى الحيوانات من شأنه أن يزيد من غريزة ابنتها الأنثوية.. لذلك فقد أمطرت ابنتها بالهدايا التي ملأت غرفتها عن آخرها.. ما عدا إحدى تلك الدمى التي حاولت كارين التخلص منها مراراً وتكراراً.. وهي دمية قديمة لدب عريض العنق.. كانت الدمية ملطخة بالوحل بعدما تم إلحاقها عدة مرات في الشارع.. كما كانت كريهة الرائحة تفوح منها رائحة أقرب ما تكون لرائحة السمك.. كانت تلك الدمية هي دمية الدب أخضر اللون التي أطلقت عليها



ماريان اسم-جيسي هانز أوهانز الغجري- وقد رفضت ماريان التفریط في تلك الدمية كأنها كانت تلك هي طريقها في التشبث بآخر بقايا وآثار شخصيتها السابقة.. لكنها سرعان ما نسيت كل مشاعرها الجميلة وإحساسها بالسعادة وهي تفتح بطن السمكة.. نسيت جمال البرك الموحلة الصغيرة وسعادتها ومتعها في التجول في الغابة المجاورة للمنزل.. كل ما تبقى لها مع مرور الأيام، ذكرى سريعة عابرة أنها وقفت ذات مرة على أعلى غصن في شجرة الدردار الكبيرة وتأرجحت في الهواء كالقروء.

حينما اقتربت ماريان من سن البلوغ، وطأت قدمها منطقة جديدة عليها في أرض الإناث.. اكتشفت كيف لعقصات شعرها وحذائنا الجلدي القدرة الكبيرة على إمدادها بالقوة التي اكتسبتها من قبل حينما اعتلت أطول شجرة في الساحة الخلفية لمنزلها.. وحينما بدأ جسدها يفور.. وتظهر عليها علامات الأنوثة واضحة في بعض المناطق، لاحظت أن الصبية كانوا يحدّقون في جوربها الطويل إلى ركبتها.. أبيض اللون.. كما اكتشفت أنها حينما تحرك خصلات شعرها الأشقر للخلف، تسكت أسنة جميع الوقحين والصفيقين.. أدركت أنها تمتلك قوة جاذبة للصبية كأنها مستها عصا سحرية غيرت مجرى حياتها.. حيث أنها علمت أن بجانب كل خدعة سحرية، يوجد الكثير من الحرفة، بدأت ماريان تتدرب على القيام بأمور فنية جديدة في أمسياتها.. ضحكاتها.. نظراتها .. شفتيها الناتنتين.. وكأنها تفكر في نفسها قائلة: ها أنا ذا قادمة.. ماريان كفيست، تمالكوا أنفسكم.. قبعاتكم وكؤوسكم!

لم تكن تلك هي الخطوة التي تتسم بها مرحلة البلوغ.. بمعنى آخر، كل شيء سار على ما يرام في أسرة كفيست في نايبوفارفتسفي حتى جاء اليوم حينما رأت ماريان ذلك الصبي.. ذلك القرد الجبلي.. يقوم بحركات استعراضية خطيرة بدراجته معرضاً حياته للخطر ويربض لها أمام نافذتها.. لم يستغرق الأمر كثيراً قبل أن تبدأ في الظهور في الشارع كلما يقوم بحيله واستعراضاته الخطيرة.. في البداية، كانت منشغلة للغاية بتجربة أسلحتها الجديدة،



نظراتها.. ابتساماتها.. وشفتيها الناتنتين.. لكن بعد ذلك، عادت بتصرفاتها إلى حماسها الطفولي السابق للقيام بكل ما هو خطير.. طائش ومتهور.. مما دفعها لإلقاء أشرطة شعرها وأحذيتها الجلدية جانباً والقفز على دراجة لتقوم ببعض الحركات الإستعراضية الخطيرة التي تذكرها بجموح تصرفاتها وهي طفلة مع والدها.. وقد شغلت تلك الحمية والحماسة الجديدة كل تفكيرها حتى باتت في عراك شديد مستمر مجدداً مع أمها.. وبعدما حضرت عيد ميلاد جاج إيرز، بدأ اللّخام يظهر اهتمام بالزائرين الجدد فقد بدوا له ذوي طباع وملامح غجرية حيث أن أفراد أسرة جاج إيرز كانوا دائماً الترحال والتنقل من مكان إلى آخر طوال حياتهم.. فكرت كارين في نفسها ملياً وقد تملكها القلق والانزعاج الشديد: أنا على يقين الآن أنه سيبدأ في الثروة الفارغة عن جرين لاند القذرة مجدداً.. ماذا عساي أن أفعل هناك؟ سأموت إما سأذبل حتى الموت أو سأصاب بالمرض حتى الموت.. جميع الاحتمالات تؤدي إلى نتيجة واحدة وهي الموت المحقق.

ذات يوم من أيام خريف ١٩٦٢، بدأ جاج إيرز في تنفيذ رحلته في ألبورج على دراجته.. تلك الرحلة التي كان يخطط لها منذ فترة طويلة معصوب العينين.. لم تمنعه تهديدات أسكيلد ولا توسلات بيورك ولا الخطابات السخيفة التي ترسلها له ماما راندي لردعه.. لم يكن يرى شيئاً في الدنيا نصب عينيه سوى نيل رضا وإعجاب ماريان كفيست التي قادت دراجتها خلفه حتى ترشده في طريقه ليحترس من أن يصطدم بالسيارات المندفعة والأطفال الذين يمرحون في الشارع والمشاة السالمين.. لم يسقط جاج إيرز أرضاً سوى مرة واحدة فحسب.. لكنه نهض في الحال.. صاحت ماريان: لا تنزع العصابة من عينيك، كان صدامه المحتمل في أي شيء جزءاً من خطتهما.. لكن سرعان ما يقف جاج إيرز على قدميه.. ينظف سرواله براحتي يديه ثم يركب دراجته مجدداً لاستكمال رحلته.. كان مشاهد ابنها المجروح الذي تردد في نايبوفارفتسفي بعد نصف ساعة، جعل بيورك تفكر أن الخطة قد باءت بالفشل الذريع..



لكن لم يضعف ذلك من إثارة وتشوق جاج إيرز وماريان لمزيد من المخاطرة حتى أدركت جدتي أن الصدام والحادثة التي مرّ بها جاج إيرز وهو يستعرض نفسه في الشارع بدراجته معصوب العينين كانت من شأنها أن تزيد من إثارتها على عكس المتوقع.

ذلك المساء، كان هناك تغيير في الخطة والقواعد الموضوعة، فقد كان جاج إيرز يقف فجأة في ساحة اللّحام بينما كانت ماريان تطل من النافذة.. أرادت بيورك أن تعرف ما كان ينويان فعله.. ومع الوقت، اعتادت بيورك على التسلسل من فراشها ليلاً لمراقبة الحبيين المخبولين.. كانت تجلس لساعات في المطبخ البارد دون أن تضيئ النور تثبّت عينيها على كل حركة يقومان بها.. للحظة، شعرت بيورك أن ذلك من حقها أن تتابع ابنها وتراقبه مراقبة لصيقة.. للحظة أخرى، شعرت أنها كالدجاجة الأم.. وكثيراً ما شعرت أنها جاسوسة تتلصص سرّاً من أسفل أغطية فراشها.. كانت ترى بيورك الحبيين يقضيان فترة طويلة يمسك كلا منهما يدي الآخر.. يقبلان بعضهما البعض.. يقرصان بعضهما البعض في الأنف.. بالطبع لم تكن جدتي بيورك تسمع همهماتهما.. لم تجد لها معنى سوى أنهما كانا يقضيان وقتاً طويلاً في طرح الدعابات والمزحات الطريفة الخفيفة فيما بينهما وسط نوبات من الضحك المتواصل، كانا يتفقدان على وضع خططاً جديدة رائعة كتسلق أعمدة الإنارة.. السير على مواسير المياه.. المغامرة على الجليد الهش سريع الانكسار الطافي على مياه بحر ليمفيورد.. كلها كانت الخطط التي أخذوا ينفذها طوال فصل الشتاء حتى صارا يلعبان دور أكثر المراهقين تهوراً بالمنطقة وباتت تنشأ منافسة شديدة فيما بينهما.

في يوم من أيام شهر يناير شديد البرودة والصقيع، لاحظت بيورك أن ابنها لم يكن يقف أسفل نافذة ماريان.. لا، بل تشبّث بحافة النافذة نصفه داخل غرفتها والنصف الآخر متديلاً في الهواء.. يؤرجح ساقيه في الظلام.. فكرت بيورك وهي تتنهد بصوت مرتفع: يا له من قرد مجنون! لقد دفعها التجسس



على حبيبين مراهقين للتفكير كثيراً في أيام شبابها.. فقد استرجعت بيورك كل الجهود التي بذلتها للعثور على الرجل المناسب لها.. حتى انتهى بها الحال هنا في هذه الضاحية من ضواحي ألبورج.. وسرعان ما تحولت أفكارها إلى دكتور ثور.. كانت بيورك تعلم أن ثور لم يكن حبيبها الأول والأخير.. لا، كان حبها العظيم لرجل مختلف الطباع.. أقل تفكير في النظريات التكيفية من أسكيلد.. كان نسخة قريبة للغاية من أسكيلد.. فكرت بيورك ملياً؛ لكنه سرعان ما حاد عن الطريق الصحيح وانعطف في مسار جانبي لا أهمية له على الإطلاق، كان عزائها الوحيد في تلك الفكرة أنها كان يمكن أن تطلب منه الطلاق بعدما يشب أولادها عن الطوق.. لكن سرعان ما دفعت تلك الأفكار بعيداً عن عقلها.. فقد كانت ثمة لعبة جديدة تنسج خيوطها في نافذة الجار. سأل جاج إيرز وهو يتدلى من حافة النافذة: ألن تسمح لي بالدخول للحظة؟ لكن ماريان التي كانت تظن نفسها ساحرة بقيامها ببعض الحيل التي لا يمكن أن تكشفها في آن واحد، قهقهت.. ثم دفعته إلى الخارج وهو يحاول جاهداً دخول غرفتها.. لكن كلما لاحظ جاج إيرز أن ماريان بدأت ترق وتلين وأن هناك محاولة صغيرة منه، بعدها سينجح في اقتحام غرفته، ثمة شيء يدفعه للتردد في القيام بذلك.

قالت له ماريان حينما لاحظت تردده: انتظر حتى الصيف.. حينما أبلغ السادسة عشر من العمر، يمكنك دخول غرفتي.

لم يرسم جاج إيرز خطوطاً على الجدار لحساب الوقت حتى تبلغ محبوبته السادسة عشر من عمرها.. لم يمزق أجزاءً من المتر ليحسب طوله سنتمتراً بسنتمتر.. لم يحسب الأيام التي تولى سريعاً.. لكنه كان يتوق لأول مرة يُسمح له فيها بدخول غرفة ماريان كعلي بابا حينما دخل وكر اللصوص.. ثم جاء الربيع-يقترّب اليوم الموعود- وبدأ اللّحام يتحدث مراراً وتكراراً عن جرين لاند.. صاحت كارين في منزلها في نايوفارفستفي كلما كانت تتشاجر مع ابنتها التي زادت وقاحة وصفاقة عن ذي قبل: على جثتي! أبداً يا حبيبة



أمك الجميلة.. ليس بعد الآن.. والآن يملأ إيريك الاستثمارات.. ماذا يعتقد أنه فاعل؟ لن أذهب إلى جرین لاند.. لما يتكالب عليا سؤ الحظ هكذا؟ ثم ألفت كارين نظرة عابرة على النافذة لترى سبب كل مشاكلها.. ذلك النرويجي شديد الثمالة.. أسكيلد الذي استأنف عادته القديمة.. كان يترنح في الشارع والبغاء.. كاي على كتفه حينما كان يتحدث مع نفسه بصوت مرتفع عن أنواع كثيرة من الكلاب.



## الخطابات الوردية

على المدى البعيد، لم يكن حلم اللّخام بجرين لاند هو الذي أنهى علاقة الحب القوية بين ماريان وجاج إيرز.. لم يكن هو السبب الذي فَرّق بينهما في خلال عدة أسابيع قبل أن تتم ماريان عامها السادس عشر.. ليسير كلا منهما إلى المجهول الذي يقطع أمامهما أي أمل في التلاقي.. لا، فالسبب كانت تلك القصة القديمة التي سأم منها كل أفراد العائلة: أن هؤلاء المهندسين الحمقى.. الملعونين، لا يعرفون شيئاً عن الواقع.. كان أسكيلد يعتبر اتهامه بجهله بالواقع، أسوأ إهانة يمكن أن توجه له.. كرجل عجوز، كان أسكيلد يحب أن يتباهى ببصيرته العالية التي تفوق أغلب الناس.. كما كان يسعد كثيراً حينما يقول أنه يعرف عن الواقع أكثر من بقية أفراد الأسرة.

في كثير من الأحيان، كنا نسأل.. أختي ستينا وأنا، في نفس الوقت: لكن ماذا ترى في الواقع يا جدي؟ كنا نحث أسكيلد كثيراً على أن يرمقنا بنظرة ثقة فيجبينا: الواقع لا يعرفه الأطفال.

بالطبع، ربما يكون على حق في ذلك.. الواقع لا يعرفه الأطفال كالحياة لا يعرفها المقززون.. كتطبيق لتلك الفلسفة فيما بعد في حياته في أواخر عام ١٩٧٠، بدأ أسكيلد يحبسنني أنا.. في خزانة الملابس لأنني كنت أخاف الظلام.. كان يقول لي فيما بعد: انتظر فحسب حتى تضطر إلى مواجهة العالم الحقيقي.. فالكثير يخاف الظلمة حينما لا يكون لديهم شيء حقيقي يخافون منه.

خلال تلك الفترة، حينما تذهب أُمي لقضاء شئونها ويغادر أبي المنزل بسيارته المرسيدس السوداء كل صباح.. ولا يعودان إلا بعد فترة طويلة من حلول الليل، كانت جدتي بيورك وجدي أسكيلد يعتنيان بنا حتى جاء يوم ما حينما صرّحت ستينا أنها شبت عن الطوق وأصبحت كبيرة.. ناضجة للدرجة التي تمكنها من رعايتنا نحن الاثنين وحدها بالإضافة إلى أنها تعرف طريقة مختلفة



تساعدني على قهر خوفي من الظلام - وهي الضوء..

كانت طريقة شفائي من الخوف من الظلام عن طريق الضوء هي الحل الأمثل لحالي.. فتبدوا الظلال دائماً مختلفة تحت الأضواء الكاشفة.. ومع الوقت، يمكن أن يحالفك الحظ.. فإذا أن تنسى تلك الظلال والخيالات أو تعتاد الأضواء الساطعة الدائمة.. في حالي، مع مرور الوقت، اعتدت على الأضواء الساطعة.. حتى في أمستردام، كنت أعتاد في كثير من الأحيان، أن أترك النور مضاءً طوال الليل.. كانت عادة أكثر منها خوف من الظلام.. لكن حينما تزايد خوفي من الظلام، كان لأي فكرة مختلفة.

قال لي أبي يوماً ما وهو يعيد نثر ما ذكره له خاله إيليف عن أرواح الأشجار: لا تجعل الظلمة تهزمك، ثم أضاف: يجب أن تقتحم الظلمة بنفسك. بعد ذلك، كان أبي يمسك بيدي ونذهب سوياً إلى أقرب غابة.. كانت ليلة خريف انعدم فيها وجود القمر.. تتناثر على الأرض كمية قليلة من أوراق الشجر أحمر اللون.. تخشخش تحت أقدامنا.. كانت صورة أب وابنه يتجولان في الغابة لم تفارق ذهني ولا حتى قلبي إلى اليوم.. لم يكن يقهر الخوف بداخلي من الظلمة بنزعة واحدة في الغابة فحسب، بل كان يحكي لي أثناء سيرنا في الغابة، عن تجواله في الغابة المسحورة.. قص لي كيف رأى حيوان الوشق مضاءً بالأضواء الشمالية.. روى لي أيضاً عن الكثير من أرواح الأشجار التي ظهرت له فجأة أمام عينيه.. عن الفتاتين الساحرتين اللتين اقتربتا منه وهما يرقصان.. وقد قابل واحدة منهما في العام التالي في البورج.. كان يتجسس عليها من خلال تلسكوب.. يغازلها ويتودد إليها وهو يركب دراجة مسروقة حتى افترقا عن بعضهما البعض بسبب وظيفة جدي أسكيلد الجديدة في أودنس.. أما الفتاة الأخرى..

سألته: من كانت تلك؟

أجابني: كانت أمك

كان الانتقال إلى أودنس هو آخر خطوة من خطوات ترحال تلك الأسرة..



جدي أسكيلد.. جدتي بيورك.. أبي وأخوته.. بعد مرور عدة أعوام، حينما تم طرد أسكيلد من ساحة السفن في أودنس، عثر على وظيفة في ساحة سفن ليندو.. كان يحتاج إلى دراجة بخارية فحسب ليقطع المسافة الطويلة بين عمله ومنزله.. بعد ذلك، حينما طُرد كالعادة من ساحة سفن ليندو، تملكته الدهشة حينما اكتشف أنه وصل إلى سن التقاعد.. حينما انتقلت الأسرة إلى أودنس، كانت تلك هي أول مرة لم يعد فيها أسكيلد أفراد أسرته أنهم سيعيشون كالنبلاء والبارونات.. لقد تحجرت تلك الكلمات اللاذعة في فمه.. وعلقت على لسانه فعجز عن نطقها.. في يوم ما، حينما عاد أسكيلد مثلاً إلى منزله من ساحة السفن عصراً وكان عليه أن يصرح لأفراد أسرته أنه قد أفسد الأمر مجدداً بسبب وجهة نظره التكعيبية، توقف حينئذ عن أن يكون له أمل في غد أفضل.. بالرغم من ذلك، إلا إن أودنس كانت لبيورك المكان الوحيد حيث شعرت فيه حقاً أنها تُعامل كالنبيلة أو البارونة.. حينما كانت بيورك في السادسة والأربعين من عمرها، حصلت على وظيفة لدوام غير كامل في مكتب مؤسسة لنشر الخشب.. وخلال العشرين عاماً التالين، كلما يرن جرس المنبه في الصباح، تشعر بيورك بسعادة عارمة.. يجتاحها شلال من الحرية الجميل.. فيسرى في دمها سرى الدم في العروق.. كانت وظيفتها عادية، لكن حيث أن جدتي بيورك تملك حساً ساحراً، فقد طعمت عملها بعبير جميل وشذا رائع بات يذكرها تقريباً بكل أيام الصيف الضائعة في طفولتها في نورلاند.

في شاحنة لنقل العزال- في طريق الأسرة من ألبورج إلى أودنس- جلس أسكيلد كئيباً.. عينيه مثبتتين على الطريق حتى رمق ابنه الأكبر بنظرة غاضبة.. ثم قال: يجب أن تتعلم يا بني أن الحياة في الواقع هي مجموعة أتراح أكثر منها أفراح، نظر جاج إيرز إلى والده نظرة لا تعبر عن شيء سوى الازدراء والاحتقار.. ثم قطع عهداً على نفسه.. في نفسه.. أنه سيعيش في ذات المنزل بقية حياته حينما ينتقل وماريان للحياة سوياً.. أما بيورك، من ناحية أخرى،



لم تنطق بكلمة واحدة.. لم تنبس ببنت شفة أثناء تنقلهم.. الحق يقال، كانت ترتجف-لم يكن ذلك بسبب سرعة طرد أسكيلد من عمله- لم يكن ذلك خوفاً من المستقبل.. لم تكن تخشى فكرة أن تبدأ الأسرة حياتها مجدداً في مكان آخر-لقد اعتادت على ذلك- لكن بسبب شيء مختلف تماماً.. منظر دارمي أزعجها كثيراً حينما رأته الليلة السابقة قبل يوم الترحال.

في آخر ليلة للأسرة في فيلبورج، كانت بيورك تجلس في المطبخ.. تتابع بعينين يقظتين حذرتين مباراة المصارعة التي كانت تجري على نافذة ماريان.. يحاول جاج إبرز اقتحام غرفتها بينما تحاول ماريان منعه برقة ودلال.. لكن ما استرعى انتباه بيورك وأثار دهشتها أن الحبيين لم يستمرا في الحديث على حافة النافذة سوى نصف ساعة فحسب.. بعدها التفت جاج إبرز فجأة وركض إلى المنزل.. ثم أطفأت الأنوار في غرفة ماريان.. فكرت بيورك ملياً في نفسها وهي تتنهد بعمق: أسدل الستار.. إذاً هذه هي نهاية تلك القصة.

ذهبت بيورك إلى الحمام.. كانت على وشك أن تخلد إلى النوم قبل أن تشعر بأنها بحاجة إلى كوب من الحليب.. وقفت بيورك مجدداً في المطبخ المظلم حينما بدا النور مضيقاً من نافذة غرفة ماريان.. كانت الستائر مفتوحة على آخرها.. الغرفة مضاءة بإضاءة شديدة كأنها تنبعث من خمسين كشافاً من كشافات الإضاءة.. بينما وقفت ماريان كفيست وسط هذا الضوء الساطع كأمراة فاجرة تتمايل بوقاحة وبذاءة وهي تتمرن على حيلها وحركاتها الساحرة: شفتيها الناتنتين.. ابتسامتها الماكرة.. طريقته الخاصة في طرح خصلات شعرها إلى الخلف وهي تخلع ملابسها قطعة قطعة حتى وقفت في النهاية عارية تماماً وسط حجرتها.. فكرت بيورك في نفسها: بكل وقاحة وجراءة متناهية، لقد لاحظت بيورك أيضاً بالتسكوب في غرفة ابنها.. كان لهذين الأمرين: ماريان العارية تماماً تقوم بحركات مشينة.. وقحة وابنها الجالس على حافة نافذته وعينه ملتصقة بالتسكوب، تأثير سلبي كبير على بيورك حتى أنها شعرت بغصة في حلقها وهي تبتلع الحليب.. مما جعله



يسلك مساراً خاطئاً في جسدها إلى جهازها التنفسي فشرقت.. مما أدى بها إلى سعال شديد متواصل لم يتوقف حتى ذهبت الفتاة إلى فراشها ومعها دميتها..  
الدب الأخضر.. ثم فعلت معه أشياء مخزية.. مشينة لا تصدر أبداً من فتاة محترمة في مثل عمرها....

فكرت بيورك في نفسها في شاحنة العزال التي تقطع عجلاتها الطرق بطيئة لتنقلها إلى حياتها الجديدة في أودنس: ثمة شيء غير طبيعي في تلك الفتاة.. لم تتم عمرها السادس عشر وتفعل مثل تلك الأفعال المشينة البذيئة! ما أبشع ما رأيته جدتي بيورك في تلك الليلة! لم تر بيورك لأكثر من ربع قرن، فتاة اقتربت من السادسة عشر من العمر وتقوم بمثل تلك الأفعال المشينة محاولة التظاهر بأنها فتاة بالغة ناضجة، لم يكن ذلك ما يثير خوفها وقلقها الشديد البادي على ملامحها أثناء تنقل الأسرة إلى أودنس، ما كان يخيفها حقاً أنها ترى شيطاناً يحوم حول غرفتها.. أحد تلك المخلوقات قابضة الأرواح.. وسرعان ما بدأت بيورك ترمق الخطابات التي تصل كل أسبوع إلى المنزل الجديد في أحد ضواحي أودنس، بنظرات قلقة منزعة-خطابات معطرة- أظرف وردية اللون.. تمتلئ بالقلوب مكتوباً عليها في كثير من الأحيان: أرسل إليك تحيات جيبسي هانز.

لحسن الحظ أن بيورك لم تكن تعرف أن جيبسي هانز هو اسم دميتها.. الدب الأخضر الخاص بها.. كما لم تعرف أن الحببيين المجنونين قد وضعوا خطة معاً: أن يهربا معاً حينما يبلغان الثامنة عشر من العمر.. بمعنى آخر، حينما يبلغ جاج إيرز سن الثامنة عشر وهو ما كان سيحدث في أقل من عام تقريباً.

فكرت بيورك ملياً وهي تجهل كل النقاط السابقة : تأتينا أشياء جميلة من هناك، أما في ألبورج، وصلت كارين إلى نفس الاستنتاج.. فقد توقفت ابنتها عن التصرف بوقاحة.. والآن تجلس في هدوء في غرفتها.. تكتب كلمات على ورق وأظرف وردية اللون كما هو الحال مع أية فتاة طبيعية.. وسرعان ما بدأت الأمور تسير على ما يرام مع عائلة كفيست في نايبوفارفتسفي حتى



مساء يوم ما، حينما نادى اللحام على كارين لتخرج من المطبخ وتحدث إليه.. وسرعان ما سحب البساط من تحتها وأدار دفة الحياة إليه قائلاً: يجب أن تتغير الأمور.. وإلا سينتهي كل ما بيننا.. للأبد! أنا أيضاً لي أحلامي الخاصة بي، في محاولة يائسة منها للفرار من تحقيق أحلام زوجها، حاولت كارين التحالف مع ابنتها التي لم تعد رافضة لفكرة الانتقال إلى جرين لاند.. لكن ليس الآن، ليس قبل أن تهرب بعدة أشهر.. بدت نبذة الكلمات التي كانت تسطرها ماريان لجاج إيرز في خطاباتها الوردية وترسلها له في أودنس، يملؤها اليأس وخيبة الأمل.

قرأ جاج إيرز: يجب أن ننفذ خططنا في أسرع وقت ممكن.. يجب أن نهرب الآن! فأبي أصبح مخبولاً وأمي أصابها الجنون.. لا أطيق الاحتمال بعد الآن، فرد عليها جاج إيرز بوعود ذهبية.. وإن كان الاثنان قد شبا عن الطوق، إلا إن جاج إيرز لم تختمر فكرة الهروب بعقله بعد ولم يقو على تنفيذها.. على أن حال، انتقلت أسرة كفيست إلى جرين لاند قبل أن ينجح أحد في الهروب.. وبعد ذلك بقليل، لاحظت بيورك فتوراً حاداً في حالة ابنها المزاجية.. لم تعد الأظرف الوردية اللون التي تأتية من جرين لاند تبهجها بعد الآن.. لم يعبأ بنبرة الكلمات التي ترد بكلمات تلك الخطابات: الحماسة الواضحة.. النبذة المبتهجة التي كانت تشهد على حقيقة أن ماريان وجدت من يمكنها أن تفعل معه كل ما هو جامح ومتهور.. كان ذلك الشخص هو والدها.. اللحام .. الذي اصطحب ابنته في رحلات الصيد بالجبال.. سمح لها بأن تركب زلاجة الكلاب على الجليد.. اصطحبها للخارج لرؤية الدببة القطبية.. حتى بدت قصة جاج إيرز عن حيوان الوشق الذي تضيئه الأضواء الشمالية، عادية للغاية بالمقارنة بتلك المغامرات التي قامت بها ماريان.. كتبت له ماريان ذات مرة: إن كان لا زال علينا الهروب، يمكننا الهروب إلى جرين لاند فهو مكان مذهل حقاً!

ثم بدأت نبذة مختلفة تتسلل لتطغى على سطور جاج إيرز في خطاباته هو الآخر: هل والدك هو الوحيد الذي يمكنه أن يصطحبك في رحلات الصيد



تلك؟ ألن ترين صبية آخرين؟ حتى الكلمات الخاتمة التي قطعت بها ماريان كل أواصر الحب بينها وبين جاج إيرز قبل رحيله عن البلدة، أصبحت الآن حجر الزاوية في شجارهما الأحمق.. كتب لها جاج إيرز ذات مرة: هل رأى أحد غيري ما تفعلينه مع دميتك.. الدب الأخضر؟ لم تنس أن تغلقي ستائرك.. أليس كذلك؟

فأجابت ماريان: بالطبع أنت الوحيد الذي تعلم ما أفعله مع جيسي هانز.. وماذا عنك؟ من الذي تتجسس عليه ليلاً تلك الأيام؟ ولما لم تأت إلى هنا؟ لقد وعدتني أننا سنهرب معاً حينما تبلغ الثامنة عشر.. وكان ذلك منذ شهور! فرد عليها جاج إيرز: اشعر أنني أوشكت على القدوم، لم تتحسن نبرة الكلمات التي يرسلانها إلى بعضهما البعض حينما زادت الفجوة بينهما نتيجة لشعورهما المتبادل بالغيرة وعدم الثقة.. كما زاد من الأمر سوءاً، تدخل الأم في مسار تلك العلاقة.. شعرت بيورك أن الأمور لا تسير على ما يرام مع ابنها في أيامه الأولى في أودنس.. بعدما وصلت الأسرة إلى أودنس بقليل، طلب مدير المدرسة الجديدة التي التحق بها جاج إيرز من بيورك وأسكيلد حضور اجتماع عاجل.. حيث طلب أن يعيد جاج إيرز عاماً من أعوامه الدراسية بالمدرسة لأن لديه مشاكل مع اللغة الدماركية مما كان له تأثير سلبي على مستوى ومنحنى تعلمه.. بالإضافة إلى أن جاج إيرز أصبح يجلس دائماً في غرفته.. يحدّق في الفراغ حينما لم يكن منشغلاً بكتابة الخطابات والتي ما إن ينتهي منها حتى يصبح شارد الذهن.. مشتت الأفكار.. فكرت بيورك في نفسها: لم يكوّن صداقات جديدة، لذلك قررت أنها يجب أن تفعل شيئاً ما لإنقاذ ابنها مما هو فيه.. ما أصعب اللحظة التي كانت تقف فيها ممسكة بظرف وردي اللون في يدها.. لكن كيف ستدافع عن نفسها إن سرقت خطاباته؟ لكنها أقنعت نفسها أنها تقوم بذلك لمصلحته الشخصية.. فقامت بتنفيذ خطتها بالفعل.. كانت تسرق خطاباته.. تكرمشها ببساطة.. ثم تلقي بها في صندوق القمامة.



كتب جاج إيرز لماريان معاتباً: لما لا تكتبن لي؟ هل وجدت لك صديقاً غيري؟  
فردت ماريان: بالطبع لا! أنت الذي لا تكتب لي!

لم تأخذ بيورك كل الخطابات.. كانت تسرق معظمها.. على عكس ما كانت تفعل مسبقاً، تخفيها في صندوق في قاع خزانة الملابس في غرفة النوم.. في كثير من الأحيان، كانت تفتح أحد خطابات ابنها بعدما تقول له: دعني أرسل لك الخطاب.. سأدفع الرسوم، فيسلمها جاج إيرز الخطاب دون أن يساوره الشك في نواياها.. في النهاية، كانت أمه تدخل العديد من الفجوات الصامتة وبعض العوامل المجهولة الأخرى والوعود المتقطعة بين الحبيبين حتى وصل ذات يوم آخر خطاب وردي اللون من جرين لاند.

كتبت ماريان كفيست لجاج إيرز: لست أنت من عرفته من قبل.. بت مختلفاً تماماً عن ذي قبل.. أراهن أن خدعتك وسؤالك عن دمية الدب كان كذباً، لم تتح لماريان الفرصة لقراءة الكلمات الأخيرة التي ردّ بها جاج إيرز عليها.. لقد سرقت جدتي بيورك الخطاب ثم أخفته في خزانة ملابسها.. توقف جاج إيرز عن الكتابة.. فصار الآن يجلس ثابتاً في مكانه.. يحذق في الفراغ.. وكثيراً ما كان يقول له أسكيلد أن القلوب المحطمة دائماً ما تندمل جراحها وتُضمّد مع أحداث العالم الحقيقي والواقع المعاش.. لكن هيهات قال أسكيلد، لم يقتنع جاج إيرز أبداً بتلك الكلمات.

لم تكن جدتي هي الأخرى، متأكدة من تلك الكلمات.. فقد رأت ابنها يبدوأكثر بؤساً وتعاسة من ذي قبل.. لم تتغير حالة جاج إيرز من وجهة نظرها إلا حينما رآته ذات يوم بعد الظهيرة، يُضرم ناراً هائلة في أبعد ركن من أركان الساحة.. تنهدت بيورك في راحة ثم قالت في نفسها للمرة الثانية وهي تشاهد ابنها يكرّز النيران بعضاً في يده.. لتلتهم كل جزء من أجزاء الخطابات الوردية وأدوات الكتابة.. لتتحول إلى رماد تذرّوه الرياح: تُسدل الستار.. تنتهي تلك القصة الآن وإلى الأبد.. إلى أبد الأبدين.



## جرس مطلي بالكروم

خلال العامين الماضيين اعتاد كنان على رؤية والده وهو يسحب خلفه إلى المنزل دراجة تلو الأخرى كانت جميع الدراجات بها عطل ما فبعضها ذات إطارات مفرغة الهواء والرفارف والهياكل مثنية، لكن أسكيلد كان ينفخ الإطارات ويصلح الهيكل ويلقي الأقفال القديمة بعيداً، ثم يضع الدراجات في السقيفة التي امتلأت عن آخرها بالدراجات.

كان أسكيلد يحب أن يقنع نفسه بصحة ما فعله فيفكر ملياً في نفسه قائلاً: ما أفعله ليس سرقة لا أسرق الدراجات بل اعتني بها فحسب.

تلك الدراجات كانت مسروقة من قبل لصوص مجهولين هؤلاء المجرمين الذين تركوها في خنادق وفي سياج من الشجيرات، بعدما أنهموا جرائمهم، فقد اعتاد أسكيلد أن يترك الدراجات هناك في مكانها لمدة أسبوع على الأقل قبل أن يأخذها إلى المنزل، وكان يمكن لجيرانه وزملائه شراء قطعة من قطع غيار الدراجات في مقابل زجاجة من البيرة، كما يحصلون على دراجة كاملة مقابل زجاجة أكوافيت، في حين أعطى أسكيلد دراجة لكل فرد من أفراد الأسرة فحصل كنان على دراجة أيضاً لكنها دراجة خرقاء ذات إطاراً مامي متعرج، ولم يكن كنان يحب اللون البني كما لم يكن يحب صياح الصبية الصغار في الجوار خلفه في سخرية واستهزاء كلما قاد دراجته ماراً عليهم.

كانوا يصيحون في سخرية: يا كنان.. من أين سرقت تلك الدراجة؟ في مثل تلك المواقف كان كنان يقفز من دراجته ويشمر أكمامه إلى كوعه، ثم يصيح: من يجرؤ ويلمس جرس الدراجة؟ كان كنان يستفزهم للعراك لكن لم يجرؤ صبية الجوار على النطق بكلمة، فقد تذكروا ما حدث من قبل لسبي متغطرس وقع حينما أقدم على دق جرس دراجة كنان من قبل.

قال الصبي في نفسه «ما الضرر في ذلك؟» فما إن لمست أصابعه الجرس الصدى حتى عاجله كنان بكلمة شديدة في معدته فانهار على الأرض وقفز



الترويجي على دراجته يقودها بأقصى سرعة نحو بقية الصبية الذين فروا هارين في خوف ورعب شديدين، ثم أخذ كنان يدق جرس دراجته مراراً وتكراراً كالمجنون، والحقيقة أن كنان قد أعجب كثيراً بجرس تلك الدراجة الذي كان يصدر صوتاً عالياً بالرغم من أن الصبي تمنى كثيراً دراجة ذات جرس جديد مطلي بالكروم كزملائه.

حينما كان أسكيلد خارج المنزل كان كنان يذهب إلى السقيفة ويستعير إحدى الدراجات الأخرى، ثم يقودها إلى الميناء الذي لم يضاه في مخيلته ميناء بيرجين المذهل، كانت أودنس بلدة ذات ميناء راكد بطيئ الحركة وكان كنان يجلس هناك يحدّق في كسل إلى السفن القليلة التي ترسو على المرسى كأنه وقف بالميناء لإطعام حيوان يرافقه أو ليجد حلاً للتخلص من الصدا بدراجته، فقد اعتاد الزبائن دائم والتردد على ذلك الميناء في عام (١٩٦٩) على رؤية صبي في الثالثة عشرة من عمره يحتل مساحة من الأرض على بعد أمتاراً قليلة من المرسى.

بدا كنان انطوائياً كتيباً بعض الشيء، إلا أن تعبيراً حالمًا ارتسم على وجهه، فقد كان يحلم دوماً بأن يكسّر القيود من حوله وأن ينطلق في عالم غريب لا يمت لذلك الذي يعيشه بصلة، لكنه الآن يحلم أيضاً بالهروب من المدرسة.. الهروب من الأطفال المزعجين في الشارع.. الهروب من والده الذي كان يتعقبه دائماً ويمتدح أخاه الأكبر في أية مناسبة.

اعتاد أسكيلد أن يقول: بدا نيلز جونيور أخرقاً مغفلاً يوماً ما لكن الآن عاد إلى رشده وبدأ يفكر في مستقبله.

بعدما أحرق نيلز جونيور صندوقاً كاملاً من الخطابات الوردية تذكر الوعد القديم الذي قطعه على نفسه ألا ينتهي به المطاف كوالده، ففي نفس اليوم الذي أحرق فيه كل الخطابات أخرج جاج إيرز كتبه الدراسية وبعد مرور عدة أسابيع قرر وقت الغداء أنه يريد الالتحاق بمدرسة لدراسة إدارة الأعمال، فعكف في غرفته وانكب على كتبه يستذكر ما بها من دروس على



ضوء مصباح طويل الرقبة في حين بدأ يتلاشى شوقه لفتاة أحلامه في الغابة المسحورة مثلما بدأت تتكالب الديون على المنزل، لكن حينما يذكر أسكيلد لابنه الصغير أمثلة عن ذكاء جاج إيرز يغرق كنان في أفكاره الهدامة السلبية فيقول في نفسه: «إنه ممل للغاية».

بعدما انتقلت الأسرة إلى أودنس بدأ جاج إيرز ينسحب قلباً وعقلاً من الأسرة بينما تحكّم كنان في زمام المعركة لكنه اختلف عن أخيه جاج إيرز، فبدأ يناطح والده ويناهذه في أفكاره وآرائه، واعتقد كنان في نفسه أن أخاه الأكبر نوع من البشر الذي فنى مع مرور الزمن، إن كان أسكيلد ينظر إلى الأمر من هذا المنظور، لاختفى نيلز في غرفته وترك كنان يقف في مواجهة والده يتملكه الغضب العارم عاجز عن الحركة أوتجاهل والده مثلما كانت تنصحه بيورك دوماً.

من ناحية أخرى إن حاول كنان دخول غرفة أخيه كان نيلز يصيح فيه قائلاً: اذهب عن وجهي.. أنا أقرأ.

نادراً ما كان نيلز يصطحب أخاه الصغير كنان إلى أي مكان، ولقد اصطحبه جاج إيرز-نيلز-جونيور- يوماً ما إلى نادي البولنغ حيث كان يعمل مسئولاً عن القارورة الخشبية في البولنغ وجلس كنان ليلة كاملة في نادي البولنغ وهو يحمل زجاجة مياه غازية في يده يحرق فيما يفعله شقيقه ويتابع كيف يقوم نيلز بترتيب القارورات الخشبية للبولنغ وقد بدت علامات التركيز جلية على وجهه.

في يوم آخر اصطحبه جاج إيرز للتأكد من بطاقة الائتمان الخاصة به لأنه كلما كان يجب على نيلز دفع بعض المال، كان ينفق كل ماله في الحال نتيجة لسرقة قدره المليئ بالعملات الذهبية في نهاية قوس قزح فيما مضى واستنزاف ما به من مال يدخره نيلز بالقدر حينذاك.

اعتاد أسكيلد أن يقول لجاج إيرز: أقرضني عملة واحدة فحسب حتى أحصل على المال وأعيدها إليك، لكن مع الوقت حصل أسكيلد على بعض المال لكنه



نسى تماماً أمر المال الذي اقترضه ثم يتهم ابنه بالبخل وإن رفض جاج إيرز إقراضه المال كان أسكيلد يفتش في جيوب ابنه ثم يتمسك بتطبيق شعاره الممل: «إن وجدت أي مال في أي مكان فهو لي».

كان كنتاج يفهم جيداً سبب خروج جاج إيرز الدائم وإنفاق ماله في نفس اليوم الذي يجنيه فيه فقد كان يأتي إلى المنزل بحقائب مليئة بالملابس والكتب والاسطوانات، ثم يدعي أن الأمر أسقط في يده ولم يعد له عليه سلطان، ثم يقول بطريقة ماهرة عجز كنتاج عن تقليدها: أنا أسف يا أبي ربما يمكنني مساعدتك بالنسالة من جيوبي؟ لكن ما لا يفهمه كنتاج لما كان عليه هو وحده اللعب دائماً مع أخته آن كاترين؟

كان أسكيلد دائماً يقول له: اللعب قليلاً مع أختك تريد أن تخرج قليلاً. في الماضي، كان كنتاج وآن كاترين مترابطين متفاهمين للغاية كفريق عمل واحد أو كأفراد عصابة واحدة كانا يدفعان بيورك للجنون بجميع المزاحات التي كان يحلم بها كنتاج، وفي النهاية حينما أصبح كنتاج القدوة العليا لأخته والمثل الأعلى لها في التفكير اتحداً معاً في شبكة من التأييد والانحياز وصارت الأسرار تتكتم فيما بينهما بعيداً عن والديهما وتزايدت بينهما الوعود الذهبية الرائعة التي كانت تطرب أذنا آن كاترين بشدة كان كنتاج دائماً يعدها بأن يأخذها معه على سفينة حينما يصبح بحاراً يوماً ما، ووعدتها بأنه سيربها الغابات والشواطئ الاستوائية، وسيكون مسموح لها أن تجلس طوال اليوم على كرسي على متن السفينة تحتسي ما تشتهييه من مياه غازية، وبناءً على تلك الوعود الحاملة كانت آن تنظف غرفة كنتاج تعزف عن إخبار والديها بأحدث مزاحاته وكثيراً ما كانت تتلقى الإهانات والسباب عنه دون إحجام أو إجمال لكن مؤخراً بدأت تلك الوعود تبدو كرماد النار بعدما كانت متأججة في الأيام السابقة، فقد لاحظ كنتاج أن تلك الوعود أصبحت قيوداً بالنسبة له حينما اكتشف واقعاً لم يستسغه على الإطلاق، فقد كانت آن كاترين تلاحقه في كل مكان يذهب إليه .



واقترَب عيد ميلاد آن الثامن عشر وأصبح الأمر محرّجاً بالنسبة لكنات حينما يرى أحد تلك الفتاة البلهاء السمينّة وهي تلاحقه بدأ كنات يصيح في وجهها كلما كانت تركّض خلفه في الشارع: «اغربي عن وجهي .. لا أريدك أن تأتي معي».

ما إن صاح كنات في وجهها بتلك الكلمات اللاذعة حتى توقفت آن كاترين وحَدّقت في وجه أخيها الصغير وهي لا تصدق ما تسمعه بأذنيها وأخذت تقضم ظُفر إبهامها وهي تحمل دميّتها القديمة البالية دون أن تفكر في أن تشدّ ساقِها المعوجتين المقوستين اللتين كانتا تهتزّان من وزنها الزائد الذي اقترَب من الثمانين كيلوغرامات.

كلما صاح كنات في وجهها بتلك الكلمات كانت تحتج وتقول له كأنها تشير إلى قوى عليا لا يمكن معارضتها: يجب أن تعتنى بي فأبي قال ذلك.

لكن كنات كان يجب عليها ببساطة: لا أهتم لذلك أيتها الخرقاء اللعينة ثم يقفز على دراجته تاركاً أخته آن خلفه على الرصيف تنظر إليه نظرة مجروحة حزينة. تلك النظرة التي تجعل كنات يطبق على أسنانه بإحكام حتى تتغير أفكاره التي تجول برأسه إلى أمور أخرى ما إن يرى منزلاً من الطوب الأحمر على بعد أقل من كيلومتر.

لكن كنات لم ير قط الفتاة التي تعيش في ذلك المنزل في أي مكان ففكر ملياً: إن كان لديّ جرس مطلي بالكروم في دراجتي لأخذت أدقه لأعلن عن وجودي لها، ثم تابع سيره إلى الميناء ليرى إن كانت هناك سفن جديدة رست على الميناء أم لا، كالمعتاد لم يذهب كنات إلى الميناء بدراجته البنية بل كان دائماً يأخذ إحدى دراجات الغير فسرقة الدراجات كانت لكنات بمثابة خبرة لتخدير أعصابه، فلم يكن يهمه إن حدث لها مكروه أم لا فهي ليست ملكه. ذات مرة أمسك به أسكيلد وهويركب واحدة من تلك الدراجات المسروقة كان كنات يعلم جيداً أن والده إن كان مثلاً أو غير مثّل فالنتيجة سواء فلن يحدث أي تغيير فأنفاس أسكيلد النتنة تفوح من بعيد سأل أسكيلد كنات



في غضب عارم وهو يجذب الشعرات القليلة خلف أذنه: إن كان يعتقد أن السقيفة متجراً للهدايا، فصاح كنان في وجه والده قائلاً: لما لا تضربني فحسب ولما لا تكسر أنفي فحسب مثلاً؟

لم ينس كنان أبداً الحادثة التي حدثت له في حريق الغابة والتي أدت في النهاية إلى تحطيم أنفه فوالده كان من النوع الذي يمكنه بسهولة تحطيم أنف ابنه بعضاً أو مهندس الحنطة كما كان كاذباً أيضاً فكم من مرة وعد فيها أسكيلد ابنه كنان أنه سيرافقه إلى ساحة السفن حينما يتم تدشين السفن حديثة الصنع لأول مرة؟ كم مرة أخلف وعده له وألغى الأمر في آخر لحظة وهو يقول له: في المرة القادمة لست في حالة مزاجية جيدة اليوم، فكر كنان ملياً: إذاً أبي من النوع الذي لا يحب إتمام الأمور.

هذا ما جال بذهن كنان حينما وقف وهو في الثالثة عشرة من العمر في متجر الدراجات في سكيهاسفي محدقاً في صف طويل من أجراس الدراجات، فسأله عامل المتجر مرتين عما يبحث فأجابه كنان: «لا شيء» لاحظ كنان أن عامل المتجر يبدو كمعلم من فئة المعلمين لا أحد يعلم من أين أتى كنان بعادة تصنيف الجميع إلى أنواع وأنماط بشرية متعددة، فكر كنان وهو يمرر إصبعه على أجراس مطلية بالكروم: فئات المعلمين معروفة يقحم المعلمون أنفسهم فيما لا يعنيهم، وفجأة.. يخطف كنان جرساً دون أن يعلم كيف حدث ذلك- ويهرول خارج المتجر بينما أخذ عامل المتجر يركض خلفه فركض كنان بكل ما أوتي من قوة إلى كنيسة فريدنز حيث عبر الممرات ثم اختبأ في النهاية في فتحة في سياج الشجيرات لا يراها العامل، وقد أخذ صوت الجرس الذي سرقه كنان يُسمع مدوياً بعد تلك الحادثة بنصف ساعة بدا الجرس لامعاً براقاً كالجوهرة الجميلة على مقود دراجته الصديء، وفكر كنان ملياً في نفسه: يوماً ما سأسرق دراجة جديدة.

في حين كان يتجول بدراجته بجوار المنزل المبنى بالطوب الأحمر حتى لمح الفتاة التي تسكن فيه وهي تخرج من بوابته وتسير في الشارع.



صاح كنانات موجهاً لها كلامه: «حيناً أصبح بالغاً للدرجة التي تمكنني من تقرير مصري بنفسي سأتي إلى هنا من أجلك، لكن الفتاة نظرت إليه في شك وريبة ثم قالت له: «ما الذي جعلك تفكر أن ذلك ما أريده؟» أجابها كنان: «انتظري فحسب فأنا متأكد أنك ستغيرين رأيك».

كانت الفتاة أصغر من كنانات بعامين، وقد تخيل كنانات نفسه وهو يبحر في بلدة غريبة ذات ميناء غريب بينما تقف هي على متن السفينة تتبعه بعينها في حب وإعجاب، كما راودته أحلام سرية عن المؤخرة ذات الوشم التي سيكشفها قريباً للفتاة ما إن تطئ قدمها متن السفينة، لقد قام كنانات ذات يوم بقياس طولها بمسطرة أسكيلد فكان طولها (١٣ سنتيمتراً) فكر كنانات ملياً: «سيحدث ذلك يوماً ما، أما الآن فعلى الأقل حصلت على جرس مطلي بالكروم» كانت تلك هي الأفكار التي تجول في ذهنه حينما عاد إلى منزله ووجد ضابطي الشرطة وعامل المتجر ثائراً يتحدث إلى أسكيلد أمام السقيفة قبل أن يصيح وهو يشير إلى كنانات قائلاً: ها هوذا.

ومن ثم استدار كنانات بدراجته لينطلق بعيداً عن المنزل فصاح أسكيلد: تعالى إلى هنا أيها اللص الصغير تعالى هنا حالاً.

صاح كنانات وهو يفر بعيداً عن الرجال الأربعة: يجب أن تتكلم أنت أولاً الق نظرة في السقيفة لكن لم يهتم أي من رجلي الشرطة بالنظر في السقيفة فالأمر بالنسبة لهما ما هو إلا سرقة جرس دراجة فحسب وقد رأى الجميع الجرس المطلي بالكروم وهو على دراجة المتهم الصدئة، هرول كنانات نحو الميناء في طريقه، رأى كنانات الفتاة مجدداً فصاح قائلاً: سأتي يوماً ما من أجلك ثقي في ذلك أخرجت الفتاة لسانها لتعبر عن ازدرائها له وسخريتها من أي شيء يقوله.

فصاح كنانات وهو يهرول بدراجته نحو الميناء: وسأقبل لسانك، لكن سرعان ما شعر كنانات بالإحباط يزداد بداخله شيئاً فشيئاً حينما بدأت الأمطار تهطل بغزارة وفكر كنانات في نفسه ملياً: ماذا سأقول حينما أعود إلى المنزل؟



لعن كنان نفسه على فعلته وهويبحث عن مكان يحتمى فيه من المطر أسفل أفاريز المبانى، وأخذ يتسائل: لماذا سرقت ذلك الجرس بحق الجحيم...؟! فأنا لم يمكنني الحصول على شيء لنفسي أبداً، وبدا له أن أسكيلد كان يتجسس عليه طوال حياته وكان يقحم أنفه في كل شيء حتى أنه كان يقنم الغرفة التي يتقاسمها كنان مع أخته دون أن يطرق الباب ويفتش في حاجيات ومتعلقات ابنه الصغير، ويقنم عليه الحمام دون أن يأخذ في اعتباره تقدير أية خصوصية للفرد أوحقيقة أنه يمكن أن يمكس ابنه وهو عاري المؤخرة يقيس طولها بالمسطرة فيصيح أسكيلد في دھول ودهشة.

فكر كنان في نفسه: لا أريد أن أعود إلى المنزل، لكن حينما استجمع شجاعته وسأل بحاراً يقابله بالصدفة مراراً إن كان يمكنه أن يمضي الليلة على متن سفينته، حدّق الرجل فيه والغضب يتطاير من عينيه الحمراوتين متعجباً من أمره فسأله: هل تعتقد أنني أدير أحد الفنادق هنا أيها الصبي؟ بدت ثياب كنان رثة ومبللة من المطر كما بدا الصبي نفسه مشّت الأفكار شارد الذهن في حين بدا الجرس المطلي بالكروم ينظر إليه يضحك أمام وجهه في سخرية واستهزاء والوقت متأخر للغاية حينما عاد كنان مبلاً من المطر يتسلل إلى منزله في تانوفى.

صاح أسكيلد وقد بدا في حالة مزاجية سيئة لم يكن عليها من قبل: ينظر إليّ بابتسامة غبية تعلو شفتيه، لقد مرّ أسكيلد بتجربة غير سارة في نفس ذات اليوم حينما أراد كنان الهروب من المنزل ثم عاد خائباً إلى منزله في وقت متأخر من الليل ووقف أسكيلد أمام متجر صغير لأطر اللوحات في أطراف البلدة واستغرق في التفكير الحالم وهو يحدّق في نافذة العرض بالمتجر الذي كان معروفاً بالحرفية في قطعه المعروضة، وحينما وقف أسكيلد شارد الذهن يتمسك برغبة جامحة في وضع لوحين من لوحاته الزيتية في إطارين لاحظ رجلاً يقف في الناحية الأخرى من النافذة يحدّق فيه بشدة، وبعد وهلة انفتح باب المتجر وخرج إلى الشارع رجل طويل القامة هزيل الجسم بدا



كأنه صاحب المتجر، ثم سأل أسكيلد «هل زرت ألمانيا من قبل؟»  
فما كان من أسكيلد الذي لا يريد أن يذكره أحد بأي شيء يتعلق بألمانيا ولا  
حتى بالأوقات السعيدة التي استمتع فيها بإجازة على الشاطئ هناك بين  
الحروب، إلا أن أجابه «لا.. بحق الرب! لم أفعل قط».  
قال صاحب المتجر الذي بدا مرتبكاً للغاية: فهمت، ربما أكون قد أخطأت لم  
تكن كلماته تنطلق بتلقائية وسهولة من فمه بل كان يتلعثم في نطقها كأنها  
يكتشف وينتقى كل كلمة يقولها.

فكر أسكيلد في نفسه ملياً أثناء عودته إلى المنزل: ترى هل كان ذلك الرجل  
من المخيمات؟ ماذا يعرف عني؟

بلا شك، كان لمقابلة أسكيلد لذلك الرجل هزيل الجسم تأثيراً سلبياً كبيراً  
عليه فقد بدا عقله مزدحماً بالأفكار المشتتة، وفي طريق عودته إلى منزله  
انعطف أسكيلد إلى الزاوية وقد كبج جماح نفسه وهويلقي نظرة ازدراء  
إلى ست زجاجات أكوافيت مصطفة في صف واحد يخالجه شعور قوى أن  
أمراً ما بدأ ينكشف، وحينما وصل إلى منزله ووجد ضابطي الشرطة يقفان  
أمام السقيفة، أصبح مقتنعاً تماماً أن الماضي قد تجسد أمامه مجدداً، وبرؤية  
مehزوزة مشوشة مخبولة في ذهنه تخيل عناوين صحف اليوم التالي: القبض  
على مجرم حرب بعد خمسة وعشرين عاماً قتل صاحبه بيديه.

ويا لها من سعادة شديدة سيطرت عليه حينما علم أسكيلد أن الموضوع كله  
ينحصر في جرس دراجة تافه، حينها شعر جدي أسكيلد أنه يريد أن يضحك  
في وجهي ضابطي الشرطة العابسين، لكن في اللحظة التالية جاء كنان ركباً  
دراجته لقد ساء الأمر بالنسبة له حينما لم يسمع كلام أسكيلد، لكن كنان  
نفسه صاح وثرثر بشيء عن الدراجات بالسقيفة فيا له من موقف محرج  
ماذا يظن ابنه أنه فاعل؟ فكر أسكيلد أنه لم يمر وقت طويل قبل أن يقف  
رجال الشرطة أمام بابه مجدداً، لكن حينئذ بتهم أكثر خطورة هي سرقة  
مدبرة للدراجات على سبيل المثال أو قتل مع سبق الإصرار، لذلك جذب



أسكيلد كنان من خصلات شعره خلف أذنيه حينما عاد مبتلاً مجدداً إلى المنزل، ومزّق أسكيلد سروال الصبي، ثم عاجله بضربه شديدة على مؤخرته المعارية ذلك كل ما استطاع أسكيلد عمله وفقاً للحدود التي تم الاتفاق عليها في الاتفاق السري مع بيورك في نورلاند بعد قدحين من القهوة، وحينما كان كنان يحارب في معركة خاسرة أمام قوة عظمى ولا حاجة هنا لذكر شعوره بالخل والخرى من معاقبة والده له بهذه الطريقة، في حين اختفى جاج إيرز في غرفته ثم قام بتشغيل اسطوانة (ألفيس).

حاولت آن كاترين أن تزحف لتختبئ تحت سريرها لكن جسمها الممتلئ لم يمكنها من الاختباء جيداً فلم تستطع الزحف كلياً تحت السرير إلا لنصف المسافة فحسب، بينما وقفت بيورك في غضب وعصية شديدة على عتبة الباب فهي أرادت أن تتأكد أن زوجها لن يخرق اتفاقهما السري باستخدام حزام على سبيل المثال، أو أن يضرب الفتى في أي مكان آخر غير المؤخرة، في حين تمنى كنان أن ينهال أسكيلد عليه ضرباً من أن يعامله كطفل صغير، وفكر كنان ملياً فيما بعد: حينما أصبح رجلاً بالغاً للدرجة التي تمكنني من تقرير مصيري بنفسه، سأنهال عليه ضرباً بحق الرب!

على مائدة الإفطار في صباح اليوم التالي لم يجرؤ أحد من أفراد العائلة أن يلقي نظرة عابرة على الفتى الذي جلس في مكانه يحدّق في طبقه في حين بدأ أسكيلد خطبة مطولة، بعد ذلك، بدلاً من الذهاب إلى المدرسة سرق كنان دراجة وركبها إلى الميناء ليتحدث مجدداً مع البحار ذي العينين الحمراء. هذه المرة كان كنان أكثر إصراراً وتصميماً على تنفيذ ما يرمي إليه، فرفض أن يسحب قبضته بعيداً عن ذراع البحار ورفض أن يفلته اعترض طريق الرجل فقد كان مستعداً أن يتذلل له ويثجو على ركبتيه متوسلاً إن لم يأخذ بالبحار ذي العينين الحمراء شفقة لحال الفتى إن لم يدعه إلى مطبخ السفينة لتناول قحداً من القهوة.

قال البحار وهو يلقي يديه بعيداً: أخشى أنني لا يمكنني مساعدتك أنا ذاهب



لأبعد من ألبرج.

لم يستطع أسكيلد طرح تلك الحادثة التي مرّ بها من عقله حينما سأله الرجل بالمتجر عما إن كان قد ذهب إلى ألمانيا من قبل، مثلما لم يتمكن كنان من طرح فكرة رحيله عن المنزل بعيداً عن مخيلته، طوال ذلك اليوم كان أسكيلد يفكر في الرجل هزيل الجسم بمتجر الأطر تنغص عليه أفكاره أشباح الماضي التي حاول أسكيلد دفنها طوال خمسة وعشرين عاماً من الصمت تلك الأشباح التي نهضت من مدفنها لتؤرقه مدى الحياة.

في عصر ذلك اليوم امتزجت تلك الأفكار في ذهنه بصورة صاحب المتجر الأعزل كذلك مع أفكار أسكيلد الخاصة بتربية كنان بطريقة ضعيفة سيئة فُكر أسكيلد في طريق عودته إلى المنزل من ساحة السفن: اللعنة! تربية أولادي هوشاني أنا وحدي، بعد وهلة بينما كان أسكيلد يتجول في متجر لبيع الدراجات في سكيهاسفي، ألقى نظرة متعجرفة على عامل المتجر الذي كان ثائراً اليوم السابق لسرقة كنان جرساً من متجره، ثم قال له أسكيلد: هلا أعرتني اهتماماً وأحضرت لي تلك الدراجة؟ قام أسكيلد بدفع ثمن الدراجة لقد صرف أغلب ما ادخره من راتبه على الدراجة باهظة الثمن في ذلك المتجر اقترب عيد ميلاد كنان؟ فلما لا يعطيه ما حلم به طويلاً؟ لما لا يكون كريماً معه ولومرة؟ شعر أسكيلد بسعادة عارمة حينما تغيرت سلوكيات عامل المتجر المتكبرة إلى انحناء مهذبة رقيقة وكم كان الأمر ممتعاً حقاً لأسكيلد حينما سمعه يتحدث عن سرقة الجرس التي حدثت في اليوم السابق كأنها مجرد سوء تفاهم.

قال له عامل المتجر: الأمر أبسط من أن يُذكر يا أستاذ إيريكسون سأعرض عليك جرساً رائعاً يمكنك شراؤه لذا فلننسى ذلك الأمر برمته.

بعد مرور نصف ساعة عاد أسكيلد إلى المنزل ومعه الدراجة الجديدة بدا جرس كبير الحجم لامعاً براقاً مثبتاً على مقود الدراجة، كان جدى سعيداً جداً بنفسه إن كان الماضي يلاحقه فعلى الأقل سيقوم بآخر عمل جيد له في



حياته جلس أسكيلد في غرفة المعيشة وسكب لنفسه بعض البيرة، ثم بدأ ينقر الطاولة بأصابعه في ترقب ظل أسكيلد جالساً في مكانه لمدة ساعتين، في حين ساوره القلق والتوتر على ابنه فقد نفذ صبره تماماً حينما لم يأت ابنه بعد، وفي النهاية أرسل ابنه الكبير للبحث عن أخيه الصغير كانت فقد مضى وقت طويل على آخر مرة خرج فيها جاج إيرز لأداء تلك المهمة، لكنه ذهب مباشرة نحو الميناء حيث بدأ جاج إيرز يسأل المارة حتى أخبره البحار ذوالعينين الحمراء أن أخاه الصغير الذي يسأل عنه ربما يكون هو ذلك الفتى الذي يجلس الآن في مطبخ سفينته ويرفض مغادرة المكان قال البحار ليليز وهو يورج ذراعيه: سنبحر بعد نصف ساعة لذا يجب أن تتحدث إليه في عجلة.

لكن كانت لم يتزحزح من مكانه وقال لأخيه الكبير حينما سأله عما خطط ليفعله في ألبورج: لا أعنى إلى أين تتجه السفينة ثم استطرد بعدما سمع قصة أن ثمة دراجة جديدة تنتظر عودته إلى المنزل: لا أبالي.. لن أعود إلى المنزل حتى أصبح بالغاً ناضجاً للدرجة التي تمكنني من أن أوسعه ضرباً يمكنك أن تخبره بذلك نيابةً عني.

بعد نصف ساعة حينما أبحرت السفينة من الميناء، كان الشقيقان لا زالا يجلسان على متن السفينة فهزّ البحار رأسه وقد أسقط الأمر بيده استمر جاج إيرز في محاولة إقناع أخيه الصغير ببعض الجمل المفيدة لمدة ليلة ونصف على متن السفينة لكن حينما كان جاج إيرز يتحدث إلى أخيه هبت رياح عاتية فبدأت السفينة تتأرجح فشعر جاج إيرز بدوار البحر، وأخذ كانت طوال الليل يفرغ دلواً تلوا الآخر من قبي أخيه الكبير ويمسح جبينه الذي أخذ يتصبب عرقاً مؤكداً له أن أحداً لا يموت من دوار البحر، شعر جاج إيرز أنه مريض للغاية كما أزال مشهد أخيه الكبير وهو يئن وينشج كالطفل الصغير أي شكوك في نفس كانت فقد أصر كانت على وجهته مؤكداً أن تلك هي اللحظة التي ينتظرها طول حياته، أخذ كانت يركض جيئةً وذهاباً بين ربان السفينة



وأخيه المريض وهو يصفر محاولاً أن يهدئ من روع أخيه رفض كنان بشدة أن يقفز جاج إيرز من فوق جانب من جوانب السفينة إلى البحر تلك الفكرة التي أراد جاج إيرز في لحظة من الهذيان أن ينفذها، كما وجد كنان الفرصة أيضاً لتقديم القهوة على منصة ربان السفينة وإصلاح درجة من درجات ممشي الركاب التي أصبحت متقلقة غير ثابتة أو بمعنى آخر نجح كنان في كسب إعجاب الرجل ذي العينين الحمراء حتى أن الأخير أخذه في صباح اليوم التالي إلى سفينة أخرى أكبر لتقدمه إلى ربانها، كان ذلك أهم يوم في حياة كنان نعم في الحقيقة كان أعظم يوم في حياته.. كان جاج إيرز يتذكر دوماً أن ذلك الصباح في ميناء ألبورج يعتبر بمثابة هزيمة بالنسبة له حيث لم ينجح في إقناع أخيه الصغير بالعدول عن قراره والعودة معه إلى المنزل.

تلك كانت آخر عبارة ذكرها كنان لجاج إيرز قبل أن يصعد على متن السفينة الجديدة: اخبر أن كاترين أنني سأتي يوماً ما واصطحبها معي لكن كانت تلك عبارة لا يعينها أبداً، فقد كان كنان يعلم جيداً أنه لا يمكنه أن يأخذ آن كاترين معه عبر بحر العالم، كما أنه يعلم جيداً أنه لا يريد لها معه أي مكان، ثم ألقى نظرة أخيرة على أخيه الكبير الذي ترنح بشدة وهو يخرج من ساحة الميناء ووجد طريقه إلى أقرب طريق رئيسي ثم بدأ يشير ببهامه للسيارات المارة.

وأثناء عودته من ألبورج إلى أودنيس برفقة العديد من سائقي الشاحنات، كانت تدور في ذهن جاج إيرز كلمتان صغيرتان: «النزول من الهضبة.. الرحيل عن المنزل» ففقد كان الأمر محبطاً للغاية حينما أدرك جاج إيرز أن أخاه الأصغر منه بتسعة أعوام قد رحل عن المنزل قبله، بدأت أعوام دراسته الأخيرة على ضوء المصباح طويل الرقبة، فيملؤه فجأة شعور بالإشمئزاز وهو الذي يمتلك من قبل قدرًا من الذهب عند نهاية قوس قزح، وقد أخذ وعداً أن السماء ستمطر عليه ذهباً وأنه في انتظاره مستقبلاً باهراً، لكنه الآن يجلس هنا دون أي كرونا في جيبه كالمعتاد لأنه اعتاد أن ينفق كل راتبه



اللعين قبل أن يعود إلى والده في المنزل.. فمتى سيأتي دوره في الرحيل...؟! حينما اقترب جاج إيرز من أودنس تملك عقله فكرة إخبار أسرته بتلك الأخبار السيئة عن كنان محولاً اهتمامهم وتركيزهم بعيداً عنه، وعلم جاج إيرز أن بيورك سيصيبها السقم من شدة القلق على كنان وعلم أيضاً أن أخته الصُغرى ستعتبر تلك الأخبار صدمة كبيرة في حياتها، وأخيراً فهو كان مدرَكاً كيف سيتصرف أسكيلد حيال هذا الخبر: سيسأل بعناد وتحدي: «كنان من؟» كلما تحولت دفة الحديث جهة أخيه الهارب، فبالرغم من أنه ينحدر من عائلة تسافر بحراً، إلا إنه لا يرفض فكرة أن ابنه يتبع نفس تقليد العائلة. حينما عاد جاج إيرز إلى المنزل دون كنان لم تُسمع سوى كلمات قليلة في هذا الأمر، في اليوم التالي وضع أسكيلد دراجة كنان في السقيفة ولم يكن مسموحاً لبيورك أن تلمسها، وممنوع أن يلمسها أي طفل فهذا ممنوع بأية حال من الأحوال وتحت أية ظروف أن يلمسها الأحفاد الذين كانوا يلقون نظرات شغف وإعجاب بالدراجة الجديدة الفاخرة غير المستخدمة ثلاثية التروس. كان أسكيلد يصبح دوماً بطريقته المقتضية كلما أقرب أنا وأوستينا من الدراجة التي اعتبرت أثراً هاماً لتلك الأسرة المنقسمة قائلًا: ابعدا أيديكما عنها- ولوهلة بدا لي أسكيلد كريماً للغاية- فقد سرق الصبي جرساً فصاح ليكشف أمر الدراجات بالسقيفة وبالرغم من ذلك كله، كافأه جدي بشرته دراجة جديدة له وكان هذا تصرفاً غير مناسب تماماً بالنسبة لأسكيلد وهو أكثر مما قد تفعله أي أسرة أخرى في مثل هذا الموقف، وكيف شكره ابنه؟ بهروبه من المنزل. بعد مرور عدة أسابيع من اختفاء كنان جنّ جنون أسكيلد بشأن ابنه حتى خلع لوحة «بيرجين تحترق» -من مكانها المشرف لها في الردهة- التي رسمها بعد حادثة حريق الغابة ومدرس الحنطة، وبعد مرور عدة أيام خلع أسكيلد لوحة زيتية أخرى: «الطبيب والمشرط» ذلك العمل الرديء المليئ بالعيوب الفظيعة الذي رسمه في حالة عاطفية مرّ بها بعدما سمع عن أعراض مرض ابنته منذ خمسة عشر عاماً مضت فأصبحت تلك اللوحة معلقة الآن حيث



كانت لوحة «يرجين تحترق» معلقة من قبل.

قال أسكيلد: «على الأقل لم تهرب أن مثلما فعل أخوها الصغير اللعنة..!» ثم أضاف بنظرة كئيبة: «لكن يجب أن توضع في إطار أولاً».

أرسل أسكيلد جاج إيرز إلى متجر الأطر وقبل أن يذهب قضى أسكيلد نصف اليوم وهو يعطي جاج إيرز التعليمات بشأن الإطار، كما أعطى ابنه بعض التعليمات الأخرى التي تدعوللحيرة والربكة، فقد بدا الأمر كأن الإطار ذا أهمية ثانوية وأن والده قد أرسله بخطة عمل خفية.

لذلك خرج جاج إيرز من المنزل قاصداً البلدة ممسكاً بلوحة «الطبيب والمشرط» تحت ذراعه حينها شعر نيلز الصغير-فجأة- أنه يسير في هوة بين الماضي والحاضر تلك الهوة التي اجتازها كانت حينما صعد على متن السفينة الكبيرة، وقد فكر جاج إيرز ملياً: لكنني لم أصل إلى هذا الحد بعد ثم فتح باب متجر الأطر بعد نصف ساعة فلمح نيلز وجه نساياً في الركن البعيد من المتجر كانت الفتاة تقف معطية ظهرها للمدخل.

سألها: هل يمكنني التحدث إلى صاحب المتجر؟ ما إن طرح جاج إيرز السؤال حتى التفتت إليه الفتاة أشارت بإصبعها بين نهديها ثم قالت: «إنها هنا». ما هو جدير بالذكر أن جاج إيرز وقف كالأبله لم يكن ذلك بسبب شعوره بالملفاجأة أنه اكتشف أن صاحب المتجر فتاة بالرغم من أن أسكيلد قد أخبره بأن صاحب المتجر أوالمستول عن العمل اليومي بالمتجر هورجل عجوز مضطرب تذكر كلمات أسكيلد: «إنه أحمق حقاً.. لذلك لا يجب أن تتحدث مع ذلك الأبله كثيراً يا بني» ولم يقف نيلز مشدوهاً لأنه وجد صعوبة شديدة في أن يسأل الفتاة عن أمور حدثت منذ عشرين عاماً مضى فقد تذكر أباه وهو يقول له: «اعرف لي ماذا كان يفعل في الحرب وسله عَرَصاً.. أتفهم ما أعنيه؟ إن كان قد ذهب إلى ألمانيا من قبل أم لا.. لا أريد أن أشاركه في أي عمل كان»، لم يقف جاج إيرز في مكانه كحجر صلد لأن الفتاة الشابة التي كانت تقف أمامه حينئذ على مسافة أقل من مترين ترمقه بنظرات متسائلة



بل كانت جذابة للغاية، ولقد اعتراه الذهول وتملكته الدهشة لأن الفتاة تذكره بشيء لم يستطع أن يتذكره جيداً.. ألم يرها من قبل؟ ألم يكن هناك شيئاً مألوفاً في ملامحها؟ ألم يضع رأسه على حجرها من قبل؟.. ألم تلمسه؟ ألم تمرر أصابعها بين خصلات شعره برفق من قبل؟

فكر جاج إيرز ملياً: بحق الجحيم!!.. اللعنة!! لقد تذكر تلك الغابات التي راودته في أحلامه فشعر برجفة تسري في جسده والأرض تتزلزل تحت قدميه، ثم تساءل في دهشة: هل هي حقاً؟.

عائلة أمي بين طباع الملائكة وطباع زوجات الأب

ذات يوم قال هانز كارلوبيتسون المالك السابق لمتجر الأطر لابنته ليلى ذات السادسة من العمر وهويربت على رأسها في حنان: «لقد اختار الرب قطيطاتك» والعجب في ذلك أنه كان يربت بنفس اليد التي ألقت بقطيطات ابنته السبعة في حقيبة وأغرقها في نهر خلف المنزل فشعرت ليلى بطعم مرارة غريب في فمها وهي تلتهم قرطاس المثلجات الكبير الذي أعطاه لها والدها للتو، وأحست أن أمراً خطيراً قد حدث، بعد مرور خمسة أعوام جاء والدها ليأخذها من منزل عمتها حيث قاد سيارته وابنته بجواره إلى بحيرة الغابة حيث ابتاع لها أكبر قرطاس يمكن أن تسعه المثلجات، ثم قال لها: «لقد اختار الرب أمك ليلة أمس» ولم يترك ذلك في نفس ابنته حزناً بالغاً فحسب، بل ترك بداخلها كرهاً ونفوراً من الرب والحلوى.

كان هانز كارلوبيتسون قد قابل زوجته المتوفية في اجتماع عائلي وكانت تربطهما صلة قرابة وقد أسره جمالها الفتان وهي تجلس-هناك- وسط الضيوف مما جعل الجميع من سادة وسيدات غيورات يقومون على خدمتها، بعد العشاء دعاها هانز كارلومراففته إلى الحديقة حيث طلب الزواج منها وكان هو في الثالثة والعشرين من عمره بينما كانت إليزابيث في التاسعة عشرة من عمرها، فما إن سمعت عرضه للزواج منها حتى انفجرت ضاحكة مما جعل جدى لأمي يبدو شاحب الوجه، وقبل انتهاء الأمسية، انتشر الخبر



بين جميع الحاضرين، أن هانز كارلوكان في حالة مغازلة، مما جعل الأعمام والعمات والخالات يطلقون عليه لقب ملك المغازلة والسيد اللص المنسل، فقرر هانز أن يغامر بكل شيء من أجل أن يحظى بها. بعد مرور يومين أرسل هانز كارلومرسالاً ليقدم صحبة من زهور الزنبق البيضاء لإليزابيث الرقيقة.

حينما لم تلق صحبة زهور واحدة أى اهتمام ولم يكن لها أي تأثير مما حدا بهانز أن يرسل زهوراً كثيرة بكميات هائلة حتى أنها بددت أمواله بالكامل، في حين عبأت منزل حماه وحماته المستقبليين بالرائحة العطرة الجميلة، هكذا تكونت مخيلتي صورة جدي الأخرى إليزابيث التي لم أرها قط: تخيلتها ترقد في فراش الموت شاحبة الوجه كالملاك، محاطة بغابة من الزهور التي انتقاها جدي لأمي بعناية وحرص بالغ على أن تكون مناسبة لذوق زوجته المستقبلية، هذا يعني أنها لم تحب الورد البلدي أو عباد الشمس، بل كانت تعشق زهور الزنبق والتوليب الهادئة وأزهار خاتم سليمان التي كانت تتمتع برائحة عطرة رائعة، حتى أنها دفعتها للتلف لاستنشاق عيرها الجميل حينما كانت تشعر بضيق في التنفس عندما مرت بنوبات الصداع النصفي . مرّ عام كامل قبل أن يُسمح لهانز بالتنزه معها حول بحيرة الغابة المجاورة، وقد مرّ عام آخر قبل أن يُسمح له بأن يمسك يدها، لكن ذات يوم من أيام الربيع.. حينما كانا يتنزهان معاً يداً بيد بجوار بحيرة الغابة: توقفت إليزابيث فجأة وقالت: «إذًا.. يمكن أن تسألني مجدداً نفس السؤال السابق يا هانز كارلوفما إن أتمت إليزابيث عبارتها حتى شعر هانز بسعادة عارمة لدرجة أنه نسي أن يسألها السؤال الذي يُلح عليه، أويعرض عليها طلبه للزواج منها، ومع ذلك، تم الزواج في حينه حينما جاءت الليلة الموعودة«ليلة الزفاف» وقد رقدت إليزابيث شاحبة الوجه كالموقي في فراش العرس تلتقط أنفاسها بصعوبة تحت تأثير الصداع النصفي، كان هذا حائلاً لها أن تمنح زوجها أكثر من مجرد قُبلة صغيرة.



أطفاً هانز كارلوضوء الغرفة وهويشعر بإحباط رهيب وخيبة أمل كبيرة، ثم رقد في فراشه استعداداً للنوم لكنه في وقت مبكر من صباح اليوم التالي لم يستطع كبح جماح غريزته أكثر من ذلك ولم يتمالك نفسه حتى لمست أصابعه جسدها الشاحب برقة وحنان، وأخذ يهمس في أذنيها بكلمات الحب الساحرة في ضوء الصباح الرقيق ومُطهرها بكلمات العشق والهوى التي ظلت مكتومة بداخله طوال ثلاثة أعوام من المغازلة والتودد.

تبدّل شحوب وجه إليزابيث فقد اندفعت بداخل شراينها أكاسير الحياة تلون وجهها وجسدها كله بلون النضارة والحيوية، قبل أن تظهر لزوجها طعماً معيناً مميزاً للحظات المتعة الجنسية التي تاق لها طويلاً من قبل، لكن لم يمنع ذلك من تدخل الشيطان في علاقتهما الجنسية: فقد بدت هي مرتبكة صعبة المراس، فأحياناً كثيرة غير بارعة في التحكم في خيوط العلاقة الساخنة، ذلك ما لم يكن يعلمه أي فرد من أفراد أسرته، بعد أسبوعين فقط من ليلة الزفاف طلبت من زوجها أن تتركب دراجته البخارية- ما كان حتى ذلك الحين ممنوعاً لديها من قبل والدها ووالدتها- لأن صوت الضوضاء التي يحدثها موتور الدراجة البخارية يخترق النوافذ فيصيبها بالصداع النصفي فيبقيها في الفراش لأيام.

صاحت إليزابيث تملؤها الإثارة وهي تتركب بجوار زوجها في المقعد المجاور للدراجة: «بحق المسيح...! إنها سريعة للغاية...!».

وقبل مرور ثلاثة أشهر أصبحت إليزابيث هي من تتولى عجلة قيادة الدراجة البخارية في حين جلس هانز كارلوفي المقعد المجاور للدراجة حينما كانا ينطلقان في أرجاء الريف في أيام العطلات الأسبوعية والإجازات الرسمية يهللان ويصيحان من فرط شعورهما بالسعادة، هكذا مرّ عامان قصيران جميلان في حياة جدي وجدتي لأمي كان أبلغ مرادهما القيام برحلة بالدراجة البخارية إلى برلين في الهدنة بين الحروب، حيث جذبهما نرويجي مخمور دفعهما لبياداراً بالكلام معه وكان ذلك الترويجي متهوراً طائشاً للغاية حتى



أنه كان يتجول حول (بوتسدمار بلاتز) بعلم نازي مليئٍ بالسباب والإهانات والرسوم المسيئة، ولم ينقذ ذلك النرويجي من مواجهة أخطر المشكلات سوى رد فعل هانز كارلوالسريع حينما مرّ عليهم مجموعة من الشباب من أنصار هتلر، فما كان من جدي إلا أن مَزّق العلم من فوق صاريه فأقحمه سريعاً في جيبه، وحينما جلس هانز وزوجته إليزابيث مع النرويجي المغمور فيما بعد في حانة مليئة بالدخان الكثيف حيث أخذ الرجل النرويجي يقصّ على رفيقه المغمور الألماني خزيه الوجه قصصاً عن القراصنة سندت إليزابيث ظهرها على مقعدها، وعَضّت أذن هانز كارلو ثم همست له فيها: «الحياة جميلة».

في وقت متأخر من تلك الليلة اختفى النرويجي ورفيقه في المدينة بينما عاد الزوجان الشابان إلى غرفتهما المؤجرة حيث خلع كلا منهما ملابس الآخر واستسلما للحظات حميمة ساخنة.. متقدة .. عنيفة استمرت حتى تسلت أولى خيوط أشعة شمس اليوم التالي من خلال الستائر المخملية لتداعب جسدي العاشقين العاريين معلنة شهادتها على حبهما الجارف وعلاقتهم الحميمة الرائعة التي لم تكن لتتوقف إن لم تعترضها الشمس ليعودا إلى أرض الواقع من حلمهما الرومانسي الجميل وليقنعا بعضهما البعض بأن الحياة حقاً جميلة.

لكن سرعان ما انتهت علاقة جدي وجدتي لأمي ببعضهما البعض خاصة بعدما اتضح للجميع أن إليزابيث أصبحت حاملاً تلك السيدة التي عانت من المرض في أغلب أيام حياتها بدأت تعاني مجدداً من الصداع النصفي وبدأ النوم يجافيها ويقصّ الأرق مضجعا على فترات متقاربة فتستسلم له صاغرة يدفعها الأرق لتترنح حول المنزل شاحبة الوجه كالموقى وذلك قبل أن تصاب بهبوط حاد في الدورة الدموية فيشعرها بالدوار الشديد، كما بدأت نوبات سعال شديدة تعذبها وتدوي في صدرها الرقيق.

في البداية: اعتقد الجميع أن صحتها يمكن أن تتحسن بعد الولادة لكن قد حدث العكس تماماً فبعدما أنجبت إليزابيث مولودها (هاري) الصغير بعملية



قيصرية تدهورت حالتها الصحية كثيراً، وتم وضع الدراجة البخارية خلف المنزل وراء السقيفة، فبدأ هانز كارلويذهب إلى العمل على دراجة حتى لا يزعج زوجته بضوضاء محرك الدراجة البخارية، كما تم وضع علم النازية المظموس الذي أحضره هانز وزوجته معهما كتذكّار من رحلتهما إلى برلين في خزانة بالطابق السفلي، وبدأت تنتشر الشائعات المغرضة الخبيثة بين أفراد العائلة لتشويه سمعة هانز كارلو. فقد أُشيع بين أفراد العائلة أنه نتيجة لإهماله سيتسبب قريباً في موت زوجته الهادئة الرقيقة، فبدأ أفراد العائلة يقتحمون منزلها ويأمرون أن تُغلق النوافذ وتُسدل الستائر فعمّ الصمت الرهيب أرجاء المنزل.

وقبل أن يمضي وقت طويل امتلأ المنزل بالعديد من السيدات العجائز الأبكمات اللاتي يطبخن الطعام وأخريات وخالات يهمسن في أذن هاري الصغير يُخيفنه بقصصهن الشريرة عن أرواح الأنهار التي تخرج من النهر الصغير ويقصصن عليه قصصاً عن الحفر المظلمة في الطابق السفلي...! نعم.. بالفعل فعلن ذلك.

كما همسن في أذنيه بقصص عن التنانين ذات الرأسين التي تخرج من الجدران وتقطع مؤخرته الصغيرة إن لم يحسن التصرف ويتوقف عن مضايقة أمه في حين بدأت تفوح في المنزل رائحة المرض الكريهة مثلما فاحت رائحة نتنة من الماء العطن في الزهرية لتعبئ جميع أرجاء المنزل بينما كان الدخول الذي يعود على الأسرة من متجر الأطر الذي يملكه هانز كارلويقل شيئاً فشيئاً، وكان ذلك وقت الحرب.. من يهتم بشراء أطر للوحات زيتية بينما يحتل الألمان البلاد...؟!

بعد عدة أعوام قرر هانز كارلوطرد جميع السيدات العجائز البشعات والخالات الهامسات من المنزل بينما تولى هومسؤولية رعاية وتربية ابنه بنفسه وقد بدت الأمور تسير على ما يرام بعد وهلة حتى مساء يوم ما في فصل الربيع وقبل انتهاء الحرب بقليل نهضت اليزابيث من فراش المرض



فجأة وفاجأت هانز كارلوالذي كان يجلس في غرفة المعيشة يقرأ جريدته. صاحت إيزابيث فجأة: اللعنة!! رقدت في فراشي ستة أعوام حتى الآن!! ثم طلبت من هانز أن يفتح النوافذ ويُخرج ألبومات الصور التي التقطها أثناء رحلتها بالدراجة البخارية وهو ما فعله جدي لأمي بسعادة لا توصف، سعادة صبي صغير يوم عيد ميلاده، حينما ألقت إيزابيث نظرة على صورة النرويجي وهويتأبط ذراع الألماني خنزيري الوجه قالت: «أتساءل كيف الحال معه الآن؟» فأجابها هانز: أنه ربما لا يتجول في (بوتسدامار بلاتز) بالعلم النازي المظموس المعالم، بعدما استرجعا الذكريات معاً ذهب جدي إلى المرحاض ليتبول قبل موعد النوم وفكر في ارتشاح المياه على السطح الذي لم يكن لديه الوقت الكافي لإصلاحه.

تعجب جدي بلا أية مناسبة قائلاً: يا لجمال الحياة..! ثم عاد إلي المنزل حيث خلع عن زوجته ملابسها بيديه الرقيقتين قبل أن يستسلم الزوجين لعلاقة حميمة ساخنة عنيفة ساحقة كتلك التي التهمت في أسعد أيامهما في برلين.

لم ينقض وقت طويل قبل أن تنتشر شائعة خبيثة شريرة لتشويه سمعة هانز كارلوا، فبدأت تُسمع عبارات عديدة في الاجتماعات العائلية مثل: حامل مجدداً!! فيما يفكر ذلك الوغد؟! هل يحاول أن يقتل زوجته المسكينة..؟! فبدأت السيدات الأبكمات العجائز والخالات الهامسات يحتلن المنزل مجدداً، كُنَّ يتسللن من خلال النوافذ حينما كان هانز كارلوالعمل ويستبحن كل ما هو خاص وسري ويُخفن هاري الصغير بابتهالاتهن، وأخيراً سيطرنَّ على جميع أرجاء المنزل.

لم يقلل صعوبة حمل إيزابيث من تواجد عدد من أفراد العائلة بالمنزل، فبعدما وضعت ليلي الصغيرة في عملية قيصرية كالولادة الأولى شعرت إيزابيث بالإرهاك والتعب الشديدين للدرجة التي جعلت السيدات الأبكمات العجائز والخالات والعمات الهامسات يضعن الطفلة حديثة الولادة في مخزن



بعيد ناءٍ حيث وضعن هاري من قبل في أول أيامه، لكن حينما كان هاري يترقد في المخزن في هدوء وسكينة كانت ليلي تصرخ كالخزير المملل الأحمق ولم تتوقف عن الصرخ إلا في فترات قصيرة في اليوم حينما تُرضعها الملاك صاحب الوجه.

سرعان ما همست الخالات: «روح الطفلة مسكونة..! فيتبادلن الأفكار مع العمات الصامتات اللاتي اتفقن مع الخالات في أن الطفلة ذات نصيب من الإرث الخرافي للعائلة»: أرواح الأنهار.. الحفر المظلمة.. تستخدمن كل ما هو ضروري لتحرير روح الطفلة الفظة، كما كنَّ يقمنَّ بتزديد بعض تعويذات الأطفال المخيفة وتسميع بعض الأشعار الغريبة، يرددن إن صرخت: «سيجف لسانك إن احتججتي لن تصبحين الفتاة اللطيفة الصغيرة التي تحبها ماما إليزابيث إن لم تتوقفي عن الهسهسة في وجه عماتك وخالاتك ولن تحظين بأي قدر من الحب إن كذبتني ستسود معدتك..»: «أحقاً قلن ذلك؟».

كما أكدن أنهن سمعن عن حالات سقطت فيها أسنان طفلة وانتشرت البثرات في جميع أنحاء جسدها، حينما سألت ليلي وهي في الثالثة من عمرها لماذا كانت أمها دائماً ترقد في الفراش بالطابق السفلي خلف ستائر ونوافذ مغلقة كانت السيدات العجائز وخالاتها يجيبن على سؤالها «بأنه لا يليق لفتاة صغيرة مثلها أن تسأل كثيراً من الأسئلة، إلا أن هناك العديد من التساؤلات التي انتشرت وظلت مغلقة في جميع أنحاء المنزل مما جعل أية فتاة صغيرة مثلها تتسائل وتتعجب في دهشة».

لم يتدخل هانز كارلو كثيراً في حياة أطفاله..! الآن وقد مرَّ عامان قبل أن يتمكن هانز من تطهير المنزل من أفراد العائلة الثقلاء وطردهم شر طردة بكل الطرق والوسائل القاسية، ثم بدأت النوافذ تُفتَح مجدداً لكن لسوء الحظ كان الوقت قد فات، ففي ليلة من ليالي الربيع بعد ذلك بوهلة: ظهر طفح جلدي أحمر اللون على وجه إليزابيث كما تناثرت على وسادتها بقع دماء حاولت المسكينة إخفاءها في قاع سلة الغسيل، ولم يمر وقت طويل



قبل أن يدرك الجميع أن الأمر يتعدى صوت قعقعة باردة في صدرها وقت الربيع.. استقر المرض في رئتي إيزابيث ذلك الملاك البرئ بصورة واضحة وإن فُتحت كل النوافذ كما لم يتمكن أحد من طرد رائحة الماء العطنة بالزهريات.. ثملاً لم تتوقف بقع الدماء من التناثر على وسادة إيزابيث كل ليلة. همست إيزابيث الرقيقة حينما سمعت الطبيب وهو ينطق بالحكم عليها بالموت: اللعنة على ذلك!! لقد رقدت في الفراش طوال حياتي، بعد ذلك طلبت من هانز كارلوان يحضر ألبوم الصور من الطابق السفلي لآخر مرة، ولآخر أمسية طويلة ونصف ليلة معاً، حيث تصفح الزوجان الصور المعبرة عن ذكرياتهما معاً، لكن حينما أُغلق آخر ألبوم من ألبومات الصور بدا كأنها فقدت قدرتها على التشبث بالحياة.. خارت قواها تماماً. في اليوم التالي أغلقت جميع النوافذ أيضاً واستمرت على هذا الحال الخمسة أعوام التالية.

حتى وإن رحل جميع أفراد العائلة كان وضحاً أن أرواحهم ظلت تحوم وتتسكع حول المنزل.

وجد هانز كارلو نفسه يستخدم مخلوقات خيالية كلما حاول تأنيب وتوبيخ أطفاله على ارتكابهم أفعالاً خاطئة فبدأ يتحدث عن أرواح الأنهار في النهر الصغير، أيضاً عن الرب الذي أخذ أرواح قطيطات ليلى السبع في ظلمة الليل، وبعد مرور ثلاثة أعوام حينما قال طبيب العائلة: لن يكون أمامها الآن أكثر من شهر كانت كلماته مبعثاً للراحة إلى حد ما..!

ولكن سرعان ما انتقلت ليلى ذات التاسعة من عمرها لقضاء فترة إجازة مع خالتها دون أن تعلم أن قدرها سيُحتم عليها الحياة مع تلك الخالة لعامين قادمين طويلين، هكذا انتهى بإيزابيث الحال في نزاع مستمر مع المرض، ودامت معركتها مع الموت طوال أنفاسها الأخيرة في الدنيا التي استمرت أياماً وليالي طويلة.. رتيبة.. شاقة على تلك النفس المسكينة العليلة.

وأثناء تلك الفترة كانت ليلى تزور أمها في أيام الآحاد وتراها دائماً ملاكاً في



فراش المرض تتأرجح روحها بين الحياة والموت وكانت إليزابيث تربت على وجنة ابنتها بعد ذلك حينما انتقلت إليزابيث إلى المستشفى كانت تربت على يد الفتاة وعادة لم يكن بوسعها التلطف سوى بكلمات قليلة مقتضبة قبل أن تدهم جسدها نوبة سعال عنيفة، فسرعان ما تُخرج الممرضات القلقات ليلى من غرفة أمها بالمستشفى ويصطحبونها إلى الردهة كي لا ترى أمها وهي تسعل فتتناثر بقع الدم حولها وتندفع من فمها لتسيل على ذقنها، فقد خافت الممرضات على تلك الطفلة الصغيرة من أن تصاب بالذعر والهلع من رؤيتها لهذا المنظر المزرى.

حينما كانت تعود ليلى من زيارتها لأمها يوم الأحد إلى منزل خالتها كانت خالتها تقول لها: الرب دائماً يختار إليه أفضل البشر، وكانت ليلى دائماً تُردف قائلة: الرب أحق...!، ثم تركض مسرعة إلى غرفة الضيوف تتبعها خالتها الهامسة على أعقابها

وتقول لها: «لا يجب أن تتحدثي بهذه الطريقة هل جنت؟ أيتها الطفلة سيحف لسانك ويُقطع من فمك».

كانت ليلى دائماً تغلق الباب بعنف في وجه خالتها وتصيح: «أيتها الحيوانة الغبية!» استمر الحال بها على هذا المنوال.. تكيل ليلى لخالتها السباب والاهانات وأفطع الألقاب حتى شعرت السيدة براحة شديدة حينما جاء والد الفتاة التي أصبحت في الحادية عشر من عمرها حينذاك ليصطحبها معه إلى منزلها.

ذلك الصيف الحزين في عام (١٩٥٧) حينما فاضت روح إليزابيث ذلك الصباح إلى بارئها لم يمنع ذلك من وجود تأثير سلبي على نفسية وشخصية الطفلين، فأيام مرض إليزابيث الطويلة والمناخ العام المضطرب في المنزل كان لهما تأثيرهما الفظيع على شقيق ليلى الكبير هاري الذي صار رجلاً.. شاباً عصبي المزاج، في حين شبت الفتاة يملؤها الحقد وتستبد بها الضغينة.

بعدما التهمت ليلى أكبر قرطاس مثلجات مثيراً للغثيان في حياتها عند بحيرة



الغابة حيث سمحت إليزابيث في شبابها منذ عشرين عاماً لهانز كارلو أن يتقدم للزواج منها، رفضت ليلى في تحدي أن تُذرف دمعاً واحدة أمام أسرتهما. بل قالت وهي تشير إلى مديرة المنزل الجديدة التي استأجرها والدها: تلك السيدة لن تلمس ثياب أمي ولن تمس حجابات وأغراضى أبداً ما حييت! كانت مديرة المنزل تُدعى ليليان وكانت أصغر من هانز كارلو بعشرين عاماً وقد استأجرها والد ليلى مباشرةً بعد موت إليزابيث، أما عن متجر الأطر فسرعان ما أصبح عملاً جديراً بالاحترام في منتصف عام (١٩٥٠) عكس ما كان متوقعاً له تماماً، كما تم استدعاء هاري للخدمة العسكرية حدّقت ليليان في خوف ورعب في ابنة رب عملها الجديد الفضة سيئة الطباع، في البداية شعرت ليليان بالانزعاج من أن والد ليلى فشل في تأنيبها ومعاقبتها على سلوكها الفظ لكن تلك السيدة وبدهاء النساء قررت استخدام المكر لتكسب قلب الفتاة الصغيرة فهمست لها: «يا لك من فتاة حلوة وجميلة!»

فأردفت ليلى وقد كشفت عن ألعيب السيدة بذكاء خارق: «لست حلوة ولا جميلة على الإطلاق ولا تعتقدي أبداً أنك ستستولين على أبي!». تنبه هانز كارول لذلك التعليق الأخير ربما لأنه يحمل ذرة حقيقة لم يكن منه سوى أن صفع ليلى صفعة شديدة على وجهها مما جعلها تبكي بكاءً حاراً، ثم ارتدت على أعقابها وركضت إلى الطابق السفلي.

بعد موت إليزابيث بفترة قصيرة حوّلت مياه الفيضان أدنى مستوى من المنزل إلى كهف مغمور بالمياه حيث تقفز الضفادع والعلاجيم بين ألبومات الصور والعديد من التذكارات التي تحمل كل ذكريات الماضي الأليم مع مرض إليزابيث، أما حينذاك فقد جفّت المياه وبدأت ليلى التي كانت قد سمعت عن الفيضان من خالتها تتجول في الطابق السفلي وتبحث عن الحفر التي همست في أذنها خالاتها مراراً بشأنها في أيام طفولتها الأولى والتي اعتقدت أنها مصدر تلك المياه، لكنها لم تجد سوى غطاء بالوعة مغطى بالطين، لذلك قررت ليلى أن تفتش عن آثار الفيضان المدمرة وما سببه من أضرار والتي



تركت كل شيء في فوضى عارمة، في ذلك المساء سألت والدها إن كان يمكنها تنظيف الطابق السفلي فسمح لها هانز كارلوبذلك وهو يشعر براحة كبيرة أنه لن ينظف تلك الأغراض القديمة بنفسه ويواجه كل تلك الذكريات المؤلمة. فبدأت ليلى ذات الحادية عشر من العمر تجرف دلاء الطين من الطابق السفلي، ووجدت صوراً محت المياه معالمها تماماً وحولتها إلى رسوم كاريكاتيرية مبهمة، ووجدت خطابات مَطْموسة الكلمات فبدت كأنها مكتوبة باللغة الهيروغليفية، كما وجدت العديد من الأغراض تتضمن علماً نازياً مَطْموساً مليئاً ببقع العفن الكثيرة حتى أنها قررت للحظة أن تُلقي به في صندوق القمامة، لكن حيث أن لديها قناعةً بأن كل قطعة بالية وكل قطعة حطام بالطابق السفلي بها شيءٌ من روح أمها، فقامت الطفلة بغسل جميع الصور وكتيها بالمكنواة، ثم وضعتها جميعاً في ألبومات الصور التي ابتاعتها مديرة المنزل من مالها الخاص دون علم هانز كارلو لتكسب ود ليلى ابنة صاحب المنزل.

لم يمض وقت طويل قبل أن تُثمر مجهودات ليلى ثمارها المرجوة، فبدأت الفتاة تتخيل الصور التي أتلقتها المياه كأنها تكشف عن مشاهد من حياة أمها الأبدية الجديدة في الآخرة، في البداية اعتراها الذهول مما بدت عليه صورها الملائكية من مرح فقد تخيلت أمها تحتسي الخمر مع ملائكة مَطْموسة الملامح، وتخيلتها تصيح وهي تنطلق بدراجة بخارية عبر وديان جنة (عدن) بشعرها الأشقر الذهبي الجميل تتطاير خصلاته في جميع الأنحاء من حولها، بعد ذلك بقليل تخيلت ليلى أمها في مواقف داعرة فاحشة حيث كانت إليزابيث تستسلم لبعض الملائكة ذوات الشفاة الوردية لآلهة مشعرة تقبل رقبته البيضاء وتتحسس قدميها وتضغط على فخذيهما في حين تلفظ هي عبارات وتعليقات مثل: «الحياة جميلة ويا لجمال الجنة...!».

استمرت ليلى في تنظيف الطابق السفلي وهي مقتنعة تمام الاقتناع بأن أمها تعيش حياة جميلة في الآخرة بالرغم من أنها بدأت تلاحظ بعض التغيرات



التدريجية المثيرة للإحباط، بدأت تتغير ملامح الصور في الألبوم التي تخيلتها ليلى كأنها ملائكة تعيش حياتها الآخرة، وبدأت الصور متجمدة.. كثيبة.. تخيلت وجوه الملائكة وأمها مهزوزة.. مشوهة.. حينها رسخ بذهنها اعتقاد مؤكد أن إليزابيث تسير في جنة عدن مع ملائكة باقيات..!

لم يساورها الشك أبداً في سبب ذلك العبوس والبؤس الذي وجدت الفتاة عليه أمها والملائكة في مخيلتها، كانت أمها تعاني في الجنة لأن مديرة منزل ما احتلت منزلها، مؤخراً: سمعت ليلى صوت صرير في المنزل في وقت متأخر من الليل فتأكدت أن ذلك رسولاً من عند أمها أتى إلى الأرض يحمل رسالة ما، فبدأت تتسلل من فراشها حينما كان المكان معتماً للغاية، في البداية لم تلاحظ ليلى أى شيء غير طبيعي، لكن في ليلة ما سمعت الفتاة فجأة صوت صرير يأتي من باب مديرة المنزل، فجثمت رابضة أسفل واحدة من قطع الأثاث وقد رأت ليليان تنزل سلام الدرج وهى ترتدى منامتها التى تومض في ضوء القمر وترقص حافية القدمين كالجنية، كان لذلك المشهد الفظيع والذي يمثل تحولاً تاماً طراً على مديرة المنزل التي بدت لا غبار عليها في البداية تأثيراً سلبياً شديداً على ليلى التي بدت مسلوبة القوى تماماً أمام هذا المشهد البشع، لكنها لم تكن تواجه ليليان في تلك الليلة فقد زحفت ليلى ببساطة تحت الأثاث وشاهدت بقلب مرتجف كيف كانت مديرة المنزل الشريرة تبتسم لنفسها في المرأة قبل أن تتسلل داخل غرفة نوم هانز كارلو لتنام حيث نامت إليزابيث لتطارح هانز الغرام مثلما كانت تفعل إليزابيث من قبل قبل أن يتدخل الموت ليفرق بينها وبين زوجها فيعطي الفرصة لتلك الخبيثة أن تحل محلها في الفراش وفي قلب هانز.

منذ تلك اللحظة لم تعد مديرة المنزل عنصر إزعاج في حياة ليلى اليومية فحسب، بل أصبحت عدواً لدوداً أيضاً.

لم تدخر ليلى وسعاً في تشويه سمعة ليليان ولم تكَل من أن تحط من شأنها في نظر أبيها تركت النار مشتعلة تحت القدور والأواني لتحرق الطعام وقامت



برش الصبغة في أحواض الغسيل في غفلة من ليليان وثبتت المسامير في أحذية ليليان وحينما قرر والدها اصطحاب أخت مديرة منزل إلى السينما التقطت ليلى زجاجة من أقراص مُلّين المعدة من رف الأدوية وسحقت سبعة أقراص ثم وضعتها في قهوة ليليان وكانت النتيجة متوقعة، فقد عاد هانز وليليان إلى المنزل في منتصف الفيلم، بدا هانز حينها مرتبكاً نوعاً ما بينما اندفعت ليليان إلى الحمام وقد اصطبغ وجهها بحمرة الخجل فقد مزّقت فستانها وهي تصيح: «سأموت خجلاً».

في تلك الليلة نزلت ليلى إلى الطابق السفلي لتفحص الصور التي طمسها المياه فلاحظت تغييرات إيجابية في حياة أمها الأبدية تخيلت أمها ملاكاً تعلو وجهه البهجة والسعادة العارمة، في حين تتغنى بقية الملائكة بأغنية رقيقة ملائكية، وهكذا استخدمت ليلى ألبومات الصور كمتنفس لمشاعرها الخاصة، لكن كالمعتاد دوماً وهي تتخيل نفسها تمازح الصورة الملائكية التي تتخيلها لأنها لم تدم تلك البهجة طويلاً، فسرعان ما بدت على تلك الصور الكآبة والحزن البالغ مجدداً، فعادت الملائكة الباكية مرة أخرى.

على المدى البعيد لم تؤثر المسامير ولا أقراص مُلّين المعدة ولا اللعنات السرية في منع حدوث الكارثة، فبعد مرور عامين من موت إليزابيث أخبر هانز كارلوا بنته ليلى أنها سيكون لديها أم جديدة قال هانز في حزن وشفقة: «أعلم أن ذلك يصعب عليك» ثم أضاف بحدة: «لكن يجب أن تعتادي أن تنادي ليليان بلقب «أمي»».

صاحت ليلى: «أبداً».

خلال الأسابيع التي سبقت زفاف والدها بدت ليلى في حالة يرثى لها معذبة النفس ومحطمة القلب كلما تفحصت حياة أمها الأبدية بين الملائكة الباكية، بدت ليلى في الصور كل علامات اليأس والأسى والحزن والغضب الشديد مما يحدث على الأرض.

لكن مع مرور الوقت يحين وقت الزفاف فبدت ليلى حزينة للغاية حتى أن



تعاستها كان لها تأثيرها السلبي شديد على مقاومتها للأحداث التي وقعت  
عكس ما كانت تتمنى، فقد خارت قواها تماماً وضعفت مقاومتها للغاية حتى  
استسلمت أخيراً للواقع رغماً عنها، وبعد مرور عدة ساعات من الملاحظة  
والمداعبة السخيفة خاطبت ليلى أخيراً مديرة المنزل بما هو متوقع منها قوله  
على مضض، لكن لم يستطع أحد أن يحذف أي كلمة صغيرة مما أدخلتها ليلى  
في سرها على عبارات الحب التي انطلقت من فم الطفلة مكرهة ورغماً عنها  
فقد استمر الضيوف في الإلحاح على ليلى قائلين: «هيا.. قولي ذلك».

فما كان من ليلى سوى أن همست على مضض:

«تهانتي يا مدام ماما».

ليلى ضغطت علي أسنانها همست: تهاني يا مدام الأم  
ومع التلفظ يمثل هذا التعبير ولاحقاً ستينا وأنا غيرنا الكلمات إلي مدام الجدة  
كي نتوجه بالحديث إلي هذه السيدة التي تتحلي بكآبة طفيفة، والتي دائماً ما  
كانت تظهر في أمسيات عشاء العائلة ولكن عدا هذا لم تصدر أية جلبة منها،  
فقد بقيت بلا أطفال وارتعشت من فرط المعاناة وعادة ما كانت تعود  
للبيت مبكراً كي تحلم بوقت بدا كل شيء فيه مختلفاً وترقص مثل حورية  
مسحورة في بيت جدتي لأمي علي ضوء القمر.

ومثلما تعلق بعض القصص ببعض الناس فإن قصة المدام الأم وهي تمزق  
ثيابها في السينما علقت بذاكرة ليليان طوال حياتها، مما جعل منها موضوعاً  
للسخرية في أسرتها.

«حسنًا...!» اعتاد الجد آسكيلد علي أن يقول مثل تلك الكلمات بعد أن  
يتجول جولات يوم الأحد، «أعتقد أنها لم تمزق ثيابها في طاولة القهوة في  
مثل هذا الوقت»، قالت مثل هذا الكلام لدهشة ستينا ولمرحي الكبير، حتي  
الجدة بيورك التي كانت دوما تصح من لغة آسكيلد لم يسعها أن تتوقف  
عن الابتسام عند رؤية الوجه المضحك ودوما ما كانت الأم تستمر في أن  
تطلق علي المدام الأم هذا اللقب طوال حياتها.



وفي الليلة التي تلت حفل الزفاف حلمت ليلى أن رياح التغيير هلت عبر العالم السماوى وغيرت من حياة أمها وسط الملائكة، فالآن اليزابيث كانت تتنهد مرة أخرى وتستجيب للملائكة بشفتين ورديتين وشعور مستسلمة، وعندما استيقظت ليلى في الصباح فقد لاحظت أن هناك مشاعر لم غير عادي في بطنها .

ولمحت بقعة حمراء علي الشرف ، وهي بقعة تبدو كبيرة إلي حد ما علي اللباس الداخلي فقد بلغت الآن طور البلوغ فهرعت للحمام دون تفكير كي تري إن كان قد أصابها ما حلمت به بالأمس أم لا وكانت ليلى تتصفح ألبوم الصور المعد بدهشة وانزعاج ولم تكتشف أى شيء عدا عن صور مبلة بالمياه وتالفة ، حيث أن معاملها لم تعد واضحة الحروف لم يعد سهل قراءتها، وهناك علم نازي مغطي برسوم طفولية، عجباً !! فعالمي السحري قد انتهى...!!

وبعد تصفح الألبوم لعدة مرات غادرت المكان ومعها صورتين فقط لم يتلفا تماما وكانت المشاهد هناك مشاهد شرب عادية وأدركت ليلى أن أمها لابد أنها قد انتقلت إلي أطراف نائية أكثر من العالم السحري للموت، ومن الآن فصاعدا فإنها لم تعد قادرة علي استخدام الصور كي تدرك حياة ما، فيما بعد وقد أخذت صورتين في جيبها ووضعت باقي الأشياء في الدولاب وألقت بالمفتاح في مكان يتعذر الوصول إليه وصعدت لأعلى كي تطلب من مدام الأم فوطه صحية.

ابتسمت ليليان بهرح وأمطرت ابنة زوجها بالنصح، وفي طاولة العشاء لم نجد سوى سيدتين تشاركتا سرا ولم تكونا لتشركان فيه هانز كارلو، وبقيتا تتبادلا النظرات والإيماءات واندھشت بهرح بالغ للصداقة المفاجئة بين السيدتين وأدرك هانز كارلو أن هناك أمراً جديداً بدأ في حياته بعد كل سنوات المرض والغزو الأسري فقد انتهت أعوام التوتر في البيت .

الآن هو في عمر الثامنة والأربعين وكانت بداية فترة شبابه الثانية«الحياة



جميلة» ! فكر متأملا سوف أذهب للخارج واعرثر علي تلك الدراجة البخارية، ولكن بالطبع دورة ابنته الأولي وفقده المفاجئ لعالمه السحري في الصور التي كانت في القبولم تمنع السيدتين من العراك المستمر مع نيل اهتمام هانز كارلو«مدام الأم» قالت الأم لستينا ولي«لا أعتقد دوما أنه من الممكن أن تأتي إلي هنا تدمر كل شيء».

ومع مرور الوقت صار واضحا لكل فرد أن مديرة المنزل السابقة قد نجحت في فعل ما تريد ودخلت إلي غرفة نوم الجد ويدا الأرملة الحاذقة التي استقبلت جسدها الصغير مثلما حلمت منذ المرة الأولي التي جلست فيها في المطبخ معه، ولكنني لن أرغي بكوني عشيقته أنا لا أرغب في أن أبقى مديرة للمنزل طول الوقت، ففكرت ليليان ولم تكن هي الوحيدة التي تنظر نحوالحلقة الذهبية علي إصبع يدها اليسري علي كونها كنز انتصار .

وليلي غالبا ما كانت تلقي بنظرات غير موافقة نحوهذا الخاتم، ولكن المعركة التالية اقتربت ، وفجأة أدركت ليلي أن مدام الأم سيدة جميلة إلي حد كبير. وهو أمر لم تدركه من قبل وبدا ذلك صادما لها وهز ثقة ليلي وحفز فيها حالة الاستسلام التي ضاعفت من مشكلاتها في جلدها ، بدأت الحبوب وصار جلدها جافا وغامق اللون وصدرها يؤلمها وفي مرآة غرفتها رأت فتاة مراهقة خجلي وذكرتها بخنزير كبير علي عكس ماريان ، ليلي بدت في تجنب المرايا ولم تفكر في زم شفيتها لم تفكرت أبدا في أنني هنا، بل بدلا من هذا أغلقت نفسها في غرفتها .

وبعد الفوز في نصرها الأول سرعان ما فكرت في الاستيلاء علي البيت وفي نفس الوقت أدرك الجد هانز كارلو أن زوجته كانت متغيرة المزاج ولم توقظه في الصباح كي تقدم له القهوة في السرير وعندما يأتي للبيت كان يراها باستمرار تجلس علي الأريكة ومعها كتاب«فلنطهي العشاء لنفسك»، فقد قالت عندما سألها لماذا لم تقدمي العشاء«لماذا لا تطلب من ابنتك ..أنا لست خادمة مطبخ» فاتجه هانز كارلولي المطبخ وعلي وجهه ابتسامة



حمقاء وخلال دقائق نجح في الشعور بفوضى لدرجة أنه في النهاية طلب من زوجته المساعدة ولكنها مدبرة منزل، فاشتركت ليلى مع أصدقائها، «والآن فهي تتصرف كما لو كانت ملكة .. سباً!»

وهكذا فإن ليلى اقترحت عدة واجبات «الطهي والتنظيف» الحورية هزمت الخنزير ورغم نوبات الإسهال الغزير التي أجبرت ليلى علي قضاء أمسيات بأكملها في الحمام ، فإنها أخذت الأب هانز كارلوفنفسها، ولكن بمجرد الانتهاء من الأمر فإن مدام ماما اعتادت علي أن تجذب زوجها إليها وتأسره بجمالها. «وأنت أجمل امرأة في المملكة كلها،» هكذا قال لها، وفي أحد الأيام فتحت المدام الأم خزانة الدواء وحاولت أن تفهم المرض القاسي الذي طارد أمعائها، وقد ألفت بالدواء وفقدت ليلى سلاحها الأخير في معركتها المبريرة وبعدها في أحد الأيام: أعلنت الأم أنها كانت ترغب في إنجاب أطفال وهو أمر خيب آمال هانز كارلوالذي لم يكن ينوي أن يلقي بنفسه في مشكلة الأبوة مرة أخرى، فقد بلغ الخمسين من عمره.

في هذا الصيف قال: لا..لا..لا وابتسم لزوجته ابتسامته المألوفة التي تعني أنه لا يمكن أن يأخذ الأمور علي محمل الجد.

هنا يا عزيزي-قالت ليليان وهي توخر أنفه- عندما تكون مدام الأم في الجوار فإن كل الديكة تشرع في الصباح هكذا، فإن هانز كارلوشرع في الصباح ولم يمضي طويلا حتي حلت مدام الأم وبدأت في استخدام نبرة دبلوماسية مع ابنة زوجها، ومرة أخرى حاولت أن تنال من ثقة ليلى وفي هذا الوقت كانت تشير إلي أختها الصغري وأخيها، لكن ليلى رفضت أن تصاب بعدوى حماسة ليليان.

«لأنها علي وشك أن يكون لها طفل غبي تعتقد أنها ستجعلني أربي طفلها مقابل لا شيء ؟» كانت ليلى تكلم صديقاتها وهكذا مرت عدة أشهر، وهناك وجدنا عمالها في كل جانب حتى استيقظ هانز كارلومبكرا في أحد الأيام وهو يتشنج بشكل يؤلم النفس وهو ما أيقظ ليلى في الغرفة العليا، والمدام



الأم قد فقدت الطفل-آه- ليس بفعل التسمم من الأدوية المعالجة للإمساك التي تسببت في فقدان الطفل، ولكن هذا الأمر لم يحدث أى فارق لأنه في لا وعي المدام الأم، كانت هناك مشاعر من الشك قد تولدت والمناخ في البيت صار متوترا جدا للدرجة التي جعلت هانز كارلويتوقف عن السير، وعلي وجهه ابتسامة حمقاء وقد طلب من زوجته وابنه أن يظهرها بعض الاحترام ، ولكنهما لم يقوما بشيء جيد، ومنذ وقت طويل كان هانز كارلوقد بدأ يشعر بصداغ نصفى.

«صمتا أنتها الاثنين» وانسحب للخلف، وهوأمر اعتاد عليه أثناء غزوالعمات الهامسات.

وبعد عامين من المحاولة : عندما نجحت مدام الأم في أن تحمل مرة ثانية وقد شعر هانز كارلوأنه أصبح مسنا جدا لينجب مزيدا من الأطفال للعالم، وفي هذا الوقت لم يسع ليليان إلا أن تطلق عليه لقب : «عزيزى» والجد لم يعد يبتسم تلك الابتسامة الحمقاء، بل ترك الأمر كما هو وسار حاملاً صحيفة، أومعنى آخر فإن المعركة كانت طويلة وقد خلفت اثنين من الخاسرين ، ولم يكن هناك أى مكاسب.

وسرعان ما أيقنت ليلي بإمكانية رؤية الشر الكامن في عيون زوجة أبيها، فلن تحمل مرة أخرى.

ليلي :أمطرت الجميع بنظراتها العدوانية وانتابتها حالة من الخوف مما قد يكون هو الأسوأ...!

المؤامرة :

وقبل بضعة أسابيع من الأمر نادتها المدام الأم لتأتى لغرفة المعيشة وقد طردتها لغرفة الطفولة

هكذا بدا الأمر بالنسبة لليلي علي أية حال، فأنا متأكدة من أن فكرتها هي: «أنه يجب أن أكون خادمة، -هكذا تحدثت مع أصدقائها- لقد أرادت دوما أن تمتلك والدي لنفسها»، وقبل وقت طويل عثر هانز كارلو علي أسرة



مناسبة في عام (١٩٦٣) ابتعدت ليلى عن البيت والآن بات من المفترض أن تحيا في بيت ملء بالقراءة، والطمي والتنظيف الرعاية بأطفال يصيحون طوال اليوم، غالبا ما تخيلت ليلى أنها كانت أميرة سقطت في بحور من اليأس بسبب زوجة أبيها الشريرة التي ألقت بتعويدة على والدها، وفي أيام العطلات -فقط- زارت بيت طفولتها السابق وفي هذا الوقت تمكنت من أن تستحوذ على والدها لنفسها، والمدام الأم بدت وكأنها ملأت البيت كله، وكانت دوما تصحح لهانز كارلو: ذاكرتك ليست مثلما اعتادت أن تكون، كانت تقول ذلك وهي تنظر إليه بنظرة مفعمة بالضيق.

«نعم... زوجك المرتبك نسي حفل الزفاف قالتها وهي تنظر لليلى، وهانز كارلو اعتاد أن يلقي يديه معذرا، والأمر استمر لكن شعور ليليان بالمهارة مع وجود شيء من الصدق في شكواها، وهانز كارلو بدأ في نسيان الأمر ، وغالبا ما كان يجلس على المقعد، ويشخص ببصره إلى الفراغ ناسيا كل شيء كما لو أن هناك مفتاحاً في رأسه قد تم إغلاقه..» «هانز كارلو... مدام الأم كانت تصيح، «فلتجذي نفسك» «يا إلهي!»

في أحد أيام عام (١٩٦٦) عاد الأخ الأكبر إلى البيت معلنا أنه لم يرغب في أخذ متجر المزارع ، وهو ما انتواه هانز كارلو...وتلك سنوات مضت! فقد كان هاري يعمل في متجر للبقالة في جزيرة ساجيلاند على الرغم من أنه كان يتعلم حرفة التجارة في ورشة النجارة.

وعندما أدرك هانز كارلو أن هاري كان يكتب وجدنا شعراً غريباً اعتلى وجهه، وفي اليوم التالي : لم يركب الدراجة، ورجع إلى المتجر وذلك لشعور مدام الأم العميق باليأس، هانز كارلو ارتدَّ إلى الاتجاه المعاكس خارجا من بيت الشخص الغريب وقد اصطدم ببابٍ ، واعتذر للأب المشرع للأسرة ، ولكن لسوء الحظ: لم يسعه أن يأخذ الخادمة الصغرى علي الفور، وبعدها أخذ ليلى لمتجر الزراعة وقال: «خذ ما تريد... إنه ملكا لك...!»

وفي نفس الوقت رجعت ليلى للبيت مرة أخرى وكان هانز كارلو قد أعد شقَّة



صغيرةً لها في الطابق الثاني، وكانت في العشرين من عمرها آنذاك، وعلى الرغم من أن هانز كارلو بذل جهداً كبيراً في تعليم ابنته المهنة التي كان يزاولها لكن سرعان ما اتضح له أنها ليست موهوبة بها، «أنا لا أفهم!» ليلى كانت دائماً ما تشكو وهي لا تعلم، وفي الواقع فإن مسألة الموهبة ترجع إلى حديثه بكلام غير مفهوم، فمنذ عدة سنوات مضت فقد قام هانز كارلو بتأجير المكان باسم الأب الذي وضع كل قواعد المتجر: الأب... سيقوم بكل الأمور العملية «قال السيد هانز كارلو-مؤكداً-» لذا دعونا لا ننسى الأمر الأساسي ونركز علي الوصف الخاص بالأرقام وعلي دفتر الحسابات.

بعدها شرع في تعليم ابنته حرفة إعداد حسابات المتجر، ولكنه اكتشف أنها تفتقر إلى أي موهبة في العمل على «الدفاتر» ومازالت تقول: «لا أفهم!»، فقد كانت ليلى تنزعج من أي شيء يقوله هانز كارلو وهو يخطط الحسابات وتثرثر كثيراً وهي تحول شعر رأسه إلى الشعر الرمادي.

قال ها «عندما أموت» «وهو قد بدا جاداً فجأة وهادئاً» قال:

«ولابد أن تعثري علي شخص يحسب لك الحسابات، وكل ما تحتاجين إليه هو أن تكوني رئيسة وتتأكدي من أن كل شيء علي ما يرام ولتنسي كل تلك الكتب اللعينة!»

وهكذا سعت ليلى إلي تعلم كل شيء كي تكون رئيسة، بدا الأمر سهلاً لأنه لم يكن لزاماً عليها أن ترفع إصبعاً ولا كانت تحتاج إلي معاونه، فكانت من الممكن دوماً أن تسأل إن كان الأمر حقيقياً إلى حد كبير، لأنه على الرغم من أن ليلى ما زالت ترى خنزيراً سميناً في كل مرة تنظر فيها إلى المرأة فإن الأب رأى شيئاً مختلفاً عندما كان ينظر في وجه ابنته مباشرةً، ولم يمر وقتٌ طويلٌ حتي مارست الحب في الغرفة الخلفية وسط التراب، وبعدها: فإن ليلى التي كانت تتكهّن حول الأمر لوقت طويل لم يسعها أن تدرك كيف أن الأمر بسيط حقاً وكانت تصدر صغيراً حين تسير عبر الشوارع!...شوارع المدينة... وعندما استيقظت في الصباح التالي: نظرت إلى المرأة-مندهشة- فقد رأت



امراً حقيقياً... ! فكرت... همست: اللعنة... !، والأم زوجة الأب الشريرة التي غيرت هانز كارلو إلى خنزير كبير فقدت قواها ومنذ ذلك اليوم وليلي صارت تمارس الحب مع أبي بانتظام في ورشة العمل، في حين كان هانز كارلو أوصلوا قد تفاقم وذهبت للبيت مبكراً.

والمرة الأولى التي أدركت فيها ليلي أن هناك شيئاً ما خطأ مع أبي كانت عندما أتى إلى متجر الزراعة وقال: «أن هاري في مدرسة المعسكر ، ونحن نحتاج إليه مرة أخرى في البيت قبل قدوم الملائكة» ليلي أدركت أن قرار هاري بالدخول إلى حرفة البقالة كان ما يزال يضايق والدها، ولكن...! ما سبب تلفظه باسم: «مدرسة المعسكر! ؟» وما سبب حديثه عن الملائكة! ؟»

«أية ملائكة! ؟ والغريب أن هانز كارلو-لاحقاً- صرّح أنه لم يقل أى شيء عن الملائكة».

ولكن جدى لأمى قد بدأ في الثثرة حول الملائكة ورؤاه الغريبة التي شاهدها وهي تأتى وتقرب منه تلك الملائكة ذات الشفاه الوردية والشعور المناسبة من المخلوق البرى في الغابة ذى الأذنين والقدمين مثل الماعز.

بالطبع : فإن رئيسة الملائكة كانت إليزابيث الرقيقة التي كانت تلتفظ بكلمات من قبيل الحياة الجميلة، وكانت دائماً ما تركب دراجة بخارية آتية من جنة عدن رأساً، وخصلات شعرها الأشقر تتطاير في كل اتجاه!

«والدك أحرق كبير السن» هكذا اشتكت مدام الأم إلى ليلي، ولن يبدأ في الاعتماد على الحوريات حتى.

الموقف لم يتطور عندما رأى هانز كارلوفي أحد الأيام رجلاً يحصد ومعه عصا ويقف خارجاً في فترة عرض المتجر، الرجل وصل وأعلن في تلك الأمسية أنه على طاولة الصغار«إلا أنني أنا وإليزابيث سنذهب إلى برلين».

وتلك الملاحظة الأخيرة هى التي قسمت ظهر البعير بالنسبة إلى مدام الأم، وعلى الفور أمرت هانز كارلوأن يرى طبيباً وبعدها بضعة أيام تقرر أن الصداق السيئ وحديثه المتعلق برؤياه الغريبة حول الملائكة الغامضة لا



يعود سببه إلى جنون أو خرف حل به أحدهما، ولكن إلى ورم في المخيخ بحجم حبة (ثمرة) اليوسفى، ولم تكن الجراحة خياراً مناسباً، ببساطة: لا يمكن إجراؤها.

سمعت ليلي الطبيب وهو يقول لها هذا الأمر مراراً وتكراراً، وبينما كان لزاماً على إليزابيث أن تمضي عدة سنوات لتموت بسبب تعلقها بالحياة، فإنه لم يكن من الممكن لهانز كارلو أن يمضي أكثر من ثلاث أسابيع، وبحلول الوقت الذي سمع فيه حكم الإعدام فقد نظر إلى الأبدية ولم يمر وقت طويل حتى انهار جسده تحت ضغط الورم الموجود في جهازه العصبى وإصابة الشلل والتشنجات، وفي هذا الوقت وأثناء نومه في سرير المستشفى بمرور الوقت كان هناك تحول غير متوقع في نسيج دماغ هانز كارلو داخل جسده وخارجته، وفجأة: رفض أن يستقبل أية زيارات من مدام الأم.

أنا لا أود أن أراها» هكذا أخبر ابنته وعندما أتت مدام الأم إلى المستشفى على أية حال ، جلب معه ورود وقال... من أنت؟ أنت لست إليزابيث!» وفي المراحل المتقدمة من مرضه فان هانز كارلو يدرك أن الضربة القادمة التى ستأتى على سرير الموت يمكن لها أن تتسبب في إحداث جروح لن تندمل أبداً.

مدام الأم بدت شاحبة إلى حد كبير وقد عادت إلى مقعدها في ردهة المستشفى في أحد الأيام ليل- نهار، وطردها زوجها من على سرير الموت والدموع انهمرت على وجنتيها حتى قبيل وفاة هانز كارلو بضعة أيام فقد جفت، ولم يكن من العزاء بالنسبة ليلي أنه قبل بضعة أسابيع من وفاة هانز كارلو: أفصحت تلك الفترة عن طبيعة مشاعره الحقيقية تجاه ليلي بل ومشاعرها هى تجاه نفسها، وعلى أثر دهشتها الكبرى فإن ليليان استمرت بالجلوس في ردهة المشفى ليل نهار طردها زوجها من علي فراش الموت والدموع تنهمر من عينيها حتى أنه قبل وفاة هانز كارلو فإنها ببساطة قد جفت كما لو أنها- خلال تلك الأيام- نفسياً قد مرت بتحول (راديكالى) على غرار



التحول الذي أصاب أنسجة دماغ هانز كارلو، بالإضافة إلى الجوانب المتغيرة السائدة والغير محكومة من شخصيتها قد اختفت أودبلت.

بمعني آخر: فإن ليلى كانت على وشك أن تحصل على فوزٍ لم تعتقد أبداً أنه ممكناً، ولكن لم يكن من المفترض أن يكون الأمر كذلك، أيضاً كان هناك أمر حيال تلعثم هانز كارلوفي حديثه حول الرجل النرويجي الغامض مع العلم النازي المبهم الذي كان حاضراً في أحد الأيام السعيدة من حياته، «أى نرويجي؟» سألت ليلى: ما اسمه؟ ولكن هانز كارلو لم يسعه التذكر بما أن الأمر تم منذ ثلاثين عاما مضت، لدرجة أنه هووإليزابيث اتجهها للمقهى المملء بالدخان ومع رجل نرويجي وصديقه الألماني ذي الوجه الذي يشبه الخنزير، وفي المراحل الأخيرة من مرضه: فإن جدى لأبي عاد به الزمان إلى مكان أبعد، وعندما بدأت في السير نحو أشباح النهر آخر كلماته كانت أن تزم شفتيه بكلمات عشوائية من الأغاني الشريرة التي بدت مخيفة لكل من هارى وليلى، إلا لوصرخت فإن لسانك قد ذبل، ولوكدبت فإن معدتك سترجع للداخل ويصير لونها أسود، وعند ظهور مدام الأم مرة بعد أخرى في الردهة سيرفع صوته... «أخرجي من هنا!» كان يصيح هو وهو يمزق شعره كما لوأن هناك أمراً ما غير قابل للتصديق تماماً.

وكلما ساء سلوك هانز كارلو نحو مدام الأم كانت مشاعر ليلى تزيد في التماسك، ومع الأم كانت تسوء وتلك المشاعر لم تقابلها ثرثرة هانز كارلو السابقة حيال إليزابيث التي كانت تجلس الآن على دراجتها البخارية خارج النافذة مستعدة كي تحمله أو تنقله عبر نهر الموت وحقيقة أن الملاك المسن في حين أن الرجل كان على وشك أن يسرق والدها منها، ومن كل صور ليلى في طفولتها فجأة: اتضح لها أنه في خلال فترة طفولتها كلها فقد الكثير من اهتمام هانز كارلوالوجه إلى إليزابيث الملاك، ولكن كيف أتى الوالد الذي كان عليه هانز كارلو، حقاً؟ أنه أب لاه أثقلته هموم زوجته المريضة، والد عيوبه آسفة، ولو أن ليلى لم تكن واثقة في ظل مراحل حياتها هل كان من الممكن



أن تتصارع بشدة ضد مدام الأم؟

بتعبير آخر كانت على وشك أن تصير يتيمة وقد عذبتها فكرة أنها كانت دوما يتيمة، مع من أسرت بمشاكلها؟ لم يكن لديها سوى مدام الأم... فكرت بكل ما لاحظت مدى ارتعاش قدميها من الذي أدخلها إلي عالم الأنوثة... الغامض... من الذي أعطاهها معلومات جيدة عن الصحة وعن كيفية التحكم في الإنجاب! ومن الذي أطلق عليها منذ الوهلة الأولى أيتها الفتاة الحلوة؟ وكان كل هذا مما فعلته لها أمها الحقيقية وهي حميمية أكثر من ما وفره والدها، اختصارا: كانت ليلى أقرب من حقيقة مدام الأم! يا للجنة... يا إلهي...! جعلها الأمر تجرى للوراء وإلى الأمام وهي خائفة مع هانز كارلو في غرفة المستشفى ومامد الأم تجلس في الردهة، بينما أدركت ليلى أن إيزابيث لم تكن سوى فتاة فارغة مليئة بالملائكة وأغنيات الجنة، يا للمدام الأم المسكينة!، وألفت لمحات عصبية نحو ليليان الجافة التي لم تكن تملك أي أطفال.

وفي الليلة التي تلت الجنازة، استمعت ليلى إلى الصوت الرتيب لمدام الأم التي كانت تمشي بهدوء للخلف وللأمام أسفل السلم: «ولقد نسيت خوذتك» تلك كانت آخر كلمات تلفظ بها هانز كارلو وحدث الأمر قبل وفاته بثلاث أيام، تلك العبارة ظلت تدور بعقل ليلى لأنه بدا من المفيد أن يأتي شيء محل أومثل خوذة الموتوسيكل، ومن الممكن أن تلعب دورا هاما عندما كان على وشك أن يقود السيارة مع ملاك، وحتى مع هذا فإن هانز كارلو كان يثرثر دوما حول خوذته المفقودة، ألن تأخذه إيزابيث بدون خوذة الملائكة والفراشات والملوك والأميرات، ما الذي يدور بحق الجحيم؟! فكرت... وبينما أتت المدام الأم إلى الأسفل قررت ليلى أن تطرد كل المخلوقات الأسطورية، ولم يكن الرب من أخذ أمها للمنزل في هذا الصيف الحزين منذ اثنا عشر عاما ولم يكن الرب من أسلمها قططها الصغيرة ولم يكن الملاك على الدراجة البخارية الذي نقل هانز كارلو عبر نهر الموت ونحو مملكة الملائكة.. هوكس



بوكس.. غنت أُمى ليلى...لا وجود للمخلوقات الخيالية ولا يوجد هناك أمر غامض بين السماء والأرض...!

أو كي تصيغ الأمر بشكل آخر ... لوأنها كانت ستحصل علي أى شيء من الحياة لكان الأمر مجرد البداية ووضع كل الحطام من سفينة طفولتها المحطمة وراءها، وهكذا ومع دخول أشعة الشمس إلى نافذة ليلى، فإن هناك أمر غير متوقع حدث لها، فليذهب كل شيء للجحيم، وفكرت ...:الآن يمكنني أن أفعل ما يحلو لي...! وبعدها أخذت حماماً ، وأدركت أنها كانت في مزاج جيد بشكل غير مناسب، والمدمام الأم نهرتها ونظرت إليها بلوم...يا آلهي! ليلى ا لتي كانت تقف هناك في المطبخ في اليوم بعد جنازة والدها وهي تصدر صفيراً!

وبعد تناول الفطور المكون من أربع بيضات وست شرائح من الشوفان: اتجهت ليلى إلى متجر الزراعة لإنهاء الأمر مع أنها قد تحررت من لعنة زوجة أمها وتوقفت عن الشعور بأنها خنزيرة خرقاء، وعلي الجانب الآخر فقد أبقاها هو أيضا سجينه دور الأميرة الذى اختارته لنفسها، «اخبرنى لماذا تحبني!» اعتادت على قول ذلك...وأب قد امتدح شكلها وعينيهما الجميلتين، ويديها الرقيقتين، ولكنها لم تعد تلك الأميرة.

كانت مفعمة بإحساس غير عادى بالعزم، ووصلت إلى متجر الزراعة وعلى الفور ألقت بنفسها على اد ومارست معه الحب وسط كومة التراب، لأنها علمت أنها ستكون المرة الأخيرة، وبعدها، اتجهت إلي المتجر، وشرعت في نفض التراب عن شعرها وهو المكون من إعلان قصير ومختصر ، لأنها كانت تبحث عن مساعد ماهر في الحسابات وفي تلك اللحظة عينها: أول عمل ظهر في الردهة وهو رجل رفيع القامة وتحت ذراعه وجدنا وشماً غريباً ومفزعاً لم تره ليلى من قبل وعندما طلبت أن ترى المالك أدركت أنه يعاني من عيب في النطق، وبما أنها اعتبرت أن لكنته الترويجية عيبا لغويا، فقد قالت بشكل ما«إنها هنا».



وعلى وقع تلك الكلمة بدت بالطبع ليست فقط مالكة المتجر ولكن مالكة  
مصيرها وحياتها كلها، ولكن بمجرد أن تلفظت بتلك الكلمات الفاحصة، فقد  
أغمر على الرجل المسكين وبقي هناك مثل قنديل البحر المغسول علي شاطئ  
حياتها ومشهد الرجل المسكين غير الواعي ومعه ذلك الوشم الفظيع الذي  
يغطي جسده جزئيا وبدا ممتزجا مع سيل من المشاعر التي اعتملت في نفس  
ليلي وقد انحنى إلي الأسفل-إلي جانبه- ووضعت رأسه في حجرها، ومستة  
بحذر بيديها التي كانت ما تزال تنضح بعبق الحب.



## الأخطاء

لم يمض وقت طويل قبل أن تشوش مشاعر المدام الأم بفعل الجلبة التي حدثت في الطابق العلوى، كانت مشكلة بالنسبة إلي ليلي أن تقرر أن تلقي بنفسها في المياه المنفلتة بعد وفاة هانز كارلو ولكن حقيقة أن مدام الأم أجبرت علي أن تكون شاهدة علي انفلات ابنة زوجها كان أمرا صعبا جدا عليها، صوت الصرخات، والسرير الذي كان يصدر صريرا، والأصوات التي تهز صمت الليل كل هذا ضايقها وأيضا الرجل الزويجى الذى نزل أسفل الدرج، في الصباح وشعره مشعث وقد حملقت فيه بلوم ونفور.

«لو أن النظرات تقت !» اعتاد أبي علي ذلك القول فلا أنت ولا القردة الصغار يمكن أن يكونوا قد أتوا إلى العالم.

وكانت تلك هى نفس النظرات التى أطلق عليها أنا وستينا لاحقا: نظرات مدام الأم ، وبعد موت هانز كارلو بدا من المحير لى نوعا ما أن ليليان يمكن أن تمنع الباقين أنفسهم، وبدأت في ارتداء النظارات الشمسية التي خفضتها فقط كي تنظر بلوم نحو الحافة الغامقة اللون.. وهناك نظارتين رخيصتين وفرت الغطاء الوحيد الذي استطاعت شمس عبره أن تعثر علي أسفها السري، الذي يفسر سرير موت زوجها وتبقي دون أطفال، والعائلة تلومها، ابنة زوجها تسخر منها والتي لم تشعر بأي حزن من وفاة هانز كارلو، انه رجل وسيم الذي عثرت عليه..قالت بصوتها الجاف، «ولكنه لا يملك أدني فكرة عن واجبات عمله أليس كذلك؟»

«انه ليس مسجلا بعد الساعة الرابعة». ردت ليلي وهي تنظر للمدام الأم بنظرة متعالية. وماسك الدفاتر المتذمر أشعل مشاعر جديدة فيها.

«عندما أموت» قال هانز كارلو، ستحتاجين لشخص يمسك لك الدفاتر والأمر الذي قامت هي به، في يوم جنازته، عندما أغمي علي الرجل المسكين ذات عيب في النطق استيقظ ممسكا بإعلان الوظيفة الجديد.



«هذا عمل من أجلي أنا» قال هوثلك الكلمات ولكن ليلى لم تقرر أن تعينه لأنه قد ذهب إلى كلية الأعمال لا، بل علي الأخرى لأنه ودون وعي أدركت الأم البالغة ثلاث وعشرين عاما في أبي غير الواعي تجسيدا لتلك الحالة من العوز التي أبعدها عن نفسها في الليلة السابقة في محاولة منها كي تكون شخصا آخر.

وبالنسبة إلي دور جاج ايرز فلم يكن هناك أدنى شك فيما سيتعين عليه القيام به، اعتبر نفسه محظوظا لالتقائه بفتاة أحلامه من الغابة المسحورة في إحدى المرات في حياته، ولكن كي يصادف فتاتي أحلام فإن هذا دليل على حظ سعيد وجيد، وبعد اللقاء سار عائدا للبيت عبر الأشجار التي تصفر، ومثل أخيه الصغير فقد شعر أنه دلف إلى سفينة كبيرة، والوجهة التالية كانت تتمثل في المستقبل ففي ذهنه تخيل قوس قزح كبير يرتفع فوقه ويجول بدون التفكير في جدول أعمال آسكيلد السري، لم يكن مسرعا إطلاقا كي يعود للمنزل ولا استطاع أن يعلم أن آسكيلد كان ينتظره على أحر من الجمر.

«إذن» قال الجد آسكيلد عندما أتى ابنه «ماذا اكتشفت؟»

«اكتشفت؟!» قال جاج ايرز الذي نسي مهمة التجسس

«المالك» «قال آسكيلد بعدم صبر» ما شكله؟

حملق جاج ايرز في دهشة إلى وجه أبيه وتعلوه ابتسامة بلهاء وبعدها:  
انفجر فجأة بالضحك

«لأبد أنك رأيت شبحاً»

قال جاج ايرز قبل أن يتجه إلى غرفته وهويسع: «المالك سيدة صغيرة السن، وستبدأ بالعمل غدا صباحا وهي أيضا رئيسة».

بدت شروط عمل جاج ايرز غير واضحة منذ البداية ومتجر جدى لأمر لم يكن كبيرا بما يكفى كي يستوعب محاسبا بدوام كامل، وحتى مع هذا فإن جاج ايرز قد ذهب إلى كلية الأعمال وعاد ومعه كتب الجامعة، وبعد أن ظهر كل صباح في متجر الزراعة فكان يجلس على بعد ثلاثة أمتار من رئيسه



الساحرة، وتقدم كي يراجع الحسابات في السجلات التي يغطيها التراب، ووجد نظاماً عتيقة وأعمالاً يائسة، ومستحقات فات أوانها لمدة ثلاثين عاما، ولم يتم تحصيلها أبداً واكتشف فواتير سددت على مر عدة أعوام ، واختصاراً: فقد أكتشف أخطاء هائلة في الحسابات التي كانت تعاني من سرطان لا شفاء منه. في إحدى المرات :عندما نظر نحو اب في ورشة العمل شاهد أيضاً تقاليد عمل بدت عتيقة بالنسبة إليه، فسأله لماذا لا تضع مسمارا هنا؟ لا... لا يمكن لآلة أن تقوم بمثل هذا العمل، من العبث أن نقف هنا طوال اليوم نلمع تلك المنطقة !

نظر اب إليه باستسلام ربما كان يقول في سره: «ماذا تخال نفسك؟ أيها السيد: جرين هورن بحق الجحيم؟» في حين انزعج جاج ايرز من جراء النظرة التي رآها في عين الرجل، ثم عاد إلى مكتبه وهو متعب.

حيث قام بعمله البسيط وأمضى الوقت وهو يثرثر مع الرئيس لدرجة أن الأب بدأ في صف أدواته محاولا أيضا أن يعلم ردة فعله ليلي على ذلك، مت هائل كارلوبدا غريبا إلي حد ما.

وعندما استمع لهذين الاثنين وهما يصرخان ويقولان لأكملة، استتبع تغييرما لا يعد موهبة مسك الدفاتر هوما ينقص ليلي، بل كانت أيضا رئيسة بائسة، لم تمتلك أدني فكرة عن كيفية فصل العمل عن المتعة، فلو استمرا هكذا... فكرا! وسوف أترك عملي قبل نهاية العام.

متجر البراوين بدا الآن مغموراً بجو غير معقد، وكل واحدة من شخصيات تلك الكتب العتيقة: كان يمثل علامة للحب غير المشروط، حب تحتويه الكتب، في الإمساك بالدفاتر، بين سطور الحسابات، وفي كل جانب.

أمضى وقتاً طويلاً يتلقى السخرية من الزبائن حتى بدأ ماسك الدفاتر الشرير في الرسوم التي بدت مثل الخنفساء الحمراء التي داسها قطار بخار، كان يقول: أنه مثل رجل شعره مشعث في الصباح، والعملاء لم يهتموا كثيرا بفكرة أن لوحاته كانت محل سخرية ولا اهتموا أيضاً بحقيقة أن المالك الجديد



للمحل كان مهتما أكثر بمغازلة ماسك الدفاتر عوضا عن خدمة العملاء، ولذا فقد بدأ في الذهاب إلى مكان آخر كي يتم وضع براويز للوحاتهم ومرة بعد مرة توقف الزبائن المنتظمين عن المجيء وفي إحدى المناسبات النادرة عندما أتت مدام الأم إلى محل صنع البراويز بعد ساعات من مراجعة الكتب والحسابات مع أب، كان الاثنان قد أدركا موقفهما الصعب، فبدلا من الأوامر وجد قلوبا مرسومة وبدلا من الإيرادات كانت هناك تعليقات مثل تلك اللوحة تبدو مثل حيوان مهشم لم يمارس الحب مع زوجته منذ فصل الصيف الماضي، «سنفلس» «زارت مدام الأم وهي تلقى نظرة لوم عبر نظارتها الشمسية نحو» وقالت «قم بأمر ما أيها الرجل!»

ولكن ما الذي كان من المفترض أن يقوم به أد؟ لسبعة عشر عاما أمضى أياما في العمل في متجر صنع البراويز أولا بوصفه متدربا لدى هانز كارلو، ولاحقا مثل نجاره الموثوق به وفي النهاية مثل حبيب ابنته على الرغم من أنه كان متزوجا ولديه أطفال في بيته، مع هذا فلم يكن يملك أى رأى في الأمور التي تجرى من حوله عندما حاول الحديث بتعقل مع الناس الصغار سنا فإنهم كانوا يسخرون منه، وبدا مثلما لو كان قد أصاب إصبعه بجرح من الشاكوش وجاج ابرز لاحظ بعدها وهو يقرأ الدفتر، وهكذا فإن أبواه الصغار في السن استمرا في التحقق من شأن العمل وهو الأمر الذي تم بالفعل بسبب أحاديثهم الليلية، وقبل بدأ الأطفال في احتلال الوقت وقبل أن تصيب الحمى الأب.

وكانت هناك مشكلة واحدة وهي أنه عندما اكتشفت ليلي أن ماسك الدفاتر المعين حديثا لم يعاني من أى عيب في النطق على الإطلاق بل إنه كان ينطق الكلمات بنبرة نرويجية خفيفة، هنا اكتشفت هذا الأمر في المرة الأولى التي تمت دعوتها فيها إلى العشاء في بيت والد نبيل حيث النطق النرويجي جعلها تشعر بدوار فهم: أي النرويج مخلوقات تبدو غامضة.. وقد طردتهم من عالمها، وفي محاولة أخرى لنسيان الأمر كله ألقت بنظرة سريعة حول غرفة العشاء فلمحت لوحة جديدة لها برواز واتضح «أنها لوحة مقرفة»



لم تكن تتحدث إلا عن لوحة الطبيب والمشرط وعندما كان آسكيلد ينظر إليها نظرة عدم موافقة فإن بيورك وجد فرصته في اكتساب حليف، وحتى قبل تقديم الحلوى فإنها أخذت ليلى إلى المطبخ وأفشّت أسرارها.

«لوعلمت فقط ما الذى وجب على تحمله، وكيفية التصرف...!» وبحلول ذلك الوقت: فإن أخت بيورك أتت مرحبة وقالت: «كفى» منذ وقت طويل لذا عندما استمعت أمى الصغيرة ليلى ببساطة فقد استحوذت على قلب الجد لأبى، وفي نفس الوقت فإن بيورك انتهزت الفرصة كي تربت على نفسها بهدوء لسرقتها الخطابات الوردية في الماضى.

لما لم تخبرني أنك أتيت من الترويج ؟.

هكذا سألت ليلى جاج ايرز وهما في طريقهما للمنزل وهي تلقي بنظرات اللوم نحو والدى الصغير حتى بدت أنها تعضه صف والدي مصباح نور، واهتز المصباح وفتت إضاءته وليلى مرحب بصخب المصباح التالي الذي شاهده وتلقي ضربة قوية من ليلى ، وبعدها أخذت في ضرب كل المصابيح تاركة خيطاً غامق اللون في أعقابهما، ووصلا إلى بيت هانز كارلوالقديم، هُرمَا إلى أعلى السلام وصولا إلى الطابق الثاني وقد مزقا ثيابهما وانهمكا في مصارعة صاخبة

لم يعلم أحد أن الأب كان ينام في منزل والديه للمرة الأخيرة في كل صباح ، وكان يستيقظ الآن في بيت كانت تسكنه مرتين مخلوقات أسطورية، وكانت تلك المخلوقات هناك بأقل من ثلاثة أمتار من مدام الأم التى لم تنم لدرجة أن أختي ستينا قد ولدت في إحدى ليالى شهر نوفمبر من العام (١٩٦٩) «خطأ!»

قالت أمى مثلما كانت تحب أن تقول، لكن أفضل خطأ في المدينة بأسرها وبعدها بتسعة أشهر كان أفضل خطأ في المدينة شاهدا على المشهد غيرا لسار للرجل الثقيل الذي يمسك عصا ويميل نحوالمهد مستخدما أصبع السبابة الذى كان ما يزال سليما وحتى يدغدغ الطفلة بود على ذقنها في حين بدأت الطفلة في الصياح.



وبعدها أتى دور بيورك أفضل خطأ في المدينة كان يصادفه فقد كانت الطفلة ترى أمامها عملاقاً «رجلا من اللحم المرتعش» وخلفه فتاة متخلفة باسم آن كاترين كانت تختبئ، وفي بادئ الأمر فإن وجهها قد لمع بفعل الترقب، وبعدها بلحظات انتابه الحزن عندما أدركت أنه لم يكن أخيها الصغير الذي كان يرقد في المهد، ولم يكن حتى قادراً علي أن يقدم لها الصور على سطح سقيفة ساحرة، وهكذا عندما اختفى جبل اللحم وبدت شاعرة بخيبة أمل فإن الطفلة شعرت بنظرة يشوبها اللوم على وجهها من فوق حافة النظارات الشمسية، وقد ظهرت مدام الأم عند جناح الأم وهي أيضاً أرادت أن توخر الطفل عند ذقنه ولكن كان هناك شيء ما غير صادق في طريقها ولكن شعور الحسد البارد جعل الطفل يصيح مرة أخرى.

«يا له من طفل صاخب!» قال آسكيلد وهو يهز رأسه حقا أنت سوف تحصل علي يديك وهي ملأى بها.

عضو الأسرة الجديد أعلن قدوم عصر جديد لأن الأم قد ارتاحت، وأمر صعوبة الطفل بعد الولادة الناجحة، والأب شرع في القيام بتغييرات مهمة مثل متجر وضع البراويز، لدرجة أن الأب هدد بالاستسلام ومدام الأم شحب لونها وهناك دفقة برق أتت والأب كانت تستولى عليه حماسة وقرر أن يطيل من شاربه السميكة واعتقد أن أفضل خطأ هو ما أشعل الفتيل وفي أقل من ثلاثة أسابيع كان قد أنهى (٤٤٧) باباً في المدينة، وأرسل فواتيراً يذكر الناس بها، وبالنسبة إلى كل تلك الحسابات المستحقة وعندما أتى المال، فقد استثمر كل تلك الحسابات في الأشياء المقلدة، وهي صور أطفال منتحبين وبوسترات «أليس هذا أمراً باعثاً على المرح!» صاح نيلز والذي لم يكن يملك فكرة عما كان عليه مارسيل دوشامب

حملت ليلى أفضل خطأ في المدينة بين يديها، أدرك المرء مدى التحول الذي انتاب الأب الشاعر بالمرح، ولكن لاحقاً اكتشف أن القلوب اختفت من دفترها لحسابات مع التعليقات الساخرة، وأن نيلز لم يعد مهتماً بالسخرية



من الزبائن بعد هذا، طوال اليوم، وغمرها بشعور خيبة الأمل ولم يعد هذا الصبي المسكين ذا عيب النطق الذي أغمى عليه وتسبب لها في أن تفقد وعيها، على الجانب الآخر فقد بدا رجلا حاسما أكثر، والآن كان يأمر الأب ويملاً الصيف خارج المتجر بعلامات البيع ، والبوسترات والأعلام «ما الذي يحدث هنا؟» فكرت ليلى «أنا رئيسة المحل تبا!» وهكذا فإن هذا أمر قد أغفله أي تماما، فقد كان يتصرف كما لوأنه هو وحده قد ورث متجر براويز قرب مركز المدينة، ولكن ليلى اكتشفت أنه من الصعب أن تأخذ كرسي الرئيس ومعها طفل يصرخ على ذراعيها «حتى أنت مشغولة!» لاحظت وهي مقطبة، وهكذا عادت إلى شقتها، وبعدها ببضعة أشهر لاحقة وهي تستشير بيورك أحبي بيتا صغيرا به قبو هائل لا يزيد حجمه عن ٥٠٠ متر علي بعد مكان مسكن بيورك، وفي الخارج : بدا مثل منزل عادي لأسرة واحدة ومثالي من الخارج وفقا لطراز عصر الستينات، ولكنه كان يركز على أساس مظلم لدرجة أنه كان من الممكن أن يدخل بفعل سلم ملتوي.

ومن الطبيعي أن نيلز كان يحلم بامتلاك بيت يبعد قليلا عن والديه، ولكن الآن كان هناك أحلام أخرى قد استولت على اهتمامه.

وبولع فقد دخل إلى متجر وضع البراويز السابق وشرع في شراء الأسهم الرخيصة لأي شيء تقريبا، ومتجر جدي لأمي، الذي كان أول المشاريع المزدهرة لإعادة التطوير التي من الممكن أن تتعامل مع والدي وعلى مر السنوات فإن المتحمس الأسبق: صار مستشارا وخبيراً للشركات التي وقفت علي حافة الإغلاق.

وفي بادئ الأمر فإنه كان ينضم إلى شركة ما ويجعلها تقف على قدميها، ولاحقا فإنه عندما يتوفر لديه المزيد من المال فكان يشتري الشركة بسعر رخيص ويقسمها إلى أقسام فاشلة وأخرى ناجحة من ناحية مالية وبعدها يدع الأقسام الفاشلة تفلس بينما يقسم الأرباح في الأقسام الرباحة وهكذا فكان الأمر ينتقل من شركة إلى أخرى حتى صار من المستحيل أن يحتفظ



بالعمل الذي كان يقوم به وستينا وأنا استطعنا أن نرد على هذا السؤال البسيط ونقول: ما الذي يمكن أن يقوم به والدك، وفي نهاية الأمر ليس حتى سلطات الضرائب التي من الممكن أن تفهم أعقد استثمارات الضرائب التي يقدمها والذي بأعداد كبيرة من الصفحات المكتوبة بخط اليد ، مستخدما خطأ غير مقروء لدرجة أن كل شيء كانت تفوح منه رائحة الاحتيال .

والذي حتى في أيامه كبائع لسرطانات البحر كان يستخدم طرقا ملتوية وفي النهاية خسر كل ما كان يملك من سمعة تجارية ولم يعد يستطيع أن يقاوم موجة الإشاعات التي تزعم أنه على مر الوقت صار معاصرا واوكي يضع الأمر بصراحة أكثر: «أنه محتال ببساطة»

«لم أخبرك بهذا الأمر؟» اعتاد اسكيلد على هذا الحديث بنبرة مقتضبة تميزه وهي تدلل على حقيقة العمر المسن، «لم يفكر في أي شيء آخر يدل على المال...!»

قبل أن تسوء الأمور فإن هناك خطأ آخر وصل للباب الخلفي وفي شهر يونيو عام (١٩٧١) فإن أمي البالغة خمسا وعشرين عاما استيقظت وهي تشعر بالغثيان وترنحت وهي تذهب للمرحاض وتلوث علي الأرض قبل أن تتجه إلي الحمام أوعادت مرة أخرى إلى الحمام أوغرفة النوم وقالت بتعبير استطاع فيه الأب أن يدرك وجود كراهية معينة للمخلوقة التي غزت عالمها «أعتقد أنني حامل للمرة الثانية... تبا!»

وهو ما أشعل قسما كبيرا من التفاعل في الأسرة بسبب أن ليلى ونيلز لم يكونا متزوجين بعد.

«أنت حتي متعجلة» همهم آسكيلد وذلك عندما شاهد بطن ليلى الممتلئة، «كيف تقولين في اقتراحك أن لا تقتربي من نيلز كثيرا وتزوجين؟» اسكيلد لا يحب فكرة أن ابنه يحيا في الخطيئة ونبرته المتوترة سرعان ما اكتسبت صدى لدرجة أن كل فرد أقي للزيارة يمكنه أن يستمع للطريقة التي تحدث بها الجد آسكيلد في ظل ظروف أكثر سرية.



«أقم بما هو أقل» هوكل ما سمعه من الببغاء الذى كان يجلس في القفص  
«أنت من!» قال اهتمت أيها الببغاء الغبى ! وبحلول الوقت الذى وصلنا فيه  
أنا وأختي التى دلت على الفترة التى ولدنا فيها قبل أن نقرب من المطبخ  
«مع الببغاء أو...أسجر ! كان الببغاء يقول...»

«أي نوع من الأسماء اللعينة تملك أنت!»

وبعد تسعة عشر شهراً من فترة حمل ليلى الأولى كان هناك سيرك آخر يتم  
نصبه في عالم الأمومة...لم نجد سببا كي نكرر الأمر على الأخلاق، فأنا أيضا  
شعرت بحرقه نظر الأم مدام المليئة باللوم وقد وخزني أحدهم في ذقنى من  
أسكيلد، وقد تجمعت عيون بيورك العاطفية ولكن عندما اقتربت أن كاترين  
الشاحبة من مهدى: بدا من الواضح لكل فرد أنه ليس حتى كل طفل كان  
هو نفسه في عيونها.

«هل يمكنني أن أسأله؟» سألت هى وهى تشير للطفل وبعدها بصوت ملىء  
بالحماسة الطفيلية أضافت: «إنه لطيف!»

وعندما تذكر الصوت الذى يصدره الطفل وهنا الجسد الذى دون حدود  
والذى ملأني لأول مرة بالمرح ولاحقا بالقلق فجأة بدأت في التردد...وتوقفت  
عند شيء ما مثل ذاكرة ضربات قلبها ، وهو يدق بضربات غير منتظمة  
ويجعل منها تصدر تجشؤاً غريباً ومع هذا الصوت وجدت نفسى مرة أخرى في  
الظلام تحت السلام، وآن كاترين نظرت لى نظرة اتهام والموت رفض أن يضع  
علامات على قلبه، الخوف لمع في عيونها، والظلام بدا أسوأ أو أسوأ من حولى،  
وكننت أحيا في تلك الوحشة ظلمة في أفكارى منذ أن تركت أمستردام ولعدة  
مرات وعدت لدرجة أننى أجد لوحة في تلك ومع هذا حاولت أن أخرج من  
الأمر بسبب أن هناك مصائر أخرى هى التى عبرت مسارات وشقت طريقها  
نحوشقتها المتواضعة وكان هناك آن كاترين التى فقدت كلى والديها وهناك  
نيلز الصغير بإذنيه وبذلك الكورسيه الخاص به، وهناك كنان بأنفه المكسور  
وحزن مدام الأم ورد على باللوم، والجدة الأم إليزابيث ومرضاها الأبدى والجد



هانز كارلوا المتسارع، وهناك إخلاص الجد الأكبر ثرستين، والجدة بيورك مع زوجها المدمن على الكحول آسكيلد بإصبع سبابته مفقودة، وتلك الأشياء الموضوعة علي الأرض الألمانية الشرقية ومن مرة إلى أخرى سألت نفسي عن أي جزء من القصة هو الملهم مقارنة مع القصص التي تتكشف لاحقاً، ولا تدع الظلام ينفذ إليك... «قال أي في إحدى المرات...» لابد أن الأمر يتعلق بالمسير نح الظلام بنفسك..

إذن اسمح لي أن أنهر الظلام نحو الوخز والاعتراف لأختي الكبرى التي كانت تستمع باهتمام لدرجة أن آسجر أيركسن كنت للأسرة وليس فقط أسوأ ضربة، بل واحدة من أسوأ ضرباتها. آه ! تلك القصة مرة أخرى!..

صاحت أختي ستينا ولكن الأمر انتهى بشكل جيد ؟..ألا يمكن أن تترك هذا الأمر فيما بعد ؟ولكن لم يكن هذا الأمر مثلما أرادت في ظل إرشاد من أختي والتي دفعت الجد آسكيلد إلى أن نحتسى كأساً من الشرب... لا ليس هذا هو الأمر..آسجر أيركسن الذي كان يعرف باسم المجموعة الأقيسة وهو أن الأمر الكاذب وعددا من البشاعات الأخرى التي قتلت ، وأمي المتخلفة عقلياً، «الآن انتظري» قالت :ستري الفتاة الصغيرة التي ماتت من أزمة قلبية، وكانت بدينة لدرجة كبيرة وتوقف قلبها عن الخفقان ولا يتعلق الأمر بك على الإطلاق.



## الكاذب والرسالة المدمرة

كانت هناك الكثير من المشاحنات بعد أن وُلدت، فأسكيلد طالب بأشياء، ووفقاً لتقاليد أُسرق سُميتُ على اسمه، وأُمى اقترحت الاسم بنيامين اسماً ثانياً، ووالدى رفض أن يبعد عنه فكرة أن ايلفيس ربما يكون خياراً ممتازاً، وعندما صوت الوالد لصالح أسكيلد وزمجر بما يكفى حيال اسم بنيامين، وعندما رفضت أُمى أن تتقبل ذلك الاسم (ايلفيس) فإن بيورك اقترحت اسم أسجر، وبدأ حلاً أرضى الجميع عدا أسجر، واعتبر أسكيلد اقتراح بيورك إهانة شخصية لأنه لعدة أجيال كانت أسماء أسكيلد ونيلز قد تغيرت وسط الأولاد المولودين أولاً في الأسرة.

أسكيلد ونيلز قالت أختي ستينا بعدها بأعوام، وهي تنظر نظرة تحمل معنى الغيظ في اتجاه الجد «الآن كيف يمكن لتلك الأسماء أن تتناسب مع جذورك الضاربة في الطبقة الأرستقراطية الفرنسية؟»

«اصمتي!» غمغم أسكيلد والذي كانت أنفه الفرنسية المتعالية قد تورمت نتيجة لاستخدامه المفرط للكحول، «ما الذي تعلمانه أنتما الاثنان علي أية حال!»

وبحلول الوقت الذى شفى فيه من خيبة أمله، فقد بدأ في إطلاق اسم أسجر على، لكن لخمسة أعوام من حياتي رفض أن يتلفظ بهذا الاسم، وبدلاً من ذلك فقد استخدم أسماءً مثل أنت هناك، والأصلح الصغير ورقم اثنين وحينما كان سكرانا فقد كانت هناك مشكلة أنه في الحقيقة القائلة لم يمكنه أن يري أنفه الفرنسية الفخورة على وجه حفيده، وحينها فإن اسم الصبي الغير شرعى كان يتردد علي شفتيه، لوأن الأب سمع تلك الملحوظة الكريهة، فإنه كان ليتصرف بشكل شرس، وهى فكرة متكررة في أسرتنا، الجد أسكيلد كان يبحث عن طعام لابنه، المزدهر، بينما ابتسامته المشجعة جعلته يشعر بتوتر حتى لا يسعه أن يصاب بالغضب، وبالنسبة لأبي لم يكن هناك أي مراحل



فيما بينهما لذا فإن آسكيلد يمكنه أن يتجه إلى الباب تاركاً الخير الذي كان مطلوباً من أجل الشركات التي أصيبت بالكارثة: في حالة نفور طفولي.

«ها نحن.» اعتاد أبي علي قول ذلك، جدك لن يضع قدميه في بيتي مرة أخرى» ولكن غالباً لم يمر أكثر من أسبوع قبل أن يعود آسكيلد مرة أخرى وأقل أن نتجه إلي بيته مثلما كانت عادتنا في أيام الآحاد.

لكن آسكيلد شعر بالأهانة وبيورك اعتادت أن تستخدم كل قواها في الإقناع كي تجعله يأتي إلى حفلة تعميدي، وابنتها على الجانب الآخر لم تحتج إلى أي إقناع، وفي الساعة السادسة صباحاً في يوم الأحد آن كاترين كانت عند الباب ترتدي أفضل ثيابها، وكان من المفترض أن تحمل الطفل لواجهة التعميد، ولم تنم طوال الليل بسبب أنها كانت ستتجه إلى والدة الأم مثلما أمرت علي القول.

«الجددة... قالت بيورك... ليست العذراء وهناك فارق كبير يا عزيزتي!»، ولكن طفلتها شعرت بسعادة بالغة جداً من أن بيورك لم تملك قلباً لمقاومة تصحيح انطباعها في ذلك اليوم المشمس من شهر يوليو في عام (١٩٧٢) وكانت حقا ابنة الرب ليوم بأكمله، الطفلة عُمِدت في احتفال كنسي، وأثناء الحفل تزوج الاثنين لمنع أية مشكلة بين الأستين، ولمعت العذراء مثل شمس مشرقة تزن مائة كيلوجرامات، لأنها وقفت هناك وهي تحمل ابن أخيها الصغير الجديد، وهو نسخة مصغرة من الأخ الصغير كنان، وفي ذلك الوقت لم يكن من المسموح له أن يغشها ويفر بعيداً للبحر، وبعدها ببضعة أيام من حفل التعميد أتت تدق باب بيتنا في (بيركييلادسفي) وهي تطلب الأذن كي تخرج الطفل في عربته، وهكذا أخذت أولى رحلاتها للعالم الجديد، وأعلى الشارع وأسفله في كل الأجواء، وقد دفعني جبل من الدهن، الشريرة الصغيرة (مثلما أطلقنا عليها لاحقاً) والصبي غير الشرعي مثلما أطلقوا على هذا الاسم حتى قبل حفل تعميدي) سرعان ما صار المشهد مألوفاً في الجوار، وأحضرت لي كل شيء طلبته، من ديدان، وقاذورات وأوراق شجر وحتى أعقاب السجائر



والزهور الملونة التي استهلكتها» إن مذاقها جيد مثلما قالت وهي تسلمني أكثر المخلوقات إبهاراً في العالم مثلما جلست في عربة الطفل: «حلو مثل العسل».

في أول الأمر فإن أختي ستينا لم تشعر أبداً أنها آتية، وهذا هو السبب الذي جعلني أقوم بزيارة بيت أجدادنا، في (تونيفي) أكثر من ذي قبل، وهناك رائحة الترنيتية المضجرة التي أهاجت بأبخرتها أنفي، وصوت الأكواب المصطكة وصيحات البغاء المجنون تلك الأشياء التي شكلت خلفية في السنوات الأولى من طفولتي، وصوت بيورك الرقيق لم يكن أيضاً جزءاً من هذا الأمر مثلما غنت أغنيات حول المستقبل المبهر، وثرثرت بعيداً حول شهور الصيف في نورلاند-حتى آسكيلد قد أصيب بالسكر- وحينها فإن بيورك لم تأمر آن كاترين بأن ترجعني إلى (بيركلانفي) وأننا قدمنا للتوقبل أن يأتي أبي للعشاء... ها... قالت ستينا «آسجر صار محظوظاً جداً... لماذا؟»

ورداً على ذلك التقسيم غير العادل للاهتمام فهي قد مزقت الرسائل، ومثل كلب يكمن منتظراً لرجل البريد فإنها كانت تقف يومياً قرب صندوق الرسائل وتمسكها، وتمسك الصحف، والملصقات الدعائية التي تنتشر في أيدي رجال البريد فقط كي تمزقها إلى قطع صغيرة، ويخفونها في أماكن مختلفة، حول البيت وقالت أمي: «توقفوا!» وهي تبكي، ولكن في إحدى المرات أصيبت بمزاج سيء ولم يوقفها أحد ولا خطاب أختي عندما استمر حتى وصلت إلى سن البلوغ.

وهذا مثل عامل بينما هم قد انشغلوا بمشكلات أبي المتنامية مع سلطات الضرائب، ولم يدرك أبداً مدى سوء الموقف الذي كان فيه، إلا متأخراً جداً بسبب وجود تحريات ودودة أرسلت أثناء أولى السنوات القليلة التي تبخرت في الهواء.

«المخربة الصغيرة» صاح آسكيلد ستينا في المرة الأولى التي شهد فيها على عادة جدتي الغريبة والسيئة، وبعدها شرع في اختراع خطة سرية، ومبكرًا



في صباح يوم أحد عام (١٩٧٥) فقد أخذ منصبا خارج الباب الأمامي قبل أن كان رجل البريد على وشك الوصول، ووضع مظروفا فارغاً عبر صندوق البريد، وظهرت ستينا على الفور، ولكن بدلا من إبقاء المظروف في الفتحة فإن أسكيلد جذبته مرة أخرى كي نستطيع أن نرى أيدي ستينا الصغيرة والمتلهفة في صندوق الرسائل.

أها! صاح أسكيلد وهو يمسك بإصبع السبابة «أمسكت بك ، ها ها!» لم يكن ينوي أبدا أن يلوى أصابع حفيدته، ولكن هذا ما تم بالفعل، والخطابات التي رجعت، والصرخ طوال يوم السبت، وهناك مرة من المرات التي تم فيها إبقاء الجد أسكيلد حتى قبل أن يضع قدما في الباب ولأنه كان مليئا بالنفور.

عاد مرة أخرى إلي توفوني وبقي الأمر لأقل من صباح كي يهتم بالأمر. وكان فخورا جدا بتلك اللوحة وهذا أمر صحيح حتي علي الرغم من أنها دوما تذكرت أنه فشل في إنهاء العادة السيئة لابنته.

وهذا النوع من المناخ وطفل يستحم في الوهج اللامع من الاهتمام بينما الآخر يتعرض لوحدة التخريب الخاصة بالرسالة. وهي ليست أفضل بيئة لتغذية حب الأقران . ولدي ذاكرة غامضة لستينا وهي توخذني عندما لم تكن أمني تنظر نحوي. وفي أوقات أخرى كانت تأتي وهي تجري وراءي، والعمه آن كاترين عند ستينا يدا بيد نحو بيركلافي أرغب في المجيء أوحتي!... ستينا كانت تصيح وهي تلقي الحصى والقاذورات في الهواء

لا .... آن كاترين ترد: لا ليس من الممكن أن أقوم بمثل هذا الأمر اليوم. هناك فتاة صغيرة وقملك بشرة جد والدها أنف فرنسي فخور ويترك علي الرصيف ، يا لها من فتاة سيئة كانت تفكر هي...وهي ترمق آن كاترين بنظرة غاضبة لذا كانت الساعة الثالثة وبدأنا في الشعور بخوف بالغ من الظلام واقتربت ولا نجد أي من حيوانات الخلد تحت السرير في بيتنا، «كان والدي مولعا بالتمكن بمثل تلك الطريقة في وقت النوم» عندما كان ابنه «يتلفظ»



بنظريات محل شك حيال طبيعة الظلام .

الكلاب لا تخرج من الجدران عندما أطفئ النور كانت أُمي تؤكد لي دوماً، ولكن لم يوافق أي فرد علي أننا نحيا في بيت جيد بشكل مثالي.

أسفل القبو، في المساحة الموجودة تحت السلام أنت تعلم هذا..قالت ستينا، «هنا يحيي دوج مثلما تعلم أنت وهو أمر خطر جداً.»

«دوج هيد!» تلعثمت أنا«ما الذي يقوم به؟» ليست لدي أدني فكرة...ردت أختي ولكنه أمر خطير جداً، مثلما تعلم ..انه خطير جداً لدرجة أنني حتي لا أعلم ما الذي يقوم به تحديداً

دوج هيد ! قال والدي ...وهو ينظر إلي نظرة فاحصة ...دوج هيد ! قالت أُمي، لا تكوني سخيفة ..وهناك لا يوجد أي شيء مثل دوج هيد ...إذن، ما هذا الشيء الذي يجلس أمام الكلب؟ ...ستينا طرحت السؤال ، وهي تنظر لأُمي نظرة بريئة ومن يحيي في هذا المكان تحت السلام؟ استمرت هي بالحديث..حتي قالت الأم أنها نالت كفايتها من الثثرة

«توقفي عن إخافة أخيك...قالت ليبي ..وهي ترسل ستينا إلي غرفتها.

ولكن عند تحضير«استحضار» دوج هيد، فإن ستينا أبدت لمعة عبقرية، والصلة غير مرئية بين دوج هيد في الفراغ تحت السلام وحديث الجد آسكيلد الغامض حول الرعاية الألمان والمخلوقات الأسطورية سرعان ما ضايقني في غرفة نوم والدي ولم يمر وقت طويل حتي تعب والدي من الطرف الثالث الذي بقي يتسلل لزوجته ليلاً ، ويفصل وهو يغمغم بعبارات غير مترابطة، حول دوج هيد.

وهكذا فإن الأب بدأ بحذر عبر الحديث الجديد مع ابنه ولاحقاً أصدر قرار منع صارم، وعندما لم يجدي هذا الأمر لجأ في آخر الأمر إلي غلق باب غرفة النوم قبل الذهاب للسرير وفي فترة طفولتي كنت أذكر أن هذا كان باباً مغلقاً ليس فقط في أرض مفقودة، بل أيضاً بداية جديدة وهناك علي الفور قريب جداً وبعيداً عن الأرض الموعودة في غرفة نوم والدي وفجأة تذكرت



أن لدي أختا...

حسنًا! قالت وهي ترفع لحافها ولكن حينها أنت يجب أن تأخذني معك! ومع العمة آن كاترين غدا وعندما أتت آن كاترين كالمعتاد، لاحقًا في هذا اليوم، وهي ترتعش بشدة من التعب، واحمر وجهها من العرق، فإن ستينا كانت تصيح، اليوم سأتي معك !

آن كاترين اعتقدت أن ستينا ليست من يتخذ هذا القرار، ليس ممكنًا! ردت هي وهي تنظر نحو، ولكني كنت قرب الكرسي حتي تم حل الموقف وكان من السهل دوما أن تكون شخصا ما مطلوبًا جدًا وهكذا كانت معدتي ترتعش من الخوف، وراقبت الاثنين وهما يتعاركان بشكل مزعج أنت لن تذهب بدوني! صاحت ستينا: نعم سوف يذهب صاحت آن كاترين وهي تبحث عني

«أنت مثل حبة الطماطم الغبية».

قالت ستينا عندما عثرت علي عمتي وأمسكت بذراعي

«لن أذهب «استمرت ستينا بالحديث» أسأله بنفسك.»

وبعدها أدركت آن كاترين أنني لم أكن أنوي أن أذهب إلي أي مكان دون أختي وهي قد وقفت وخرجت، لا تهتمي صاحت وهي مصممة علي التغلب علي كلينا، ولكن لم يمر وقت طويل حتي نسيت الأمر وبدون تردد فقد أخذت جانبًا وبدون أي أثر للضييق فقد أرادت أن تبحث عبر ساحات الغرباء، وهي تدوس علي الزهور، وتخز السور أيها المتخلف، أخرج من المكان

صاح صاحب المكان الغاضب وهو يمسك بالشوكة، ولكن لم يستطع أحد أن يوقفها عن العبث بفراشاتنا وديداننا والضفادع الملساء الصغيرة التي كانت تصفر هنا وهناك قبل أن تصل إلينا طعم جيد قالت آن كاترين حتي بعد أن أرادت أن نري الهدايا

أنه! صاحت ستينا أنه مقرف!

وبعدها آن كاترين لم تعد تعبث وتمر عبر القراءة، بل أخذتنا للبركة، وسردت



لنا قصصا قديمة حول طرق ذهابنا للبحر وقد أرسل أحدهم من جزر الكاريبي وحيث ذهب للشاطئ كي يصنع سريرا ويشرب الصودا طوال اليوم. وعادة لم يقل أحد أي شيء عن العم نوت لذا فان قصص آن كاترين لم تخز دوما أذاني وهكذا فان مغامراته كانت مستمرة، وهكذا تبقي في جزر الكاريبي وبعدها في البحار الجنوبية وبعد هذا في دور ما في البحار، ونجا نوت من كل أنواع المخاطر-هجمات القراصنة- وأمواج البحر- عبر ناطحات السحاب وأسماك القرش ذات الأسنان اللامعة وفي أعقاب هذا، ترك راءه سلسلة من الفتيات الحزينات التي انتهي بهن الأمر لرعاية والدي الذي أرسل مغلفات صغيرة تحتوي علي المال من عملات داهمركية وكان يقول: «أن نوت يعتقد أنه ما زال صبيا»

وطالما أحب الوالد القوي ابنه بينما الجدة بيورك كان وجهها يحمر عند رؤية المال، ولكن تلك المرة الأخيرة التي سوف أنقذه فيها. والحقيقة أن العم نوت كان ما يزال صبيا أمر كان يزود من إعجابي نحوه وغالبا ما كنا نحاول أن نجعل آن كاترين تخبرنا المزيد عن تلك الفتيات الحزينات «أنا لا أعلم أي شيء عن مثل تلك الأمور....» أخبرتنا هي «هل تعلمين بما أفكر؟» قالت ستينا هذه الأسرة المتأرجحة أراهن أن يقيم بعلاقات مع كل تلك الفتيات في هذه الأسرة المتأرجحة، انه يشرب أطنان من الصودا! صحت أنا .. لا عارضت آن كاترين.

دعونا نسأل الجدة بيورك قال ستينا ونحن علي الفور ذهبنا للبيت الموجود في توفوني كي نحل مشكلة الفتيات غير المسرورات ولكن عندما نتجه إلي غرفة المعيشة فإننا نكتشف أن الجدة تجلس في كرسي كبير ذا مسند وهي تبكي. «هل جرحت نفسك؟» سألت آن كاترين وهي تنظر مندهشة نحو والدتها، والتي كان أخيها يستدعيها للعمل في هذا الصباح.

«أمي ماتت...» همست الجدة وهي تحملق في الفراغ بنظرة غائمة

«لديك أم؟» قالت ستينا ، وهي تنظر نحو بيورك بدهشة



وفي تلك اللحظة ، فان الجدة بيورك كانت مصممة علي أن تعود مرة أخرى إلي النزويج كي تذهب للجنائز وقد بلغت الستين تقريبا، ولم تري الأم خلال ١٧ عاما، والآن كل الذكريات تدفقت نحوها وهي تحفز فيها كثيرا من الطاقة التي أطلقت هي عليها مكتب سفر كي تسمع عن أوقات المغادرة للعبارات والطائرات ولكن مثلما كان يحدث دوما فيما يتعلق بالنزويج، فان جهودها لم تذهب إلي أي وجهة وهناك حس من انعدام الواقع تسلك إلي خطتها وفي النهاية فإنها هي وآسكيلد لم ترسل باقة زهر وبعدها فقد حاولوا أن يملكوا الثالث لبيورك من التراث المخزن في المستودع الخاص بشركة الإزالة.

وهذا التراث شكل بقايا إمبراطورية الأسرة المفلسة، تراث الماهوجني وأنايب ميرشام، وكتب جلدية الغلاف، وأطباق خزفية نادرة وكل أنواع الذكريات التي عادت مرة أخرى عبر البحار ، ومن ضمنها الرأس المنكمش من بورينو وعدد من الأشياء الأخرى النادرة التي ترجع إلي عصر فانج الرسوم الجدة كان لديها أمر، وأعلنت ستينا أنه في هذا المساء في طاولة العشاء ، ولكنها سوف تذهب بعيدا الآن.

«ماذا!» صاح الأب وجري نحو الهاتف وبعدها شرع في الصباح، وكان من النموذجي بالنسبة إلي بيورك أن تخبر ابنها بالأخبار ..كانت دما تشك إلي حد كبير وقد اشتكت لاحقا انه في تلك الأمسية لزوجته.. «هل تعتقد أنه يجب أن تخفي سر أمي عني؟»

ولكن بعد موت الأم إيلين فان بيورك بدأت في التصرف بطرق مريبة بينما الميراث تلوث بفعل التراب في المستودع وجراج منتظرا اليوم الذي كنا نحصل فيه علي مستحقات التخزين لمدة ثلاثة أشهر في الصف، فان بيورك شرعت في العودة للبيت ومثلما كانت تفعل في بيرجن، فإنها غالبا ما كانت تخرج كي تقم بالتسوق ولكنها عادت للبيت بدون حقائب للبقالة، وعندما سألتها سكيلين عن سبب رجوعها متأخرا للبيت، فقد كان لديها ما يكفي من سبل الاعتذار أو زعمت أنها احتاجت ببساطة إلي بعض الهواء النقي أراهن انه



رجل سمعها ستينا نهمس في غرفة المعيشة، «لن يدهشني الأمر...» همس الأب مرة أخرى لي وهو يتصور لنفسه وه الشخص المشاغب الذي قفز في احد المرات في خزانة الطبيب ثور المسن، وعندما أغلقت مكتبا وهي في عمر الثامنة أولي دراجتها المسروقة من أسكيلد فان عاملنا نما إلي حجم كبير ولم يتسني لنا ما يكفي من الوقت كي نستكشف الباص دوما والخاص بالغرباء مع آن كاترين ولكن عمتنا تظهر يوميا وبعد وهلة شرعنا في التفكير في طرق لتجنبها، لوأن اكا ومحاولتنا كي نخرج من الباب الخلفي عبر حفر في الجدار التي فشلت فانه كان دوما من السهل أن نجري بعيدا عن آن كاترين ، والتي كان نفسها متعبا وغير منتظم ، وعادة ما كانت تستسلم بعد ٢٠ متر فقط. وحينها كانت تقف هناك علي الرصيف، وترقبنا وحن نختفي بسرعة كبري أسفل الشارع.

«يجب عليك هذا!» كانت تسعل، «أمك قالت هذا!»

«نحن لا نهتم...أنت أيتها الطماطم الغبية!» سيتنا كانت تصرخ ولكن في احد المرات عندما كنا نجل في البركة فان آن كاترين فجأة أنت مسرعة عبر الفتحة ووجهها ممتقع بحدة...

«آها!» صاحت هي وعندما كنت أمسك بذراعيها كان من الممكن أن اسمع الصوت الغريب لقلبها وهو يهتز بعنف

«دعه!» صاحت ستينا ودعه يذهب أنت أيتها الطماطم الغبية!

«آه ! آه !» همست آن كاترين وهي تضغط علي صدري

«دعني أذهب» صحت وأنا أتلوي في ذراعيها حتي شعرت باليأس من الصداق ووجهت عيني المتوسلة نحوأختي الكبرى التي ألفت بنفسها فجأة عند السيدة السمينة، وقد طرحتها أرضا علي الحشيش وعضت يديها بشدة بالغة، لدرجة أن آن كاترين خففت من قبضتها في نهاية الأمر.

«أنا أنزف!» انتحبت آن كاترين هي تحملي في يدها، الدماء في الواقع كانت تنزل من آثار العضة التي خلفتها أسنان أختي ال.... «إنها تؤلمني»، همست



وفي النهاية أخذت تبكي ووجب علينا مرة أخرى أن ترجعها إلي الجدة، وهناك كلب عضها، أخبرت بيورك لاحقاً عندما دخلنا إلي باب البيت في تفوي والجدة نظرت إلي في عيني لحظة وعلي وجهها تعبير غريب وبعدها هزت كتفيها مدعنة كما لو كانت قد تقبلت تفسيري وهكذا بدأ الأمر. أكاذيبي الصغيرة التي كبرت قليلاً علي مر السنوات وألهمت الجد آسكيلد بان يرسم سلسلة لحات مهداة إلي أطفاله وأحفاده، وكانت هناك لوحة للأب والطبيب والمشرط لوحة، ولعمتي البدينة، بيرجين يحترق للعم نوت، والفودال محشورة في صندوق الرسائل، لستينا في النهاية في عام ١٩٧٩ لوحة الكذاب يتعثّر لأجلي الحفيد. وربما أيضاً سرد القصة علي الفور، حيث أن هناك كلب في القبو، قلت وأنا في سن الثامنة لجدي لأبي أثناء عشاء الأسرة، وآسكيلد لم يسبق أن تقف عن الابتسام عندما تحديته أن يذهب إلي هناك بنفسه خلال خمسة دقائق وينظر حوله.

كل تلك الفكرة كانت فكرة ستنا التي كانت من وجد جمجمة الغرير ومن أطلق أسماء علي الشمعتين وهي من أمضت نصف الأمسية وهي تحاول إقناعي أن ارقد في الفراغ الموجود أسفل السلام حيث جمجمة الغرير التي كانت تنتظر وهناك شمعتين تتراقصان في المكان الذي كان محددا للعين. والفراغ الموجود تحت السلام بدأ أكثر الأماكن رعباً في البيت بأسره، ولكنني زحفت إلي الممر الضيق المؤدي إلي المساحة الكبرى ودخلت أسفل البطانية القديمة بمجرد أن أخبرتني ستينا بالأمر.

وانتظرت وقلبي يرتجف: «دوف!» نبحت ستينا من الغرفة التالية مع مجيء الجد آسكيلد وهو يسعل أسفل السلام وعلي الفر أقفلت دائرة الكهرباء الخاصة بالقبو، «ودوف-دوف!» صرخت من الفراغ الموجود تحت السلام «أنتم أيها الأطفال المدللين» غمغم آسكيلد وأرادت أن تعود مرة أخرى إلي أعلي السلام لكن بدلاً من هذا سار وراء ستينا التي تحركت للأمام وللخلف بين رجلين وصاحت دف-دوف- حتي أراد أن يذهب للمرأة الموجودة قرب



المساحة الفارغة تحت السلام هناك استطاع أن يري ضوءا خافتا  
سمع دوف البائسة الصادرة مني والتي جعلته يبتسم علي الفور «أنت من  
المفترض أن تطفئ الشمعات وتجري في الظلام، عندما كان يتجه إلي هناك،  
اشتركت معنا لاحقا وكان من المفترض له فقط أن يري تلك الجمجمة».  
ولكن عندما تري الوجه الكبير لحد آسكيلد في الفراغ الموجود أسفل السلام  
بقيت هناك، مجمدا من الرعب وغير قادر علي الحركة وشعر آسكيلد  
بالرعب أيضا. عندما لمح تلك الجمجمة اللامعة، ووجهه صار صارما والشيئين  
لم ينتهيا فلم يبدو علي ما يرام، وربما تذكر مرأي الوجه المنفذ في ضوء قبو  
مشابه، منذ بضعة سنوات وعلي أي حال فان الفزع الذي نلمحه مرسوما علي  
وجهه جعلني أقفز وأضرب الجمجمة بقدمي أجري بسرعة بالغة نحو الجدار،  
دون شك كنت لأجري نحوه لوأن جدي لم يكن قد شدني من شعري.  
«آه!» زأرت، «انه يجذب أسجر من شعره صاحت سينتا لتلك الجلبة، لقد  
جن!»

وهكذا كنت رأسيس آسكيلد ومرة أخرى وحيث تم طرده من منزل طفلتنا  
ترك لي قدميه في بيتي مرة أخرى أعلن الأب حتي علي الرغم من أننا كنا  
نعلم جيدا ما الذي يعنيه مثل هذا الأمر فقد أمضي أسبوعا علي الثلج، مثل  
إصبع القدم الكبرى في قدمي اليسري والتي تورمت في اليوم التالي. ودرجات  
اللون الأزرق إلي حد كبير لدرجة أنه وجب أن أتجه إلي غرفة الطوارئ، حيث  
تم وضع قدميها كلها في الجبس وعندما بقي عند الجد آسكيلد علي الجبس  
أخضر كنفاء وشرع في رسم لوحة الكذاب يدس علي قصته بينما هناك رجل  
ذو عينين رماديتين ينظر اليها.

أحب تلك اللوحة أحب الرجل المتورم الخائف ذا العيون الدائرية الكبرى  
والرجل المهالك ، بيورك علي الجانب الآخر لم تحتملها وهي لا تبدو مثل أسجر  
قالت هي «بل يبدو إنها أمي غبي»

«ما الذي تقومون به تحديدا أيها الأطفال؟» همست الجدة الأم بيورك وهي



تضمن بين آن كاترين وترمقنا كلنا بنظرة فاحصة ولم يتفوه أيا منا بكلمة. وقد صدمتنا قصة الكلب السيء الطباع الذي هاجم آن كاترين الجدة لم تسأل أي سؤال بعد هذا، ربما كانت لديها أفكارها الخاصة حول ما تم وربما الأسرة كلها كذلك ولكن لم يعلق أحد علي المعركة الدمية التي غمت بين أختي وبين عممتنا البدينة، وبعد الحادثة الأولى في البركة، فان آن كاترين كانت دما تعرف باسم --الفتاة السيئة- الفتاة السيئة في طريقها، بينما كانت تقول هي تسعل في النافذة، من الأفضل أن ان يخرج من هنا، ونحن كنا ننظر للأسفل الباحة، عبر حفاوة بالغة والتي لم تناسب الفتاة السيئة لأنها بدت بدينة جدا، وبعدها اتجهت للعالم بدون الظل الأسر للكتب والذي علي عكس أخوتها، ولم تكن تستطيع أبدا أن تبتعد عن المنزل وفي كل يوم كانت تجول عبر الجوار، تبحث عن ابته أختها أو أبنته وفي هذا الوقت فان الأم كانت قد بدأت تدرس كي تصبح ممرضة.

وبعد أن فشل مشروعها كمالكة محل براويز قررت أن تملك زمام حياتها مرة أخرى، الأب أيضا فقد الاهتمام بمتجر البراويز والذي كان يفكر في أن يتجه إلي الأب، هذا المتجر القديم، كان مولعا بالقول وهو يضحك، متجنباً أن يطلق عليه ورشة عمل «كيف جلب هذا المتجر مالا، كافيا لدعم أسرته؟» ولكن لم يكن هناك شيء خطأ حيال متجر جدي الأسبق للبراويز ووفقا إلي ليلى فان نايلز قد بدأ في التحدث بشكل سيء عن البراويز بسبب أنه صار فضفاضا جدا وعلي مرأ لوقت توفرت له نسخة بوصفها يمل في الشركات التي أوشكت علي الإفلاس، وكأنه مهم لدرجة أنه أفتتح في مكتبه الخاص قرب متجر البراويز مع محام، باسم جيبس وهو رجل قصير القامة، سميناً، وستينا أطلقت عليه لقب باث بلاج، لان شكله ذكرها بأحدهم وبعد أن أطلقت عليه أي شيء آخر، ولينه أحب النساء الملونات مثلما كانت إلام تطلق عليهم هذا الاسم، ومثل أختي فقد أعطي لها هدايا صغيرة، ملصقات، واشطر شعر ودمي ورقية ولاحقا عطر وقطع صابون فر كراتين وأطفال هم كانوا صبية،



ووفقا للأُم لم يكن هوَالا صبي بالغ هونفسه بسبب أنه غير السيارات كل ثلاثة أشهر محدثا جلبة، حول سيارة الوالد الفولفو لدرجة أن نايلز بادلها مع سيارة مرسيدس سوداء«يا له من استعراض!» غمغم آسكيلد عندما شاهد لأول مرة السيارة المرسيدس التي ذكرته بالوقت الذي كانت فيه لينا زوجة رائعة، في أحد المرات وفي الماضي البعيد وصل إلي منزلهم القديم في بيرجين مع سيارة فولفوجديدة، وكان اج ايز ونوت حل الجيران، وبما أن أبي وأمي كانا قد اتجها في هذا اليوم فإننا أنا وستينا قد بدأنا في الذهاب إلي منزل الجدة، وبعد المدرسة، ولم يكن هذا الأمر ناجحا جدا، لان آسكيلد سرعان ما قرر أنه سيعالج خوفا من الظلام، باحتجazi في الدولااب وفي النهاية انتهى بنا الأمر إلي أن نصل لبيتنا بعد أن أعلنت هي أنها كانت بالغة بما يكفي كي تعتني بكلامنا وعندما تم هذا الأمر، فقد أعطي لكل منا مفتاح البيت، والذي أدى إلي اسم تدليل جديد: «صبي المزلاج» واجبر علي استخدام هذا الاسم، عند الإشارة إلي، لائما أبوي غير المسؤولين عن عدم تربية طفلهم بشك جيد. أنت يجب أن تحدث تم تم الأب رافضا أن يناقش حديث الطفل مع آسكيلد ومع هودكاه أمي وازدياد ثراء والدي، فأنتني وستينا استيقظنا ليلا علي وقع الأصوات التي نبعث من الجدال، والمشاحنة، وهي لم تكن المحادثات التي اعتدنا أن نسمعها بين جدي وجدتي فلم يكن الصياح عاليا، ونحن عندما اتجهنا للردهة كي نسمع غالبا ما كنا نري أمنا تجلس علي الأريكة وأحيانا كانت تبكي-وأبي يعطي ظهره لنا، وطهره ناحيتنا ويحمل في الظلام وراء الشباك ويسقط التراب علي الأرض....«انه باث بلاج» مثلما قالت ستينا في أحد المرات، «هو دوما، ما يأتي أولا من المحتمل أنها كانت محقة، إلي حد كبير، ووفقا إلي أمي فان أبي تزوجها ولم يزوج باث بلاج بكل سيارته الفارهة وأحيانا ما كانت تقول انه يبدوكما لوانه يرتدي الخاتم الذهبي للزفاف، وبدأت في الحديث، بشكل سيء عن المال الذي كان يجنيه، نحن لم ننفعه، علي أي حال.



همست هي، «المال يدفع للتعليم ...أنت تعلمين هذا، «ورد عليها الأب وكان الرماد يسقط من سيجارته بدون أن يحدث صوتا وبدت علي وجهه نفس النظرة الشاردة التي كان يديها عندما أتينا أنا وستينا ونحن نحمل صندوقا مليئا بالرسائل الوردية وقد وجدناه في أسفل الدولاب في العلية في توفوناي-جدتي- صاحت ستينا ..ما هذا؟ كنا نتجمع كالمعتاد في أحد أيام الأحد كي نحتسي القهوة، وآسكيلد كان في وسط موجه التفاخر حول جمل الاعتذار الأخيرة.

«لارسن كان رئيس آسكيلد السابق وهو الذي منذ عامين قد طرده من باحة السنة في أونسي» هذا هو السبب الذي جعل آسكيلد لا يطيق» الرجل «لارسن!» استمر كاي في مضايقتي عندما كنا ندخل لغرفة الشبه جالبين معنا الصندوق«يا له من أحقق!» لكن محاولتنا للبحث في أرشيف الأسرة لم تكن ناجحة ومشهد الصندوق القديم المحني علي الرسائل الوردية حول لون الجدة بيورك الأبيض وعيون أبي بدت شاردة، غامقة ولم يقل شيئا وفي الواقع فانه لم يقل أي كلمة لجدتي لباقي اليوم أو للأسبوعين التاليين، حتي في أيام صباح أحد، تلك النظرة الشاردة قررت أكثر فأكثر ثم تختفي فجأة. «تبا!» قالت الجدة بيورك بصرامة غير معتادة في نبرة صوتها.من فضلك أرجعي الصندوق إلي المكان الذي أتيت به منه وفي هذا الوقت ل تعرف أي شيء عن ماريان كفيست، بالطبع سمعنا بالأمر في المرة التي ذهب فيها الأب بدراجته إلي ألبورج وهو يعصب عينه لكننا لم نعرف أي شيء عن الأمر الذي كان بينه وبين براك«لماذا قمت بهذا الأمر؟» تينا طرحت السؤال عليه في أحد المرات وردت الجدة بيورك-حسنا- افترض أنه الحب «حبه لمن؟»

استمرت ستينا بالحديث وهي تحول عينيها وبعدها فان بيورك حضرت ردا واضحا وغامضا في نفس وقالت:  
«أعتقد أنها فتاة ما، ألا تعتقدين هذا؟»



وفي هذا الوقت فان الجدة بيورك كانت تنشغل أكثر فأكثر برحلاتها القريبة الماكرة وستينا لم تتحسن. حسنا، أنا سأذهب الآن، لذا أنت من الممكن أن تأتي مع عنتك الغنية لوحك أن أردت، كانت هي تقول هذا وبعدها تختفي عبرا لفتحة الموجودة في السور التي جلبها باث بلاج لها، وفي هذا العام ف لان باج الأم افتتح متجر بقالة علي بعد بضعة كيلومترات قليلة من منزل الطفولة ، لذا فان ستينا قد بدأت في قضاء الوقت مع ابنه العم ميا ذات الشعر الأصفر «ما الذي تقوم به بالتحديد؟»

غالبا ما كنت أسألهم ولكن ستينا كانت تنظر إلي نظرة مأكرة وتحرك عيونها أنا بدوري وصرت عضوا في نادي الصيادين والذي جال المنطقة، والجماعة تضمنت أيضا بيورك وميكل صبيان من الشارع، وكانت هناك ثلاث مساحات محددة من الاهتمام واحدة للصيد والاستيلاء علي كل الحيوانات الحية قرب البركة ، ثانيا الفرار بعيدا عن العمة المتخلفة التي يزيد وزنها عن ١٠٠ كيلو وثلاثة الصياح في وجه الصبيان الأكبر سنا مثل جي من براكلاستانجنت الذي كنا دوما مستعدين أن نطهره بلعناتنا عندما نختفي وراء الأسوار عبرا لشارع. وعندما كنت أفتح فمي فقد اكتشفت لدهشتي الكبرى أنها كانت مليئة باللحمات السيئة التي استمرت وظللت أجيبها حتي تأخرا لوقت، جدا، وبحلول هذا الوقت فان الصبيان الأكبر حجما كانوا يسكون بي ويلوون ذراعي وراء ظهري ويجعلني أتوسل طلبا للرحمة، هل تحاول أن تضايقنا؟ كانوا يصرخون «لا لا كنت أتجه أنا آسف!» الذهاب إلي مكان ما أثبت خطره، وبعد اكتشاف أنني كنت مثارا مني وللشتائم الأهانات الوقحة، لم أكن متأكدا أبدا من الوقت الذي يحلو للصبية الأكبر سنا أن يفكروا في الانتقال مني ولا حتي علمت متي تأتي عمتي المتخلفة كي تجعل مني مثارا للسخرية في نادي الصيادين، فقط عندما كنت مع ستينا شعرت حينها أنني في مأمن نسبيا الصبية الكبار في السن يقول علي مائدتهم والساحرة الصغيرة بدأت في الشعور بالرعب من أختي..



ولكن ستينا نادرا ما أخذتني للخارج معها وهذا هو السبب الذي جعلني أبقى في المنزل لفترات طويلة وعندما كانت ستينا في مكان كان مع ابنة العم ميا وكانت أمي تدرس وأبي يعمل والجدة بيورك لا تلحق الحافة- كنت أسمع الباب وهو يفتح رغم أنني حاولت أن أغلقه واسمع وقع الخطوات في مخزن الأطعمة وعندما تأتي الفتاة السيئة شاعرة بالجوع ويعجبها الموقف وكنت علي أي حال موفر الصودا المستقبلي وهي كانت أم الله والتي طاردها الخطاب حتي سيء المزاج.

ولكن الآن الموقف تقيد إلي حد كبير وهي بقت تدعوني مثلما كانت تفعل لعدة مرات قبل أن أتلوي في أذرعها السمينة ورغم التلوي والمحاولات البائسة للفرار فلم أستطع أن أخفي الحقيقة القائلة أنني أحيانا ما كنت أدها تلحق بي. أو أن نعومتها ستملأني بالمرح.

وقد حصلت علي رد عادي، من تلك المعارك التي سرعان ما انتقلت للقبو وهو أمر بدا مناسباً أكثر من نوع اللعبة عدا عن ضوء النهار اللامع في الأرضية السفلي وستينا كانت هي تتابعني عبر قطع الأثاث في السندرة، واستولي علي رعب مفاجئ وكنت أفر عبر الممرات الضيقة للفراغ الموجود تحت السلام. عمتي المدينة نجحت في عصري، وبعدها وقفت هناك في الداخل حيث وجه الكلب غير المرئي كان موجودا طوال فترة طفولتي .

ولثلاث سنوات كانت تلعب تلك اللعبة معي، بينما الأم في الفراغ تحت للسلام حيث كانت تضغط علي في أحد الجوانب أو تسحقني مثل فطيرة علي الأرض بأصابعها التي وجدت عيناها وبقينا مع أحد أعضاء الأسرة.

«ما الذي تقوم به هناك؟»

كانت أمي تسألني عندما عادت للمنزل مبكرا من المدرسة، لا شيء رددنا نحن الاثنين ، وفي مرة أخري ليس فقط ستينا بل ابنة أخي الشقراء التي أتت هي علي أطراف أصابعها أسفل الدرج كي تدهشنا في وسط معركة أوعرا كنا السري، اعترفي بالأمر قالت ستينا وهي تضحك بعد هذا العمة «آن كاترين



مولعة بك»

«اسكتي!» صحت أنا

«إذن المشكلة هي هل أنت تحبها بدورك؟» قالت ستينا وهي تضحك

«لا - لا...» صحت أنا

وأنا أنظر بعصبية نحو ابنة عمي الشقراء واتي كانت ضحكتها الصامتة قد صدمتني وآسجر والفتاة الشريرة قالت ميا وهي تحرك لسانها وماذا ارتدي كان أمرا أن تسخر مني أختي ستينا ولكن فكرة أن تنضم ابنة عمي الشقراء لها في الضحك واستخدام عبارات وقحة وتلميحات كان أكثر من احتمالي بعد هذا فان نفوري من ألعابنا ألقى بظلاله علي مرحي وأخذت بالتجول للقبو مع عمتي البدينة وبعدما سمحت لي بالإمسك بي بدأ هذا الأمر في ترك أثره علي الفور علي شعوري النامي.

وفي أحد المرات شرعت في الفرار بجديّة وأنا أصيح بحرارة: «أنت أيها الطماطم الغبية!» وهي تجري في الشوارع: «أنت أيتها البقرة السمينة، أنت أيها الفتاة القبيحة».

وفي نفس الوقت كانت هناك خيالات باعثة علي الضيق قد تسلمت إلي عمتي ولوحة غريبة تصف فتاة بلا حياء وصغيرة وكان الأمر متعلقا بالموت والقتل وحادثة سير حيث أجتذبتني آن كاترين إلي الظلام تحت السلام ورقدت وهي تهمس شيئا عن السفر والشاطئ الاستوائي وكل تلك الأماكن التي كنا نذهب إليها وكل الصور التي يمكن نشرها وكل تلك الأسرة المتأرجحة التي سوف نرقد فيها

«عندما يعود نوت للبيت-قالت وهي تحدث صوتا-» سيأخذنا نحن الاثنين معه لا أحد غيرنا وبما أن ابنة عمي الشقراء لم تكن قد ظهرت بعد علي المشهد.

ولكن كانت الفتاة السيئة قد لاحظت أنني كنت مولعا أكثر فأكثر بابنة عمي الشقراء.



وهكذا بدأت هي في المعاناة من الصداع وأحيانا ما كانت تضع يدها علي قلبها وتطلب هواء لتنفس وفي الفراغ الموجود تحت السلام صرت شاهدا علي المشهد الغير سار للفتاة السيئة ذات الوزن البالغ مائة كيلوجرام وهي تتنفس-ووجها صار أحمر اللون من نقص الأوكسجين- بينما كانت تتلوي من الخوف كما لوأن قلبها الكبير والسمين قد تحطم بسبب أننا أعتدنا الصياح بها في الشوارع . صرت أكثر حدة وعنفا.

مرة أخرى جزء مني رفض التغيير وصرت عنيفا وجزء مني شعر بمتعة ما للتواصل مع جسمها المتراهل وبينما الجزء الآخر كان يسعى للتحرر ولذا يخوض معركة كي ابتعد عنها.

لذا عندما لم أكن استسلم لعناقها في الظلام، كنت أتصارع كي أعدو وراء ابنة العم ميا، وستينا اللتين كانتا تجريان أسفل الشارع وتصيحان: «فلتضع اذهب مرة أخرى للبيت مع عمك السيئة!»

«أسجر [١]!» استمرت ستينا بالحديث بنبرة جعلت ابنة عمي الشقراء تزود من ضحكتها..» انه أمر جيد لكن يجب أن تعد للبيت أن شعرت بمثل تلك الحاجة الملحة، لوأنك تعلم ما أعنيه».

«نعم وهكذا بدأت الأمور في أخذ منحني سيئ والأهانات تنصب علي، وفي الجوار فان الصيادين الكبار كانوا يتجولون وهم كانوا يرعبونني أكثر بسبب الاهانات التي كانوا يصبوها علي، بشكل مستمر، وحينما كان هناك نادي الصيادين الذي بدأ في الشعر بالضييق من آن كاترين«لوأنها ستأتي-قالت بيورك- ولوأن هناك أي فتيات في الجوار إذن من الأفضل أن تبتعد».

«حسنا...حسنا!» وللتعويض علي هذا الأمر، بدأت في اختلاق الأكاذيب وفي حياكة أكاذيب مثلا أثناء سيري أخبرت نادي الصيادين أن الفتاة السيئة كانت في المنزل مصابة بالتهاب رئوي علي الرغم من انه في هذا العصر كانت تخرج من وسط الشجيرات، أخبرت الأطفال في المدرسة أنني سرعان ما سأبحر في رحلة طويلة، ربما الترويج(لو علمت فقط حينها!) ربما اذهب طوال الطريق



للبحار الجنوبية» لم يتقرر الأمر بعد». ربما في أحد الأيام أدركت الأم بخطط ابنها ودعتني للذهاب للمطبخ.. «لا..» أخبرتها «لم اقل مثل هذا الأمر أبدا» ولا حتي أخبرتها أن ابنه عمي قبلتني وراء الدراجة المدرسية أن عمتي كانت تعاني من مرض مهلك أوأن جدي لأبي كان عميلا سريا لقوات التحالف أثناء الحرب أو أن أبي كان أكثر الرجال ثراء في المدينة أو أنني هوجمت أحد المرات من عصابة من العصابات وأنا في طريق عودتي من المدرسة.

وقد تبادلنا النظرات القلقة في الأسرة، حيث أن هناك خططا كانت تحاك من وراء ظهري وحتى في المدرسة فان المعلمين بدوا مندھشين بسبب أنه أليس هذا الصبي الذي كان صامتا من قبل بدا ينحونحوالمنحدر الأملس؟

.... في أحد الأيام كانت الجدة برك أثناء غداء عيد الميلاد هي التي جذبت كارت معايدة متهالك من حقيبة يدها، وأخبرتنا أن نوت كان يعود للمنزل من جاميكا في أحد الزيارات الابن الذي وعد ألا يعود للبيت حتي يصير قويا بما يكفي كي يضرب والده بشدة، الصبي الذي طالما أعجب بالدراجات الثلاثية العجلات التي كانت تنتظر أحدهم ليقودها .

ذاك الصبي الذي وعد أخته بعدد من أكواب الصودا تحت القبوفي البحار الجنوبية ولم يره أحد منذ عام ١٩٦٩ ومن كان يعلم مثلما نعتقد نحن انه ربما كان يعود للتوكي يحصل علي دراجته.

«إذا فهذا هو الأمر!» قالت ستينا، «هذه هي نهاية الحكاية». العمة البدينة آن كاترين ماتت من أزمة قلبية، وما زالت لا تؤمن(اعتقد) أنك قتلتها هزت رأسها وأضاف «صداع» قبل أن تتجه للسريير «أنه أمر محتمل».



## روؤس كلاب تحت السلام

كانت أكواب الصفيح تتراكم تحت سرير مرض بيورك والهواء المنعش من بيرجين يتسلل مخلفا جوا من النظارة الساحرة في الغرفة التي كانت تمضي آخر أشهرها فيها، وصارت نحيفة جدا ومتوترة، والنسمات الناضرة من بيرجين وضعت لمعة في عينيها لم ترها منذ ثالث آخرذرٍ لرماد آسكيلد المتناثرة التي..

وقد جلبت معها مجموعة من الذكريات من البلدة القديمة محفزةً إياها أن تحكي لنا قصة وبهذه الطريقة كنت أجمع آخر خيوط السرد الروائي مع استماعي إلي الجدة بيورك ملاحظاً أنها كانت تعود للمنزل مرارا وتكرارا بشكل دوري، وفي هذا اليوم منذ بضعة سنوات مضت عندما عاد آسكيلد للمنزل بعد المراجعة الدورية في المستشفى شعرت فجأة بحاجتها إلى أن تمس شعره الأبيض وهوشىء لم تقم به لعقود، لكنه لم يرجع للبيت لأكثر من بضعة دقائق عندما أتتها الحاجة الملحة والسيئة ممتزجة بمشاعر الخوف التي ربما لا تستمر حتى عند عيد زفافها الذهبي.

«ولكننا قمنا بهذا!» قالت الجدة بيورك بابتسامة راضية: «لقد نجحنا في القيام بمثل هذا الأمر» الهواء المنعش من بيرجين[٢].... هم ... ! ممتزجا برائحة عطنة بشكل بدا غريبا نوعا ما، بما أن أبليهيد لم يكن دوما حذرا بعد غسل الأكواب الصفيح قبل وضعها علي كارت معايدة، وكتابة كلمات مبدعة، لايد أنه يناهز الستين عاما الآن الجدة بيورك ما تزال تعتقد أنه ليس ابن أخيها ولكن ابنها المسن الذي كان يرسل كل أكوابه الصفيح....».

في بيتي القديم «كتب أبليهيد» كل شيء هونفسه كالمعتاد «إذا فإنه ما زال يتصارع في معركة خاسرة مع الوحش الموجود في المطبخ» أى مزحة تفكر بها؟ سألت الجدة وهي تبتسم نحوى ابتسامة عصبية اعتادت أن تبتسمها. وغدا كانت تتجه إلي مسرح العمل كي تزيل شيئا ما شيء كنت أتخيل قدومه



من قطعة الثلج، تلك الموجودة في قلبها، وتلك الرياح الباردة التي مرت عبر غرفة استشارة الطبيب ثور علي الرغم من الكلمات العادية التي استخدمت في الحديث مع الأطباء المنتصرين، جدتي لأنها كانت تفضل سماعات الطبيب المعاطف البيضاء، وتثق بها بشدة: كنت أشعر بحذر ما عندما كنت أسمع حجم العمليات فقد ذكرت تلقي لعدة مرات، ولكن الجدة بيورك رفضت أن تتحرك لكن الأطباء بدا أنهم صمموا علي أن يمنحوها ما أرادت .

لذا تركتها بمأمن في أيديهم لأنه قد وجب علي أن أعود مرة أخرى إلي بيت أختي ويجب علي أن استمر في حادث وفاة عمتي واتصل بالجانب الآخر.

«فلتقرع الباب» سمعنا في شهر يونيو ١٩٨٣ وكان هو واقفا هناك نوت القادم من الجوار الذي قام بكل الوعود السهلة مديرا رأس أخته المتخلفة ووقف هناك وهو يدور مثل نسخة أمه من آبلهيد المبهر والذي قام في عام ١٩٥٩ عاد للمنزل من فترة ثلاثة أعوام قضاها في البحر.

نوت بلغ العام والوشم لم يعد جديدا، لم يعد يحمل حقيبة بالية، بل حقيقة عمل بالية الأب الذي التقطه في المطار قد ألقى بنظرات بها عدم الموافقة نحو شعره الطويل.

«آه يا للجميل!» قال نوت عندما كان يغني واقفا في النهاية في غرفة المعيشة ولقد نسيت أن أشتري بعض الهدايا.

وبالطبع بدت تلك ضربة للأسر أسابيع. كي تكتشف أن نوت قد ورث علاقة أبيه المتهورة مع الشراب.. لقد بقي سكريا لمدة ثلاث أسابيع... قال لأب لاحقا وهو يهز رأسه مستسلما.

«لقد صار خاسرا حقيقيا قال آسكيلد» وهو يتلوي

«ولكنه انتحب في الجنازة» قالت الجدة بيورك وفي هذا اليوم أبعدت الجاكيث للأبد .»

ومثل آبلهيد فان نوت حاول علي الفور أن يلقي أعضاء الأسرة في الهواء في غرفة معيشة في بيركلادسفي.. ولكن علي عكس ابنة أخيه فان نوت كان



سكرانا جدا لدرجة أنه قلل من استعراض القوة وكل فرد باستثناء آسكيلد لاحظ أنه يفوح برائحة الكحول وهو غير من كلماته نوعا ما عندما عاد إلي والده وقال: «لمدة ١٥ عاما كنت أنظر قدما وأحاول أن أعطيك ضربة في المؤخرة».

«فلتمضي قدما وتجرب الأمر»... غمغم جدي السكير بشكل مساو...لذا كنت أضحك بهستيرية وأخذ نوت قبضة ثابتة من أذرع والده، محاولا أن يطرحه أرضا، الجد آسكيلد تعارك مرة أخرى بكل قوته، وهو يضحك أولا، ولكن بعدها وبشدة كبري تطور الأمر إلي مباراة مصارعة

«الآن توقف عن هذا...كليكما!» صاح الجد ببيورك محاولا بدون حظ بالغ أن يفصلهما التصارع مع والده في بيركلادلادسفي، جعل نوت يجد القوة (يستعيد شعوره بالقوة) بعد الفترة عبر تذكر رائحة الدهن، من غرفة محركات السفينة وبفضل الروتين أثناء الرحلات الطويلة والمشاعر المألوفة للحبل الذي تدلي بين يديه، وحتى صاح والدي أخيرا: كفي! ...يا للجنة! توقفوا عن التصرف مثل رضيعين!»

وبحلول هذا الوقت كان الاثنان يتدحرجان علي الأرض رغم أنهما أطالوا الأمر وشعروا بالراحة في مغادرة ساحة المعركة قبل إعلان الفائز والخاسر، فأنهما هما الاثنان شعرا بالضيق من سماع اللوم من الأخ الكبير الناجح والابن.

والأمر الذي اعتبره نوت ترحيبا منتصرا اتضح بدلا من هذا، أنه أمر باعث علي التوتر «لم يحدث أي شيء سيئ هنا...» انه نفس الشيء مثلما كان دوما... غمغم هو وبعدها ضحك بشكل هستيري أكثر... حتي ملح أخته المنتحبة.

«اخبّر أن كاترين أنني سأعود مرة أخرى، واحضرها في يوم من الأيام...» قال نوت منذ ١٥ عام مضت ..في عام ١٩٦٩ وحينها ودع أخيه الأكبر، في صباح أحد الأيام في ميناء البرج وقد اعتقد أن أخته الكبرى قد نسيت كل شيء حيال وعوده الطفولية الآن... ولكن أن كاترين لم تنسي أبدا أنها تحملت اللوم نيابة عنه، لكن أن كاترين نسيت كيف أنها تحملت اللوم نيابة عنه



عندما كانا يمزحان كالأطفال .

ولا حتي نسيت أنه ردا علي حبها المخلص، قد وعدنا يوما ما بوعده.. جعل لعبها يسيل، «وتحت أي ظرف لم تنسي أنه وعدنا أن يأخذها معه».. لا .. خلال الأسبوعين الذي خطط فيهما نوت أصلا أن يضيهاها في الداهرك، فان الفتاة الشريرة الصغيرة تنسي تماما أي تفاصيل حتي الصغيرة منها، وخيبة أملها تجسدت في الصور غير النهائية التي التقطتها الأم.. آن كاترين ... في حافة الصورة نفسها، وهي تؤلم ظهرها، وآن كاترين وهي تذرف دموعا مملآها التحدي ...

وبعد العشاء المتوتر في بيركسلاند في هدا الأمر، والعم نوت أظهر لنا بفخر ثلاث جروح أصيب بها من حافة السن الحاد للقرش وقد بدت علي الرأس في بابا في غينيا الجديدة وتفاخر حول الفتيات الحزينات عندما كان يقربا لويستي الخاص بأبي بشكل مبهر ويتحدثان عن الوشم الذي غطي أغلب جسده، «حتي أنت تعلم بهذا».. قال هووهوويتسم بخبث حتي بقيت أمني وبيورك يضايقانه كثيرا لدرجة أنه لاحقا في تلك الليلة، نهض من كرسيه وفك الرباط ووضع الزهر مرة أخرى علي الطاولة.

«في صحة حبيتي!» قال:

كانت مزحة عائلية انه زهر العم نوت، علي عكس زهر آبلهيد بدا صغير الحجم جدا لفنان الوشم أن يتضمن اسم أحدهم وعلي مر الوقت بدا هو تفسيرنا للسبب الذي لم يجعله يستمر أبدا في أي علاقة حب، ولكن مغامرات قصيرة مع السيدات الناعمات مثل الشوكولاتة وخبيثات مثل المومسات مثلما كان يقول وهو يضحك ... علي فترات منتظمة كان يلقي نظرة فاحصة نحو أسكيلهيد الذي لم ينبره أبدا علي الإطلاق ... لا بينما نوت من الممكن أن يبهز أبن أخيه وابنة أخته فلن يستطيع أن يبهز والده .

«لما أريد هذا علي أي حال؟» فكر هو..وهو ينحني أكثر من المعتاد من أجل أن يتحمل الموقف فوالده غير الحاذق لم يمنحه أبدا تربيته موافقة علي



ظهره..وأخيه الأكبر الناجح جدا، وأمه التي رغم دموعها عند مجيئه كانت تشعر بالقلق أكثر من الفخر.. وأخته الكبرى التي لم تكن تستوعب أنه لم يعد طفلا صغيرا...يا للجنة...!كان يدرك بشكل ثابت نظرة خيبة الأمل التي تبدو علي وجهها، التي لم يكن يتحملها..وقد أعاقمت محادثاته وتبعته في كل مكان، حتي عندما كان يتجه إلي الحمام..وبعد ثلاث أيام من قدومه، فان نوت في النهاية... كان قد مل..وعندما انحنى العمة آن كاترين فوقه وجلس وهو يقرأ الصحيفة فقد وقف ودفعها بعيدا لدرجة كبيرة جدا، حتي سقطت بوزنها البالغ ١٠٠ كيلو.

«توقفي عن اللحاق بي... «صاح نوت» أبعدي عني أنت أيتها الطماطم الغبية.»

كانت آن كاترين تهتز حتي نهضت علي قدميها أدركت الأمر ولكن لم يدركه أي فرد في أسرتي....، وجهها قد تحلل..وفي كل الجلبة التي أثارها نوت عند عودته للبيت لم يلاحظ أحد أن آن كاترين لم تستطع أن يرها أحد أبدا في نفس الغرفة.

وقد ظهرت فقط عند بداية كل وجبة من أجل أن تشبع جوعها، ولم يلحظ أي فرد أنه بعد أن لعقت جراحها، فإنها قد صارت أكثر عدائية، واتجهت نحو القبو، حيث استطاعت أيضا أن تبتعد من الجراح إلي الشجيرات عندما كنت أحاول أن أبعد مع أن ابنة العم ميا وأختي ستينا، آها!..كنت أسمع الحديث.. واكتشفت نفسي عالقا بين ذراعيها«ستذهب الآن... حسنا ؟» قالت بيورك وهي تنطلق نحو نادي الصيادين.

«فلتتمتعوا أنتم الاثنین !» ميا وستينا كانتا تبتسمان، قبل أن تختفيا أسفل الشارع وحاولت أن أحرر نفسي.. وحاولت أن أشق طريقي خارج ذراعيها.. ولو أنها لم تستطع أن تجعل نوت يحفزها لطالما حلمت حول ال ١٥ عاما... المأضية ..وعلي الأقل كان من الممكن أن تجعلني أقرب علي الخطط.. وربما ربت علي ظهري بقية بالغة...، لدرجة أن الأمر أخذ مني عدة دقائق، كي



استطع التنفس .

وكانت تمسك بي وعندما استطعت التنفس وكانت تمسك بي وعندما استطاعت التمكن مني فإنها بقت تعصرني حتي أقم بما تريد، واستطاعت أن تجذبني إلي الشجيرات أو إلي الفراغ تحت السلام كي تستطيع أن ترقد فوقني مستخدمة قوة اكبر من ذي قبل ..تعلم جيدا أنني كنت أصادف «صعوبة في التنفس».

هكذا في الفراغ تحت السلام فان قلبها الهش انفجر في نهاية الأمر..وهناك انتابتها زغطة وهي أمر مألوف بالنسبة لها، وهي تبدو كما لوأن قلبها المتعب كان قد توقف عن إصدار الصوت.. توقفي عن هذا ..قرب الطاولة وأنت تجلسين ...الجدة بيورك اعتادت أن تقول ألا تجلسين هناك وأنت تصيحين، وفي اليوم قبل أن يكون من المفترض للعم نوت أن يعود إلي جاميكا -أمي كانت قد طبخت عشاءا جميلا- وكنا كلنا نجلس عند الطاولة نتناول الطعام باستثناء آن كاترين التي كانت تختفي في القبو وكل واحد كان في مزاج عال حتي أختي التي في وسط تناول الحلوي طلبت من نوت أن يخبرنا بقصة حول نار الغابة وفي الماضي فان قصة نار الغابة كانت من أفضل قصصنا الخيالية ، في بعض الأوقات لم نكن نعلم أي شيء تقريبا عن العصا التي أنهت القصة وكسرت أنف نت الصغير... ولكننا شعرنا أننا لم نسمع القصة بأكملها، ودون شك هذا هو السبب الذي جعل ستينا تطرح السؤال ...نوت حلق فيها، بدهشة والجد أسكيلد أخبرها بصوت أكثر ثقة عما هو معتاد ، حتي لا تزعج البالغين وهو ما أدي بنا إلي اعتبار مثل هذا الأمر علي أنه دليل أن شكو كنا كلها كانت في محلها وعيون نوت بدأت في اللمعان بعصبية بالغة عندما نظر نحوستينا وأنا لاحظت أننا كنا نميل إلي الولوج للدخل نحو انفه المائل ولكن ربما هذا الأمر حدث لأنه كان سكران.

نار الغابة! قال أخيرا وهوينظر نحونا كلنا

أنت تريد أن تخبرني بقصة [٣] نار الغابة ؟ أراهن علي هذا!



ولكن لم يمر وقت طويل حتي بدأ هوفي الحديث أكثر عن هذا الأنف أكثر مما لدي النار، أكثر من والده عن أي شيء آخر وحينها... فان الأب بدأ في الابتسام بشكل متوتر... وحدث الأمر... لدرج أنه شرع في تنظيف الطاولة.. وفي النهاية أخبرني كي أعود للقبوللحصول علي مزيدا من الخمر«لا...» قلت أنا... أخبرتني ستينا أن تقم بهذا الأمر.

«آه...آه...» ردت ستينا.. التي لم تود أن تغفل أيا من الحقائق التي تقول أنه العم نوت الذي بدأ فجأة في الصرخ نحوأسكيلد.. وهويقول أنه لم يكن أبدا والده الحقيقي... أنه كان دوما يتصرف مثل وغد نحوبيورك.

علمت أن الساحرة الصغيرة كانت في القبو، لذا زحفت أسفل السلام بهدوء علي قدر الاستطاعة.. وسرعان ما وصلت إلي الأسفل، وأسرت نحو غرفة المخزن، محو معدتها وقالت صارخة:

«دعني!» وهي تحاول عبثا أن تتحرر من ذراعي المحيطين بها، وهي كانت تتنفس مثل حيوان بري.

لم يسعني أن أفهم كيف يمكنني أن أتمتع بالتجول من حولي في القبومعها وقد اعتقدت أنها مكرفة وهكذا بفضل كل الإساءة التي أمطرها عليها الغرباء، عندما كانت تتجول في الساحة بحثا عن الهدايا لابن أخيها الصغير... فقد عضتها في ذراعها الآن وجسدها وخز أسناني لكنها لم تتركني وعادة فان آن كاترين قد شرعت في الكبار عند التعرض لمثل هذه المعاملة ولكنها لم تصدر أي صوت وبأحدي الأيدي سعت للبحث عن المكسرات التي أرادت أن تعطيها لي عبر الممر وصولا للفراغ الموجود تحت السلام.

ولم أود الذهاب إلي هناك ولم أود أبدا أن أذهب مع آن كاترين في الفراغ الموجود تحت السلام مرة أخرى وقد صككت أسناني سويا حتي ملأ مذاق الدم الحلو فمي، واستطعت أن أشعر بجسدها كله يهتز من الإثارة ولكنها لم تدعني أذهب بل ظلت تبحث عن المكسرات وفي النهاية أكتشفها وعصرتها بشدة لدرجة أن تنفسي ابتعد عني وأسناني جعلت ذراعها يمتد ودفعتني



عبر الممر الضيق جدا رغم أنها بالكاد من الممكن أن تتصل ببعضها البعض... فقد بدا تنفسها يضيق وكنت قد بدأت في الشعور بالرعب... وهي كانت تتصرف بشكل غريب منذ أن أعطائها العم نوت الحبوب وهداها وقد أحست بالزغطة ونطقت أصواتا غريبة لم تنطقها عادة.

وعندما كنا كلنا في الفراغ الموجود تحت السلام وضعت ذراعا حول عنقي ولوتني كي أستطيع أن أضعه علي الأرضية الأسمنتية وقد جرحني العصص وأسفل رأسي تخدر وكنت علي وشك الصرّخ عندما رقدت فوقي للمرة الأخيرة ، ورقدت علي وعصرتني لدرجة أنني بقيت بلا حراك من فرط العرق البارد الذي يتساقط من جبهتي وحينها نطقت آخر موعظة بكلمات أخرى ، حررت من قبضتها علي وتدحرجت إلي جانبها وأمسكت بقلبها واستطعت أن أري كيف كانت تنزف من ذراعها، حيث وخزت أسناني جلدها، وفي عيونها وفي الضوء الخافت الآت عبر الردهة شاهدها وهي مشلولة من الحزن، وجلست وكل شيء كان يطفو أمام عيني، وأردت أن أسرع وأخرج من هناك، ولكن فجأة شاهدت الأمر ورأيت رأس الكلب وهو ذاك المخلوق الشرير الذي أخبرتني به ستينا منذ عدة سنوات، مضت، وكان رأس الكلب يجلس قربي وقد انكمشت من الرعب ، وزحفت إلي أبعد مكان حيث بقيت كما لو كنت أشعر بالبرد واستمع لها وهي تتنفس حتي بعدها، بوقت قليل عندما استمعت إلي وقع خطي أبي علي السلام وكان اسجر يصيح .. «ما الذي حدث بهذا الخمر؟» ..أسرعت خارج الردهة وجريت نحوه، محاولا أن أسره قال لي هويحاول عبثا أن ينظر في عيني... ولكنني قد استطعت أن أنظر في عيونها وكان لزاما علي أن أخبره أن العمّة البدينة آن كاترين كانت ترقد مشلولة في الفراغ الموجود أسفل السلام وكان واجبا علي أن يستدعي سيارة إسعاف ولكنني ببساطة جمعت زجاجة الخمر من الأرض سلمتها إلي أبي ... وسرت وراءه مرة أخرى أعلي السلام حتي غرفة المعيشة، حيث كان آسكيلد في وسط القصة الطويلة وقلت أشياء غريبة حول الجدة بيورك لدرجة أنه لا



يوجد أحد منا يؤمن بمثل هذا الأمر.

«من الذي داس علي إصبعه؟»

من الذي أتى خارج خزانة الطبي ثور الغامقة اللون المصنوعة من الماهوجني مثل عفريت العلبة؟ من هذا الشخص الذي يعتقد كل فرد أنه ملاك طيب؟ وكل تلك الأخبار بدت طيبة، والتي أبقت أختي صامتة.. ولونت وجنتي الجدة بيورك باللون الأحمر اللامع... وجعلت نوت تصمت لدقيقة.. حتي يستجمع قوته... لأي هجمة جديدة، كل فرد صاح في مرة واحدة باستثناء أبي...الذي كان يجلس هناك ابتسامة متوترة علي وجهه.

وبعدها بسرعة قصيرة رجعت مرة أخرى إلي السندرة، وتسلسلت عبر الممرور، واكتشفت أن رأس الكلب كان ما يزال هناك وكان يحاول التنفس وزحف نحوالممر ، وكان يحملق بي بنظرة اتهام وبعين نصف مفتوحة وعندما حاول أن يأتي ويصل للممر فقد أخذت أرجيحة وسددتها في الوجه بقبضتي وانسحب دوج هيد وقد صدمته أكثر من مرة ، حتي بقيت هناك بلا حراك، علي الأرضية الأسمنتية الباردة ولاحقا، عندما أتت أمي إلي السندرة كي تحصل علي زجاجة باردة من المياه المعدنية لبيورك الفزعة شاهدتني وأنا أدخل للغرفة التالية وانسحب مع كرسي.

وفي نبرة عابرة -اهتمامها بدا مركزا علي الجدة بيورك- وسألتني السؤال التالي: «ما الذي تقومين به؟» وعندما لم أرد رجعت للأعلى... وسحبت الكرسي وحبات العرق كانت تتساقط من عيوني عندما وضعت الكرسي في الممر كي أمنع دوج هيد من العودة، من حافة الظلال، إلي حيث يقودني مرة وآخر مرة : «إنها كذبة!» ... صاحت أختي ستينا: أنها كلها أكاذيب!

وبعد هذا، فان السلام رفعت للأعلى وبعدها اختفيت في الشوارع الملساء اللامعة... وجريت عبر الجدران، بحثا عن باقي أعضاء نادي الصيادين واكتشفتهم في أسفل البركة، وبيرك كانت الأولى التي بدأت في المسك-اعتقد-...لو أنها ستأتي ... إذن...



«حسنا...نعم... كل شيء علي ما يرام....» رددت أنا  
ولباقي الأمسية...جريت حول رعاة البقر، والهنود كما لوأنه لم يحدث شيء  
ولباقي الأمسية أمسكت الضفادع في مياه البركة، وخرجت من الشوارع  
وأعاقنتني أُمي التي أتت كي تطرح علي سؤال غير مريح.  
«هل تعلمين إلي أين ذهبت آن كاترين؟»  
«لا» رددت أنا..«لم أرها الليلة ..» بيورن كانت تشعر بسعادة بالغة من أن  
عمتي البدينة لم تأتي وباقي أعضاء نادي الصيادين-كانوا مسرورين مني-  
وأقنعت نفسي أنني كنت وللأبد قد طردت كل مشكلاتي ..حتي أتي ظلام  
الليل الخاص بالحيران وفجأة أسفل الأضواء الزرقاء التي تم إلقاءها للوراء،  
وللأمام بين جدران البيت وكل الأطفال، في الشارع تجمعوا بسرعة زحل  
بيرلاسي وكان الأمر مثل ست أشهر من قبل... وعندما أتي رجال الإسعاف  
ودخلوا غرفة المعيشة لجمع الجد آسكيلد الذي يعاني من قرحة... ولكن  
هذا الوقت بدا مختلفا ومشهد الأضواء اللامعة والأطفال الفضليين ورجال  
الإسعاف الذين يتحلون بالبطء ولم يبدوعلي الإطلاق أنهم في عجلة من  
أمرهم ..جعل رجلي ترتعشان... وفجأة تقيأت وضربت رجل بنطال بيورك  
في المكان المهضوم جزئيا

«بليش!..» صاح هو وهوينظر نحوي بنفور

وقد مشيت أعلي الممشي وتعثرت أعلي السلام ولمحت الجد آسكيلد الذي  
كان يقف في الباب(المدخل) وهو يبكي وهوشيء لم أسمعه من قبل... تم  
الأمر فقط حينما كان واقفا أمام جدي المنتحب، ولبرهة اعتقدت أنني فهمت  
ما حدث وفي لمحة ثلجية... أدركت أن عمتي البدينة كانت قد ماتت أنني  
صرت شريرا ولا عاطفة لدي وأنني كنت من تسبب بالأمر.

أُمي كانت من وجد آن كاترين في المساحة الفارغة أسفل السلم وهي من  
حركت الكرسي الموجود خارج الممر...وكانت صيحاتها هي التي سمعت أعلي  
الدرج في غرفة المعيشة وهي من حاولت دفع الحياة في القلب المكسور ونفخ



الهواء في الرئتين التنفستا آخر نفس منذ ساعة مضت، وفي احدي المرات  
فان كل علامات الحياة كانت قد تركت عمتي، الدهن بدأ في الخروج من  
أماكن غريبة لدرجة أنهم لم يستطيعوا أن يخرجوها من الممر، حتي وصل  
رجال الإسعاف للمساعدة.

لكنني سمعتهم الكل لاحقا، بسبب أنني وقفت أمام جدي المنتحب، العالم  
كله تقف ولم أستيقظ حتي بقيت راقدا في السرير في غرفتي ..حيث حملني  
أبي وهناك صمت كثيب تسلل للبيت، ولم أجرو علي أن أتجه إلي غرفة  
المعيشة ولا حتي بقيت راقدا في السرير ، ولذا زحفت إلي غرفة ستينا الفارغة،  
وتحت لحافها وتنفست في براعة جميلة من صابون الأيدي، بينما البيت كله  
بقي في حالة من الثورة حتي انبلاج الصباح.

ولكن بعيدا عن الصمت الفظيع وبعيدا عن مشاعر الحزن والندم التي هزت  
الأسرة كلها، فإننا شاهدنا شيئا آخر في الهواء في تلك الليلة وانتابنا شعور  
معين بعدم الراحة وشعور شك ولكن لا يمكن أن يكون صحيحا وعندما عاد  
باقي أعضاء الأسرة إلي البيت فان تلك المشاعر الغامضة قد ابتعدت للخارج  
وهناك كرسي في الردهة درسناه من قلقه تلعب دور الشرطي، وملاحظة  
مثيرة للشك تذكرتها، لم أرها الليلة..هناك سلوك غريب لاحظته كلا الأبوين  
ناشدا مرارا وتكرارا حتي ضربت أشعة الشمس الأولي وجوههم المتعبه، وكل  
الأدلة بدت تشير إلي اتجاه واحد، هل من الممكن أن أنتقل دون استخدام  
سلاح؟ هل يمكن لفرد أن يرتكب جريمة قتل عندما يرفض أن يتصرف؟ هل  
يمكن لصبي بالغ من العمر ١١ عاما أن يكون شريرا لهذا الحد؟

في الصباح التالي، عندما تم استدعائي كي أذهب إلي غرفة المعيشة من أبواي  
فقد علمت علي الفور ما قد تم الرجل الكاذب قد تعثر في قصته، وفي وجه  
أمي، شاهدت نفس النظرة البعيدة كما لوكانت فجأة شخصا آخر ما لم  
يستطع أن يقيم لها بأي شيء مطلقا.

ولكنهم لم يذهبوا للشرطة ولم يرسلوني لأي دار أيتام



أو إلي السجن حتي أستطيع أن أمضي فترة عقوبتي، وأي لم يأخذ الحزام من الدولا ب لا حتي مخلوقات أمي الأسطورية خرجت من الجدار كي تلعب الورق، سألوني بشكل منهجي.

«هل رأيت عمتي؟» هل وضعت الكرسي هناك كي أمنع الناس من السير؟ ألكن مولعا بهم مثل أي شخص آخر في الأسرة؟ هل قامت بأمر لم أحبها؟ لا- لا ولا مرة أخرى...

لقد تعثر الكاذب وصاح وقال لست المخطئ ولكن لما تقل انك آسف؟  
«لا أعلم»

«يجب أن تحسم أمرك!»

وبعد هذا، فان المحلفين بقوا صامتين بشكل متعمد أجل العم نوت رحلته إلي جامايكيا وشحب وجه آسكيلد وشرب أكثر مما هو معتاد بنيويورك بدت شاحبة أيضا... ووضعت معطفها المحاك جانبا، بسبب إحساسها المفرط نحو البرد أوهي الحساسية الذي طالما طاردها منذ التشخيص الذي أعلنه الطبيب ثور في غرفة الاستشارة واختفي في اليوم الذي شاهدها فيه حولها وهي ترتدي قميص، وهناك أمر ما لم تراه من قبل ولكن لم يكن هناك أي شيء به تحرر حيال قرارها من جيب المعطف المحاك، وعندما عادت للبيت فان آسكيلد يمكن أن يجلس في مقعده ويحدق في الفراغ... المنزل هاديء جدا قالت هي-وفارغ وصامت- وفي اليوم قبل الجنازة كانت هناك طرقات علي باب البيت الصامت في توفاني وعلي السلام في الخارج وقفت سيده مسنة صغيرة الحجم أمي اللطيفة تلك السيدة المسكينة وفقط حينها أدرك آسكيلد أنها كانت أمه وهي مفرطة الوزن جدا.

وكانت تقف هناك، علي درجات السلم، ومعها ست حقائب ومجعدة البشرة جدا مثل تفاحة قديمة وظهرها انحنى وعينها بدت غائرتين في رأسها.. لكن لم يبدو عليها أنها اعتبرت ثقل السنين وضرباتها أمرا مهينا، بسبب أنها احتضنت ابنها، وتقريبا جعلت من الصعب عليه أن يتنفس لأنها علي الفور كانت



تطهي السمك الذي جلبته من حقيبتها

«الناس يسرقون كالغجر، لا يمكنك أن تثق بأحد في هذه الأيام» ومرة أخرى فان الأم راندي وقفت وسط الأواني والصواني وهي تطهو للعائلة بنفس الطريقة التي كانت تطهو بها في الأيام السابقة.. وتعاركت مع كاي البغاء مع إعدادها كرات السمك رغم أنها كانت الآن صماء جدا لدرجة أنه يجب أن تتحمل الاهانات التي تلفظ بها الطائر لمدة ٧٥ عاما أمضت أيامها وسط الأواني والصواني وكانت هي أيضا المسؤلة عن الطعام المقدم للضيوف الموجددين في الجنازة والذين بقا دون روح ووقفوا في ساحة كنيسة زيدين في أحد أيام فصل الصيف المطيرة، كي يودعوا العمة آن كاترين وآسكن الثانية منا كانا هناك ولكل واحد منا شاعرا بالندم وعندما ألقى الكاهن أولى حفنة قاذورات علي الأريكة فان آنسكيلد كان قد اعتاد علي الصياح ولم يستطع التوقف، وقد صاح الثلاثة أيام بينما الأم راندي قدمت له شراب الفيتامين وبيورك شعرت بالقلق أكثر فأكثر.

ولكن فجأة شد نفسه سويا، وسوي ظهره، وهناك تعبير معتاد عاد لملامح وجهه والخطوط المريرة حول فمه حيث كانت هناك نظرة خبيثة في عيونه الغامقة.

وعندما بدأ الجد مرة أخرى انه أستعاد نفسه فان نوت رجع مرة أخرى إلي جامايكيا ونحن كلنا توقعنا أن ألام راندي سرعان ما تستدعيها هي ترجع للبيت حتي في احدي الأمسيات عندما تلفظت بما يجب أن تلفظ به، لدرج أنها أتت إلي الداهرك بتذكرة طريق واحدة الاتجاه. لم يكن مقابل لا شيء، أنها جلبت ستة حقائب ولم يكن مقابل شيء أنها ذكرت الناس الذين يسرقون كالغجر..لأنها جلبت كل مدخراتها في حقيبتها وازافة إلي كفتة السمك بكلمات أخرى الأم راندي ذهبت للداهرك كي تموت... رغم أن هذه لم تكن هي الطريقة التي عبرت بها عن الأمر..

«أنا كبير، في السن جدا كي أعود مرة أخرى إلي الترويج» هذا كل ما كانت قد



قالت هي ربما كانت خائفة من ردة فعل أبنة زوجها، ربما كانت خائفة من ردة فعل ابنة زوجها، ربما كانت ..تخشي من أن أسكيلد لم يتركها أن تبقي ولكن لم يعترض أحد، كلا من الجد والجدة شعرا بالامتنان من ألا تترك وحدها في الصمت في تونوفي، والأم راندي، سرعان ما استقرت في غرفة عمتي القديمة. وقد علقت لوحات الأسرة علي الجدران، وعثرت علي مكان للتمشية، وجلبت أيضا معها كتاب أسود قديم حيث كل مزحات أسكيلد التي كانت قد دونت بشكل منتظم: الأهانة عند الطاولة ومرت عبر جيوب أمه، ودخلت في عراك... وكل فرد استقر لروتينه اليومي، وعندما كانت الأدلة كلها قد تم فحصها من كل الجوانب مدعومة ببيانات المعلمين ومعلمين المهمة وشكاوي الميكان حول الصبي الموقع الذي يصيح بالأهانات وقد تم استدعاءه مرة أخرى لغرفة المعيشة من والديه المتهمين والذين لمسا شعره برقة.. ولكن هذا كان مجرد تمويه وقفت هناك وحيدا منتظرا الحكم علي ، وحكم المحكمة والقاتل، حيث أننا ربما نطلق عليه هذا الاسم الآن ..أرسل إلي منفي لا نهائي.



## عصر الخطاب

أختي ستينا كانت عادة تقف، وهي الآن تتجول في غرفة الضيوف، وتهز رأسها بتعجب، والأطفال قد ذهبوا للسريـر وحاسـر كان يعمل لوقت متأخر، واستطعنا أن نسمع صوتاً..ثرثرة كوا الخافـتة من المطبخ، الذي صار أهدأ بعد أن وضعت ستينا ورقة فوق قفصه «إنها كذبة...لابد أنها كذبة!» ظلت تتحدث بهذه الطريقة شاعرة بالصدمة والدهشة أيضاً من أن إحدى فضائح الأسرة الكبرى كانت تتسلل إلي رأسها «أنت جلست بالعمة آن هنا؟» أنت ضربتها عندما حاولت أن تخرج؟

ولم يكن هناك أي سبب لأكرر نفسي ، ونظرت نحو يداي اللتين كانتا ملطختين بالطلاء، ولسنوات: تخلّيت الآن كيف أن دوج هيد كان ينظر في الكانفاة ولكن الآن عندما كان يحملق في وجهي بوجهه القبيح الكامل لم أكن متأكدا أبدا من أنني استوعبته بشكل مناسب، ولم أحب ما أراه فالأمر ليس جميلا جدا، ولكن ليس قبيحا حتي !  
لقد قامت بالأمر حقا«فقررت ستينا في آخر الأمر وهي تجلس علي الكرسي»  
«لقد هجمت عليك إذن».

اللوحات المحيطة بي كلها تتحدث عن نفسها صاخبة وواضحة، ولكنني أعتقد أن مزيجاً من الرغبة والكراهية هو ما يشعـرنا بالاضطراب، وحقيقة أن الكراهية الكبرى لا تعني بالضرورة غياب الرغبة وعندما شاهدت دوج هيد في الفراغ الموجود تحت السلام: لم أكن أدري ما السبب الذي اخترعته ستينا في إحدى المرات كي تخيفني، ولقد شاهدت لمحة من خيالي والتي جعلت عمتي السمينة تدفع فيه الدم واللحم.

«ولكن المنفى!؟» قالت ستينا: «هل كان الأمر سيئا إلى هذا الحد ؟ ألم تنعم بفصل صيف جيد هناك ؟».

وبعد ثلاث أيام من المنفى تلمست طريقي بحذر نحو المنفى من السفينة



الكبيرة وقد قادني أبي إلى العبارة وكنت مرتدياً جاكيت أحمر لامع اللون كي أستطيع أن يعرفني الغرباء مثل الرجل العملاق البالغ مترين في الطول الذي-فجأة- أمسكني من يدي عندما تقدمت إلى الشاطئ ولحيته تميل للون الرمادي وعيناه تبتسم، وفعلنا فقد تلقنتني ذراعيه القوتين في الهواء وقد لمحت دبوساً مثبتاً في قميصه مع شعار عصابات بيورك المرننة.

أفضل شيء في كل الأراضي ولم يكن الأمر متعلقاً بأى شيء عدا شيئاً عن أبليهد الذي أتى كي يمسك بي عند مرسى العبارة وكان يقودني نحو المنزل التكميبي بالطرف الآخر من إقليم الحواري والذي أيمن تطيره الآن «جدك، بني هذا البيت» قال هو: «أنا أعلم أنك ستحبه»

والقصة الرسمية كانت كالتالي:

أسجر إيريكسن الصغير يشعر بضيق بالغ من وفاة عمته البدينة ووجب أن يبتعد لبرهة ويفكر في شيء آخر.

وفي داخل البيت التكميبي ليس هناك أقل من اثني عشر طفل وستة أحفاد وقد تجمعوا حول الطاولة، كلهم كانوا يحملون بفضول نحو دان الذي أخذه أبليهد إلى المطبخ، وهناك ولدهشتنا الكبرى! شاهدت علي الأرض لوحة الوحش العملاق والتي لم تنجح أبداً في أن تزيلها ولا حتي محاولة أبليهد كي يرسمها كانت محاولة ناجحة، والوحش تكسر وهناك في وسط الوحش والحزن المنتقي من خيال والدي عندما كان في نفس عمري تقريبا ووجدت سيدة وشهرها احمر اللون جدا لدرجة أنه أصاب عينيه بالأذى«يا له من جمبري!» هكذا قالت هي«يبدو الأمر كما لوأنه من الممكن أن تستخدم بعض اللحم في عظامك.

«اللون في وجنتيه» قالت أبليهد وهو يوخز



## الأنثى متسلقة الجبال

باكراً ذات صباح في يونيو (١٩٨٩) فتح أبي رسالة من السلطات الضريبية تبودومتواضعة، وسقط على ركبتيه على أثر نوبة شديدة من الدوار والتي ما زال يعاني منها، وقيل ذلك كثيراً.

ففى الآونة الأخيرة أُصيب بالدوار عدة مرات، ومنذ يومين تصاعدت إحدى نزاعاته المعتادة مع والدتي «ليلي»؛ وعلى غير العادة رفض «نيلز» أن يكتفي بإدارة ظهره لها وأن ينظر من النوافذ المعتمة، فبدلاً من ذلك استدار فجأة ليوواجهها، وفي خطبة مطولة أخذ يسرد ترجمته الخاصة لقصته منذ فترة، وكانت القصة الرسمية: أنه كان مخلصاً لعمله، حيث كان يفكر في مشاريعه التجارية أكثر من أي شئ آخر، وعندما كانت تجد «ليلي» مرتين شهرياً أنه من الضروري أن تقول هذا دائماً ما كان يتفق معها، ووعده أن يتغير حيث أنه سيقول من عدد ساعات عمله، وسيكون زوجاً وأباً أكثر اهتماماً وهو وعد بهذه الوعود بغضب وصدق معاً ودائماً بابتسامة منزوعة لأنه كان مقتنعاً في أعماقه أنها على حق، ولكن وجّه ظهره إليها في ذلك المساء المعتاد من شهر يونيو (١٩٨٩) وشئ ما جعله يثور غضباً! فالتفت حوله وأطلق من فمه قصة مختلفة تماماً.

إنها كانت قصة عن ولد ذى أذنين كبيرتين، وُلد في مرحاض وعلى مدار طفولته تعرض لسوء المعاملة من قِبل أطفال الشوارع، وقد أُعطى أوامر في شكل ركلة حمقاء ذلك الولد الذى قام بواسطة أدوار متساوية من وحشية وإحساس ذكى بالعمل أن يستحضر إلى ذهنه وعاءاً من الذهب عند طرف قوس قزح وقد سُرِق الوعاء الذهبى، لكنه لم يهتم بذلك ولم يغضب ولم يستسلم إلى أفكار متشائمة فلم تستطع أرواح الأشجار أن تتخلله مطلقاً، هل كان سيهرب كـبعض الأشخاص الآخرين؟ أم يزل بعد لم يرَ والديه على الرغم من كل خلافاتهما وشجاراتهما؟ أم يدفع تكاليف جنازة أخته؟ بالتأكيد



لقد فعل ذلك!

لكنه في وقت من الأوقات قد أصبح شاباً خجولاً جداً والجميع يعرف ما يعنيه ذلك. مثل أشخاص يستسلمون إلى أحلام يقظة غامضة، فهم يجلسون في حجراتهم يقرأون كتباً في ظل وهج لمصباح معقوف على الرغم من أنهم حقاً كان عليهم أن يهربوا.

إنهم ذلك النوع الذي يحتاج إلى ركلة في المؤخرة؛ وذلك-تماماً- ما حدث مع «نيلز» ذات يوم في مطلع الستينات عندما خطا خطوة عبر باب متجر المزرعة ولوحة «الطبيب والمشرط» تحت إبطه ووقع نظره على زوجته المستقبلية فكأماً ضُرب بصاعقة، وفجأة نشأ الشاب الخجول متهللاً في أن يخطو أخيراً إلى داخل الحياة، وأن يجد القوة للسعي وراء حلمه القديم بشأن الوعاء الذهبي الموجود عند طرف قوس قزح. ولا شيء حول انتهاء الأمر كما والده. ولا شيء بشأن أن يسمح لنفسه أن يُخدع بواسطة الحياة، أو بشأن أن يجلس حول جرعة كبيرة من شراب البيرة من زجاجات ذات ملصقات ذهبية. لكن عندما بدأ أخيراً في جمع المال استطاع أن يعود إلى البيت كل مساء ويقول: كذا، وكذا من الأوامر قد نُفذت، ولدينا الكثير والكثير جداً من المال إلى اليوم؛ بدأت «ليلي» تقول أشياءً مشوهة حول المال وكانت هي تلك التي قد حركت الأمر بأكمله! فبدأت تناقش أفكاراً اشتراكية على عدد من مقابلات عشاء العمل، وتسخر من «باص بلوج»؛ والذي بالإضافة إلى كونه شريكاً تجارياً ممتاز كان أيضاً صديقه الوحيد، كما لو كان أن من الجريمة أن تجمع مالاً، كما لو كان أن هناك شيئاً ما خاطيء في سعي الشخص لتحقيق أهدافه؛ وعلى الرغم من كل شيء فالرجل الذي قد أعال أسرته حتى لا تضطر أبداً إلى الانتقال من مكان إلى آخر، وأن يحيوا حياة غجرية بائسة؛ ذلك الطريق الذي واجهه يوماً ما: بالطبع فإنه قد ارتكب بعض الأخطاء، فعلى سبيل المثال استثمر جهداً مفرطاً في متجر المزرعة، ومن الممكن جداً أنه أُصيب بتضخم في الرأس، وأنه عانى من نوبة مؤقتة من الغرور في أن يصبح الرئيس، لكنه



في النهاية أصغى ودعه عنه. لكنه حتى بعدما سيطر على الطريق الذي أدار به ذلك العمل التجارى فلم تشعر «ليلي» برغبتها في أن تتمسك به بل إنها باعت المتجر إلى المكتب الدولي، وبدأت تدرس بدلاً من ذلك ، وطوال ذلك الوقت بينما كان انتباهها مركزاً على كتبها، ووقتها مشغولاً بدروس وتدريب؛ لم يكن «نيلز» هو الذي نشأ بعيداً عن أسرته، فكانت هي تلك التي نشأت بعيداً عنه. إنها كانت تلك التي تراجعت بعيداً. فإنها وجدت أصدقاء آخرين لم يستطيع أبداً أن يدير حديثاً مناسباً معهم فلمهم حياة مختلفة، فكان كل ما يستطيع فعله هو أن يقف على الخطوط الجانبية ويراقب.

إنها كانت تلك التي أصبحت أخيراً مستغرقة جداً في رعاية الأطفال المرضى في مستشفيات بعيدة، وكانت تثثر كثيراً عن منظمة «أطباء بلا حدود» حتى أنها لم تلاحظ أن ابنتها كان لديها مشاكل، أما ابنها ذاك الذي كان في سن السابعة عشر، والذي ما زال لم يستطيع التوقف عن تخيل رؤوس كلاب، ألم يمكنها رؤية ذلك؟ إنها كانت مجرد خصم! إنها كانت ذلك الشخص! ولم يكن هو كذلك! ورفع «نيلز» صوته عالياً بقوة بالغة حتى أنه أيقظني أنا و«ستينا» قائلاً: «تباً لكل شيء!».

كانت أجزاء من قصة الأب تتسرب عبر الجدران لكن لم يرغب أى منا في أن يكلف نفسه عناء أن يخرج إلى الصالة لينصت فكنا نستكشف سرّاً، فإنه لن ينهار عالمنا لمجرد أن والدينا لم يستطيعا الاتفاق فيما بينهما، لذلك قررت «ستينا» أن تستحم وسمعتها تفتح الصنابير وفي ذهني رأيت حورية البحر تغوص أسفل حوض الاستحمام بعيون مفتوحة وقد غسلت عدة طبقات من جسمها؛ والذي أحياناً ما كنت أستغرق وقتاً شاقاً في التعرف عليه، وأنا بدورى ارتديت سماعات الرأس الخاصة بي، وأمعنت النظر في مصباح القراءة الخاص بي إن أجزاء من حكاية الشاب الذي استطاع أن يستخدم ركلة جيدة في المؤخرة جعلتني أظن أنه كان يتحدث عني. وأخرجت كتاباً فنياً وبدأت في تصفحه وكان الكتاب الفني المفضل لدى، فقد منحه إياي الجد «أسكيلد» في



عيد ميلادي، لأنني على عكس الكثير من الناس: كنت أحب-بالفعل-رسومه التكعيبية على الرغم من أنني في ذلك الوقت كان لديّ بالفعل نظرة على بعض الكتب الفنية الرمزية، والتي وجدتها في مكان بعيد على رف الكتب في البيت في «لونوفيج».

وصاح والدي في الصالون قائلاً: «إنها مجرد خصم!»: «ألا يمكنك رؤية ذلك؟» عندما انتهى الصرّع وأصبحت أختي نظيفة بقدر ما استطاعت لم يكن يعرف أي ممّا أن والدي قد أُصيب بدوار اضطره إلى الركوع على ركبتيه في الصالون بعدما مضت والدتي إلى الفراش، ولم نعرف أنه جلس على الأريكة يحتسى القهوة طوال الليل بينما كانت هذه القصة الجديدة التي تحكي عنه راسخة بداخله.

ولقد فكر «من أين أتى ذلك؟» و«لماذا الآن؟» ففي ظل القصة الرسمية عن «نيلز الشاب ذي الأذنين اللتين تشبهان الإبريق» على الرغم من «الأب» الغائب، جبلاً مغموراً بالمياه قد ارتفع، لكن لم تنتهِ القصة بعد: فما زالت تصر وتئن تحت وطأتها.

وفي صباح اليوم التالي قبلما يفتح الرسالة الضريبة استيقظ بعد بضع ساعات فقط قضاها في النوم على الأريكة، ولم تكن لديه أية رغبة في الاستيقاظ، فاستلقى على ظهره ويداه تحت رأسه، وأخذ يجول ببصره في أرجاء السقف وقد غادرت «ليلي» دون أن توقظه، وكان الأطفال في المدرسة وهو وحيد بالبيت للمرة الأولى منذ فترة طويلة جداً وساده الهدوء وإحساس غريب، كان هناك شيء ما غير مناسب، فاستمر يجول ببصره بأرجاء الجدران: الخيش المبطّن بني اللون الذي يحيط بالحجرة، واللوحة القبيحة التي قد علقها ليتجنب أية مشكلة، وكل ذلك الأثاث البالي لرجل أعمال ناجح فهو بالتأكيد لم يكن في أناقة بالغة.

وفكر أن البيت في حاجة بالفعل إلى يدٍ مُحبة، ثم فتح عينيه على مدهما لأن الاستلقاء على الأريكة في سن الثالثة والأربعين، وفجأة يطلع عليه النهار



هوشى غير مناسب: فهو لم يشعر برغبته في الذهاب إلى العمل، وكان ذلك إحساساً جديداً تماماً وذلك أزعجه لأنه دائماً ما كان يشعر بفرحة لا تُوصف في كل صباح عندما يدخل إلى سيارته المرسيديس، ويفتح ولاعة السجائر ويشغل المذياع، ويقود سيارته إلى المكتب أياً كانت حالة الجو، لكنه الآن لم تكن لديه أدنى رغبة للذهاب للعمل، فبعد لحظة التقط التليفون وقام بالكذب على السكرتيرة الخاصة به قائلاً: أنه مريض بينما كان يصطنع سعالاً. وقال «التهاب في الحلق» ثم ارتدى سروالاً قديماً من (الجينز) وسترة بالية، ونزل إلى متجر طلاء محلي ليشترى بعضاً من الطلاء الأبيض، وقبل مضي وقت طويل أن قد جر معظم الأثاث خارج حجرة الجلوس، ثم قام بتغطية بطانة الخيش القديم بسحبات كبيرة بالفرشاة، لكنه لم يعر انتباهاً بالفعل إلى الطلاء الذي كان يعمل عليه، فكان يقفز على سلم ويتموج بالفرشاة هنا وهناك، ودلو الطلاء الذى تقطّر على شعره وجعل ملابسه ملطخة ببقع لا حصر لها، ولم تزل قصة الليلة السابقة تضطرم بداخله.

وقبيل عودة «ستينا» إلى البيت في تمام الساعة الثالثة: أدرك «نيلز» أنه قد توصل إلى الاستنتاجات الخاطئة، فلم يتخلص أبداً من قصته الخاصة، وكل هذا كان خطأ «أسكيلد»، فداًئماً ما كان «أسكيلد» في عقله الباطن يلقي بظلال قاسية على حياة ابنه، وقد أرسل «نيلز» ليعمل في كل يوم مع هدف واحد فقط في ذهنه: ألا ينتهي كوالده، هل كان ذلك أن عليه أن يؤسس حياته كلها؟

هكذا بدأت القصص تؤثر عليه بينما تحولت حجرة الجلوس المظلمة الخاصة بنا إلى حجرة كبيرة مشرقة، ووفقاً لـ «ستينا» كان تصرف «الأب» معها مميزاً جداً «مرحباً! أتريدين أن تساعدني في الطلاء؟ ماذا فعلتي اليوم في المدرسة؟ كيف تسير الأمور على أية حال؟»

فأجابت ستينا: «لا.. لا شئ خاص، حسناً...»، ثم انصرفت لتستحم، ونزلت عبر «طونوفيج» في طريقي إلى البيت من المدرسة، وساعدت الجدة «بيورك»



في إطعامها لـ «ماما راندي»، واستمعت إليها وهي تشكوحياتها المملة منذ التقاعد، وكان هذا هو السبب في عدم رؤيتي «الأب» يقفز في جميع أنحاء حجرة الجلوس تاركاً بقعاً من الطلاء الأبيض على كل شيء».

وعادت أُمِّي أيضاً إلى البيت، لكن الحالة المزاجية بين والديّ لم تتحسن فانسحبت إلى المطبخ، وبدأت تقزع الأواني والمقالي، لماذا دائماً ما كانت هي ذلك الشخص الذي ينبغي عليه أن يقوم بالطهي؟ ليس شيء بغضب قد تغير منذ تحولت «ليلي» بالعودة إلى قديم الزمان؛ إلى خادمة بالمطبخ! وكان «نيلز» يواصل طلاء حجرة الجلوس، ثم في وقت مبكر من المساء رن التلفون.

وقال «باص بلوج»، بادياً من صوته أنه سكران قليلاً «التهاب في الحلق؛ هاه؟» إنه شيء جيد هناك شخص ما عليك مقابلته» «تعال إلى هنا»

فقال «نيلز الشاب ذوالأذنين اللتين تشبهان الإبريق: «ليس اليوم حسناً»، فإنه لم يكن شاعراً بميله للمخالطة، وقد انتهى فقط من نصف حجرة الجلوس، وكان كل شيء ملخبطاً، وكان يعرف جيداً أن مَنْ عليه مقابلتها هي أنثى «باص بلوج» متسلقة الجبال حتى أنه كان من المفترض له أن يقابلها، ففي العام الماضي قد كان «باص بلوج» يتحدث عن عدم توقفها، وعلى جدار مكتب الشريك كان معلقاً بطاقة بريدية تظهر جبال إفرست المغطاة بالثلوج، لكن على الرغم من أنها دائماً ما كانت تذكر «نيلز» بصورة من «غرينلاند» فلم ينزعج أبداً لدرجة تجعله يقلب البطاقة البريدية.

إنه لم يغير ملابسه ولم يفكر في الواقع لدرجة أنه كان في طريقه إلى إحدى أكثر مطاعم المدينة أناقة ولم يخطر بباله كم يبدو أحمقاً: الثياب القديمة ذات بقع الطلاء في كل مكان حتى أن وجهه كان مبقعاً بطلاء، واستطاع أن يرى حبات بيضاء من الطلاء في رموش عينيه كلما تحركا لكنه لم يهتم، وقال في نفسه أنه لن يضيع أكثر من نصف ساعة على إحدى الصديقات المتقلبات لـ «باص بلوج»، ثم يعود إلى البيت.

وتساءل «نيلز» بعد وقت قصير عندما تقدم إلى داخل المطعم «أين هي؟»،



وضايقته تلك الطريقة التي كان «النادل» يحدق بها إليه.  
فسخر «باص بلوج» قائلاً «ترش البودرة على أنفها بالتأكيد» «يا إلهي؛ إنك  
تبدو مقرفاً! التهاب في الحلق؛ هاه؟ كذبة رائعة هل سنخططان للاستثمار  
في مهنة الطلاء؟»

لكن «نيلز» لم يكن في حالة مزاجية تسمح له للمزاح مع «باص بلوج» وقد  
جلس يقرع بأصابعه بنفاذ صبر على المائدة، وما زال «النادل» يحدق إليه،  
أكانت هذه هي الطريقة التي يحدق بها الناس إلى والده؟ إن «النادل» كان  
يعرف جيداً من هو وتضايق من أن عطف الرجل كان كما يبدو مقتصرًا على  
ملابسه؛ فحدق «نيلز» النظر إلى «النادل» حتى نظر بعيداً.

فقال «نيلز» «هذه الأنثى متسلقة الجبال التي لك ما اسمها بالضبط؟ فإنه  
قد سمع عن صفقة جيدة حول آخر صديقة لـ «باص بلوج» على الرغم من  
أنه قد سمع بنصف أذن فقط، وهو قد سمع عن زواجها من رجل كندي  
عجوز ثرى والذي قد مات منذ بضع سنوات وعن رحلاتها الشبابية عبر جليد  
«غرينلاند»، وعن حلمها في الوصول إلى القطب الشمالي مع مزقة الكلب  
الخاصة بها، فقد فشلت في المرة الأولى نظراً لعاصفة ثلجية، لكنها نجحت  
فيما بعد على الرغم من سفح ملتو وشجار طفيف مع دب قطبي ووصلت  
إلى القطب الشمالي لكن هذه كانت البداية فقط لأن هذا كان عندما بدأ  
هوسها بالجبال.

أول السلسلة التافهة حسب ما اعتادت على قولها وهي تهز رأسها على نحو  
متساهل «كليمنجارو»، «كوتوباكسي»، وفيما بعد الرحلات الأكثر جرأة: «مونت  
بلانك»، «أكونكاجوا»... ولم تنسَ متسلقة الجبال أبداً كيف قد وقفت يوماً  
على الفرع الأعلى لشجرة دردار في الساحة الخلفية على «نوبوفيرتسفيج» في  
«ألبورغ»؛ تتمايل مع الريح واكتشفت «جبال الهيمالايا»، «غانيش خومبو»،  
«انجنانج ليرونج»، «تشوأويو» وتقترب أكثر وأكثر إلى شجرة الدردار الحاسمة،  
وإلى أعلى ارتفاع في العالم، والمغامرة الأكثر جرأة من كل هذا: الدراجة ذات



السرعة القصوى التي تركبها وهي معصوبة العينين والتي أكملت بنجاح، وعندما كانت في سن السادسة والثلاثين تسلقت جبل إفرست دون استخدام الأكسجين جنباً إلى جنب مع صديقها القديم «ماك والتز» فإنهما اجتازاه إلى قمته، ووقفا هناك على قمته والعالم يقع عند أقدامهما: انتصار فانتصار، لكن على الجانب الآخر من السكر، والذي جعلهما مجنونين شعرت أيضاً بإحساس مفاجئ من خيبة الأمل، ففي تلك اللحظة لم يمكنها أن ترتفع أكثر من ذلك، والهبوط الذي كان ينتظرهما كان أيضاً هبوطاً بشعور مجازي لكنها أزاحت الفكر جانباً، وفي طريقهما للنزول أنهيا إحساس الإصابة بالدوار لعوين مرحين كزوج من الكلاب الصغيرة، وبسيطين كزوج من الذين يبلغون من العمر ستة عشر عاماً والذين يضعون خططاً متهورة حتى أنه في اليوم الثالث أخطأ «ماك والتز» في تقدير شق جليدي خلال الانهيار الجليدي فقد كان خطأً أحماً ولم يكن من الضروري افتعاله بعيداً عن الوصول لقمة الجبل، فقد انبغى عليه أن يقفز ثلاثين متراً إلى أسفل الماء إلى حيث كان من المستحيل أن يصطاده خارجاً مرة أخرى.

«إن الهبوط الأخير لـ «ماك والتز» كان هو اسم كتابها والذي تمتع بنجاح مقبول في «كندا» وكان هناك شئ ما يزعج حول الطريقة التي كانت تتعامل بها مع خسارة صديقها القديم، فلم يكن الحزن هو الشئ الوحيد الذي يمكن أن يُقرأ بين سطور كتابها «ربما كان ينبغي علينا سوياً أن ننتهي هناك، وربما كان من الخطأ أنني واصلت السير نزولاً إلى قاعدة المعسكر... لماذا لا نقبل النتائج؟! الهبوط المطلق بعد الصعود المطلق».

حقاً... كان الناس يعتقدون أن هناك شيئاً ما متهوراً حولها لكنها وجدت أشجار دردار جديدة، وكانت هناك جبال أخرى في العالم، ولم تكن تهتم بما يقوله الناس.

كانت الجدة «بيورك» تعرف هذا طول الوقت، وبالنسبة لها دائماً ما كانت «ماريان كفيست» شيطانة.



فقال «باص بلوج» وهو يحدق النظر بنفاذ صبر في اتجاه حجرة السيدات: «ماذا؟» وقبل أن ينطق بكلمة أخرى انفتح الباب وخرجت «ماريان كفيست» بأنفها المجفف مجدداً، وأطاحت شعرها للخلف، وجعدت شفتيها إلى «باص بلوج»؛ والذي انتصب على الفور، وبدأ يمس على قميصه، ثم سارت إلى مائدتهما دون تردد ووجهها الذي كان ممتلئاً جداً قبل ذلك: أصبح في هذه اللحظة مشدوداً بشدة، وكانت أنفها تبدو أكبر حجماً، وشبكة من تجاعيد رقيقة كانت تحيط بعينيها، لكن بعودتها مؤخراً من القمم الباردة لجبال «الهيمالايا» كانت في أفضل حالة في حياتها، والصقيع الذي كان منذ بضعة أسابيع قد هدد خديها ليلتها ها هو في هذه اللحظة قد منحهما مظهراً صحيحاً متورداً.

وقالت «مرحباً» كما لو كان أكثر الأشياء الطبيعية في العالم هي أن تجد «نيلز الشاب ذا الأذنين اللتين تشبهان الإبريق» جالساً هناك «ألم يُفترض لاثنتين منا أن يهربا معاً؟»

فلم يقل والدي كلمة.

فتساءل «باص بلوج» «هل تعرفان بعضكما؟»

فقالت «ماريان كفيست» دون أن تتوقف لتأخذ نفساً: «هل عجزت قبل الحين؟ أه إنه مجرد طلاء، فلوم يخبرني «سلوتشوم» كثيراً عنك ههنا لكنك اعتقدت أنه قد انتهى بك الأمر في المكان الخطأ، إنك تبدو كنوع ما من دهان المنازل، بالمناسبة: كيف هو الحال مع تلك الببغاء؟ هل بحثت عن أية فتيات عاريات؟ وكيف حال والدك هل يشرب مسكراً حتى الموت؟، ثم سعلت.

أظن أن صديقك ههنا يحاول أن يجعلني أسكر إنه يعتقد أن كأساً إضافياً أو كأسين سيخلق سيدة عجوز مثلي ينزع عني كلسوني؛ لكن كما قلت مباشرة: ابعد قفازيك يا «سلوتشوم». فبعد عشاء جيد أرغب في الذهاب إلى أبعد من ذلك وأقول أنه لديك سحراً مؤكداً؛ لكن لن تنزع عني كلسوني أبداً



.... واستمرت «ماريان كفيست» في حديثها وهي سكرانة قليلاً قائلة: «وماذا عنك؟» بينما ألقت نظرة ساحرة على هذين الاثنين الغامضين من رجال الأعمال لدرجة أنها أصابتهم في الأمعاء: «هل أنت سعيد في حياتك الزوجية؟ إننى أسمع عن الأطفال وكل ذلك وأنك قد بدأت أن تلبس شارباً. بالتأكيد أنه لا بد أن يكون هناك خطأ».

أصيب والذي للمرة الثانية بنوبة الدوار خلال أربع وعشرين ساعة، فكانت الجدران تدور، وأرضية الحجرة تتأرجح؛ وفي وسط ذلك الدوار المتواصل كانت تجلس السيدة العجوز متسلقة الجبال والتي تبلغ من العمر اثنين وأربعين عاماً.

«هل القط أصاب لسانك؟ هاه؟ إنه كان لدى بالفعل شعور أن هذا هو أنت «سلوتشوم» أنت تعلم إنه يتحدث عنك في كل وقت، اصغ الآن! «سلوتشوم» ومُرلنا ببعض الشمبانيا فإنني أعتقد أنه يمكن لصديقنا أن يستخدم شيئاً ما يشجعه على الشرب فليس من الممتع دائماً أن تجعل ماضيك يلحق بك»

إنها كانت على حق في ذلك، لكن مع مواصلة «ماريان كفيست» لثرثرتها التي لا تنقطع كانت أجزاء مربكة من نصف العمر تحوم بذهن «نيلز» فالفرص التي مرت به غير أنه قد عاش في لا وعيه، فجأة... خرجت فقاعات من الأعماق في مطعم أنيق عند رؤية الأنثى متسلقة الجبال ذات الأنف المجففة مجدداً. صور من حياة مثيرة كانت مليئة بتحديات حقيقية، والتي من جانبه قد توصل إلى موقف بدراجة يركبها مرتدياً عصابة على العينين، في حين أن آخرين يمتلكون طبيعة أكثر حيوية مثلها «هي»، على سبيل المثال قد واجهت التحدي ... لكن لماذا لم يهرب؟ فهي قصة معروفة على الرغم من أن هذا كان يوم من العمر لـ «نيلز»؛ إلا أنه جهز الإجابة: إن «أسكيلد» هو الذي جعله يبقى فكان «أسكيلد» هو الشخص الذي تأكد من أن «نيلز» الشاب يقيم على أرض آمنة -على الأقل في البداية- فمدرسة إدارة الأعمال بدلاً من مغامراته في «جرينلاند»، ومتاجر زراعية بدلاً من جبال جليدية، وفكر «ماذا كل ذلك بحق



الجحيم؟» لكن-فجأة- أشرقت في ذهنه صورة حادة كموس الحلاقة: دمية دب خضرء نهضت من الأعماق وبدأت تضحك«جيبسي هانز!» كانت هذه أولى الكلمات التى نطق بها«نيلز» بينما كان يحرق النظر إلى الفضاء ألم يكن ذلك اسمه؟ جيبسي هانز؟»

فتساءل«باص بلوج» «جيبسي هانز؟»

وقالت«ماريان كفيست» وهي تضحك له«جيبسي هانز؟»: «إنه لا يمكنني أن أصدق هذا! هل هذا هوالشئ الوحيد الذى يمكنك أن تفكر فيه؟ بعد خمسة وعشرين عاماً؟»

سخر«باص بلوج» قائلاً «ما ذلك الذى تتحدثان فيه أنتما الاثنان بحق الجحيم؟»، لكن وصل«النادل» بعد ذلك ومعه الشمبانيا وبالتأكيد لم يهتم «باص بلوج» بالنظر في عيني«ماريان»، فإنه لم يحب تلك الطريقة التى كانت تحرق بها إلى رفيقه، فقد كان جالساً ههنا ببدلته غالية الثمن ورجل في وضعه ذو سيطرة محكمة على حياته وبعد ذلك يظهر«نيلز» مرتدياً بنطلونه الجينز القديم، وماذا يحدث؟ فجأة يقول«جيبسي هانز» وعلى الفور يظفر بالعديد من النقاط حتى أن كل شخص آخر ربما أيضاً أن يرحل ويذهب إلى البيت فقد اجتاز«نيلز» مباشرة إلى داخل حياتها متنكراً كتاجر بسيط. أوعلى الأقل قد أثار شيئاً ما في«ماريان» ولم يكن ل«باص بلوج» أية فكرة عما ممكن أن يكون.

وبعدئذ: بينما كان الاثنان في حمام السلحفاة جالسين يتحدثان على المائدة دون أن يلقيا عليه نظرة واحدة: فكر«باص بلوج» في أن«ماريان» كانت تبذوحاً أقل اهتماماً نحوه. فإنه اعتاد بالطبع على لهجتها الصريحة، لكن نفس الشئ: فإنها واصلت أيضاً إعادة ملء كأسه وبدأ هذا كما لوكانت تتحاده كلية لمنافسة شرب طفولية، قيعان إلى القمة؛ لا يكن ضعيفاً، فثمن تلك الشمبانيا ألفان من الكرونر! لكنه لم يكن بخيلاً وقبل وقت طويل كان الرجل ذو السيطرة المحكمة على حياته يسكر أكثر وأكثر، وأخيراً انتهى من



تقليب كأسه عندما وقف ليذهب إلى حجرة الرجال، وعندئذ قرر الاثنان من حمام السلحفاة أن ينزلاه إلى البيت في سيارة أجرة.

فقال «باص بلوج» داعماً كلامه: «إنه يمكنني أن أقود بنفسى»

فقالت «ماريان» وهي تصطاد مفاتيح السيارة من جيب بنطلونه «آه ... آه». وتلقى قبلة على خده من الأنثى متسلقة الجبال، وصفعة على الظهر من رفيقه؛ والذي بدا الآن أنه في حالة معنوية مرتفعة: «لا تقلق بخصوص الحساب سأقوم به».

وفكر «سلوتشولم» ماذا كل ذلك بحق الجحيم هل أسكرتني عمداً؟ ماذا سيفعلان الآن؟ أليس «نيلز» رجلاً متزوجاً، وأباً لطفلين وأحدهما ولد كثير البثور، والأخرى فتاة صغيرة جميلة، والذي دائماً ما كنت معهم مفتوناً بعض الشيء؟ خائن؟ إن هذا لم يكن يشبهه!

إنهما جلسا هناك وأصبح «باص بلوج» بعيداً، إنني لم أعد أتحملك أكثر من ذلك؛ هذه كانت الكلمات الأخيرة من «ماريان» إلى الحب العظيم من شبابه. إنني تراهنت بتلك الخدعة بدمية الدب والتي كانت زائفة تماماً تلك الكلمات هي التي كان ينبغي أن تكون الكلمات الأخيرة لـ «نيلز» لكن بدا في هذه اللحظة كما لو كان ضجيج الماضي قد استبدل بحماس، وهما بقيا في المطعم لساعة أخرى وتناوبا سرد كلام غبي من رسائلهما، بينما كان يضحكان بطريقة صاخبة، لقد ذهبا إلى أبعد من ذلك بالعودة في الوقت متوقفين عند عدة أشياء قد فعلوها: الدراجات البهلوانية، ومباريات المصارعة على حافة النافذة، والعروض الجريئة مع «جيسي هانز» كالنجم المدعو، لكن في كل مرة ينتهيان من سرد قصة كانا يعقدان مقارنات نحور كوب الدراجة مع عصب العينين، ومشروعهما الضخم الأول غرسهما سوياً في حالة مزاجية من حماس متأمل.

وقالت «ماريان» «هذه كانت أيام..! أليس كذلك؟»

وبعد الانتقال عبر كل مغامرات الماضي الجريئة في «ألبورغ» البعيدة بدا



لـ«نيلز» كما لو كان المستقبل ينحني عليه وينقر على كتفه.  
وهمست «ماريان» في أذنه قائلة: «دعنا نَمْضِ دون أن ندفع الحساب إنني أراهنك أنك لم تجرب ذلك أبداً»  
فرد «نيلز» قائلاً: «حسناً» معتقداً أن هذا سيكون انتقاماً مناسباً لنظرات «النادل» المتفضلة عليه. لذلك خرجت «ماريان» إلى حجرة السيدات وبحلول الوقت لحق بها «نيلز» بعد بضع دقائق، وفي ذلك الحين فتحت هى النافذة أعلى المرحاض وكانت واقفة هناك تدخن سيجارة في نسيم ذلك المساء الدافئ من شهر يونيو، فكانت تشبه حقاً فتاة أحلام من الغابات المسحورة، وداس «نيلز» بقدمه على مقعد الحمام وقبلها في عنقها؛ والذي كان وترياً وقوياً؛ وفجأة لم يستطع أن يدرك كيف مرت عليه خمسة وعشرون عاماً! ماذا كان يفعل طوال تلك الفترة؟ لماذا كان متخلفاً عن الحياة؟! إنه أراد أن يتقاسم أفكاره معها، لكن بعد ذلك تقدمت «هى» ببطء إلى منتصف المسافة من النافذة وضحكت قائلة: «لا تقف هناك فقط تحقق في دهشة» «ساعدني أن أخرج مؤخرتي السمينة».  
فدفعها «نيلز» للخروج من النافذة، وعندما زحف هو أيضاً خارجاً سقط كلاهما على العشب، ثم وقفا ونزلا مسرعين إلى وسط الشارع وهما يقهقهان ضحكاً متتبعين حركة المرور، وواصلوا السير نزولاً إلى الأرصفة البحرية حيث كانا يقفزان من صخرة إلى صخرة، ويتوقفان عند رؤية ضوءهما المنعكس في المياه السوداء. ووراء والدي كانت تقع كل خلاقات وشجارات الماضي، أما أمامه فكانت تنتظره النجاحات والانتصارات المستقبلية، وعلى الرغم من أنهما لم يذكرها إلا أن كلاهما كانا يعرفان إلى أين يُقْتادون: إلى الفندق الأول الذي سيوفر لهما إقامة لجهما المتعثر منذ فترة طويلة، وفتح «نيلز» باب الفندق، وأيقظ حارس البوابة الليلي، والذي وقف هناك يحدق النظر نحو الزوجين الذين وصلا لمنتصف العمر، وهما يصعدان على درج السلم كاثنين من المراهقين التافهين، ولم يكن «نيلز» قد استلقى بعد على ظهره في



السرير العريض المزدوج إلا أنه أدرك كم هوسكران، فالشئ الأخير الذي انتبه له هو قضيبه المتصلب وهو مرفوع في الهواء، والاحساس الناعم لامرأة وهي تنزل بحملها عليه. وتتمت «ماريان» بعد عشر دقائق قائلة «النار والهلاك»؛ وأيقظته بصفعة على خده «إنك بالتأكيد لم تعد صغيراً أليس كذلك؟»

وعندما استيقظ «نيلز» في صباح اليوم التالي، كان هذا في تمام الساعة السابعة ورأسه كان يدق بقوة، وبجانبه «ماريان كفيست» مستلقية تشخر وعلى الرغم من أنه كان عليه أن يسرع إلى البيت إلا أنه بقي حيث كان ينظر إليها، وبعض من سائل ريالة قد تجمع عند زاوية فمها، ولم يستطع أن يقلع عينيه عنه، وأخيراً لحسه بعيداً بحذر؛ ثم انصرف ليأخذ حماماً، لكنه ظل يعود إلى الحجرة ليرى ما إذا ظلت باقية هناك أم لا.

وقال عندما أيقظها بعد ساعة زمنية: «إنه لا بد لي أن أعود إلى البيت الآن لكن هل ستفعلين أى شئ هذه الليلة؟»

فردت ماريان وهي تحديق النظر إليه بعينين محتقتين بالدم قائلة: «أوه أتفعل ذلك مرة أخرى؟ اذهب على بيتك إلى زوجتك يا «نيلز» خذ أطفالك إلى حديقة الحيوان، فإنني سأرحل إلى «كندا» الأسبوع القادم، يا الله! كم يؤلمني رأسي»

فقال «نيلز»: «ربما أكون متزوجاً» «لكن ذلك لا يعنى أنني سأدعك ترحلين» وعاد إلى البيت واتصل بالسكرتيرة الخاصة به مدعياً أنه مريض، وحلق «نيلز» ذوالأذنين اللتين تشبهان الإبريق شاربه والذي كان يزين شفته منذ ذلك الحين أصيب بحماسة «الفانج» كأب جديد. وخارج الرواق ألقى لمحة سريعة على نفسه في المرأة وفي نفس اللحظة سمع صوتاً خافتاً لجواب يسقط من صندوق البريد، فقد كان أحد الجوابات المعتادة من السلطات الضريبية ودون أن يفكر كثيراً؛ فتح المظروف وترك عينيه تنزلقان بذهول على الصفحة «بعد إخطارات لا حصر لها ... لم تكن لدينا أية شكوك مطلقة فيما يتعلق بمجموعة من الأخطاء ... فقد قرر تسليم القضية إلى الشرطة» وفي ٧ يونيو ١٩٨٩ أصبح



«نيلز إريكسون» على ركبتيه بواسطة ثالث نوبة دوار شديدة والتي استمرت لمدة يومين فالجدران كانت تتأرجح، والأرض تدور وبعد ذلك بوقت قصير سمع بعض الأطفال الذين كانوا يلعبون كرة القدم في الشارع رجلاً يصرخ «تباً!» فبحثوا في فناننا لكنهم لم يروا أحداً، ولكنهم ظلوا متنبهين للصوت في الفناء المهجور، وبعد نصف ساعة رأوا «نيلز إريكسون» هائجاً ومستنفداً من لعبنا بالكرة، وكان يبدو كولد صغير منفعل إنه ربما كان لعدم وجود شاربته والذي كان يبدو به كرجل يبلغ الثالثة والأربعين من العمر: أصبح يبدو فجأة كولد أورما كان شيئاً آخر تماماً لأن بعد خمس دقائق فتح باب البيت في «طونوفيج».

هناك كانت تقف والدته ومنشفة الشاي في يدها نعم ... كانت تقف هناك «سارقة الجواب»؛ والتي كانت مغرمة جداً بأطباء حتى دعتهم يقضي طفولته مرتدياً ذلك «الشئ المقرف» وهناك كان يقف والده-السكر؛ الطاغية؛ «السارق»- والذي قد خرج للتومن الحمام ، وهو ذلك الشخص الذي عاش طيلة حياته متعطشاً جداً حتى أنه سرق الوعاء الذهبي الموجود عند طرف قوس قزح وبعد ذلك ضرب ابنه بحزام.

وهناك كان يقف الابن وألقى كلا الوالدين على «نيلز» نظرة غريبة ففتح فمه على الفور، وبدأ يصرخ بصوت عال حتى أن «ماما راندى» استيقظت من سباتها في الحجرة، والتي كانت يوماً تخص العمة السمينية «آن كاترين»، فقد اتهمهم بجرائم قديمة وأخطاء قد نُسيت منذ فترة طويلة تصل إلى ثلاثة وأربعين عاماً من النكد أصبحت تندفق من فم الابن: بصاق، وكلام متشدد، واتهامات لم يلفظ بها أبداً من قبل خلطت جميعها معاً، ولم يفهم الأبوين المحذقين شيئاً؛ ألم يكن دائماً هناك طعام على المائدة؟ ألم يحبوا ابنهما، ولم يكونا فخورين به عندما اتجه نحو بيتهم، في ذلك الوقت الذي خرب فيه تماماً بسيارته المرسيدس الفاخرة؟ ألم تتفاخر «بيورك» به في نادي القمار الخاص بها؟ ألم يكن «أسكيلد» دائماً ما يتمنى ولومرة واحدة فقط في حياته



أنه ربما ينعطف «نيلز» حول زاوية البيت حتى يمكن لرفاقه السكارى أن يلقوا نظرة على ابنه؟ لكن رفض «نيلز» أن يضع قدمه في هذا المكان، فداًماً ما كان يُخرج من والديه، فعلى مدى عامين ماضيين غالباً لم يزرهما ليقبل ذلك دون مبالغة.

ولم يمر طويلاً عندما ابنيهما؛ بعد تأخير خمس وعشرين سنة - قد هرب - إلا واكتشفت «بيورك» أن الأمر بأكمله كان خطأ الشيطانة والتي قد رأتها يوماً تقوم بأفعال بذيئة مع دمية دب خضراء في «ألبورغ» وكان «أسكيلد» يعرف أن هذا كان لأن ابنه في تلك اللحظة وفي ذلك الموقف استطاع أن يفكر فقط بقضيبه. لكن بعد نصف ساعة عندما أغلق الباب بفرقة بالغة، واختفى ابنيهما فجأة كما وصل فجأة: نزل كلاهما على الأريكة، ووجها نظرها إلى الفضاء بكآبة: الجد «أسكيلد» بأزراره المفتوحة، والجدّة «بيورك» وهي ممسكة بمنشفة الشاي في إحدى يديها، وليس بعد ذلك بكثير استجمعا ما يكفيهما من قوة ليستيقظا.

استمر «الأب» في جولاته كما استقبل آخرون زيارة من «نيلز إريكسون» في ذلك اليوم: بنوك، على سبيل المثال، شركات مفلسة، شركات مهياة لعملية إعادة التنظيم وأغلق «نيلز» كل شيء وأخفى المستندات بعيداً، وحزم حقييته وتصرف بسلوك من المحبة نحو أطفاله بشكل بارز، على الرغم من أنه لم يعط سبباً لهذا، وبعد أسبوع كان جالساً بجوار «ماريان كفيست» في طائرة متجهة إلى كندا، وفي إحدى الليالي المتأخرة من شهر يونيو قبل منتصف الصيف بوقت قصير، وعلى طول الطريق عبر المحيط الأطلسي كانا يحلقان نحو شمس المغرب الراقصة. وهمست في أذنه: «إننا نفعل هذا أخيراً: تباً لكل شيء».

وفي الحقيقة أن «الأب» قبل بضعة أيام قد أطلعها على مشاكله مع السلطات الضريبية، ولم يجمع شملهما أدنى فرحة فمن الناحية التقنية كانت «ماريان كفيست» في هذه اللحظة مسافرة مع مجرم مطلوب، وواصلت حديثها



بصوت جلي رائق «ها نحن قد وصلنا أمسك بقبعاتك ونظارتك!». وهكذا: -عيناه على الشمس التي رفضت أن ترتسم- اختفى «الأب» من قفصتنا وكانت جدران حجرة الجلوس نصف مدهونة، وكان كل شئ في ارتباك، ولم تفهم «الأم» شيئاً، ولم يستلم «باص بلوج» الرسالة الضريبية الفاضحة حتى بعد مرور يومين إنه أُصيب أيضاً بنوبة دوار لكن على عكس بعض الآخرين: لم يستسلم تماماً وحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه، وقد أطل السهر لعدة ليال متتالية والعرق يتصبب على الأرصدة الضخمة، لكن أخيراً كان عليه أن يستنتج أنه جالس في خراء يصل إلى عنقه. وأحياناً ما كان يظهر في بيتنا في «بريكيلادسفيج» بعدما اختفى «الأب» ويقضي ساعات يفتش في صناديق وأكوام ضخمة من الورق. ولوحاولنا تقديم المساعدة له فإنه يشعر بالانزعاج لأنه كان هناك-رجل ذو سيطرة محكمة على حياته- على ركبتيه في مكتب «الأب» بينما كان كل شئ ينهار فيما حوله.

لكن مع مرور الأسابيع أصبح أكثر ودّاً، وقام أيضاً بكثير من المحادثات مع «ستينا» في المطبخ بينما كانت تعمل «الأم» في فترة الخدمة الليلية. وتنهّد «باص بلوج» قائلاً «إنني أعلم أين هو وسأجده بخير».

وحصلت «الأم» على رسالة بعد أسبوعين وقرأتها بسرعة، ثم خبأتها بعيداً، وقالت «لقد استبدلني والدك بنموذج أصغر سنّاً هذا ما يكون عليه الرجال إنه لا يمكنهم تحمل أن يصبحوا شيوخواً».

تلك كانت طريقة شرحها لعلاقتها التعيسة بأكملها على الرغم من أن «ماريان كفيست» كانت أصغر من «الأم» بسنة ونصف فقط، لكنها وجدت ذلك أمراً ذا أهمية.

وأسفت «بيورك» قائلة «إن والدك ليس هو الذي وراء كل هذا» «إنها هي السبب تلك العاهرة».

وهمست «ماما راندي» عندما أدركت بعد شهرين في لحظة صافية أن «نيلز» لم يعد في «الدغارك» قائلة «يا والدة الإله الحبيبة» هل قد هرب أيضاً إلى



البحر؟»

وفي ذلك الوقت راسل «الأب» أخيراً «باص بلوج» بما يكفى، ففي نفس اليوم الذى أعتقد أن يظهر «باص بلوج» في قسم الشرطة لبدأ أولى الحلقات الطويلة للتحقيقات فبدلاً من أن يتجه إلى مطار «كوبنهاجن» ترك سيارته الفاخرة في مكان عشوائى لموقف سيارات، وصعد على متن طائرة متجهة إلى «مونترéal».

ومن التحقيقات التي بدأت بعد عام جيد اتضح تماماً أن اثنين من المشتبه بهم قد سحبا مبالغ مالية ضخمة من أرصدهما بالبنوك، حتى أنه كانت هناك شائعات حتى الدقيقة الأخيرة التي كانا ينهبان فيها عدداً من الشركات التي كانت إما مفلسة أو مهيأة لعملية إعادة التنظيم، أما الدائنون الغاضبون فمزقوا في شعورهم، وخاف الموظفون على وظائفهم، وكان على المديرين أن يعترفوا علانية بأنهم كانوا غير أكفاء لهذا المركز، فقد حُددوا بشدة من قبل اثنين من الرجال المتملقين، وبعد فوات الآوان ربما كان علينا أن نعرف ودائماً ما يبدو كل شئ واضحاً تماماً ويقدم مرآة الرؤية الخلفية بشكل غير ضبابي.



كانت قصصنا تتقطر مع المياه... نعم... كانت مرآة الرؤية الخلفية مغطاة بالضباب. وفي يوم من الأيام الصافية لم أعد أستطيع أن أميز قصتي من الضباب المتصاعد من المستنقع الموجود خلف بيتنا القديم، وأومن السحابة الكثيفة للبخار والتي تنهمر من الحمام كلما فتحت أختي الباب، وتركت آثار أقدام مبللة طوال طريق عودتها إلى حجرتها.

هذا ما كان على مدى سنوات مضت، حتى بدأ الهواء النقي يصل في علب من «بيرجن»، وخلطت الجدة «بيورك» خيوطاً جديدة مغزولة، ونسجت مفروشات والتي ظهرت أمام عيوننا؛ وهي تعطي منظوراً زخماً جديداً إلى قصص الغامضة، لكن بإقناع نفسها بأن «الأب» الكريم هو الراسل لكل ذلك الهواء النقي، تتجاهل «الجدة» الحقيقة القائلة: أن ستة عشر شهراً بعد الاختفاء المفاجئ للوالد تخلصنا الغموض.

والذي ظهر في محادثة تليفونية جاءت في وقت متأخر في إحدى الليالي. وبعدها تسلسل إلينا ذلك الغموض، وعرفت «الأم» الرب، وبدأت «ستينا» دراستها في الجامعة، وأنا نفسي سرقت ست أنابيب طلاء من الكوخ المخبأة فيه الدراجات المسروقة، وقد رسمت حورية نازقة مما دفع بأختي ستينا أن تنظر إلى شذراً مستنكرة لما ترى، فقد كانت تلك لوحتي الأولى، لكنها لم تهتم لها أكثر من ذلك بل قالت «إنني لم أعد أستحم كثيراً».

كان «باص بلوج» هو الشخص الذي أجرى المكالمات التليفونية في طريقه إلى أعلى جبل لم نسمع عنه أبداً، وفي دولة لا نعرفها حتى، والتي ذهب إليها «الأب»، والشيربا الخاص بهم، في رؤية منامية قد ألقى نظرة على امرأة سوداء ذات لسان أحمر وحزام يتدلى منه العديد من الرؤوس المقطوعة، وقد رأت «ماريان كفيست» كلباً ظننته كلب صديقها القديم «ماك والتر»، وقد ألقى «باص بلوج» نظرة على غراب يفتح جناحيه ويحلق أعلى جبل



«بلاخسا»، وسمع «الأب» صوتاً لم يُسمع منذ أبعد عن الغابات المسحورة في «نوردلاند» في عام «١٩٥٩».

«مرحباً؛ «سوني»: الأمور تسير بشكل رائع لكن ربما علينا أن ننظر خلال تحويل أنوفنا في الاتجاه الآخر» .

فقد أعدتهم «ماريان» للحقيقة في أن الناس غالباً ما يرون أشباحاً على المنحدرات نظراً لانعدام الأكسجين، لكن الشربا الخاص بهم رفض أن يذهب إلى أبعد من ذلك ولذا فقد استمروا في طريقهم على حدة؛ بينما الشربا وباقي الحملة يقيمون معسكرًا.

وعلى بعد مئات الأمتار من القمة: تشاجروا! فقد أراد «سلوتشوم» أن ينزل وكان خائفاً، وسيطر عليه الشك، وترك هذين الاثنين المجنونين من حمام السلحفاة ولم يمر بخاطره أنه سيواجه صعوبة في العثور على طريقه في إلى المعسكر، وبالفعل ضلَّ طريقه في خلال عاصفة ثلجية حتى أن نظارته الشمسية قد كُسرت، وبدأ يتجول حول الجبل بصورة عمياء وبشكل مسعور، حتى أن الحبيبين بذراعيهما الملتفين حول بعضهما البعض ظهرا أمامه في (السقوط الحر) في مشهد جليدي هبطا من السماء؛ وبعد ذلك المشهد حلت قعقة خافتة من أعلى الجبل وكتل من الثلج تنهاوى، وتندفع إلى المنحدر، ففقد «باص بلوج» وعيه، وعندما استعاده كان ذلك في المساء والنجوم تتلألأ وقد هدأت العاصفة الثلجية تاركة رياحاً خالصة وباردة؛ والتي كانت تعصف في أذانه. فتورمت أنفه، وقد شق الصقيع طريقه إلى أعماق عظامه وفكر وهو يغمض عينيه مرة أخرى «ربما أموت الآن» لكن لم تكد رموشه أن تلتمسا؛ والتي كانت ممزوجة بدموعه؛ ومتجمدة بفعل الثلوج حتى بُهر «باص بلوج» بفرط تخيله للمرة الثانية خلال بضع ساعات وكان هذه المرة أقرب للواقعية بعض الشيء لأنه رأى أختي واقفة بجوار عربة تسوق في سوبر ماركت تشتري بعضاً من المأكولات مع اثنين من الأولاد، وبرؤيته لأولئك المتسوقين الثلاثة استطاع أن يفتح عينيه ويكسر الثلج من عليها وقُطعت



رموشه إلى نصفين.

في تلك الليلة رأت الجدة «بيورك» في منامها أن طائراً قد ضل طريقه في حجرة الجلوس الخاصة بها، وكان يضرب رأسه في زجاج النافذة يريد الخروج، وهونفس الطائر الذي رآه «أبلهيد» عندما كان ولداً صغيراً، وكان عائداً وكانت تحدث أشياء غريبة خارجاً في المرحاض. لكن هذه المرة وقع الطائر على الأرضية حتى أخذه «أسكيلد»، ورماه في صندوق القمامة، واستيقظت «بيورك» وخرجت لقضاء حاجتها في المرحاض، ثم دخلت لتلقي نظرة سريعة على «أسكيلد»؛ والذي كان جالساً في حجرة الجلوس ومعه كوب من اللبن، وفي الحجرة القديمة الخاصة بالعمة «آن كاترين» كانت «ماما راندي» نائمة وعينيها مفتوحتين، وفي حجرة الجلوس في «بركييلادسفيج» كانت «الأم» تشرب خمراً أحمر مع طبيب متدرب حديثاً والذي سنطلق عليه فيما بعد «زوج الأم».

لكن في المعسكر البعيد عن سفح الجبل؛ لم تكن الحالة المزاجية مسترخية تماماً فالرياح كانت تغني، والخيام ترفرف؛ وبعد عدة ساعات كان الشربا غير قادرٍ على النوم حيث هُز من سباته بفعل رجل ثلجي بغيض؛ والذي اقتحم الخيمة إنه؛ من جميع الناس؟ الشخص الضخم؟ إنه يستحيل أن يكون حقيقياً!

لكن لم يرَ رجل الثلج وجوههم المرعوبة، وقد تلاشت عيناه داخل رأسه المتورم، وأنفه كانت تشبه يقطينة معطوبة تتساقط منها أجزاء مجمدة من قئٍ ودم فحاولوا خلع قفازاتهم لكنهم عندما رأوا أثر الصقيع على أصابعه، ارتدوها مرة أخرى على الفور، ثم حاولوا بعد ذلك نزع أحذيتهم طويلة الرقبة لكن كانت النتيجة نفسها. إنه لم يستطع احتمالية كونه أن يكون على قيد الحياة. وكانت تتبقى ساعات قليلة حتى شروق الشمس وهو بالتأكيد بذلك لن يرى أبداً الأشعة الأولى الشمس وهي تطلع أعلى الجبل، وتحول ذلك ليكون حقيقياً لأن «باص بلوج» لم يستطع أن يرى شيئاً عندما أشرقت



الشمس فلم تزل عيناه مدفونتين على عمق كبير بداخل وجهه والذي يشبه ثمرة البطاطس الممتقحة، وعندما استعدت نصف الحملة لتنقل الرجل المييت بينما خرج النصف الآخر لبحث عن «ماريان كفيست» ورفيقها كان الأمر كما لوأنهما قد اختفيا في باطن الأرض، ولم يستطع فريق البحث أن يعثر على أثر واحدٍ لقدم ، وفيما بعد عندما وقفوا أمام سفح الجبل يظهرون آثار الجرح العميقة بفعل انهيار جليدي؛ استسلموا.

ووعُد للنصف الآخر من الحملة بطائرة مروحية تهبط في «فانجسانج» بالرجل الذي-كما يبدو- أنه لم يمِت بعد كل هذا ؛، لكنه لم يرَ الطائر المعدني قادمًا لينقذه، ولم يرَ الأطباء في «كاثماندو» الذين استقبلوه فيما بعد وأزالوا عنه البقايا المؤسفة من أنفه. وكان ينبغي أن تُقَطَّع خمسة أصابع ونصف، وعلى الجانب الآخر أنقذت أربعة أصابع من القدم، وشُرِّحت نصف أذن، وعندما استيقظ الرجل أخيراً بدا-بالكاد- كإنسان، والأطباء قد أشفقوا عليه فأبعدوا عنه أية مرآة، ومع ذلك في ذات صباح باكر ملح وحشاً عديم الأنف! فقد انعكست صورته من قاعدة طبق معدني.

كان يبكي عندما التقطناه في المطار، ويبكي خلال التحقيقات الطويلة معترفاً بكل شيء، متحملاً كل اللوم بصفة شخصية، على الرغم من أن هناك عدة قضايا لم يعترف فيها أبداً، ودائماً ما كانت الشائعات هي أهم الشهود في القضية.

إن «المحتالين على حميرهم في جبال الهيمالايا» صرحت بأسوأ العناوين الإخبارية لكن ليس هناك من سبب للخوض في تفاصيل أو أن نشير إلى كيف أن الجد «أسكيلد» والجدة «بيورك» أخذًا في مطالعة الصحف اليومية بتعصب فقد كانا يلتهمان كل شيء يمكن أن يعثرا عليه ويجلسان في حجرة الجلوس الخاصة بهما في «تونوفيج»، ويحدثان النظر إلى كومة من الصحف المتراكمة لأنهما يبحثان عن آخر حقيقة بخصوص ابنهما.

ليس هناك أي سبب في أن نخوض في حقيقة أن «أسكيلد» بدأ يظهر في



«بيركيبلادسفيج» على مدار الساعة لأنه اعتقد أننا في حاجة إلى بعض من السلطة الأبوية، فبعد موت عمتي السمينة ذهب «أسكيلد» إلى الكلاب، لكنه في هذه اللحظة كان رد فعله مختلف تماماً، فقد سيطر على شربه للخمر، وحلق ذقنه، وكوى قمصانه، وبدأ في الحضور إلى «بيركيبلادسفيج» كل صباح، وكان خائفاً من انهيار حياتنا، فقد اعتقد أن من مسؤوليته التأكد من ذهابنا إلى المدرسة، وأن البيت قد تم تنظيفه، وأن «الأم» قد اشترت سلعاً غذائية حتى يكون هناك وجبة طازجة كل مساء، وبدأ الهدوء والروتين المنتظم هورد «الجد» على ذلك الغموض الذي تخلصنا، لكننا في تلك الأثناء شعرنا بما يشبه-غالباً- بالتفكك.

فكانت «ستينا» تصبح كلما يبدأ «أسكيلد» بتوجيه خطابه لحفيدته التي كانت في ذلك الوقت طالبة جامعية: لماذا عليها أن تعود إلى البيت في المساء وتقول: «هذا ليس من شأنك».

وكانت أمي تزمجر عندما يتحدث «أسكيلد» باستخفاف عن «برين» (رفيقها الجديد) وتقول: «إنه الشخص الذي تركن»، وكثيراً ما كانت تجلس وتشرب خمراً أحمر مع «برين» حتى الساعات الأولى من الصباح.

وكنت أصبح عندما أكون في حجرتي برفقة كل مستلزمات لوحتي، ويطرق «الجد» على الباب المغلق لحجرتي نظراً لأنه يريدني أن أذهب إلى المدرسة وأقول: «اتركني وحدي!».

وبعد مرور عدة سنوات كثيراً ما كنت أتساءل عما إذا كان اهتمامنا المشترك في الرسم ربما قد أعاد الاتصال بيننا إن سمحت له بالدخول، لكن في ذلك الوقت كان «الجد» كثيراً جداً وقليل جداً على حد سواء في نفس الوقت إننا لم نستطع أن نقف لئراه وهو يجيء في كل صباح مرتدياً قميصه المكوى مجدداً، وشعره المجدد لأسفل، وتلك الخطوط القارضة المحيطة بفمه.

فقد كان أمراً لا يُطاق: أن الجد «أسكيلد» الذي قاوم التفكك في معركته التي لا نهاية لها وينبغي عليه أن يعلمنا أي شيء عن النظام والبناء.



باختصار: كان يحشر أنفه في كل شئ، حتى أنه فحص التقرير المدرسي،  
واتصل بالمدرسة الثانوية ليعرف لماذا حصلت على هذه الدرجات المنخفضة  
في اللاتينية.

وذات يوم اتصل بمكتب والدتي لأنه اعتقد أنه ينبغي عليهم أن يعطوها عدداً  
أقل من الفترات المسائية وعطلات نهاية الأسبوع، لكن هذه أيضاً كانت القشة  
التي قصمت ظهر البعير، فعندما وصل «أسكيلد» في صباح اليوم التالي، وقد  
عادت «الأم» للتو إلى البيت بعد انتهاء الفترة الليلية وكنا نتناول وجبة الإفطار  
:عندما وقع نظرها على «الجد»، ووقفت لتقذف إليه علبة كرتونية من اللبن،  
ولم تقل أية كلمة ،ولكنها صاحت فقط-صيحة واحدة-ولكن متواصلة، فقد  
أدهشنا أن كانت مدوية وكم من الوقت استمرت، واصطدمت علبة اللبن  
بالحائط الذي يقع بالضبط وراء رأس «أسكيلد»، واصطدمت الضربة بأسفل  
العلبة، وانسكب منها اللبن على الجانب الأيسر من وجه «الجد».

وفي اليوم التالي لم يظهر، ولم نره في الأيام التالية، ولم يمر على ذلك أسبوع  
عندما كنت راكباً الدراجة عبر المناطق المفتوحة حول المستنقع إلا وقد لمحته  
مستلقياً أسفل إحدى المناضد المثبتة حديثاً ومعه زجاجة من «أكوافيت» في  
يده، فخرجت بالدراجة يميناً ماراً به آملاً في أن لا يراني، وبعد ساعتين عدت  
لأؤكد أنه لم يكن ميتاً، لكن بحلول ذلك الوقت كان الجد «أسكيلد» قد ذهب  
فلا بد أنه نهض، وأخذ يترنح عائداً إلى البيت وهو في حالة شديدة ربما يكون  
شخص ما قد ساعده في ذلك.

ولم يرَ أيُّ منّا «الأب» لمدة عام ونصف، بل إننا لم نتحدث معه على الهاتف  
ولهذا كان من الصعب علينا أن نستسلم للحزن، ولم تكن هناك أية انفجارات  
عاطفية للخدمة الكنسية التي نعقدتها في ذاكرته والجد «بيورك» كانت تبكي  
قليلاً؛ لكن أغلب الوقت كانت تبدو صامتة ومنعزلة تماماً مثل بقيتنا.

كان «سلوتشوم» هو الشخص الوحيد الذي أطلق العنان لأحاسيسه، فذات  
يوم لاحظت «ستينا» أنه قد قرر بوضوح أن يذرف ما يكفي من دموع



على العائلة كلها فقد أجهش في البكاء أمام مساعد رئيس الشرطة الذي أراد أن يسجل صوته الأنفي، وأمام المصورين الصحفيين الذين أرادوا أن يخلدوا مظهره عديم الأنف، وأحدثت دموعه بقعاً داكنة كبيرة على محفظته الجلدية عندما حُكِم عليه قضائياً في المحكمة: بخمسة عشر شهراً في السجن، ومصادرة كل الصكوك الرهنية، والأرصدة، والحسابات البنكية، إضافة إلى منعه من البدء في أية أعمال جديدة، لكن لم يبدُ الاهتمام على «باص بلوج»، وفي ذلك الوقت صارت أختي زائرة دائمة لسجن الدولة «هورسنز»، فكانت كل أربعاء تنصرف من محاضراتها في الجامعة، وتلحق بالقطار مركزة نظرها على المعالم المميزة التي تمر بها حتى تقضي ساعتين من الزمن في رفقة رجل عديم الأنف في البداية أرادت عموماً أن تضخه للحصول على معلومات: ماذا كانوا يفعلون طوال السنة والنصف الماضية؟ كيف كان حال «الأب» طوال ذلك الوقت؟ هل دائماً ما كان يتحدث عن ابنته؟.

لقد كانت السنة الماضية من حياة «الأب» تشبه لغزاً رهبط في مكانه ببطء وكل ليلة أربعاء كنت أنتظر آخر الأخبار بشغف، لكن فيما بعد: ومع كل المعلومات التي صُخِنت منه؛ استمرت «ستينا» في زيارتها له.

إنها لم تنسَ أبداً كيف، ومنذ وقت طويل قام بكسر باب حجرتها، وطرد الضيوف الغير مدعويين إلى مكان مظلم، ونطح رأس «جيمي»، وبدأ يضع كتباً على رف الكتب الخاص بها، لكن في تلك اللحظة تم التحفظ على الأدوار، أن «ستينا» في تلك اللحظة هي التي دعت أشباح «باص بلوج» تهرب عنه. لقد كانت ذلك الشخص الذي قدم أذنًا إلى «شاجال» الخاص به كتخيلات، واعترافه المفاجئ أنه دائماً ما كان متشككاً وزوجاً متردداً، وأباً سيئاً.

وبين تلك الدموع والمخاط اللذان كانا يتدفقان من أسفل الرقعة القماشية والتي تخفى البقايا المحزنة لأنفه كانت تمر عبرها الأسرار، وأخيراً: عُقد الاتفاق: فكانت «ستينا» تعرف شيئاً ما عن «باص بلوج» لم يعرفه أحد آخر، وهو كان يعرف شيئاً ما عن أختي، والذي لم يعرفه أحد أيضاً إلا «أنا» وثلاثة



آخرون، فقد كانت تشاركه حزنه، وتتجول معه عبر الطرق المسدودة من الذاكرة صعوداً وهبوطاً بجبل «بلاخسا»، وهكذا بالعودة إلى طفولته بالعودة إلى حيث كان ولداً صغيراً سميناً يمر في الشوارع يبيع صحفاً ويحلم بالشهرة، وقد بلغ تلك الشهرة؛ لكن ليس النوع الذي تخيله! ولكن في نهاية المطاف بدأت صراحته لأختي تقل أكثر من اللازم، وحاولت بدلاً من ذلك أن تجربته على التفكير في أشياء أخرى، فقالت وهي تربت على كتفه لترفع من معنوياته «أنه يمكنك الحصول على أنف جيدة-مصنوعة من البلاستيك- وهذه ستكون جيدة تماماً... أليس كذلك؟ فماذا سنفعل عندما تخرج؟

لكن لم ينحرف «باص بلوج» بسهولة إلى أفكار أخرى، وقبل وقت طويل لم يكن كافياً من «ستينا» أن تقدم له التشجيع، وأن تمسح على شعره برقة، وأن تهمس له في نصف أذنه بكلمات جميلة، فقد سيطر على «ستينا» إحساس بأن هناك شيئاً ما قد فُقد... بئر الفراغ قد بدأ ينمو في داخلها؛ ولم يكن مجرد مكاناً خالياً ذلك الذي شغله الوالد يوماً ما.

لم يكن ذلك هو الذي يعذبها، بل كان شيئاً آخر: فراغ متزايد، شوق غامض، جوع لدرجة أنه لا يمكن تلبية احتياجه. وفكرت بينما كانت جالسة في القطار في طريق عودتها إلى البيت «أوه... لا... ليس «باص بلوج»، تباً!»، ليس رجل في منتصف العمر بدون أنف! يا الله! إنني سأموت! لكن بحلول ذلك الوقت سيكون قد فات الآوان؛ وبدأ الشوق ينتج تخیلات غريبة: «باص بلوج» في أحلامها الليلية؛ «باص بلوج» كلياً في كل مكان، في حجرة الضيوف في سجن الدولة «هورسنز» بينما يستلقي على أريكة بشعره الأشعث، ومحاولاتها لترفع من معنوياته، لكنه أصبح أخرقاً أكثر وأكثر فبدأت تفجر اتهامات وتجادبات غاضبة على قميصه. وذات يوم بعد الظهر بصقت تماماً على وجهه، ومرة أخرى قالت أنها كانت تتمنى أن يكون قد مات «هو» أيضاً في الجبل.

وفي نهاية المطاف صاحت «ستينا» وهي تضرب بقوة على صدره «توقف عن



كل ذلك الانتحاب! واخلع عنك ملابسك، وتصرف كرجل، وافعل ذلك معي!»  
وللمرة الأولى منذ جبل «بلاخسا» ظهرت ابتسامة على وجه «سلوتشوم»  
تشق طريقها عبر عدم التصديق والدهشة الجامحة... ماذا؟! هل «هي»  
تحدث معي؟ ثم برزت الابتسامة كاملة فعلى الأقل لم تتجمد مكسراته  
المناظر الطبيعية ل«أسكيلد»

ها هي الجدة «بيورك» تقف عند زاوية «طونوفيج»؛ تلوح بيدها وها هي  
تجرى نحو السجن في «أوسلو» على الرغم من أن «أسكيلد» قد أبعد في ذلك  
الحين إلى «ألمانيا».

وعلى مر السنين التي لا تعد؛ برزت القصص، ولكن في تلك الليلة التي وقفت  
فيها أمي «ليلي» على درج السلم بثوب النوم الخاص بها لتتنقل أخباراً من  
جبل لم تسمع «الجدة عنه مطلقاً وقد امتنعت «بيورك» عن أن تروى قصصاً،  
ولم يحثها أحد أبداً على أن تخرج عن صمتها مرة أخرى، فلم يكن لستينا ولا  
لى أية رغبة في أن نسمع مزيداً من القصص، فكان هناك شئ ما مؤلم يرتبط  
بها، وآخر زائف، وفي ذلك الوقت لم يدرك أى منا أن تلك القصص هي الغراء  
الذي يجمع عائلتنا معاً، وذلك لأنه بعدما تلاشت تلك القصص أخذ كل شئ  
في التفكك، وشيئاً فشيئاً تبعثر جمعنا وذهب أدراج الرياح.

تلك هي الطريقة التي كانت تدور في فلكها كل الأمور لما يقرب من عشر  
سنوات حتي خرجت «بيورك» عن صمتها، وبدأت ترسل أجزاءً من قصتنا  
إلى «أمستردام» عن طريق البريد الإلكتروني، ولكن ما زالت هناك بعض  
القصص التي ترفض أن ترويها مرة أخرى مثلاً: كيف أضاعت ابنها الأكبر إلى  
امرأة مجنونة، كيف كانت بقاياها المادية فقط بعضاً من الثياب الموضوعة في  
الكفن جنباً إلى جنب مع قبعة الرفيق الأول لبابا «نيلز» وقليل من الجوابات  
الوردية اللون والتي قذفها حفيدها إلى داخل القبر في الدقيقة الأخيرة وكان  
قد أخذهم خلسة من الدولاب، وفجأة أخذت تنجرى إلى أسفل نحو الظلمة  
كعاصفة ثلجية غاضبة بينما بدأ «القس» في الطقس الجنائزي، ولم تعرف



الجدة «بيورك» ما إذا فعل ذلك تقديراً لقصة الحب الواردة في تلك الجوابات أو غضباً من الخيانة التي كانوا يمثلونها، لكن أياً كان السبب فهذا أحدث غضباً بسيطاً، وقد أراد «أسكيلد» أن يصطادهم خارج القبر، وأرادت «الأم» أن تتركهم هناك ولم ترد إلا أن ينتهي ذلك الطقس الجنائزي حتى يمكنها العودة إلى البيت، والجدة «بيورك» .... حسناً... إنها لم تعرف ما تفكر به، فلم يعد عالمها له أى معنى بالنسبة لها فالناس كانوا يموتون في ترتيب غير صحيح، وشعرها بأن هناك شئ ما غير طبيعي حول أن الحالة العامة بأكملها لم تقل عندما حماته؛ والتي تبلغ من العمر في تلك اللحظة ١٠٢ عاماً؛ نهضت عن كرسيها الهزاز، وطلبت لحم طهي، وبدأت تظهو استعداداً للحفل الجنائزي الكئيب للذين قد وقفوا عند القبر يتشاجرون على بضع خطابات وردية، لكن كان هذا فقط نبذة مزهرة قصيرة، وفي الأسبوع التالي انزلقت «راندى» مرة أخرى في نعاس.

ولم تقل الجدة «بيورك» أى شئ عن الطريقة التي فقدت بها الاتصال تدريجياً مع «الأم» والتي وجدت طبيباً شاباً يُدعى «برين»، وعرفت الرب الذى أنكرته منذ موت والدها «هانز كارلو» وتركته أخيراً لتؤدى رسالتها في الحياة، وأن ترعى الأطفال اليتامى على مستوى العالم.

إن ذلك لم يحدث حتى ابتعدت أنا وستينا عن البيت، لكن ما زالت «بيورك» لم تستطع فهم ذلك، فقد رأت الصليب يلمع على السلسلة الفضية الرقيقة حول عنق أمى وقد رأت أيضاً لدغات الحب التي قد أعطاها الطبيب الشاب لـ «ليلى»، وقد سمعت «الأم» وهي تروي القصة عن تلك الليلة في حجرة الجلوس عندما أعادها الرب إلى حياتها، لكن بالنسبة للجدة «بيورك» دائماً ما كان الله شيئاً ما بداخل الناس وليس الغندور شديد التألق الذي يركب دراجة نارية ذلك كما تصورته عندما كانت «ليلى» تتحدث عنه، ولم تدرك الجدة «بيورك» أنه في الجنازة قد شعرت «ليلى» بما تشعر به الأرملة.

وعلى الرغم من الكمية الهائلة من أوراق الانفصال في دواييننا إلا أن «الأم»



لم تنفصل عن «الأب» ولذلك تعد أرملة من الناحية التقنية؛ وفي تلك اللحظة وقفت كأى أرملة أخرى في المقبرة تقول وداعاً إلى الزوج الذى انغمس مع امرأة أخرى حتى آخر لحظة قبل موته، وكانت هناك مقارنات لا تُعد مع حالة السيدة الأرملة: ففي الأشهر القليلة التالية لازم «ليلى» الوسواس أكثر وأكثر بأشباح من الماضي ربما كان حزنها الذى لم يتم حله بخصوص والدها «هانز كارلو» هو الذى تسبب في هذا، أو ربما كان الحزن مثاراً بسبب مشاعرها لوالدتها «إليزابيث» أو التعبير في عيون أطفالها، واجتاحتها اللامبالاة، والأرق جعلها تتجول عبر البيت بلا راحة، ولم يعد لديها حتى الطاقة لتضع «أسكيلد» في مكانه حينما وصل ليرسخ عائلتنا ببعض من السلطة الأبوية، وأصبح أطفالها سطحيين وكانت لديهم حياتهم الخاصة المستقلة عن حياتها، وكثيراً ما كانت تشعر بأنها فتاة صغيرة تقف وحدها بالقرب من بحيرة في غابة تحاول أن تتناول أكبر مخروط آيس كريم على مستوى العالم.

غثيان وعرق بارد ونجوم راقصة!...

استطاعت أن تجد تفسيراً طبيعياً لكل هذا، لكن ما لم يمكنها تفسيره هي التخييلات التي بدأت بالفعل تتغلب عليها في وضوح النهار، ومضات من سرداب مغمور بالمياه وأثاث مغطى بالطين، وضجيج صاخب كما لو كان يخرج من دراجة نارية وهي تزيد من سرعتها في الأفق.

وسرعان ما بدأت هذه التخييلات تلتحم معاً في (فيلم) بمشاهده القصيرة التي مرت أمام عينيها وأقنعتها أنها على وشك الجنون حتى ما أدركت فجأة. هذه التخييلات أظهرت لها نفس العالم الذى رآته يوماً في سلسلة من صور فوتوغرافية تالفة بالمياه في طفولتها الدينية، كانت تعكس الضوء على عوالم من آراء متوافقة ومترابط، عوالم استطاعت أن تمنح جرأة أيتام. عوالم تشع بطاقة قد فقدتها في تلك الليلة بعد دفن «هانز كارلو» تلك الليلة التي نطقت فيها بعهد جري: «خزعات ليس هناك كائنات خارقة للطبيعة، وليس هناك أيضاً شيء غامض بين السماء والأرض».



وانهارت حياتها وبدأت تنقطع عن «برين»، وذات يوم حاولت أن تضرب «أسكيلد» بعلبة اللبن وفي تلك الليلة بالذات أفسحت مصاريع النوافذ الطريق إلى المياه المتلاطمة. شلالات من المياه، ورسائل مذابة، وصور فوتوغرافية مطموسة كانت تخوض في الماء حولها حتى شعرت أنها كانت تعوم في بحر من الأنقاض، واعتقدت أنها على وشك الغرق، لكن سمعت بعد ذلك صوتاً لدراجة نارية، ثم لاحظت الضوء وبعد ذلك خطا «هو» خطوة للداخل، وعندما استيقظت في صباح اليوم التالي عرفت على الفور ما قد حدث: «خزعبلات... كل أنواع الكائنات الخارقة للطبيعة موجودة هناك وكثير من الغموض بين السماء والأرض» ووجدت صليب «إليزابيث» في أحد الأدراج فصقلته ثم تقلدته.

وبوقوفها أمام المرأة في الحمام رأت في هذه اللحظة نسخة أكبر سناً مما لدى أمها، لكنها لم تشعر بأى غضب نحو تلك المرأة «لا... ليس هناك غضب أبداً مرة أخرى إنني فعلت كل ذلك القرف» بالطبع أخبرتنا عن ذلك، لكن الجوهر الحقيقي لهذا - ما قد همس به «هو» قبلما يختفي على دراجته النارية - أخبرته إلى «برين» فقط. ولم يكتشف بقتينا ذلك حتى بعد مرور ثلاث سنوات عندما باعت البيت في «بيركيلادسفيج»؛ بالإضافة إلى «برين»؛ الذي ترك «بوروندى» لينضم إلى منظمة أطباء بلا حدود.

وتنهدت «بيورك» قائلة: «إنهم متوحشون ومجانين بكل ما في الكلمة من معنى».

وعلق «أسكيلد» قائلاً: «إنها هي المجنونة»، فلم يكن يفهم أى منهما أنه يجب على الأيتام أن يلتصقوا ببعضهم البعض. أو أن «ليلي» في تلك الليلة قد احتضنت عالماً منبوذاً، وكمكافأة قد أعطيت رسالة وفضلت «بيورك» ألا تتحدث بخصوص ذلك الأمر.

ولم تسترجع الجدة «بيورك» أبداً قصة أخرى مؤلمة، القصة التي تحكى عن الأصغر في حلقات لأطفال وأحفاد نعم؛ الولد الذي كان يفزع من الظلام



والذي قد ورث عن جده ولعه بالرسم هرب في يوم من الأيام ذلك هو الشيء الأخير الذي توقعته: «آبل هيد» و«كنوت» نعم حتى «نيلز» كان لديه ذلك فيه بوضوح لكن ذلك الصغير؟ فقد تذكرت ذلك اليوم الذي طرق فيه على باب بيتهم في «طونوفيج». وكان يتسم بابتهاج فيمن حوله، ويتحدث عن «أمستردام» كما لو كانت مدينة ذهبية تضاهي بيرجن». وشعرت «بيورك» أنها منتعشة بكل ذلك الحديث عن مدن أجنبية حتى طلعت الشمس عليها، فقد كان يتحدث كثيراً لأنه كان في طريقه إلى هناك. ثم فقدت «أمستردام» بعضاً من سحرها، لكن لم يلاحظ «الشاب» عدم حماسها، وقد تصفح الكتب الفنية لـ «أسكيلد» وانسكبت القهوة على «بيكاسو» و«جورج براك»، وتحدث بقدر كبير عن الأكاديمية التي تم قبوله بها وسرعان ما غادر بعد ساعتين ومعه حزمة من الكتب الفنية تحت إبطه بعدما قد نبهته جدته إلى أن يرأسها بانتظام.

وقال «أسكيلد» إلى «بيورك» عندما أغلق الباب «امتنعي عن كل ذلك الانتحاب» «سأمنحه أسبوعاً كحد أقصى وحينئذ سيعود إلى البيت». وظلا ينتظران وينتظران... انتظرا «الشاب» الذي كان يخاف من رؤوس الكلاب مفكرين في أنه وحيد في دولة أجنبية ولن يتحمل أبداً، لكن مر أسبوع، فشهر، ثم عام ولم يعد الصغير بعد.

وبدأت الجدة «بيورك» تشعر مجدداً وكأنها مقيمة في بلد أجنبي فما زال لديها نادي القمار الخاص بها، و«ستينا» وزوجها؛ اللذان قرأت عنهما كثيراً في الصحف، وكانت تزورهما بانتظام، لكن عندما كان يخطو ذلك المحتال عديم الأنف إلى داخل باب بيتهم: تصبح الحالة المزاجية لديها متوترة قليلاً، فعلى الرغم من أن الرجل كان مؤدباً، وأنه نظف المائدة؛ حتى أنه أشاد بكل اللوحات القبيحة إلا أن الجدة «بيورك» لم تستطع مساعدة نفسها في التفكير: «يا له من خنزير عجوز كيف استطاعت «ستينا» بجيناتها الفرنسية الأبية أن تتدنى جاهدة لـ «فاتسو» عديم الأنف في حين أنها استطاعت أن يكون لديها



ذلك الولد الجميل «بيتر!؟»

ومن ناحية أخرى فإن الشئ الوحيد الذي ظلت تفكر فيه حتى النهاية الحقيقية كان هو اليوم الذي سيعود فيه «أسكيلد» من المستشفى إلى البيت، وكان قد احتجز طوال الليل للملاحظة نظراً لمشاكل متزايدة مع القرحة، وكان يجلس على مائدة حجرة الطعام. كان ذلك بعدما اختفى «الأب» في جبل «بلاخسا» بخمس سنوات، ولم ينطق «أسكيلد» بكلمة ولا شئ عن قرار الطبيب أو أى من الأشياء التي اعتاد أن يشتكي منها، وتوقفت شكايته من أن القهوة قوية جداً أضعيفة جداً، وحينئذ بدأت «بيورك» تقلق. فلمست ذراعه برقة وسألته ما إذا كان هناك أى شئ آخر سيئاً إضافة إلى القرحة والتي أزعجه لعشرات السنين، «ماذا قال الطبيب؟ : لا شئ خطير... أليس كذلك؟» لكن لم يقل «أسكيلد» شيئاً بعد ذلك، ولم يشك من الممرضات المحتشمات أو الأطباء المغرورين، ولم يتلفظ بشتيمة واحدة، ولم يدق مرة على المائدة حتى ترقص الفناجين والأكواب، فأصبحت الجدة «بيورك» أكثر قلقاً. وأخذت تخيم عليه، وتشعر بدافع أن تمسح على شعره الأبيض؛ وفجأة حلت لديها رغبة بأن تشبع رغبته بعشاء جيد حقاً، وفكرت «بيورك» «ربما بعض من الخمر، والشموع» ... لذلك استقلت حافلة إلى البلدة، وذهبت إلى المحلات التجارية المميزة، واشترت كل شئ كانت تعرف أنه يحبه.

لكن عندما عادت إلى البيت بعد ظهر ذلك اليوم كان «أسكيلد» خارجاً في الفناء-بالضبط في نفس المكان الذي قد تصاعد فيه عدد غير محدد من رسائل وردية اللون في السنة اللهب قبل ثلاثين عاماً- وفكرت في ذلك الوقت «المشهد الأخير» وفي تلك اللحظة: فكرت في هذا مرة أخرى بينما كانت أكياس الخضروات والفاكهة تنزلق من يديها «لا بد أنهم قالوا شيئاً ما في المستشفى...» فقد سحب الجد «أسكيلد» كل لوحاته خارجاً إلى الفناء ورشها بالبنزين، وأشعل ثقاباً وفي تلك اللحظة وقف هناك؛ يحرق إلى السنة اللهب التي تصاعد بانطلاق عظيم؛ ومن الناحية العملية قد اقتلعت نصف السياج.



أصبحت هناك «حياة جديدة في المرحاض القديم» هناك اختفى «الطبيب والمشرط» هناك كانت «يبرجن تحترق»، وأخيراً أتت إلى خاصتها هناك سقط «المخرب يتعثر في صندوق البريد» مباشرة في بحر من النيران وهناك تعثر الكذاب في قصته لآخر مرة.

كل ذلك تصاعد في ألسنة اللهب... كل ذلك القرف التكعيبي الذي أخذ كثيراً من انتباهه، وكل تلك اللوحات القبيحة التي قد كانت تملأ الكوخ والمباني الملحقة: لوحات معبأة بأشخاص متفككين تلك التي أطيح توازنها أوالتي اندمجت مع مبان وسفن في حريق لرسوم ممزقة وأطراف حادة، كل ذلك تبدد في لحظة جنوبية واحدة في حين أن «أسكيلد» وقف هناك كما لو قد تحول إلى حجر وألسنة اللهب جعلت عينيه تلمعان، لكنه لم يرد عندما قالت «بيورك»: «لكن ماذا تفعل أيها الرجل هل جنت؟» ولم يعترض عندما التقطت عصا، وحاولت أن تجرف قطعاً متفحمة من النار، لكن كان ذلك بعد فوات الآوان فبدأت تبكي ولكمته بشدة على صدره، وظلت تضربه حتى انهارت، كما لو أنه لا شيء قد حدث، كما لو قد كانت اللوحات التكعيبية مجرد تحفة لافتة للنظر طوال الخمسين سنة الماضية، عاد إلى البيت، وصب زيت الترتينين في أوعية معدنية وبدأ يرسم أول منظر للطبيعة بسهولة بالغة حتى جعلت «بيورك» تلهث. ضباب كالذي في لوحات «تيرنر»؛ وميض انطباعي؛ بساطة شمالية؛ لدرجة أنها أخذت نَفْسَهَا بعيداً.

وتشكلت تدريجياً - ليس بنفس الإيقاع الجنوبي كما كانت من قبل على الإطلاق - بل إن هذا قد استغرق عدة أسابيع، ورأت «بيورك» تدريجياً أمام عينيه منظراً طبيعياً أدركت منه أنه كان من الممكن لهما أن يدخلوا معاً؛ لولا تعنته التكعيبي، وولعه بالزجاجة، وكلايه البوليسية في أرض ألمانيا الشرقية بل وبوقوفه هناك وهو في الثمانين من عمره وقد رسم فرصة لم ينتهزها أبداً، وحب قد تذوقته «بيورك» بالكاد أثناء خمس سنوات من الحرب عندما كان



الجد «أسكيلد» شاباً خجولاً ذا عينين متوسلتين، فقد رسم أودبة مليئة بمروج، وهضاباً جبلية، ورسم أيضاً حقولَ لفتٍ دهماركية، وغابات بتولا نرويجية، لكن لم يكن ذلك هو الجزء الأكثر غرابة!

بل كان الجزء الأغرب هو أن اللوحات سرعان ما بدأت تغير من مبدعها وتمحو الخطوط القارضة التي كانت حول فمه، والنظرة الحقيرة التي كانت في عينيه الداكنتين، فبدت المناظر الطبيعية وكأنها تتحدث مرة أخرى، وقد اتخذت شكل حياة في خاصتها، وبدأت تغير «أسكيلد» وتعيد رسمه عندما تبدو «هي» بعيداً، وقد لاحظت الرقة التي استحوذت عليه فجأة، ولكن لم يكنها ملاحظة كيف أنه سرعان ما يبكي عندما يجلسان أمام التلفاز في فترة ما بعد الظهر ويشاهدان مسلسلات كوميدية أو أوبريت.

وذاث يوم اكتشفت أنها كانت تقدم له العشاء دون أن تتسائل ما إذا كان سيغضبه بعض من البقع المحروقة في أسفل المقلدة، لكن كلما زادت رقته: كلما كانت تقل منه وفي النهاية بدا كالهيكل العظمي الذي خطا عبر باب البيت في «سكيفياكن» قبل خمسين عاماً باستثناء أن عودته لم تكن بخط مستقيم، وشعره لم يكن أسوداً، وعيناه لم تكونا بنيتين، وأنفه لم يكن ضخماً، فقد كان يبدو حقاً أشبه بوليد متجعد قد سقط من عش، وكانت خطواته هادئة، وحضوره خفي تقريباً، وبيرة الزرافة القوية تم استبدالها ببيرة عادية. وذاث يوم اكتشفت «بيورك» أن الحقيبة التي كان يبحث عنها في الرواق تحمل بيرة خفيفة فقط، وفي يوم آخر لم تستطع «بيورك» ملاحظة بقعٍ من الدم على المرحاض، لكن لم يكن ذلك هو الشئ الذي كان يتحدثان عنه، فبدلاً من ذلك: كانا ينظران إلى مناظر طبيعية، ولأول مرة بدأت «بيورك» تتدخل فيما لا يعنيهها، وتقدم له النصيحة، وتقول له رأيها بخصوص الصدا وأختيار الألوان!، وأشارت إلى مواضع ميتة في اللوحات ومزيج من ألوان متضاربة، والتي غيرها «أسكيلد» دون أدنى تردد.

نعم...! فهما يقفان هناك معاً لعدة ساعات، تائهين في العالم الغريب الذي



برز على اللوحات الزيتية بنية اللون... ممعنين النظر إليها وإلى جميع حقول  
اللفت والأودية المليئة بالبساتين، والتي أصبحت أكثر تجريداً وضبابية بشكل  
متنامي، وأحياناً ما كانت تشعر «بيورك» كما لو كانت تحيا بالفعل في تلك  
اللوحات، وفي مطلع صباح أحد الأيام كان «أسكيلد» جالساً على الكرسي  
الهزاز، وبدأ يتقيأ دماً، ثم انفجرت الفقاعة، واتصلت «بيورك» بالطبيب، وقد  
حُمِلَ إلى المستشفى، وهناك أعطوه حقنة مملوءة بالمورفين، على الرغم من  
أنه لم يشك أبداً من أي ألم أو من الطعام الذي كانوا يقدمونه إليه: عسيده  
فواكه؛ سوائل مغذية في زجاجة ... وكان الأمر هناك أن «بيورك» سمعت أولاً  
تشخيص مرض (سرطان المعدة) لكن لم يكن ذلك الأمر بمثابة صدمة لها، ولم  
تستطع أن تعاتبه لرفضه أي شكل من أشكال العلاج عندما جلس هناك  
ببساطة كطفل يرتشف من زجاجته.

وفكرت «بيورك» «لو استطاع «نيلز» فقط أن يراه الآن»، «لويعود «كنات»  
فقط إلى البيت ليقول وداعاً لوالده».

لكن: لا أبناء... ! فهم إما ميتٌ أو راحل... !

جاءوا... وليس فيهم ابنة متخلقة يصل وزنها إلى مائة كيلوجرامات تقفز على  
السرير لتسلم على والدها.

ومن ناحية أخرى أحياناً ما كانت تحضر «ستينا» والرجل عديم الأنف،  
وقد وصلت خطابات من «بوروندي»، وإحداها من «أمستردام»، وقليل من  
«بيرجن»، وقرأت الجدة «بيورك» الرسائل جميعها بصوت عال، ولولم يكن  
لأجل «ماما راندي» الكفيفة الصماء التي تسكن الحجرة القديمة الخاصة  
بعمتي السمينة لكانت بلا شك قد انتقلت إلى المستشفى، لكن كان عليها أن  
تعود إلى البيت ثلاث مرات يومياً لتطعم حماتها، وفي شيخوختها أصبحت  
«بيورك» مجدداً أمّاً لطفلين في حفاضاتهما.

ومر الوقت ولم تستطع أن تقول «بيورك» لـ «ماما راندي» أن «أسكيلد» في  
المستشفى، ولم يبدُ على حماتها ملاحظة ذلك لأن حياتها هي الأخرى قد



أصبحت خاضعة إلى ما يذهب من ناحية وما يخرج من ناحية أخرى، حتى في اليوم الذي أحضرت فيه الجدة «بيورك» أزهاراً إلى رجل لم يعد هناك، على الرغم من أنه ما زال يرقد في فراشه في حجرة خاصة بعيدة يشبه وليداً فاقداً للوعي: لم تستطع أن تصرح بأي شئ إلى «راندي».

كان كل هذا كاذب جداً: نظرات الممرضات، وجثة «أسكيلد».

بالتأكيد أنه كان ينبغي أن يوضع في البيت، وذلك هو ما حدث أن جثة «أسكيلد» وُضعت في إحدى الحجرات في «طونوفيج»، وفي حجرة أخرى كانت تجلس السيدة العجوز الكفيفة، وفي كل مرة تذهب «بيورك» من حجرة إلى أخرى، كانت تمر على لوحة المنظر الطبيعي، وتقف وهي مفتونة وعاجزة. «من عليّ أن أتصل به؟ أينبغي أن أحصل على تصريح؟» إن «أسكيلد» أراد أن تُحرق جثته وأن يُبعثر رماده في بحر الشمال، لكن كيف يتم كل ذلك؟

وبوقوفها في الرواق مثقلة بالأحداث التي لم تستطع أبداً أن تبلغها إلى السيدة العجوز: أُصيب «بيورك» باحتراس أصابها بالشلل، فخلال ذلك الوقت بدأت الرائحة النتنة لجسد متعفن تنتشر بالبيت، وقد تسربت إلى داخل السجاجيد والستائر، والتصقت بملابسها، ولم تزل حتى ذلك اليوم الذي اندفعت فيه «ستينا» و«باص بلوج» عبر الباب الأمامي بعد محاولة عقيمة للقيام بزيارة إلى المستشفى. فتأوهت «ستينا» «أوف!»، وسحبت قميصها فوق أنفها. «لماذا بحق الجحيم لم تخبرينا أنه قد مات؟»

وهي ذهبت أولاً إلى حجرة الأب القديمة لترى «أسكيلد»، لكن الرائحة النتنة جعلتها ترتد على عقبيها سريعاً وأغلقت الباب خلفها بقوة، ثم ذهبت إلى الحجرة القديمة الخاصة بالعمة السمينية «آن كاترين»، وهناك أُصيبت بصدمة أخرى، ربما كانت «ماما راندي» صماء وكفيفة: لكن لم يكن هناك شئ خطأ في حاسة شمعها، فقد استنشقت رائحته النتنة، وقد وقفت للمرة الأخيرة، وفي تلك اللحظة سقطت على أرضية الحجرة، وعيناها قد اختفيتا داخل رأسها حتى أن «ستينا» لم تستطع أن تقول ما إذا كانتا مفتوحتين أم مغلقتين.



وكثيراً ما كانت تقول الجدة «بيورك» بعد ذلك «يا لها من مستشفى للمجانين!» وفكرت في رفاق الشرب الذين ظهروا فجأة بعد قراءتهم لنعيه الذي وضعته «ستينا» في الجريدة، فأسرع عدد ضخم من رجال غير معروفين إلى الكنيسة، حيث كان يجلس أقرب أفراد العائلة فقط يا له من هياج! ويا لها من صدمة أن نكتشف أن «أسكيلد» لم يكن بلا أصدقاء كما كنا نعتقد، وقد كتب أحدهم بحروف مطبوعة على لافتة مرفوعة «ابتهجوا فهناك بيرة أفضل في السماء» القس كان سيبيدي استياءً شديداً لولم تقل الجدة «بيورك» «إنهم ههنا الآن... دعهم فقط يبقون».

فجلس هناك رفاق «أسكيلد» الغير معروفين، والذي قد أسرف «أسكيلد» في تناول الخمر معهم لأكثر من ثلاثين عاماً كبيراً وصغيراً على حد سواء، مجموعة حقيقية مختلطة، واصطفوا جميعاً ليقبلوا النعش، ويمطرون عليه أزهاراً وبعضاً من حاشيات مكتوبة على ظهر ملصقات البيرة.

وقالت «بيورك» وهي تفكر في الحادث المؤسف الخاص بالرماد «لقد كان بالتأكيد مليئاً بالملفاجات» وكان هذا في الأسبوع التالي بعدما وقع حادث إحراق الجثة وكان على الرماد أن يتبعثر في مضيق «أودنس» وكان بحر الشمال بعد كل هذا بعيداً جداً في رأي «بيورك»، لكن لم يخبرها أحد أبداً أن الجد «أسكيلد» قد تعهد ذات مرة لكل من أصدقائه الغير معروفين بقطعة من جثته أوهذا ما تبرع به إن جاز التعبير، أكثر من نصف جسده إلى القضايا الاجتماعية، ولم تره أبداً جالساً في الركن يرمي برماده التصوري في جميع الأنحاء بينما يضحك بصوت عالٍ، وفي نفس الوقت كان يستغل فرصة أن يمسح بعضاً من البيرة.

واعتاد «الجد» على أن يقول إلى ضيوف الحانة الجدد «لوتشتري لي بيرة» «سأعطيك في المقابل قطعة صغيرة من نفسي».

لذلك عندما حضر رفاق الشرب، وتجولوا معنا لأسفل وصولاً إلى الميناء، وخارجاً نحو المضيق البحري اندهشت «بيورك» مجدداً، وكان ذلك يوم صيفٍ



دافء صافٍ تماماً، فاقترح أحد رفاق الشرب بأن يلقوا بقمصانهم، في حين كان آخريـن يغنون أغاني السكارى، وبدأت الجدة «بيورك» تشعر بما يشبه الراحة في رفقة أولئك السكارى اللطفاء، لكن بعد ذلك حانت اللحظة المهيبة، حيث إن «أبلهيد» الذى أتى من «بيرجن» ليحضر الجنازة، وأيضاً ليأخذ رماد «ماما راندي» معه وهو عائد إلى البيت في «النرويج» حتى يمكنها أن تبقى بجوار بابا «نيلز»، وقد أراد أن يلقى ببعض من الكلمات.

كانت الجدة «بيورك» تقف هناك حاملة الجرة التى تحفظ الرماد، وتحدث إلى «أبلهيد» عن كل ما هو جيد وما هو سئ، لكن عندما انتهى من كلمته الرائعة: اقترب منها فجأة أولئك الرجال الغير معروفين، والذين اصطفوا أمام الجرة؛ ومع كل واحد كيس صغير من البلاستيك، وقد صاح أحدهم «أين المعلقة؟»، فأخرجت على الفور وبعدئذ بدأوا يساعدون أنفسهم، وكانت الجدة «بيورك» تقف هناك كما لو كانت مذهولة في حين أن الأكياس البلاستيكية كانت مملوءة برماد «الجد»، والذي تلاشى بداخل جيوب القمصان والبنطلونات كما لو كانت تحمل وعاءاً من الحلوى وليس البقايا المادية لزوجها المتوفي، والذي انتهى الأمر بثلاثها فقط مبعثراً على المضيق البحري وكانت الجدة «بيورك» على وشك البكاء، ويدها ترتعشان بينما كانت تبعث البقايا الأخيرة لرماده، وفي الطريق إلى البيت حاولنا تعزيتها ونقول: أنه على الرغم من كل شئ؛ فتلك هي كانت آخر أمنيات «الجد».

لو لم تكتشف «بيورك» طوال العام الماضي من حياة «أسكيلد» رجلاً مختلفاً خلف واجهة الفنان التكعيبي، كان رجلاً لطيفاً ومحباً ينظر إليها بحنان في الصباح وإلى جانبه فنان من الشاي ونصف قرص من الخبز للإفطار فلولاً أن رأت ذلك لأصبحت غير متأثرة بفقده، حيث كان رجلاً يعطيها منظرًا طبيعياً ساحراً واحداً تلو الآخر. المناظر الطبيعية التي حلمت بها طوال السنوات القليلة التالية؛ والتي كانت تعني أنها لم تُسر بالطريقة التي كانت تعتقد أنها مسروقة بها فلم تدع نفسها تنطلق في نادي القمار، ولم تلتق نفسها في



كل الأشياء التي قد خططت للقيام بها كالرقص والغناء. فبدلاً من ذلك شعرت أنها تضعف تدريجياً، وشعرت بالشوق لتخطو إلى داخل نفس المناظر الطبيعية التي قد خطاها «أسكيلد» في نهاية المطاف، وكل شيء أصبح صعباً جداً، فكل ذلك الطبخ والتنظيف فذلك دفعها لتترك تلك الأمور، وصاحت «ستينا» قائلة «اسحب نفسك أيتها «الجدة»، لكن في أحلام «بيورك» الليلية بدأت تتبع «أسكيلد» في كثير من الأحيان إلى داخل المناظر الطبيعية الخاصة به، فكانت تسير عبر حقول اللفت، وتتنجول في جميع أنحاء الأودية المليئة بالمروج والضبابية، وتضل في مناظر طبيعية شتوية ضبابية، وغابات البتولا، وهضاب جبلية وعندما استيقظت في الصباح؛ كانت رغبتها الكبرى هي أن تغمض عينيها مرة أخرى، وجربت قائلة: اسحب نفسك! فقد فعلت كل شيء قالته لها «ستينا»: حصص التمارين الرياضية في مركز كبار السن على سبيل المثال؛ لكن عندما انتهت الحصص؛ لم تشعر برغبة في العودة إلى البيت، حيث شعرت أن رجليها ثقيلتان.

فتساءلت قائلة «ألا يمكنني فقط البقاء ههنا؟» وعندما سألت ذلك السؤال كثيراً بما فيه الكفاية: بدأ الناس ينقلون ممتلكاتها الشخصية.

وفي النهاية لم يمكنها معرفة أين كانت تقيم بالفعل، لكنها ما زالت تعد «ستينا» أنها سرعان ما ستضع كل شيء تحت السيطرة مرة أخرى، وكانت تصدق بذلك أيضاً حتى ذلك اليوم الذي حصلت فيه على رسالة من «آبلهيد» في «بيرجن»؛ يخبرها فيها أن الطبيب «ثور» قد مات في عيد ميلاده الرابع والتسعين. فجلست الجدة «بيورك» لوقت طويل تحدد النظر خارج النافذة. فرأت متجولين منتشرين في أنحاء حقل، ويتلاشون في داخل غابة البتولا في الأفق، وعندما وصلت الممرضة فيما بعد ووجدت الجدة «بيورك» جالسة في كرسيها ذي الذراعين ومعها رسالة قد وقعت من بين يديها، طلع الفجر على «الجدة» حتى أنها قد كانت تحدد النظر إلى لوحة ضخمة.

وبعد موت «ثور» بدأت «بيورك» تتشوش ذهنياً على نحو خطير، فكانت



تعتقد أن «ستينا» هي أختها «لينا»، وقد أخبرت طاقم التمريض أن زوجها الممتوني كان أيضاً طبيباً محترماً، وقد كتب كتاباً بعنوان «٥١٧ طريقة لكسر عنقك وطريقة واحدة لتصبح إنساناً مرة أخرى».

وكانت الجدة «بيورك» تقول لأي شخص يصغي إليها وأصبح إنساناً مرة أخرى: «لقد هرب من المعسكرات».

حتى أنها استطاعت أن تقول إلى أين أديرت الأمور؛ ولذلك بدأت تكتب بطاقات بريدية إلى حفيدها في «أمستردام» «إن في مكان ما في ألمانيا الشرقية، يمر جدك عبر سهل وإنني قد بدأت أخشى من أنه ربما لن يعود إلى البيت أبداً»، لكن لم يكن «أسكيلد» هو الشخص الذي كانت تتحدث عنه، لقد كان «أنا» فبينما كانت على وشك الموت: شعرت الجدة «بيورك» أنه كان كافياً أن يكون لديها ابن واحد في العائلة لم يعد إلى البيت أبداً، فكتبت «عد إلى البيت فإن الكلاب البوليسية قد ماتت .... ولم يعد باقياً ولوحتى رأس كلب».

وما كان بعد ذلك أن ابنها الأكبر قام فجأة من بين الأموات، وبدأ يرسل لها الهواء النقي من «بيرجن»، كان في حين أنها شعرت مرة أخرى بشظية من الثلج في قلبها، وعندما عرض الأطباء أخيراً القيام بشئ ما فيها... حسناً... فإنها لم تعد تشعر بالضغط المألوف في صدرها، فقد كان هذا كما لو أن كل شئ تدفق خارجاً، وتحول إلى منظر طبيعي ساحر، وقد كانت ستتلاشى فيه بلا شك لو لم يكن يزعجها شئ واحد. شئ واحد جعلها تستيقظ في الليل، وتتقدم ببطء هنا وهناك في حيرة بين جميع تلك العلب «هواء نقي من «بيرجن» وأخذت تشم فيها، وبدأت تلعب بها وجلست على أرضية الحجرة في الظلام، واستنشقت تلك الرائحة المألوفة من «فاجن»، و«فيسكت أورتج»، و«سكانسن» والأحياء المتطورة حديثاً، وقد رأت في ذهنها الفيلا الأرستوقراطية في «كالفارين» وضلت تماماً في داخل الحجرة القديمة لأرملة الابن «كنات»، لكنها لاحظت أيضاً شيئاً آخر: رياحاً جليدية وانهايار جليدي من قمم جبل «بلاخسا» .... فبدأ ينتشر الشك وقد تنامي بداخلها كمدينة



سماوية، وجعلها توافق على العملية الجراحية. لقد كان عليها أن تكسب الوقت، وكان عليها أن تحل ذلك اللغز الخاص بالهواء النقي من «بيرجن»، لكن في كل مرة كانت تقترب فيها، وفي كل مرة كانت ترى عدداً غير محدداً من رسائل وردية تنجرف إلى أسفل القبر المظلم وكانت تفقد حبل أفكارها، وتشعر بأنها غير قادرة على أن تضع رأساً أوديلاً لقصتها الخاصة.

وقالت الجدة «بيورك» «هناك شئ ما غير مناسب».

لكن أتى «هو» أخيراً مثلما حل الفجر عليها حتى أننا كنا نخدعها، وذلك لم يكن هوايتها الأكبر المرسل الكريم للهواء النقي من «بيرجن»؛ فهناك كان يقف أمامها مبتسماً. فقد عاد الصغير «ذوالأذنين اللتين تشبهان الإبريق» وكانت «لبلى» تقف بجانبه.

فكانت الجدة «بيورك» «شكراً لك على الهواء النقي» وردا قائلين «إنه لا شئ يا أمي».

نعم... هناك كان الزوجان السعيدان يقفان ثم انزلت المناظر الطبيعية، وفجأة أصبح «أسكيلد» هناك ينتظرها في الأفق بعيداً داخل بنية ضبابية وكان واقفاً أسفل شجرة البتولا وفي إحدى يديه كان يحمل عصاه، وفي اليد الأخرى فرشاة رسم قديمة وقد قال «إننا قد انتظرنا طويلاً بما فيه الكفاية». فهمست الجدة «بيورك» قائلة «نعم!» «أسكيلد» الصغير؛ إننا الآن في البيت، الآن قد عدنا أخيراً إلى البيت»، ثم أغمضت عينيها ولم تفتحهما مرة أخرى...! أوه... نعم... إنها فتحتهما للمرة الأخيرة وقالت وهي تحديق النظر إلينا «المال المهرب!» «إنني قد دفنته خلف الكوخ».



## وعاء الذهب عند طرف قوس قزح

قالت «ستينا» «لذلك كان ذلك» «إنه الآن لم يعد هناك شئ لقصه».

كانت «ستينا» على حق فتقريباً لم يعد هناك شئ لقصه فلا صور تُرسم، ولا لوحات زيتية ليُبذل فيها جهد، فكل قصة قد أُعطيت لوحة زيتية خاصة بها وبينما كانت تجف آخر اللوحات الزيتية حيث كانت معلقة في حجرة الضيوف الخاصة بـ «ستينا» الأسبوع الماضي: ماتت الجدة «بيورك» في سريرها بالمستشفى، وقد نقب الأطباء هنا وهناك كثيراً في البحث عن تلك الشظية الثلجية في قلبها حتى أُلقيت أجهزتها في حالة من الفوضى، وبعد العملية الجراحية استيقظت مرة واحدة فقط وكنا قادرين على التحدث معها لدقيقتين من الزمن، فقد كانت مقتنعة أنني «أنا» هو «الأب» وأن «ستينا» هي «الأم». إنها ثرثرت بصفقة جيدة بخصوص هواء نقي من «بيرجن»، وأخيراً أشارت لنا إلى حيث يمكن أن نجد ميراثنا، ثم أغمضت عينيها لآخر مرة، ولم يحضر حشد من رفاق السكر جنازتها بل قليل من قواد نادي القمار وجدوا طريقهم إلى هناك، فأتت مدام «ماير» ومدام «نيلسن» وكلهن تسألن بجدية بالغة عن الابن الأكبر لـ «بيورك» حتى تجمدنا للحظة، ألم تخبرهن «الجدة» أبداً أن «الأب» قد مات؟

وواصلن حديثهن وهن تقلن «وماذا عن الابن الأصغر؟» «رجل الأعمال الجامايكي؟ هل تأخرت طائرته؟»

إنني تذكرت كلام الجدة «بيورك» في أول مرة أخطوفها عبر باب دار النقاهاة: «إن الهروب في هذه العائلة كما يبدو شئ عصري». وكانت على حق في ذلك. فالكثيرون قد هربوا، وقليلون هم الذين قد عادوا، وأين سيكون المكان المناسب للنهاية؟ بكلام القس؟ بيد أختي التي تنزلق إلى داخل جيب سترتي دون أن يلاحظها أحد تماماً؟ أم بعودي إلى البيت؟ وقد قضيت سبع سنوات ممتعة في «أمستردام» كانت الجدة «بيورك» تنتظر خلالها «الولد» الذي كان



يخاف من عودته بسبب رؤوس كلاب تلك هي المدة الزمنية التي أخذت للتجديد، لكن لم يستطع «الولد» أن يتخلص من رؤوس الكلاب التي كانت تراوده، ولم تكن لديه أية رغبة في العودة إلى البيت وإلى ميراثه من زخارف تكعيبية، لكن اعتماداً على الشم في جميع أنحاء البيت القديم في «طونوفيج»؛ لم أجد شيئاً أكثر من المناظر الطبيعية الشتوية الضبابية لشيخوخة، إلى أن لمحت البقايا المتفحمة من النار العظيمة والتي ما زالت تشوه السياج.

ثم أدركت ما قد فعله الجد «أسكيلد». فإنه قد نظف الطريق، وإنه كان لي مطلق الحرية في إعادة إنشاء اللوحات المتفحمة، وبتلك الطريقة أقدم ترجمتي الخاصة للقصة، ومنذ نحو ستة أشهر في حجرة الضيوف التي تخص «ستينا» و«باص بلوج» من البيت أخرجت معداتي: زيت الترنيتين، وزيت بذر الكتان، ولوحة الألوان، وفرشاة الرسم، وما لم أحضره معي من «أمستردام» استطعت أن أجده في «الكوخ» في «طونوفيج»، وباستخدام الجديد والقديم تلك كانت الطريقة التي بدأت بها العمل.

وإنني رسمت «حورية بحر نازفة» وبأدوات الرسم الخاصة بي استحضرت إلى ذهني «رأس كلب في مكان ما تحت درج السلم، والرحلة الجوية لـ «أسكيلد» عبر سهل ألمانيا الشرقية، وسفينة «أماندا» في ضباب الصباح، ووحش في المطبخ، وجبار يقفز من صندوقه». وقد رسمت «انتصارات ومآسي تُرى عبر فتحة صغيرة» «هبوط متسلقي الجبل» «هزيمة محتال» رسمت بسرعة؛ مستفيداً بوفرة من اللون، وكثيراً ما كنت أسمح لنفسي أن أنحرف عن الموضوع بواسطة خيال خالص، وفيما بين لوحات مهمة ولوحات غير معنونة: تظهر عناوين أكثر ركاكة «النقد الذاتي والبحث». لماذا تحتل أمني قليلاً جداً من القصة؟ هل هناك لون أحمر أكثر من اللازم في صور أختي؟ ماذا حدث إلى «كنات» البحار؟ فحتى الدقيقة الأخيرة كنا نتوقع أنه سيأتي إلى الجنازة.

تساؤلات لا نهاية لها وإنني لست فخوراً بـ (اللخبطة) التي قد تركتها في



حجرة الضيوف الخاصة بأختي وبين عناويني «نهايات حرة» و«عروض كاذبة». هناك أيضاً مزيج خاص من رسومات لإهانات مختلفة، فكان هناك الجد الأكبر «راسموس»، الذي كان يتحمل الإهانة عن أن يصبح فانج، وكانت هناك تركيبات طلائية مخصصة للغموض وقد استخدمتها لرسم «أرواح الشجرة والوحوش تلك التي اتخذت شكل حياة من خاصتها» هذه التركيبات اللونية كانت غاياتي البالغة: إنها كانت ما ألجأ إليه متى لم أستطع أن أجد أية أرضية مشتركة في قصص عائلتي، وكانت أيضاً الألوان التي استخدمتها لرسم جبل «بلاخسا». أينبغي أن أنتهي الآن من التنقيح وأقول: «حتى أنني لم أعرف ما كان يحدث في الواقع؟ أينبغي بدلاً من ذلك أن أنتهي مع صف من لوحات زيتية مجردة والتي ما زالت في حجرة الضيوف؟ صورة منجزة بسرعة لاثنين من أبناء أختي وهما يلعبان سيرك» إريكسون» بأنوف «باص بلوج» المنبوذة؟ فإنه يشترى أنفأ جديداً كل عام عندما يحولها النيكتوتين الصادر من سجنائه إلى اللون الأصفر، ثم يضعها في صندوق في المخزن، ويخرجها الأطفال كلما يشعرون برغبتهم في ارتداء الملابس الأنيقة، أم ينبغي أن أكون مخلصاً لقصتي أخذها أو أتركها، تلك هي حقيقتي الوحيدة، وتنتهي ببذل جهد قوي لآخر لوحة زيتية صغيرة؟

نعم... تقول أختي «ستينا»: إنه ينبغي علي أن أسرع وأنتهي وإنه من اللطيف أن تزورني، لكن لا يمكنني أن أمكث في حجرة الضيوف إلى الأبد. «إنني قد دفنته خلف الكوخ» ذلك كان آخر شيء قالته الجدة «بيورك»، فبعد الجنازة اتجهنا إلى البيت في «طونوفيج» ووجدنا مجرفة وبدأنا نحفر، وبعد نصف ساعة بدأت السماء تمطر وكانت «ستينا» متشككة في الأمر. «إنه ليس هنا ولماذا ينبغي أن يكون المال هنا بعد كل تلك السنوات؟ إنه دائماً ما كان يعوزهم المال».

وجعل المطر شعرها مجعداً ومكياجها يسيل، وجعل كلينا مجنونين جداً حتى بدأنا نقذف بالطين على بعضنا البعض!.



ولم يهت في استسلام قائلة «إنني ما زلت لا أصدق بهذا» لكن عندما لمحنا أخيراً رأس شنطة بلاستيكية سوداء أسفل المياه العكرة في الطين: شعرنا سوباً باندفاع فكانت نفس الإثارة التي كانت تتخلل الجد «أسكيلد» في كل مرة يخطط مالاً في داخل المرتبة في الحجرة القديمة لأرملة الابن «كنات»، ونفس الاندفاع الذي شعر به «الأب» في وقوفه أمام نافذة عرض مغبرة لتاجر العملة «إيسن»، أو عندما انهالت على رصيف «إسكولتجران»، أوفيما بعد عندما ضل في المناطق الرمادية لعالم الأعمال يلهث وراء أوعية ذهبية جديدة عند طرف قوس قزح، نفس الاندفاع... ونفس خيبة الأمل ...!

بعد لحظة: وقفنا هناك ننظر إلى شنطة بلاستيكية بالية مليئة بأوراق نقدية نرويجية متعفنة!

منذ ذلك الوقت الذي قبض فيه على «أسكيلد» بواسطة الألمان كانت الجدة «بيورك» تقيم في تسعة بيوت مختلفة في كل مرة كانت تنتقل فيها من بيت إلى آخر: كانت تأخذ معها حمولتها السرية، وهي قد دفنتها في حظائر، وأخفيتها في حجرات تخزين وفي خزائن علوية، وربما كانت خجولة جداً من أن تحصل على المال حتى أنها لم تستطع أن تجبر نفسها لتنفقه ربما كانت تعرف جيداً أن «أسكيلد» كان سيستخدمه لأجل .... إنه كان يمكنها أن تضع المال في البنك بدلاً من ذلك، وكان يمكنها أن تستثمره في شئ ما. لكن في عائلتنا هذه لم نكن أبداً جيدين للغاية في إدارة ميراثنا.

فقال «ستينا»؛ وهي تحدد النظر إلى البقايا المؤسفة «تباً لهذا واتفقتُ معها قائلاً «تباً لهذا»

هناك وقفنا عند الوعاء الذهبي الحقيقي للعائلة عند طرف قوس قزح فقط- لنكتشف أنه قد أُلْتهم بواسطة المطر وانخفضت قيمته مع الوقت...! هناك وقفنا عند السبب في وجود الكلاب البوليسية وكل شئ كان أسوأ من ذلك، وهناك وقفنا ببساطة ودون شكوى.

وعندما التقطت «ستينا» الأوراق النقدية المتعفنة لتعدها: بدأت الأوراق



النقدية في التفتت.

وواصلت «ستينا» قولها بينما كنا نقود متجهين إلى البيت عبر المدينة «إنها كانت تعرف طوال الوقت».

وكانت الأمطار تنهمر بشكل أقوى، وحل الظلام وفجأة: كان كل ذلك حولنا فنظرت «ستينا» إليّ، وبدا للحظة كما لو كانت تريد أن تقول شيئاً ما لكنها غيرت رأيها محاولة تركيزها إلى الطريق، ونحن فعلنا ما قد كان سيفعله «الأب»: نقود مباشرة إلى البيت دون أن ندع الظلام يتخللنا.



obeikandi.com